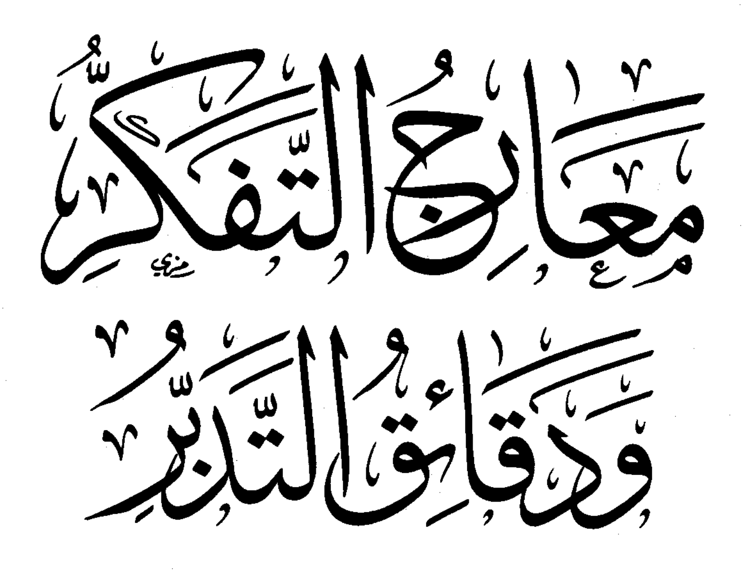


تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول
وفق منهج كتاب «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل»

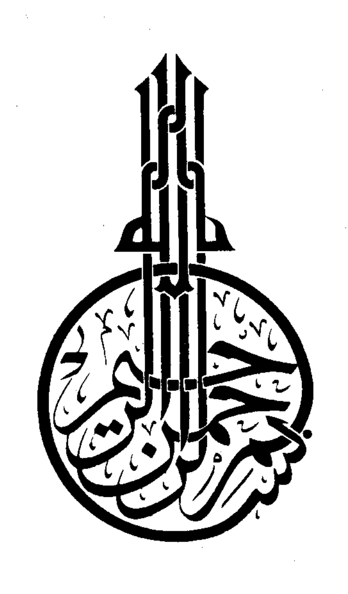
المجلد الخامس عشر

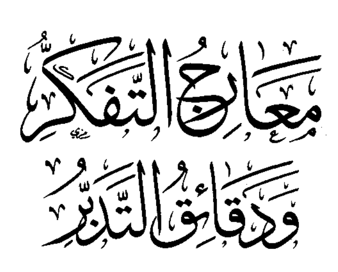
تفسير سور

النبأ/٨٠ النازعات/٨١ الانفطار/٨٢ الانشقاق/٨٣
الروم/٨٤ العنكبوت/٨٥ المطففين/٨٦ ومقدمات سورة البقرة/٨٧

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم
دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم


معارج التفكر
ودقائق التدبر

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

سورة النبأ (عَمَّ)

٧٨ مصحف ٨٠ نزول

وهي سورة مكيَّة



(١)
نص السورة وما فيها مِنْ فَرْشِ القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا

١ ـ • وقف البزّي ويعقوبِ بخُلْفٍ عَنْهُما بهاء السَّكْت علىٰ: [عَمَّ] فقرآها «عَمَّهْ».

٢ ـ • وقف حمْزة بالتسهيلِ مع المدّ والقصر في: [يتَسَاءلُونَ].

٣ ـ • وقف حمزة، وهشام بخُلْف عَنْهُ في: [عَنِ النَّبَإِ] بإبْدَالِ الْهمزة ألِفاً، وبتسهيلِها بالرَّوم فَهُمَا وَجْهَان.

١٩ ـ • قَرأَ عَاصِم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وفُتِحَت] بِكَسْرِ التَّاءِ دُونَ تَشْدِيد. ووافَقَهُمُ الأعْمَش.

وقرأها باقي القُرَّاءِ الْعَشَرة: [وَفُتِّحَتْ] بكسر التّاءِ مع التَّشْدِيد.

﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

---

٢٢ ـ • وقف حمزة بالتسهيل في: [مَآباً].

٢٣ ـ • قرأ حَمْزَةُ، وروح: [لَبِثِينَ].
وقرأها باقي القُرَّاء العشرة: [لَابِثِينَ].

٢٥ ـ • قرأ حفصٌ، وحمزة، والكسائي، وخلَف: [وَغَسَّاقاً] بتشديد السِّين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَغَسَاقاً].

٣٥ ـ • قرأ الكِسَائي: [وَلَا كِذَاباً].
وقرأها باقي القراءة العشرة: [وَلَا كِذَّاباً].

٣٧ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبُو عمْرو، وأبو جعفر: [رَبُّ السَّمَاواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ].
وقرأها ابْنُ عامر، وعاصم، ويعقوب: [رَبِّ السَّماواتِ والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ]. . وقرأها باقي القراء العشرة: [رَبِّ السَّماوات والأَرضِ وما بَيْنَهُما الرَّحْمَنُ].

(٢)
موضوع سورة النبأ (عمّ)

يَدُورُ موضوعُ سُورَةِ النَّبأ حَوْلَ تَسَاؤُلِ المكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ ويَوْمِ القيامَةِ، ويَوْمِ الدِّينِ؛ عَنْ هَـٰذا النبأِ الْعَظِيم الّذي لَمْ يطِبْ لَهُمْ أَنْ يُصَدِّقوا بِهِ، لِأَنَّ إيمانَهُمْ بِهِ يَدْفَعُهُمْ إِلَىٰ تَرْكِ كَثيرٍ مِنْ شَهَواتِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الحياةِ الدُّنْيَا، وإلى نَبْذِ شِرْكيَّاتِهِمْ ومُعْتَقَداتِهِمْ الْبَاطِلَاتِ الْمَوْرُوثَاتِ عَنْ آبائِهِمْ وأَجْدَادِهِمْ، وإلىٰ عَدَمِ اتِّبَاعِهِمْ أهْوَاءَهُمُ الْمُخَالِفَةَ لِتَعَالِيم دِينِ اللهِ الْحَقِّ الَّذي يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ محمَّدٌ ﷺ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ بَيَانَاتِهِ الَّتِي يُنَزِّلُهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ المجيد.

ويَدُورُ مَوْضُوعُ السُّورَةِ حَوْلَ مُعَالَجَةِ هـٰؤلَاءِ المكذِّبين بِيَوْمِ الدِّين، بالأَدِلَّةِ الكَوْنِيَّة الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَمالِ قُدْرَةِ اللهِ، الدَّالَّةِ عَلَىٰ أنَّ الْبَعْثَ وَيَوْمَ الدِّينِ وَكُلَّ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الهيِّنَةِ عَلَيْهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ وبتَقْدِيم صُورَةٍ فيهَا بَيَانُ بَعْضِ عَذَابِ الطَّاغِينَ المكَذبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وصُورَةٍ فِيهَا بَيَانُ بَعْضِ نَعِيمِ المتّقين.

(٣)
دروس سورة (النبأ)

يَظْهَرُ للمتَدَبِّر أَنَّ هـٰذه السُّورة يَحْسُنُ تَقْسِيمها إلى خَمْسَةِ دُرُوس، وهٰذِهِ الدُّرُوسُ الْخَمْسَةُ مُتَرَابِطَةٌ فيمَا بَيْنَها ضِمْنَ مَوْضوعٍ واحد.

الدَّرسُ الْأَوَّل: الآيات من (١ ـ ١٦).

وفي آياتِ هذا الدَّرس بَيَانُ تَسَاؤُل المكَذِّبينَ بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّين عَنْهُمَا، بُغْيَةَ الوصُولِ إِلَىٰ دَلِيلٍ مَا يَتَّخِذُونَهُ ذَرِيعة تُوهِمُ أَنَّهُمْ عَلَىٰ صَوَابٍ فِي تَكْذِيبهِمْ، وإقناعِ أتباعِهِمْ بأَنَّ الْبَعْثَ ويَوْمَ الدّينِ لَا حَقِيقَةَ لَهُمَا.

واقْتَرنَ هَـٰذَا البيانُ بالتَّنْبِيهِ علَىٰ طَائِفَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ في كَوْنه، وَهـٰذِهِ

الآيَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ، وكَمَالِ حِكْمَتِهِ، فالبعْثُ ويَوْمُ الدِّينِ مِنْ قضايا الحقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

الدرس الثاني: الآيات من (١٧ ـ ٢٠).

وفي آيات هذا الدَّرْسِ بَيَانُ لَقَطاتٍ بِشَأْنِ يَوْمِ الدّين، وأَحْدَاثٍ جِسَامٍ تجري قَبْلَهُ.

الدرس الثالث: الآيات من (٢١ ـ ٣٠).

وفي آياتِ هـٰذا الدَّرسِ عَرْضُ لَقَطاتٍ عَنْ جَهَنَّمَ، وبَعْضِ أَحْوالِ المعَذَّبينَ فِيها، مَعَ بَيَانِ سَبَبِ تَعْذِيبِهِمْ، وأن اللهَ عزَّ وجلّ أَحْصَىٰ كلَّ شيءٍ وكَتَبَهُ فِي كِتاب.

الدرس الرابع: الآيات من (٣١ ـ ٣٧).

وفي آيات هذا الدَّرس بيَانُ لَقَطاتٍ عَنْ ثواب المتّقين في جَنَّاتِ النَّعِيم يَوْمَ الدّين.

الدرس الخامس: الآيات من (٣٨ ـ ٤٠) آخر السورة.

وفي آيات هذا الدّرسِ بيَانُ بَعْضِ قَضَايَا عن يَوْمِ الدِّين، مع إِنْذَارِ المكذّبين بعذَابٍ قَرِيبٍ يكُونُ يَوْم الدّين.

❁ ❁ ❁

(٤)
التدبر التحليليّ للدّرس الأول مِن دُرُوسِ سُورة (النبأ)
الآيات من (١ ـ ١٦)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:



﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ

مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾:

تمهيد:

في آياتِ هٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ تَسَاؤُلِ المكَذِّبينَ بالْبَعْثِ ويَوْم الدِّينِ عَنْهُما، بُغْيَةَ الْوُصُولِ إلى دَلِيلٍ مَا يَتَّخِذُونَهُ ذَرِيعَةً للإِيهَام بِهِ أَنَّهُمْ عَلَىٰ صَوَابٍ فِي تَكْذِيبِهِمْ، وَلإِقْنَاعِ أَتْبَاعِهِمْ بأَنَّ البَعْثَ وَيَوْمَ الدِّينِ لَا حقيقةَ لَهُمَا.

واقْتَرَنَ هٰذَا الْبَيَانُ بالتَّنْبيهِ عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ فِي كَوْنِه، وهٰذِهِ الآيَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيم قُدْرَةِ اللهِ، وكَمَالِ حِكْمَتِهِ، فَالْبَعْثُ وَيَوْمُ الدِّينِ مِنْ قضايَا الْحَقِّ الّذِي لَا شَكَّ فِيه.

التَّدبّر التحليلي:

■ قول اللهِ تَعَالَى:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾:

• ﴿عَمَّ﴾: أَصْلُهَا «عَنْ مَا»؟، فعَنْ حَرْفُ جَرٍّ، و«مَا» اسْمُ استفهام، ويَجبُ حَذْفُ أَلِفِها لفْظاً وَخطّاً إذا دَخَلَ عليها حَرْفُ جرٍّ، ويَجبُ إبْقَاءُ الفتْحَةِ دَليلاً عَلَيْها كما هُنَا «عَمَّ». والمعنى عَنْ أَيِّ شَيْءٍ.

• ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: يَسْأَلُ بَعْضُ المكَذِّبينَ بِيَوْمِ الدِّينِ بَعْضاً.

• ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾: جَاءَتْ هٰذِهِ الآيَةُ بَيَاناً للشَّيْءِ الّذِي يتَسَاءَلُ عَنْهُ المكَذّبُونَ بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ، أي: هُمْ يَتَساءَلُونَ عَنِ الْخَبَرِ العظيم الّذِي هُوَ الْبَعْثُ إِلَىٰ الحَيَاةِ بَعْدَ المَوْتِ، وأَحْدَاثُ يَوْمِ الدِّينِ الْعُظْمَىٰ.

ويَظْهَرُ لِي أَنَّ تَسَاؤُلَهُمْ عَنِ النَّبَأ العظيم وَهُمْ مُكَذِّبُونَ بِهِ، ومُنْكِرُونَ لَهُ؛ هُو تَحَادُثُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، إذْ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَمَّا يُرِيدُونَ تَرْوِيجَهُ مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ، لإقْنَاعِ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ بأنَّ الْبَعْثَ وَيَوْمَ الدِّينِ وأنْبَاءَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَجْرِي فِيهِ أُكْذُوبَةٌ افْتَرَاهَا مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِه، ولَيْسَ لَهَا في الواقِعِ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ في المسْتَقْبَلِ حَقِيقَةٌ مَا.

• ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾: أي: الّذِينَ هُمْ فِي النَّبَأِ الْعَظِيم مُخْتَلِفُونَ مَعَ حقيقَتِهِ وَوَاقِعِهِ، فَهُمْ يُنْكِرُون أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً سَوْفَ تَقَعُ، جُحوداً وَتَكْذِيباً للرَّسُولِ ﷺ المؤيَّدِ من اللهِ بالمعجزاتِ الخارِقَاتِ، والآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وهُوَ بَيَانٌ عَنْ أَمْرٍ سَوْفَ يَقَعُ حَتْماً، لِأَنَّهُ خَبَرٌ عَنِ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وهُو الْعَلِيمُ الخبير الحكيم، والْقَدِيرُ على أنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ـ جلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ وهُوَ مَدَبِّرُ كُلِّ شَيْءٍ في الكوْنِ لِلْحَياةِ الدُّنْيَا ولِلْآخِرَةِ.

والّذِينَ هُم فيهِ مُخْتَلِفُون بينَ شاكِّينَ؛ وبَيْنَ مُسْتَيقِنِينَ في قُلُوبِهِمْ جاحِدِينَ مُنْكِرِينَ ظُلْماً وَعِنَاداً ومُكَابَرَةً بالْبَاطِلِ.

• ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾:

﴿كَلَّا﴾ كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْر، وهي موجَّهَةٌ لِلْمُكَذِّبينَ بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ، أي: فَلْيَرْتَدِعْ ولْيَنْزَجِرِ المكَذِّبُونَ بالْبَعْثِ ويَوْمِ الدِّينِ ومَا يَجْرِي فِيهِ، مِمَّا أَعَدَّهُ في خُطَّةِ التَّكْوِينِ خالِقُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ومُدَبِّرُ كُلِّ شَيْءٍ فيها بِحِكْمَتِهِ، فَهٰذِهِ الموْعُودُ بِهَا حَقٌّ سَوْفَ يَحْصُلُ حَتْماً.

المعْنَى: كلَّا سيَعْلَمُونَ عِنْدَ النَّزْعِ أنَّ الآخِرَةَ ومَا يَجْرِي فيها حَقٌّ إذْ تَنْكَشِفُ لَهُمْ مَقَاعِدُهُمْ فِي جَهَنَّمَ دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ عِنْدَ نَزْعِ أَرْوَاحِهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ الْمَوْتِ وعِنْدَ الْبَعْثِ، سَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ مِنْ أَحْدَاثِ الْبَعْثِ والْآخِرَةِ حَقٌّ لَا رَيْبَ فيهِ، إذْ يَشْهَدُونَ مِنْ أَحْوَالِ الآخِرَةِ بَعْضَ مَا

كَانُوا يُكَذِّبُونَ به، شُهُوداً يَجْعَلُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُ جُحُوداً ولَا إِنْكاراً، ويَقِيسُونَ عَلَيْهِ سَائِرَ أَحْدَاثِ الآخِرَةِ، الَّتِي جاءَ النَّبأُ عَنْهَا فِي كِتَابِ اللهِ وَفي بيانَاتِ رسُولِهِ ﷺ.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾:

في هَـٰذِهِ الآيَاتِ الْقَصِيراتِ التَّذْكِيرُ بِتِسْعِ آيَاتٍ مِنْ آيات اللهِ الكونيَّة العظيمة، لِمَا فِيهَا مِنْ دَلَالَاتٍ عَلَىٰ عَظِيمِ قُدرَةِ اللهِ، وسَامِي حِكْمَتِهِ، وشُمُولِ عِلْمِهِ، وإحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلماً، وَمَنْ أَدْرَكَ هٰذهِ الْحَقَائِقَ عَلِمَ أَنَّ النَّبَأَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ رَبِّ العالمين ـ جَلَّ جَلَالَهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ المتعَلِّقَ بالْبَعْثِ والْيَوْمِ الآخِرِ؛ نَبأ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ، فخالِقُ الْحَيَاةِ الأُولَىٰ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ النَّاسَ سُدىً، دُونَ أَنْ يُحاسِبَهُمْ وَيُجازِيَهمْ، وَإِذْ لَا يتَحقَّقُ الجزاءُ الْأَوْفىٰ فِي ظُرُوفِ الْحياةِ الدُّنيا، فَلَا بُدَّ بِمُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ وعَظِيم قُدْرَتِهِ وشُمُولِ عِلْمِهِ كُلَّ شَيْءٍ؛ مِنْ أَنْ يَكُونَ قدْ وَضَعَ في خُطَّةِ التَّكْوِينِ التَّي قَدَّرَهَا وَقَضَاهَا إيجادَ ظُرُوفِ حَياةٍ أُخْرَىٰ، يَتَحقَّقُ فيها الجزاءُ بالْفَضْلِ لِمَنْ أَحْسَنَ وَأَطاعَ، والجزاءُ بالْعَدْلِ لِمَنْ أَسَاءَ وعصَىٰ.

وفيما يلي شَرْح مُوجَزٌ لِهـٰذِهِ الآياتِ الكَوْنِيَّةِ التِّسْعِ، الَّتِي سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْها في نُجُومِ التَّنْزِيل، والاسْتِدْلَالُ بِهَا على طَائِفَةٍ من صِفَاتِ اللهِ الْجَلِيلَةِ وأَسْمَائِهِ الحسْنَىٰ، وصِدْقِ ما أَنْبأَ بِهِ عَنْ بَعْضِ الْغُيُوبِ، ومِنْهَا الْبَعْثُ والْحياةُ الأُخْرىٰ الْأَبدِيَّةِ، ومَا أَعَدَّ اللهُ فيها مِنْ دَارٍ لِنَعِيم المتقين، ودار لِعَذَابِ الْمُجْرِمِينَ، والْعُصَاةِ والمذنبين.

الآيَةُ الكَوْنِيَّة الأُولى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾:

اسْتِفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ انْتِزَاعُ إقرارِ الْمَخَاطَبِينَ المكَذِّبِين بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ بأنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ الأرْضَ مِهاداً، صَالِحَةً لإقَامَةِ النَّاسِ عَلَيْهَا بِيُسْرٍ وسُهُولةٍ، وتَحْقِيقِ مَصَالِحِهِمْ، وَمَنَافِعِهِمْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، وهِيَ مَصَالِحُ وَمَنَافِعُ جَلِيلَةٌ وكثيرَةٌ يَصْعُبُ حَصْرُها.

الْمِهَاد: الْمَكانُ الْمُمَهَّدُ الْمُوَطَّأ، ويَأْتِي في اللُّغَةِ بِمَعْنَىٰ الْفِرَاش، ويَأْتِي بِمَعْنَىٰ الأَرْضِ المنْخَفِضَةِ المسْتَوِية.

ولَيْسَ المُرَادُ أنّ الأَرْضَ كُلَّها كالْفِرَاشِ، بَلْ فيها مَسَاحَات كَثِيراتٌ جِدّاً صالحاتٌ لِانْتِفَاعِ النَّاسِ بِسُطُوحِها بِيُسْرٍ وسُهُولَةٍ، ولِتَحْقِيقِ مَصَالِحِهم عَلَىٰ ظَهْرِها، وَلَوْ جَعَلَهَا اللهُ عزَّ وجلَّ كظَهْرِ الْقُنْفُذِ لَكَانَتْ إقَامَةُ النَّاسِ عَلَيْها وتحقيقُ مَصَالِحِهِمْ صَعْبَةً عَسِيرَة.

فجَعْلُ اللهِ الأرْضَ مِهاداً مِن نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عبادِه، ومِنْ آثَارِ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

والاسْتِفْهَامُ في الآيَةِ مُسَلَّطٌ عَلَىٰ جُمْلَةٍ مَنْفِيَّةٍ، وجَوابُهُ يكُونُ بِكَلِمَةِ «بَلَىٰ»، أي: بَلْ جَعَلْتَهَا رَبَّنَا مِهَاداً، وهُو مِنْ نِعْمَتِكَ عَلَىٰ عبادِكَ سُكَّانِ الْأَرْض.

الآيَةُ الكَوْنِيَّةُ الثَّانِيَة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾: أي: أَولَمْ نَجْعَلِ الْجِبَالَ أَوْتَاداً، فَهِي كالْأَوْتاد.

إنَّ الله جَلَّتْ حِكْمَتُهُ جَعَلَ الْجِبَالَ فِي الأرضِ مُثَبِّتَاتٍ لِقِشْرَةِ الْأَرْضِ، حِمَايَةً لَهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بسُكانِها، ومَنْعَ أَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَضطَّرِبَ بِهِمْ، مَعَ مَا فِي الجبالِ مِنْ مَنَافِعَ كثيرَةٍ للنَّاسِ في الْأَرْض.

الأَوْتَادُ مُثَبِّتةٌ لِلْخِيَامِ عِنْدَ نَصْبِهَا، تَحْفَظُهَا مِنَ الاضطراب ومِنَ التَّسَاقُط، فأبَانَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْجِبالَ كالأَوْتادِ مُثَبِّتَةٌ لِقِشْرَةِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَضطربَ ويَحْدُثَ فِيها خَسْف.

وسبَقَ في نجوم التنْزِيلِ بَيَانٌ أَوْسَعُ عَنْ مَنَافِعِ الجبال للناس.

الآية الكَوْنية الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعالَى خِطَاباً للنَّاسِ وَمِنْهُمُ المكَذِّبُونَ بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّين: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾:

يأتي الْخَلْقُ بِمَعْنَىٰ الإيجادِ من الْعَدم، وهٰذا مِنْ خَصَائِصِ قُدْرَةِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

ويأتي الْخَلْقُ بمَعْنَىٰ التَّقْدِيرِ، وهُوَ إعْطاءُ أجْزَاءِ الشَّيْء مَقَادِيرَهَا بإحْكَامٍ، وهٰذا قَدْ مَكَّنَ اللهُ النَّاسَ مِنْهُ، ومِنْهُ قَوْلُ اللهِ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام الوارد في سورة (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول):

﴿... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ﴿١١٠﴾﴾.

سبَقَ في سورة (يس/ ٣٦ مصحف/ ٤١ نزول) قول اللهِ تَعالَىٰ:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وَأَظْهَرَ التَّدَبُّرُ الْمَقْرُونُ بِمَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ الْعَلُومُ الإِنْسَانِيَّةُ؛ أَنَّ مِنْ نِظَامِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي كَوْنِهِ؛ أَنَّهُ جَعَلَ مَا خَلَقَ فِي كَوْنِهِ مِنْ أَصْنَافٍ خاضِعاً لنظَامِ الزَّوْجِيَّة، لِيتفرَّدَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ بالْوَحْدَانيةِ.

ومِنَ الزَّوْجِيَّةِ الذُّكُورُ والإِنَاث، في النَّبَاتَاتِ، وفي الأَحْيَاءِ، ومِنَ الزَّوْجِيَّةِ السَّالِبُ والْمُوجِبُ في الكَهْرُبَاءِ، وفي المغناطِيس، وفي الذَّرَّات، إِلى غيرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ.

الزَّوْج: هُو في اللُّغَةِ خِلَافُ الْفَرْد، وكُلُّ شَيْئَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ هُمَا زَوْجانِ، وَلَو كانَا مُخْتَلِفَيْنِ غَيْرَ مُتَشَاكِلَين، وجمع الزَّوْجِ أَزْواج.

ويأتي الزَّوْجُ فِي اللُّغَةِ بمَعْنَىٰ الصِّنْف مِنْ كُلِّ شيءٍ، ويُجْمَعُ على أزْواج.

فَمَعْنَىٰ: ﴿وَخَلَقْنَكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾: يُمْكِنُ أَنْ يُحمَلَ عَلَىٰ زَوْجِيَّةِ الذُّكُورِ والإناثِ ونحوهما.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُحمَلَ أَيضاً عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْأَصْنَافِ، إذ النَّاسُ أصْنَافٌ مَعَ وحْدَةِ النَّوْعِ، ففِيهِمُ الْبِيضُ، والسُّودُ، والصُفْرُ، وغيرُ ذَلِكَ، وفِيهِمْ الْأَصْنَافُ ذَوُو الْأَشْكَالِ المخْتَلِفَةِ في وُجُوهِهِمْ، وفي حُجُومِهِمْ، وفي أطوَالِهِمْ فَمِنْهُمُ الطِّوَالُ الْعمالِقَةُ، وفِيهِمُ الْأَقْزَامُ، وفيهم مَنْ هُمْ بَيْنَ الطِّوَالِ والْأَقْزَامِ عَلىٰ اخْتِلَافٍ فِي مَقَادِيرِ أَطْوَالِهِمْ، وفي النَّاسِ عَبَاقِرَةٌ، وأذْكِياءُ وأغْبِياءُ وبُلْهٌ، ومَنْ هُمْ بَيْنَ ذَلِكَ، إلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أصْنَافٍ، مَعَ وَحْدَةِ أصُولِ مُخَطَّطِ الْخَلْقِ الْعَامّ.

واخْتِيارُ خَلْقِ النَّاسِ أَزْواجاً مظْهَرٌ عَظِيمٌ مِنْ مظَاهِرِ حِكْمَةِ اللهِ في الْخَلْقِ، مِنْهَا أَنْ يَتَّخِذَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً، ومِنْهَا أَنَّ اللهَ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ مُبَاشِرٌ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، ويُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ الْخَاصَّ بِهِ الّذِي ينْفَرِدُ بِهِ عمَّا سِوَاه، فالأفرادُ لَا تَطَابُقَ بَيْنَهُمْ.

الآيـة الكـونـيَّـة الرابعـة: دَلَّ عَلَيْهـا قـول اللهِ تَعـالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾:

السُّبَات: الرَّاحَة، أي: وجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ رَاحةً لَكُمْ.

إِنَّ مَا يُحدِثُهُ الْعَمَلُ فِي سَاعَاتِ الْيَقَظَةِ فِي الْجِسْمِ، ويُسَبِّبُ لَهُ شُعُوراً بالتَّعَبِ والإِعْيَاءِ، هُوَ يَزُولُ في سَاعَاتِ النَّوْمِ.

وللأطِبَّاءِ دِرَاسَاتٌ مُوَسَّعَةٌ حَوْلَ تَأْثِيرِ الْعَمَلِ في الْجِسْمِ عِنْدَ الْيَقَظَةِ، وَتَأْثِيرِ النَّوْمِ فِي إزَالَةِ مَا يَشْعُرُ به الإنْسَانُ بالتَّعَبِ والإعْيَاءِ، مِنْ مَوادّ تُفْرَزُ أثْنَاءِ الْعَمَلِ الْمُجْهِدِ وتُزَالُ عِنْدَ النَّوْمِ.

وهـٰذا مِنْ نِعَمِ اللهِ الكَثِيرةِ عَلَىٰ عِبَادِه.

الآية الكونية الخامِسَة: دلَّ عليها قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾:

أي: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ سَاتراً كاللِّبَاسِ الّذِي يَسْتُرُ الأَجْسَامَ، ولِلَّيْلِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لِلأَحْيَاءِ، وَيُقَرِّرُ عُلَمَاءُ الطِّبِّ الْباحِثُونَ؛ أنَّ اللَّيْلَ أفْضَلُ الأَوْقَاتِ لِلنَّوْمِ، الَّذِي يُعْطِي الْجِسْمَ الرَّاحَةَ مِنْ مَتَاعِبِ الْعَمَلِ الْمُجْهِدِ، وَرُبَّما كَان هـٰذا دَاعِياً لِذِكْرِ اللَّيْلِ عَقِبَ ذِكْرِ النَّوْمِ.

الآيَةُ الكَوْنِيَّة السادسة: دلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾:

الْمَعَاش: مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِر «عَاشَ، يَعِيشُ، عَيْشاً»، والعيشُ الْحَيَاة.

والمعنى: وجَعَلْنَا النَّهَارَ زَمَاناً يَكْتَسِبُ فِيهِ النَّاسُ ما بِهِ تكُونُ اسْتِمْرَارُ حَيَاتِهِمْ، إِذِ الْقُوتُ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا الْفَاطِرُ الْحَكِيمُ مَادَّةً لِاسْتِمْرَارِ حَيَاةِ الأَحْيَاء إلى آجَالِهَا المقَدَّرة بِتَقْدِير اللهِ وَقَضَائِهِ.

ومَعْلُومٌ أَنَّ النَّهَارَ أفْضَلُ الأزْمَانِ ليكْتَسِبَ النَّاسُ فيه أَقْواتَهُمْ وأَرْزَاقَهُمْ وَمَعايشَهُمْ.

وفِي هـٰذا الْبَيَانِ تَوْجِيهٌ ضِمْنِيٌّ لِجَعْلِ النَّهَارِ هُوَ الزَّمَانَ المفَضَّلَ لاكْتِسَابِ الْمَعَايش.

أُطْلِقَ فِي الآية لفظ «المعَاشِ» الَّذِي هو «الْحَيَاة» عَلَىٰ مَا بِهِ يَكُونُ

اسْتِمْرَارُ الحياة، وهٰذا مِنْ إطْلَاقِ الْمُسَبَّبِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ السَّبَبُ، وهذا مِنَ المجاز الْمُرْسَلِ.

الآيَةُ الكَوْنِيَّةُ السابِعَة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾.

المُرَادُ بِالسَّبْعِ الشِّدَادِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، إذْ أجْزَاؤُهَا قَوِيَّةٌ ومُثَبَّتَةٌ فِي مَوَاضِعِهَا تَثْبِيتاً مَتِيناً لَا تَحِيدُ عَنْهُ، وإنْ كَانَتْ تَدُورُ فِي مَدَارَاتِهَا، وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ عَظِيم قُدْرَةِ اللهِ، وإتْقَانِ صُنْعِهِ، مَعَ تَأْدِيَتِهَا وَظَائِفَ نَفْعِيَّةٍ جَلِيلَةٍ لِسُكَّانِ الْأَرْضِ، وَهٰذا مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، وعِنَايَتِهِ العظِيمَةِ بِهِمْ.

شِدَادِ: جَمْعُ «شَدِيدَة» وهِي الْقَوِيَّةُ الْمَتِينَةُ.

الآية الكَوْنِيَّة الثامِنَة: دل عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾:

المراد بالسِّرَاجِ الْوَهَّاجِ الشَمْسُ، فَهِيَ كَوْكَبٌ نَارِيٌّ مُلْتَهِبٌ، أَطْلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَيْهَا لفظ «سِرَاج» لِأَنَّهَا نَارِيَّةٌ كَالسِّرَاجِ الَّذِي يُوقِدُهُ النَّاسُ في الْأَرْضِ، ذي الضِّيَاءِ والْحَرَارَة.

السِّرَاج: المِصْبَاحُ الزَّاهِرُ الَّذِي يُعْطِي ضِيَاءً وَحَرارة بنارِهِ، ويُوقَدُ بأَنْواعٍ مِنَ الْوَقودِ، ومِنْهَا الزَّيت، وإطلاق السراج على الشمس هو من قبيل الاستعارة.

ولا يخفىٰ ما للشمس من فوائد جليلةٍ، لِسُكَّانِ الأرض، وقد سبَقَ بيانٌ عن الشمس وفوائدها في الآية (٦١) من سورة (الفرقان/ ٢٥ مصحف/ ٤٢ نزول).

وهَّاجاً: أي: كثيرَ التوقُّد، يقال لُغةً: «وهَجَتِ النَّارُ، تَهِجُ» أي: اتَّقَدَت.

الآيَة الكونيَّةُ التّاسعة: دل عَلَيهَا قول اللهِ تَعالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾:

الْمُعَصِرَات: السَّحَائِبُ تَعْتَصِرُهَا الرِّيَاحُ بالْمَطر.

مَاءً ثَجَّاجاً: أي: شَدِيدَ الانْصِبَابِ مُتَتَابعَ الْهطلَانِ.

جنَّاتٍ: جمع «جَنَّة»، وهو لفظ يُطْلَقُ علَىٰ مَا يَحْتَوِي أشجاراً وزرُوعاً وثماراً وأنهاراً وقُصُوراً، ومَا يُمْتِعُ النَّفْسَ والحَواس دُونَ شَرْطِ اجْتِمَاعِهَا.

أَلْفَافاً: جَمْعُ «لِفّ»، ويُطْلَقُ عَلَىٰ البسْتَانِ المجتَمعِ الشَّجَر، يُقَال: «حَدِيقَةٌ لِفٌّ» أي: مُلْتَفَّةُ الأَشْجَارِ والنَّبَاتِ.

المعنى: وأَنْزَلْنَا مِنَ السُّحُبِ الثِّقَالِ الْحَامِلَةِ لِبُخَارِ الْمَاءِ، الْقَابِلِ لِأَنْ يَتَحَوَّلَ مَطراً بِرِيَاحٍ خَاصَّةٍ؛ مطراً شَدِيدَ الانْصِبَابِ مُتَتَابعَ الْهَطْلانِ، فَنَسْقِي بِهِ أَرْضاً غَيْرَ ذَاتِ نَبَاتٍ، لَكِنَّ فِيهَا بُزُرَ نَبَاتَاتٍ مُخْتَلِفَاتِ الأَصْنَافِ، وجُذْرَ نَبَاتَاتٍ صَالِحَةٍ للنَّبَاتِ، فَنُخْرِجُ بماء الْمَطَرِ حَبّاً مُخْتَلِفَ الأَصْنَافِ لِمَنَافِعَكُم أَيُّها النَّاس، ونَبَاتاً مختلف الأَصْنَافِ، وَجَنَّاتٍ مُجْتَمِعَةَ الأَشْجَارِ وأنواعِ النَّبَاتَات، فهِي أَلْفَاف.

قُدِّمَ الْحَبُّ لِأَنَّ فِيهِ مَا هُو قُوتُ النَّاسِ الّذِي يُدَّخَر، وَفِيهِ بَرَكَةٌ عَظِيمَة، ونَفْعٌ جَليلٌ، وذُكِرَ بَعْدَهُ النَبَاتُ الْجَامِعُ لِصُنُوفِ مَا تُخرِجُ الأَرْضُ مِنْ شَجَرٍ ونَحْوه، وذُكِرَ بَعْدَهُمَا الْجَنَّاتُ الْجَامِعَاتُ لِكُلّ مَا فِي الْبَسَاتِينِ مِنْ رِزْقٍ وَمَتاعٍ جَمَالِي.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّر الدَّرْس الأول مِنْ دُرُوس سورة (النبأ).

والحمدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٥)
التَّدَبُّر التحلِيلي للدرس الثاني من دُروس سورة (النَّبأ)
الآيات من (١٧ ـ ٢٠)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾:

القراءات:

(١٩) • قرأ عَاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَفُتِحَت] بِكَسْرِ التَّاء دُون تَشْدِيد، ووافَقَهُمُ الْأَعْمَش.

وقرأَهَا باقي الْقُرَّاءِ العشَرَة: **[وَفُتِّحَت]** بِكَسْرِ التَّاءِ مع التَّشْدِيدِ.

تمهيد:

في آيات هٰذا الدَّرْس بَيَانُ لقَطَاتٍ عَنْ جهنَّم، وبَعْضِ أَحْوالِ المَعذَّبِينَ فيها، مَعَ بَيَانِ سَبَبِ تَعْذِيبِهِمْ.

التدبّر التحليلي:

يَوْمُ الفَصْل: هو يَوْمُ القيامَةِ الَّذِي يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، مُحْسِنِيهِمْ ومُسِيئِيهِمْ، ويَحْكُمُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ.

الْفَصْلُ في اللُّغَةِ: هو الْفَرْقُ والتَّمْيِيزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أو الْأَشْيَاءِ، ويُقَالُ: «فَصَلَ الحاكِمُ بَيْنَ الْخَصْمَيْن» أي: قَضَىٰ. ويقالُ: «فصَلَ الْأَمْرَ» أَيْ: قَضاه وأَبْرَمَهُ وبَتَّهُ. و«الْقَوْلُ الْفَصْل» هُو الْقَوْلُ الْبَيِّنُ الواضِحُ، والْقَوْل الْمُبْرَمُ المقْطُوعُ به.

يقال لغة: «فَصَل، يَفْصِلُ، فَصْلاً وفُصُولاً».

ميقاتاً: الميقات: الوقْتُ الْمُعَيَّنُ لِفِعْلٍ ما، والمَوْعِدُ الَّذي جُعِلَ لَهُ وقْت، والموضِعُ الَّذي جُعِلَ لِشَيْءٍ ما يُفْعَلُ عِنْدَه.

الصُّور: مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ كَهَيْئَةِ الْقَرْن، إحْدَىٰ جِهَتَيْهِ فُتْحَةٌ دائِرِيَّةٌ ضَيِّقة، والْأُخْرَىٰ واسِعَةٌ جدّاً، وباطِنُهُ فَارغ يُمْكِنُ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ، فَيُصْدِرُ صَوْتاً بِحَسَبِهِ. ولَهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يُؤْمَرُ بالنَّفْخِ فِيهِ نَفْخَةَ إِنْهَاءِ ظُرُوفِ الحياة الدُّنيا، ثُمَّ نَفْخَةَ الْبَعْثِ. والمشْهُورُ أَنَّ اسْمَ صَاحِب الصَّورِ إسْرافِيلُ عليه السَّلام، ولم أَجِدْ هٰذِهِ التَّسْمِيَةِ فِي حَدِيثٍ صحيح، لكِنْ ورَدَتْ في حديثٍ وُصِفَ بأَنَّهُ ضَعِيف.

أفواجاً: جمعُ «فَوْج» وهو يُطْلَقُ على جماعَةٍ مِنَ النَّاسِ يَقْدَمُونَ بِسُرْعَة.

سَرَاباً: **السَّرَابُ**: مَا يُرَىٰ في نِصْفِ النَّهَارِ مِنِ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كالْمَاءِ فِي المفَاوِزِ يَلْصَقُ بالأَرْضِ، ولَيْسَ مَاءً، بَلْ هُو مَنْظَرٌ وهْمِيٌّ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَشِعَّةِ يَخْدَعُ الْأَبْصَار فَتَحْسَبُهُ ماءً.

المعنى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ وهو يَوْمُ القِيامَةِ الّذِي يَفْصِلُ اللهُ عزَّ وجلَّ فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَحْكُمُ لِمُحْسِنِيهِمْ بالثَّوابِ الْعَظِيم بِمُقْتَضَىٰ فَضْلِهِ، ويَحْكُمُ عَلَىٰ مُسِيئِيهِمْ بالْجَزَاءِ الأَلِيْم بِمُقْتَضَىٰ عَدْلِهِ، ويَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ؛ هُوَ يَوْمٌ ذُو وقْتٍ مُعَيَّنٍ مُحَدَّدِ الزَّمَنِ بِتَقْدِيرِ اللهِ وَقَضَائِهِ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ الْوَعْدُ الرَّبَّانِيُّ بِجَزَاءِ الْمَوْضُوعِينَ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الامْتِحان.

ويَكُونُ ابْتِدَاؤُهُ حِينَ يَنْفُخُ في الصُّورِ الملَكُ العَظِيمُ، الَّذِي جَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ وَظَائِفِهِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ، النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ وهِي نَفْخَةُ الْبَعْثِ، فَيأْتِي الَّذِين كَانُوا فِي الحياةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعِين مَوْضِعَ الامْتِحَانِ؛ إِلَىٰ حِسَابِ رَبِّهِمْ وَفَصْلِ قَضَائِهِ أَفْوَاجاً مُسْرِعينَ.

وتَكُونَ السَّمَاءُ قَدْ فُتِحَتْ فَكَانَتْ أَبْواباً، تَنْزِلُ مِنْهَا مَلائِكَةُ السَّمَاءِ

لِحُضُورِ مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ والْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي الْمَحْشَر، وَتَكُونُ الجِبَالُ في الأَرْضِ قَدْ سُيِّرَتْ وَذَهَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها، فَكَانَ مَوْضِعُ كُلِّ واحدٍ مِنْهَا كالسَّرَابِ تُرَىٰ فِيهِ مَوَاضِعُ جِبَالٍ، دُونَ أن يكُونَ عَلَيْهَا جبالٌ حَقِيقِيَّة.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثاني من دُروس سورة (النبأ).

والحمْدُ للهِ على معونته، ومَدَدِه، وتوفِيقِهِ، وَمِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

(٦)
التدبّر التحليلي للدّرس الثالث من دُروس سورة (النبأ)
الآيات من (٢١ ـ ٣٠)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾:

القراءات:

(٢٢) • وقف حمزة بالتسهيل في: ﴿مَـَٔابًا﴾.

(٢٣) • قَرَأ حمزة، ورَوْح: [لَبِثِينَ].

وقرأهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ: ﴿لَّٰبِثِينَ﴾.

وهُمَا بمَعْنَىً واحِدٍ، يُقَال لغة: «لَبِثَ فِي المكان، يَلْبَثُ، لَبْثاً، وَلُبْثاً، فَهُوَ لَابِثٌ، وَلَبِثٌ» أي: أَقَامَ فِيهِ.

(٢٥) • قرأ حفص، وحمزة، والكِسَائي، وخلَف: ﴿وَغَسَّاقًا﴾ بِتَشْدِيدِ السِّين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَغَسَاقاً] دون تشديد السِّين.

الْغَسَّاقُ والْغَسَاقُ: مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّار من أثر الْحَرِيقِ. أو سَائل أصْفَرُ يُشْبِهُ الماء الأصْفَرَ الّذِي تُفْرِزُهُ الْجُلُودُ إذَا تَقَرَّحَتْ أَوِ احْتَرَقَتْ.

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرْس عَرْضُ لَقَطَاتٍ عَنْ جَهَنَّمَ، وبَعْضِ أَحْوَالِ المعذَّبينِ فيها، مَعَ بَيَانِ سَبَبِ تَعْذِيبهم، وأن الله أحْصَىٰ كُلَّ شيءٍ وكَتَبَهُ فِي كِتَاب.

التدبّر التحليلي:

• ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾: أي: إنَّ جَهَنَّم دَارَ عَذَابِ الْعُصَاةِ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الدِّين؛ جَعَلَها اللهُ عزَّ وجلَّ مَوْضِعاً لِمُرَاقَبَةِ أَهْلِ موقفِ الْحِسَابِ والجزَاءِ ورَصْدِهِمْ، مُقْتَرِبينَ مِنْهَا، أَوْ مَارِّينَ عَلَىٰ الصِّراط الَّذِي هُوَ جِسْرٌ عَلَىٰ مَتْنِهَا، فَمَنْ حَكَمَ اللهُ عَلَيْهِ بأَنْ يُعَذَّبَ فيها جُذِبَ إِلَيْهَا وَأُدْخِلَ فِيها.

الْمِرْصادُ: هو في اللُّغَةِ طَرِيقُ، أَوْ مَوْضِعُ الرَّصْدِ والْمُرَاقَبة، يُقَالُ لُغَةً: «رَصَدَهُ، يَرْصُدُهُ، رَصْداً، وَرَصَداً» أي: قَعَدَ لَهُ على الطَّرِيق يَرْقُبُه.

• ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾: أي: وإنَّ جَهَنَّم جَعَلَهَا اللهُ عزَّ وجلَّ مَرْجعاً يَرْجِعُ إِلَيْهِ بَعْدَ الموْتِ والْبَعْثِ الطَّاغُونَ، وهُمُ المتجاوزونَ الْحُدُودَ المحتَمَلَةَ لِلظُّلْم والعِصْيان، والْبَغْي والْعُدْوَان، ومُجَافاةِ الحقِّ غُلُوّاً وإسْرَافاً في ارْتِكَابِ الْآثَامِ، والعُدْوانِ علَىٰ الحقّ. **الْمَآب**: الْمَرْجع.

• ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾: أي: مُقِيمِينَ فِي جَهَنَّم أزْمَاناً طَوِيلَةً لا نِهَايَةَ لَهَا، إذَا كَانُوا كَافِرِينَ مُجْرِمِين، دَلَّ عَلَىٰ هَـٰذا الْخُلُودِ في جَهَنَّم

لِلْكَافِرِينَ نُصُوصٌ قُرْآنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، فَتُحْمَلُ الأَحْقَابُ هُنا على أَحْقَابٍ مُتَتَابِعَةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكَافِرِينَ.

أَحْقَاب: جَمْعُ «حُقُبٍ» و«حُقْبٍ»، ويُطْلَقَانِ في اللُّغَةِ عَلَىٰ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ مِنَ الزَّمَنِ.

• ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾:

أي: لَا يَذُوقُ الطَّاغُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْداً يَخفِّفُ عَنْهُمْ شِدَّة حَرِّها، ولَا يَذُوقُونَ فِيها شَرَاباً ما إِلَّا شَرَاباً حَارّاً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ، وإِلَّا سَائِلاً أَصْفَرَ يُشْبِهُ الماءَ الْأَصْفَرَ الَّذِي تُفرِزُهُ الْجُلُودُ إِذَا تَقَرَّحَتْ أَو احْتَرَقَتْ، أو هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ أَثَرِ الاحْتَرَاقِ بِلَهَبِ النَّارِ. وَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِهَـٰذَا الْعَذَاب، جَزَاءَ مَا اكْتَسَبُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحانِهِمْ فِي الحياةِ الدُّنْيَا مِنْ آثَامٍ وَجَرائِمَ وكُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ بِمَا بَلَّغَهُمْ رُسُلُ رَبِّهِمْ عليهم السلام مِنْ آيَاتٍ مُنَزَّلَاتٍ.

قيل: **الْبَرْدُ**: النَّوْم.

الْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ.

الْغَسَّاق، والْغَسَاق: سَبَقَ البيانُ عَنْهُمَا في القراءات.

جَزَاءً وِفَاقاً: **جَزَاءً**: مَنْصُوبٌ عَلَىٰ أَنَّهُ حَال، أَوْ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوف، أَيْ: يُجْزَوْنَ جزاءً مُوَافِقاً لِأَعْمَالِهِمْ، فَوِفَاقاً صِفَةٌ لِـ«جَزَاءً»، وَلفظ «وِفَاق» مَصْدَرُ فعل «وَافَقَ»، يُقَالُ لُغة: «وافَقَ فُلَانٌ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، مُوَافَقَةً وَوِفَاقاً» أي: لَاءَمَ بَيْنَهُمَا، وَقَدِ اسْتُعْمِلَ هُنَا بِمَعْنَىٰ اسْمِ الفاعل، فالجزاءُ الْوِفَاقُ هُوَ الجزاءُ بالْعَدْلِ.

• ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾:

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾: أي: لَا يَتَوَقَّعُونَ أَنَّهُمْ سَوْفَ يُحَاسَبُونَ عَلَىٰ مَا يَكْتَسِبُونَ مِنْ أَعمالٍ في الدُّنْيا، وَسَوْفَ يُجازَونَ عَلَيْها مِنْ

قِبَلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الدِّينِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بالْبَعْثِ وَلَا بِيومِ الدِّين، واسْتَدْرَجَتْهُمْ أَهْوَاؤُهُم وشَهَوَاتُهُمْ وشَيَاطِينُ الإنْسِ والْجِنِّ إلَىٰ ارْتَكَابِ الجرائم الَّتِي تَجْعَلُهُمْ خَالِدِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾: أَيْ: وَكَذَّبُوا بآياتِنَا الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ رُسُلِنَا تَكْذِيباً شَدِيداً. **كِذَّاب**: مَصْدَرُ فِعْلِ «كَذَّبَ»، كالتَّكْذِيب.

• ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾: أي: وأَحْصَينَا كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ إِحْصَاءَ عِلْماً وَكِتَاباً، بِعِلْم وَكِتَابَةٍ لِهذَا الْمَعْلُوم.

«كُلَّ شَيْءٍ» مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، دَلَّ عَلَيْهِ فِعْل «أَحْصَىٰ» إِذْ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِضَمِيرِه، وَهٰذا مِنْ أَسَاليب تأْكِيدِ الْجُمْلةِ الْخَبرِيَّةِ.

الإِحْصَاء لِلشّيءِ: هُو الْعِلْمُ بِمِقْدَارِهِ الْعَدَديّ.

وظاهِرٌ أن هذهِ الجملةِ مُعْترضةٌ، لبيَانِ أنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ مَعْلُومَةٌ مُحْصاة.

• ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾:

هـٰذا البيانُ مُقْتَطعٌ مِنْ حَدَثٍ مستَقْبَلِيٍّ سَوفَ يَكُونُ يَوْم الدِّينِ، إِذْ يُقَالُ لِأَهْلِ جهَنَّمَ: فَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ فيها، مَعَ أَنْوَاع عَذَابِ غَيْرِه، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ بَعْدَمَا أَنْتُمْ فِيهِ من عَذَابٍ إِلَّا عَذَاباً مِنْ أَنْواعِ الْعَذَابِ الَّذِي ذُقْتُمُوه، أَوْ أَنْوَاعِ عَذَابٍ أُخْرىٰ.

جَاءَ تَشْبِيهُ الإحْسَاسِ بألَمِ الْعَذَابِ بالذَّوَاقِ لِتَقْرِيب مِقْدَارِ الإحْسَاسِ بِهِ، لِأَنَّ حَاسَّةَ الذَّوْقِ مِنْ أَشَدِّ الْمَواضِعِ إحْسَاساً بِمَا يُلامِسُهَا، واسْتُعِيرَ فِعْلُ «ذُوقُوا» للدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنْواعِ الإحْسَاسِ بالأَلَم.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرس الثالث مِنْ دُروس سورة (النبأ).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِه، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِه.

❀ ❀ ❀

(٧)
التدبرّ التحليلي للدّرس الرابع من دُروس سورة (النّبَأ)
الآيات من (٣١ ـ ٣٧)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧)﴾:

القراءات:

(٣٥) • قرأ الكِسَائِي: **[وَلَا كِذَاباً]** بتخفيف الذال.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ بتَشْدِيد الذَّال.

(٣٧) • قرأ نَافع، وابنُ كثير، وأَبُو عَمْرو، وأَبُو جعفر: **[رَبُّ السَّماواتِ والْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ]**.

وقرأهَا ابْنُ عَامر، وعاصم، ويعقوب: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وَقَرَأَهَا باقي القراء العشرة: **[رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنُ]**.

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرسِ بَيَانُ لَقَطَاتٍ مِنْ ثَوابِ المتقين، في جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّين.

التدبُّر التحليلي:

في مُقَابِلِ بَيَانِ بَعْضِ عَذَابِ الطَّاغِينَ جاءَ بَيَانُ بَعْضِ نَعِيمِ المتّقِين، علَىٰ وَفْقِ المنْهَجِ المتَّبَعِ في القرآن.

وهذا البعض إذا جُمِعَ مع سَائِرِ مَا جاء في القرآن فَإنَّ الصور تَتكامَلُ، لعذاب الطاغين، ولنعيم المتقين.

• ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾: أي: إِنَّ لِلمتَّقِينَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ في الحياة الدُّنيا؛ ظَفَراً، ورِبْحاً، ونَجاةً مِنَ الشَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْجَزَاءِ الأَكْبَرِ.

المتَّقُون: هُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ على الكُفْرِ وكَبَائِرِ الإِثْمِ، بِفِعْلِ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِيمَانٍ وعَمَلٍ صالح، وتَرْكِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَقَائِدَ وأَعْمَالٍ نَفْسِيَّةٍ وَظَاهِرَةٍ غَيْرِ صَالِحَة.

مَفَازاً: مَصْدَرُ فِعْلِ «فَازَ»، يُقَالُ لغة: «فَازَ الْمُتَّقِي، يَفُوزُ، فَوْزاً، ومَفَازاً، ومَفَازَةً» أي: ظَفِرَ، ورَبِحَ، ونَجا مِنَ الشَّرّ.

• ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾:

حَدَائِق: جمْعُ «حَدِيقَة»، وهيَ كُلُّ أَرْضٍ ذَاتِ شَجَرٍ مُثْمِرٍ أَحَاطَ بِهَا حَاجِز.

أَعْنَاب: جَمْعُ «عِنَبٍ»، وهو ثَمَرُ الكَرْمِ وهُوَ طَرِيٌّ، وَهُوَ مِمَّا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْحَدَائِقُ، خُصَّ بالذِّكْرِ لِعَظِيمِ نَفْعِهِ، ولأَنَّهُ مِنْ كُبْرَيَاتِ الطَّيبّاتِ فَاكِهَةً وغِذاءً.

الكواعِبُ الأَتْرَاب: **كواعِب**: جمع «كَاعِبٍ»، وهي الفَتَاةُ الَّتِي نَهَدَ ثَدْيُهَا، أي: بَرزَ وَلَمْ يَتَدَلَّ. **أَتْرَاب**: جَمْعُ «تِرْب»، وَهُوَ الْمُمَاثِلُ فِي السِّنّ. والْمُرَادُ بالكَوَاعِبِ الأَتْرَابِ الْفَتَيَاتُ اللَّوَاتِي هُنَّ مُتَماثِلاتٌ في الْعُمْر في جَنَّاتِ النَّعِيم، أَنْشَأَهُنّ رَبُّ الْعَالَمِينَ للمتَّقِينَ فِيهَا، وهُنَّ الْحُورُ الْعِينُ اللَّواتي يَنْتَظِرْنَ أَزْواجَهُنَّ مِنْ أَهْلِ التَّقْوىٰ في الدُّنْيا.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾: **الْكَأْسُ**: الْقَدَحُ مَا دَامَ فِيهِ الْخَمْرُ، فإذَا لَمْ يكُنْ فِيهِ خَمْرٌ فَهُوَ «كُوب». والكَأْسُ الدِّهَاقُ هي: الْمُمْتَلِئَةُ المتَتَابِعَةُ عَلَىٰ شَارِبِيها، والصَّافِيَةُ الْخَالِيَةُ مِنَ الشَّوَائِب.

والمرادُ بالكأسِ الجنْسُ، فهي بقُوَّة الجمع، مجتَمِعَةً أَوْ مُتَتَابِعَة.

• ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾: أي: لَا يَسْمَعُ المتَّقُونَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي جَاءَتِ الكِنَايَةُ عَنْهَا؛ بِذِكْرِ بَعْضِ مَا فِيها مِمَّا يَتَنَعَّمُ بِهِ أَصْحَابُهَا؛ لَغْواً، وَلَا يَسْمَعُونَ حَدِيثاً كَذِباً، ولَا مَنْ يُكَذِّبُهُمْ.

اللَّغْوُ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِه، إذْ لَا فَائِدَة مِنْهُ، ويُطْلَقُ اللَّغْوُ عَلَىٰ الكَلَامِ الَّذِي يَنْطَلِقُ ولَا يُرَادُ بِهِ مَعْنَاه.

الكِذَّابُ: مَصْدَرُ فِعْلِ «كَذَّبَ» كالتَّكْذِيب.

إنَّ الْجَنَّةَ دَارُ النَّعِيمِ الْخَالِصِ مِنَ الشَّوَائِب، فَلا يتَلَاءَمُ مَعَها أن يكُونَ فيها لَغْوٌ وَلَا تَكْذِيبٌ مِنْ بَعْضِ مَنْ فيها عَلَىٰ بَعْض.

وما جاء في الآيات من (٣٢ ـ ٣٤) بَدَلُ اشتمالٍ من ﴿مَفَازًا﴾.

• ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦﴾: أي: يتَنَعَّمُ المتَّقُونَ بِهٰذا الثَّوَابِ الْعَظِيم فِي جَنَّاتِ النَّعِيم؛ حَالَةَ كَوْنِهِ جَزَاءً يَنَالُونَهُ مِنْ رَبِّكَ أَيُّها المَتَلقِّي لِهذَا الْبَيَان، بِحَسَبِ وَعْدِهِ الْكَرِيم الّذِي تَفضَّلَ بِه، وحَالَةَ كَوْنِهِ عَطَاءً مِنْ مَحْضِ فَضْلِهِ، وَحِسَاباً يَجْرِي تَقْدِيرُه بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوا مِنْ صَالِحَات في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الحياة الدُّنيا.

أَوْ يُجْزَوْنَ بهٰذا الثَّوابِ العظيم جزاءً مِنْ رَبِّكَ أَيُّها المتَلَقِّي لِهٰذا الْبَيَان، بِحَسَبِ وَعْدِهِ الكَرِيم الَّذِي تَفَضَّلَ به، ويُعْطَوْنَهُ بِفَضْلِهِ عَطَاءً مِنْ مَحْضِ فَضْلِهِ، وحِسَاباً يَجْرِي تَقْدِيرُهُ بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوا مِنْ صَالِحَاتٍ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ في الحياة الدّنيا. وعلى هٰذا فـ«جزاءً» و«عَطَاءً» و«حِسَاباً» كلٌّ مِنْهَا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذوف.

• ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧﴾:

أي: جزاءً مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ والأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا المتَصَرِّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فيها يَوْمَ الدِّين، كَمَا هو حَالُهَا في ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

خَاضِعَةً لسُلْطَانِ تَصَرُّفِهِ فيها، تبارَكَ اسْمُهُ، وعزَّ سُلْطَانُهُ، فَلَا يُوجَدُ شيءٌ فيها إلَّا بِتَقْدِيرِهِ وقَضَائِهِ، أَوْ بإِذْنِهِ، وتَحَقُّقُهُ فِي الْوُجُودِ يَكُونُ بِخَلْقِهِ.

وَوَصَفَ اللهُ عزَّ وجلَّ نَفْسَهُ بأَنَّهُ الرَّحْمٰن؛ للدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ رُبُوبِيَّتَهُ ـ جَلَّ جَلَالَهُ ـ مَصْحُوبَةٌ بِرَحْمَتِهِ، ونَفْهَمُ أَنَّ رَحْمَتَهُ لِمُسْتَحِقِّي الْعِقَابِ تَكُونُ بالتَّجاوُزِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وبِعَدَمِ مُؤَاخَذَتِهِمْ عَلَيْها.

وَأَهْلُ الْمَوْقِفِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً، أي: لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُخَاطِبَ اللهَ بِشَيْءٍ لِنَفْسِهِ، أَوْ لِغَيْرِه يَوْمَئِذٍ، إلَّا إِذَا مَلَّكَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ذَلِكَ بَأَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِسُؤَالِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ شَفَاعَةُ الشُّفَعَاءِ الْمأْذُونِ لَهُمْ بِشَكْلٍ عَامٍّ أَنْ يَشْفَعُوا، ضِمْنَ حُدُودٍ مُعَيَّنَة.

قراءة «رَبِّ» و«الرَّحْمٰنِ» هي على الإتباع لـ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

وقراءة «رَبُّ» و«الرَّحْمٰنُ» هي على القطع وتقدير: «هو».

وقراءة «رَبِّ» و«الرَّحْمٰنُ» هي على إتْباع «رَبِّ» وقَطْعِ «الرَّحْمٰنُ».

وهي وجُوهٌ جائزةٌ عَرَبيّاً.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرس الرابع مِنْ دُروس سورة (النبأ).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِه، وتَوْفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحه.



(٨)
التدبّر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (النبأ)
الآيات من (٣٨ ـ ٤٠) آخر السورة

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرسِ بَيَانُ بَعْضِ قضايا عَنْ يَوْمِ الدِّينِ، مع إِنْذَارِ المكَذِّبينَ الطَّاغِينَ بِعَذَابٍ قَرِيبٍ يَكُونُ يَوْمَ الدِّين.

التدبر التحليلي:

• ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾:

إنَّ يَوْمَ الدِّينِ الَّذِي جرَىٰ الحديث عَنْهُ فِي دُرُوسِ هَـٰذِهِ السُّورَةِ؛ من أَحْدَاثِهِ أَنَّهُ يَقُومُ الرُّوحُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامَ والْمَلَائِكَةُ مُصْطَفّينَ، بَيْنَ يَدَي اللهِ، سَاكِتِينَ صَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ، لِيُقِيم الرَّبُّ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ مَحْكَمَةَ مُحَاسَبَةِ عِبَادِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الامْتِحَان، وإصْدَارِ أحْكَامِهِ الْعَدْلِيَّة أو الفَضْلِيّةِ بشَأْنِهِمْ. إِنَّهُمْ لَا يَتَكلَّمُونَ بِشَفَاعَةٍ لِأَحَدٍ أَوْ بِغَيْرِ شَفَاعَة، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ اللهُ الرَّحْمٰنُ بِرَحْمَتِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَبِشَرْطِ أَنْ يَقُولَ كَلَاماً صَوَاباً، فَهُمَا شَرْطَانِ:

(١) إذْنُ اللهِ الرَّحْمنِ لَهُ بأَنْ يَتَكَلَّمَ.

(٢) أَنْ يَقُولَ صَوَاباً، أي: كلاماً حَقّاً.

الصَّوابُ: السَّدَادُ، والْحَقُّ.

• ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾:

أي: ذَلِكَ الْيَوْمُ الْعَظِيمُ المنْزِلَةِ؛ هُوَ وَحْدَهُ الْيَوْمُ الْحَقُّ الذي لَا يَشُوبُهُ بَاطِلٌ مَا، إِذْ كُلُّ الْأَمْرِ فِيهِ للهِ وَحْدَهُ، ولَا يَكُونُ مِنَ اللهِ إِلَّا الْحَقُّ. استفيد الْحَصْرُ مِنْ تَعْرِيفِ طَرَفَي الإسْناد.

بِخِلَافِ يَوْمِ الْحياةِ الدُّنْيَا، فَفِيهِ بَاطِلٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوْضُوعِينَ فِيهِ مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، إِذْ مَنَحَهُمُ اللهُ إِرَادَاتٍ حُرَّةً، ولَهُمْ أهواء وشَهَوات مُنَاقِضَاتٌ لِلْحَقِّ.

فَمَنْ شَاءَ بِإِرَادَتِهِ الحرَّةِ اتَّخذَ إِلَىٰ لِقَاءِ رَبِّهِ يَوْمَ الدِّين؛ تَوْبَةً نَصُوحاً، وعَمَلاً صَالِحاً، وإيمَاناً حَقاً صَادِقاً، وَنِيَّاتٍ مُخْلِصَاتٍ في ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ رَبِّه، وحِينئِذٍ يكون قَدِ اتَّخذَ إلى ربِّهِ مَرْجعاً يكُونُ فِيهِ سَعِيداً سَعَادَةً أَبَدِيَّةً فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

المآبُ: الْمَرْجِعُ، مِنْ فعل: «آب، يؤُوبُ» أيْ: رَجَعَ، ومَعْلُومٌ أنَّ الآخِرَةَ يَكُونُ فيها رجُوعٌ إلَىٰ الحياة بَعْدَ الْمَوْت.

• ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾:

يُخَاطِبُ اللهُ عزَّ وجلَّ الطَّاغِينَ المكذِّبينَ بِيَوْمِ الدِّين بِضَمِيرِ المتكلِّمِ العظيمِ فيَقُولُ لَهُمْ: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ...﴾:

الإنْذَارُ: الْإعْلَامُ بِمَا هُوَ مَخُوفٌ مِنْهُ، وإنْذَارُ اللهِ الطَّاغِينَ المكذِّبين؛ يُفْهَمُ مِنْهُ إعْلَامُهُمْ بِمَا رَتَّبَ عَلَىٰ جرائِمِهِمْ، مِنْ عِقَابٍ شديدٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ لهم، إذَا لم يتوبُوا ولم يُقْلِعُوا عَنْ كُفْرِياتِهِمْ وجرَائِمِهِمْ قبل مَوْتِهم.

وَوَصَفَ اللهُ هـٰذَا الْعَذَابَ بِأَنَّهُ قَرِيب مع أَنَّهُ يَكُونُ يَوْمَ الدين بَعْدَ الْبَعْث؛ لِأَنَّ الحياة الدُّنْيَا لكلِّ واحدٍ مِنْهُمْ قصيرَةٌ، وهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ يُمْسَحُ مِنْ إحْسَاسِ نُفُوسِهِمْ إدْرَاكُ الزَّمَن، وعِنْدَ الْبَعْثِ يَشْعُرُونَ بأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا بَيْنَ الموْتِ والْبَعْثِ إلَّا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم.

• ﴿... يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ...﴾: أي: عَذَاباً قَرِيباً يَكُونُ يَوْمَ يَنْظُر الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنْ عَمَلٍ في رِحْلةِ امْتِحَانِهِ في الْحَيَاةِ الدُّنيا.

ولَا أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ النَّظرَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ كِتَابِهِ، فَهَذا التَّعْبِيرُ قَدْ قَرَّبَتْ لَنَا دَلَالَتَهُ المكْتَشَفَاتُ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا عُلَمَاءُ التَّصْوِير، وعَرْضِ الصُّوَرِ في أَجْهِزَةِ «التِّلِفِزْيُون» و«الكمبيوتَر»، إذْ يُشَاهِدُ الإنْسَانُ بِبَصَرِهِ صُورَةَ الْحَدَثِ

الْمَاضِي كَامِلَةً، بِكُلِّ مَا اشْتَمَل عَلَيْهِ مِنْ حَرَكاتٍ، مُلَوَّناً بِأَلْوَانِ الأَشْيَاءِ كَمَا كَانَتْ عَلَيْه.

وَيَزِيدُ مَا يَرَىٰ فِيهِ عَمَلَهُ يَوْمَ الدِّينِ، أَنَّهُ يَرَىٰ مَا كَسَبَتْ أو اكْتَسَبَتْ نَفْسُهُ مِنْ أَعْمَاقِهَا مِنْ أَعْمَالٍ إِرَادِيَّة يُحَاسَبُ عَلَيْهَا.

• ﴿... وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾:

يَالَيْتَنِي: عبارة تَمَنٍّ مَقْرُونٍ بِتَوَجُّعٍ مِمَّا هُو فيه مِنْ عَذَاب.

أي: يَوْمَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُبْعَثْ وَكُنْتُ تُرَاباً إِلَىٰ الأَبَدِ، وَحِينَ يَرَىٰ الْبَهَائِمَ بَعْدَ أَنْ يُجْرِيَ اللهُ عزَّ وجلَّ الْقِصَاصَ الْعَادِلَ فيما بَيْنها ويقُولَ لَهَا: كُونِي تُرَاباً، فَتَمُوتُ وتَكُونُ تُرَاباً، يَقُولُ الْكَافِرُ: يالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً مِثْلَ هـٰذِهِ الْبَهَائِم وَلَمْ أَكُنْ إِنْسَاناً.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّر الدَّرْسِ الْخَامِسِ مِنْ دروس سُورَة (النبأ)، وهو الدَّرْسُ الْأَخيرُ مِنْها.

والحمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٩)
ملحق: مُستخرَجَاتٍ بلاغية مِن سورة (النبأ)

في هـٰذِهِ السورة اختياراتٌ بَلَاغِيَّةٌ مُتَعَدِّدَة، ومنها ما يلي:

أولاً:

من مَنْهَج البيانِ القرآني استقطاعُ النُّصُوصِ مِنْ أَزْمَانِهَا الماضِية أو المستَقْبَلة، وعَرْضُهَا بأَلْفَاظِها دُونَ الإشارة إِلَىٰ أَنَّهُ كَانَ كَذَا فيمَا مَضَى، أَوْ سَيَكُونُ كذا فِيمَا سَيَأْتي.

ومِنْ أمْثِلةِ هذا الاستقطاع في هذه السورة: قَولُ اللهِ عزَّ وجلَّ حِكَايَةً لِمَا يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ يَوْم القيامَةِ بَعْدَ بيانٍ يتَعَلَّقُ بِهِمْ:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا (٢٩) فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾.

إنَّ عِبارَةَ: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾ مُسْتَقْطَعَةٌ مِنَ الْحَدَثِ المسْتَقْبَلِيِّ الّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ، دُونَ الإشارة إلَىٰ أَنَّ هـٰذا سَوْفَ يَكُونُ فِي المسْتَقْبَل.

ثانياً:

من خُروج الاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ وهو طَلَبُ الإفْهامِ إلَىٰ مَعَانٍ أُخْرَىٰ قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا (٦) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا (٨)﴾ وحتَّىٰ الآية (١٦).

لَيْسَ المُرَادُ بالاسْتِفْهام في هذا النَّصّ طلبَ الإفهام، بَلِ المرادُ الإعْلَامَ بالحقِائِقِ المسْؤُولِ عَنْها بالاسْتِفْهَام، وانْتِزَاعَ اعْتِرافِ المخاطَبِينَ المكَذِّبينَ بِيَوْمِ الدِّين، تَمْهِيداً لإقْناعِهِم بِقُدْرةِ اللهِ وَحِكْمَتِه.

ثالثاً:

مِن الْقَصْر وهُوَ تخصيصُ شيءٍ بعبارَةٍ كَلامِيَة تَدُلُّ عليه؛ ومِنْهُ في السُّورَةِ ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ بشَأْنِ أصْحابِ النَّارِ الطَّاغِين:

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)﴾:

أي: لَا يَذُوقونَ فيها شراباً إلَّا شَراباً حَارّاً شَدِيدَ الحرارة، وإلَّا

سَائِلاً أصْفَرَ يُشْبِهُ الماءَ الأصْفَرَ الَّذِي تُفْرِزُهُ الْجُلُودُ إِذَا تَقَرَّحَتْ أَوِ احْتَرَقَتْ.

والقصْرُ في هذا البيانِ قَصْرٌ حقيقيٌّ، أَدَاتُهُ النَّفْيُ والاسْتِثْناء.

المثال الثاني: قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ بشَأْنِ يَوْم القيامة:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾:

جاء في هـٰذِهِ الآيَةِ بَيَانُ قَصْرِ الْكَلَامِ يَوْمَ الْقِيامَةِ على الَّذِين أَذِنَ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ بأَنْ يَتَكَلَّمُوا وَقالُوا حَقّاً.

والْقَصْرُ في هـٰذا البيانِ قَصْرٌ حقيقيٌّ، أَدَاتُهُ النَّفْيُ والاسْتِثْناء.

المثال الثالث: قول اللهِ عزَّ وجلَّ بِشَأْنِ يَوْم القيامة أيضاً:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾:

جاء في هذا البيان قَصْرُ الْيَوْمِ الْحَقِّ عَلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ الذي يَكُونُ كُلُّ أمْرٍ فِيه للهِ وَحْدَه.

والْقَصْرُ في هـٰذا البيانِ قَصْرٌ حقيقيٌّ، أَدَاتُهُ تَعْرِيفُ طَرَفَيِ الإسْنَاد في: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾.

رابعاً:

من توكيد الخبر بمُؤَكِّدٍ أَوْ أكْثَرَ مِنْ المؤكِّدَاتِ لِدَاعٍ أَوْ أَكْثَرَ مِن الدَّوَاعِي الْبَلَاغِيَّة، ومِنْهُ في السُّورةِ مَا يلي: ـ والدَّاعي البلاغي فيها أنّ المقصودينَ بالْخِطَابِ مُكَذِّبون بيوم الدِّين فهم يَحْتَاجُونَ توكيداً ـ:

(١) ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾:

جاء التوكيد هنا بـ«إِنَّ ـ والْجُملَةِ الاسْمِيَّة».

(٢) ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾:

جَاءَ التوكيد هنا بـ«إنَّ ـ والجملَةِ الاسمية».

(٣) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾:

جاء التوكيدُ هنا بـ«إنَّ ـ والجملة الاسمية».

(٤) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾:

جَاءَ التوكيد هنا بِـ«إنّ ـ والجُمْلَةِ الاسْمِيَّة».

(٥) ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ... ﴿٤٠﴾﴾:

جاءَ التوكيد هنا بـ«إنَّ ـ والْجُمْلَةِ الاسمية».

وأكْتَفِي بهـٰذهِ المستخرجاتِ البلاغية من سورة (النبأ).

والحمدُ للهِ على مَعُونَتهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.





سورة النّازِعَات

٧٩ مصحف ٨١ نزول

وهي سورة مَكِّيَّة بلا خلاف



(١)

نصّ السُّورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ

---

١٠ ـ ١١ ـ • قرأ نافع، وابْنُ عامر، والكسائي، ويعقوب: [أَئِنَّا... إِذَا].
وقرأها أبو جعفر: [إِنَّا... أَئِذا].
وقرأها باقي القراء العشرة: [إِئِنَّا... أَئِذا].

١١ ـ • قرأ شعبة، وحمزة، والكِسَائي بِخُلْف عن الدوريّ، ورُويس، وخلف: [نَاخِرَةً].
وقرأها باقي القراء العشرة: [نَخِرَةً].
نَاخِرَة، ونَخِرَة: لفْظانِ لمعنىً واحِدٍ، وهما بمعنى بالية، متفتتة.

١٦ ـ • قرأ نافع، وابْن كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [طُوَىٰ].
وقرأها باقي القراءة العشرة: [طُوًى]. وأمَالَه وَقْفاً: حمزى، والكسائي وخلف.
ووقف يعقوب على: [بالْوَادِ] بزيادة ياءٍ ساكنة.

١٨ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: [إِلَىٰ أَنْ تَزَّكَّىٰ] بِتشْدِيدِ الزّاي.
وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ] بفتح الزاي دُونَ تَشْدِيد.

إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

٣٩ ـ • قرأ الأصبهاني، وأبو عمرو بخلفه، وأبو جعفر: [الْمَاوَىٰ] بإبدال الهمزة ألفاً مدِّيَّة. وكذلِكَ قرأها حمزة في الوقف، وقرأها الباقون: [الْمَأْوَىٰ]. وكذلك في الآية الأخرى.

٤٣ ـ • وقف البزّي على [فِيمَ] بهاء السّكْتِ بخُلْفٍ عَنْهُ، وكذلِكَ يعقوبُ بخلْف عنه.

٤٥ ـ • قرأ أبُو جعفر: [مُنْذِرٌ] بالتّنْوين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مُنْذِرُ] بالرّفع دُونَ تَنْوين على الإضافة.

(٢)
موضوع سورة (النّازعات)

يدور موضُوعُ هـٰذِه السُّورة حَوْلَ قَسَمٍ بِسُلْطَانِ اللهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - في تَسْخِيره أَصْنَافاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لِتَنْفِيذِ تَدْبِيرِهِ الّذِي قَدَّرَهُ وقَضَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، ومِنْهُمْ نَازِعُو أَرْواحِ الْكَافِرِينَ بِشِدَّةٍ وإغْراقٍ، وَمِنْهم نَاشِطُو أَرْواحِ المؤمِنينَ بِيُسْرٍ وسُهولَةٍ وَرِفق، وَمِنْهُمُ السَّابِحُونَ فِي الْأَجْواءِ، فَالسَّابِقُونَ بِلَا تَوانٍ ولَا تباطُؤٍ لِتَنْفِيذِ أوامِرِ اللهِ لَهُمْ، لِلْقِيَام بِالْأَعْمَالِ الَّتِي يُكَلَّفُونَها فِي أَوْقَاتِهَا الْمُحَدَّدَة، وعَلَىٰ وفْقِ التَّدْبِيرِ الرَّبَّانِيِّ لَهَا فِي خُطَّةِ الْخَلْق.

والْمُقْسَمُ عَلَيْهِ أَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْموتِ حَقٌّ، وَأَنّ يَوْمَ الدِّينِ وكُلَّ أَحْدَاثِهِ الَّتِي أَنْبَأَ بِهَا الله جلّ جلاله حَقٌّ.

مَعَ عَرْضِ فِقَرَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِنَفْخَةِ إِنْهَاءِ ظُروفِ الحياة الدُّنيا، ونَفْخَةِ الْبَعْثِ، ولَمْحَةٍ مِنْ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ المَكَذِّبين بَعْدَ الْبَعْثِ من ذُعْرٍ وذُلّ، وبَيَانٍ لِمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ في الحيَاةِ الدّنْيَا مِنِ استِبْعَادٍ للبَعْثِ وَيَوْمِ الدين، وإنْكَارٍ لهما، مَقرُونٍ بِبَيَانٍ أَنَّ بَعْثَهُمْ جميعاً يَكُونُ بِزَجْرَةٍ صَوْتِيَّةٍ وَاحِدَةٍ.

وفيه شاهدٌ تَاريخيٌّ يَتَضمَّنُ إِهْلَاكَ اللهِ - عزَّ وجلَّ - لِبَعْضِ الْكَافِرِينَ، المكَذِّبينَ بِيَوْم الدِّين، وهُوَ إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِه بالإغْرَاقِ، الَّذي كَانَ أَثَرَ مُعْجِزَةٍ عُظْمَىٰ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام.

وفيه إقناعٌ لِلْكافِرينَ بِقُدْرَةِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - علَىٰ بَعْثِهِمْ بَعدَ مَوْتِهم، من خِلَالِ عَرْضِ بَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنه.

وفِيهِ عَرْضُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي سَوْفَ تَكُونُ يَوْمَ الدِّين، فَمِنْهَا مَا هُوَ مُرْهِبٌ للكافِرِينَ الطَّاغِين، ومِنْهَا مَا هُوَ مُطْمِعٌ للمؤْمِنينَ المتقين.

وفيه عَرْضُ تَعِلَّةِ الكَافِرِينَ بِسُؤَالِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الوقتِ الّذِي تَقُومُ فِيهِ السَّاعَة، وجاء بَعْدَهُ بَيَانُ اللهِ تعالى لِرَسُولِهِ ﷺ بأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ مَعْنِيّاً بالإجابةِ علَىٰ سُؤَالِهِم، فقد سَبَقَ أنْ أَبَانَ اللهُ ـ جَلَّ جلالُهُ ـ أَنَّ وقْتَ السَّاعة مِمَّا أخفاهُ اللهُ عَنْ كُلِّ خَلْقِهِ، فَلَا تَأْتِي إِلَّا بَغْتَةً، وأنَّ وظيفة الرَّسُولِ ـ عليه السلام ـ الإنْذَارُ بها، وأنّ الناسَ حِينَ يَرْونَ أحداثَ الْبَعْثِ يَشْعُرُونَ كأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْث إِلَّا مِقْدَارَ نَوْمَةٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، أَوْ نَوْمَةٍ بَعْدَ الظُّهرِ.

(٣)
دُرُوسُ سورة (النَّازِعَات)

وضَحَ لدَيَّ أنَّ هـٰذِهِ السُّورَة يُمْكِنُ تَقْسِيمهَا إلى سِتَّة دروس: وهي دُرُوسٌ مُتَعَانِقَةٌ فيما بَيْنها ضِمْنَ وَحْدَةِ مَوْضُوعِهَا.

الدرس الأوّل: الآيات من (١ ـ ٥).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْس أقْسَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بأَصْنَافٍ من الْمَلَائِكَةِ الْخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِهِ، وتَنْفِيذِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ في كَوْنِهِ، عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْموتِ حَقٌّ، وعلَىٰ أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ وَكُلَّ أَحْدَاثِهِ الَّتِي أنْبَأَ بِهَا حَقٌّ.

الدرس الثاني: الآيات من (٦ ـ ١٤).

وفي آيَاتِ هـٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ فِقَرَاتٍ تَتَعَلَّقُ بنَفْخَةِ إِنْهَاءِ ظُرُوفِ الحياةِ الدُّنيا في الصُّور، ونَفْخَةِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، مَعَ عَرْضِ لَمْحَةٍ مِنْ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ المكَذِّبينَ بَعْدَ الْبَعْثِ مِنْ ذُعْرٍ وذُلٍّ، وبيانٍ لما كَانوا فِي الحياةِ الدُّنيا يَقُولُونَهُ من اسْتِبْعَادٍ واسْتِغْرَابٍ لِلْبَعْثِ وَيَوْم الدين، وَإِنْكَارٍ لهما، مَقْرُونٍ بِبَيَانِ أَنَّ بَعْثَهُمْ جَمِيعاً يَكُونُ بِزَجْرَةٍ صَوْتِيَّةٍ واحِدَة.

الدرس الثالث: الآيات من (١٥ ـ ٢٦).

وفي آيات هٰذا الدَّرسِ بَيَانُ شَاهِدٍ تَارِيخِيٍّ يتضَمَّنُ إهْلَاكَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ لِبَعْضِ الْكَافِرِينَ المكَذِّبينَ بِيَوْمِ الدِّين، وهُو إهْلَاكُ فِرْعَوْنَ وجنودِه بالإغْرَاقِ، الَّذِي كَانَ أَثَرَ مُعْجِزَةٍ كُبْرَىٰ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام، إذْ فَلَقَ اللهُ لَهُ الْبَحْرَ، وأَنْجَىٰ بني إسْرَائيل بعُبُور مَكانِ الْفَلَقِ، وأغْرَقَ بَعْدَهم فِرْعَوْنَ وكلَّ جنودِه.

الدرس الرابع: الآيات من (٢٧ ـ ٣٣).

وفي آياتِ هٰذا الدَّرْسِ إقْنَاعٌ لِلْكَافِرِينَ بِقُدْرَةِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ على بَعْثِهِم بَعْدَ مَوْتِهِمْ، من خِلال عَرْضِ بَعْضِ آياتِهِ في كوْنِهِ، الّتي هِي أَشَدُّ خَلْقاً مِنْ إعَادَتِهِمْ إلَىٰ الحياة بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَفَنَاءِ أجْسَادِهم.

الدَّرْس الخامس: الآيات من (٣٤ ـ ٤١).

وفي آيَاتِ هٰذا الدَّرْس عَرْضُ لَقَطَاتٍ مُوجزَاتٍ من الأحْدَاثِ الّتي سوْفَ تكُونُ يَوْم الدِّين، فَمِنْهَا مَا هُوَ مُرْهِبٌ للكافِرِينَ، ومنها مَا هُوَ مُطْمِعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ المتقين.

الدَّرْسُ السادس: الآيات مِن (٤٢ ـ ٤٦) آخر السورة.

وفي آياتِ هٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ تَعِلَّةِ الْكَافِرِينَ المكَذِّبين بالبَعْثِ ويَوْم الدِّين، بسُؤَالِهِمْ رسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الوقْتِ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ السَّاعَةِ، وجَاءَ بَعْدَهُ بَيَانُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ لِرَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعْنِيّاً بالإجَابَةِ على سُؤَالِهِمْ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَبَانَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ؛ أَنَّ وَقْتَ السَّاعَةِ مِمَّا أخْفَاهُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ خَلْقِهِ، فَلَا تَأْتِيْ إلَّا بَغْتَةً، وأَنَّ وظيفَةَ الرَّسول ﷺ أَنْ يُنْذِرَ بِهَا وبِمَا يُجْرِيهِ الله بَعْدَهَا يَوْمَ الدِّينِ مِنْ حِسَابٍ، وفَصْلِ قضاءٍ، وتنفيذِ جَزَاء، وأَنَّ النَّاس حينَ يَرَوْنَ أَحْدَاثَ الْبَعْثِ يشْعُرون كأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا في الْأَرْضِ بَيْنَ الْمَوْتِ والْبَعْثِ إلَّا مِقْدَارَ نَوْمَةٍ قَبْلَ مُنْتَصَفِ النهار، أَوْ نَوْمَةٍ بَعْدَ مُنْتَصَفِ النهار.

❃ ❃ ❃

(٤)
التدبّر التحليلي للدَّرس الأول من دُروس سورة (النازعَات) الآيات من (١ ـ ٥)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾:

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرس أَقْسَمَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِأَصْنَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِه، وتَنْفِيذِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ فِي كَوْنِهِ، عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حقٌّ، وعَلَىٰ أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ وَكُلَّ أَحْدَاثِهِ الَّتِي أنْبَأَ بِهَا حَقٌّ.

التدبّر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾:

يُقْسِمُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِصِنْفٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ذَوِي الوظِيفَةِ الخطِيرَةِ في النَّاس، وَهِي نَزْعُ أَرْواحِ الْكَافِرِينَ بِشِدَّةٍ وعُنْفٍ، وبصِنْفٍ آخَرَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَظِيفَتُهُمْ نَشْطُ أَرْواحِ المؤمِنينَ بِرِفْقٍ وسُهُولَةٍ ويُسْر، فَوصَفَ جَمَاعَاتِ الصِّنْفِ الأوَّل بالنَّازِعَاتِ، ووصَفَ جماعَاتِ الصِّنْفِ الثّاني بالنَّاشِطَات.

والْقَسَمُ بِجَماعَاتِ الملائكَةِ الّذِينَ لَهُمْ وَظِيفَةُ قَبْضِ الأرْوَاحِ وفَصْلِهَا عَنِ النُّفُوس في ظَاهِرَةِ الْمَوْتِ؛ كِنَايَةٌ عَنْ قَسَمِ اللهِ بِسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ في الحياةِ والْمَوْتِ، وتَسْخِيرِهِ مَخْلُوقَاتٍ غيبيَّةً عَنِ النَّاسِ هم مَلَائِكَتُهُ

لِيَكُونُوا أسْبابَ تَنْفِيذِ ما قَدَّرَهُ وقَضاهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُه ـ وهُوَ فيها هُوَ الْخَالِق.

غَرْقاً: الْغَرْقُ ـ والإغْراقُ = مَدُّ الرَّامِي وتَرَ قَوْسِهِ مَدّاً مُبالَغاً فِيهِ حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ فِيهِ غايَةَ مَدِّه.

النَّازِعَات: جَمع «النَّازِعَةِ»، **والنَّزْعُ**: يأتي بمعنَىٰ جَذْبِ الشَّيْءِ وَقَلْعِهِ مِنْ مَكَانِهِ، وَيأْتِي بِمَعْنَىٰ: مَدِّ وَتَرِ الْقَوْسِ لِرَمْيِ السَّهْم.

وجاءَتْ عبارَة: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾ وَصْفاً لجماعَاتٍ مِنَ الملائِكَةِ وظيفَتُهَا نَزْعُ أَرْواحِ الْكَافِرِينَ مِنْ نُفُوسِهِمْ بِشِدَّةٍ وعُنْفٍ، كَمَا يَنْزِعُ الرَّامِي بِقَوْسِهِ وَتَرَ قَوْسِهِ بِشِدَّةٍ حَتَّىٰ يَسْتَوْفِي غَايَةَ مَدِّه، وَعَمَلُهُم يكُونَ طَاعَةً لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، وتَنْفِيذاً لِمَا سَبَقَ بِهِ تَقْدِيرُهُ وقَضاؤه.

النَّاشِطَات: جَمْعُ «النَّاشِطَةِ». **والنَّشْطُ**: يأتي بمَعْنَىٰ جَذْبِ الشَّيْءِ دُونَ شِدَّةٍ وَلَا عُنْف. **نَشْطاً**: مَفْعُول مُطْلَق لِتَوْكِيدِ كَوْنِ عمل النَّاشِطاتِ لَا عُنْف فِيهِ وَلَا شِدَّة.

وجاءَتْ عبارَةُ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ وَصْفاً لجماعَاتٍ مِنْ الملائكَةِ وظيفَتُهَا جَذْبُ أَرْواحِ الْمُؤْمِنينَ مِنْ نُفُوسِهِمْ بِسُهُولَةٍ ويُسْرٍ ورِفْق، عِنْدَ انْتِهَاءِ آجالِهِم، طَاعَةً لِأَمْرِ ربّهم، وتنفيذاً لِمَا سَبَقَ بِهِ تَقْدِيرُهُ وَقَضاؤه.

■ قول اللهِ تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾:

ويُقْسِمُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِجَمَاعَاتٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ سَابِحَاتٍ فِي الأجْوَاء، جَعَلَ لَهَا وَظَائِفَ تَنْفِيذِ تَدْبِيرَاتِهِ فِي كَوْنِه.

والْقَسَمُ بِهٰذِهِ الْجَماعَاتِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ؛ كنَايَةٌ عَنْ قَسَمِهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ بِتَصْرِيفِ أَحْدَاثِ كَوْنِهِ، وتَسْخِيرِهِ مَخْلُوقَاتٍ غَيْبِيَّةً عَنِ النَّاسِ هُمْ مَلَائِكَتُهُ، لِيَكُونُوا أسْبَابَ تَنْفِيذِ مَا سَبَقَ أَنْ قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ، وهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْخَلَّاقُ الْفَعَّالُ مِنْ بَاطِنِ قَنواتِ الْأَسْبَاب.

السَّابِحَات: جمع «السَّابِحَة» **والسَّبْح**: الحركَةُ السَّهْلَةُ الَّتِي يكُونُ بِهَا الانْتقَالُ فِي الْمَاءِ أَو الْهَوَاءِ بِرفْقٍ ولِين، ومِنْهُ سَبْحُ السَّمَكِ في الماء، وسَبْحُ الكَوَاكِبِ والنُّجُومِ في مَسِيراتِهَا فِي أفْلاكِهَا، وكَذَلِكَ حَرَكَةُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ الدَّائِرَة في فلكها، ومِنْهُ قَوْلُ العَرَب: جَرَتِ الْخَيْلُ سَبْحاً.

سَبْحاً: مَفْعُول مُطْلَق، والْمُرَاد سَبْحاً حَكِيماً بِدَأْبٍ، دُون كَلَلٍ ولَا تَعَب، وَهـٰذِهِ الْجماعَاتُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَتَرَقَّبُونَ دواماً مَا يَنْزِلُ إلَيْهِمْ مِنْ أَوَامِرَ رَبَّانِيَّةٍ، لِيَقُومُوا بِتَنْفِيذِهَا فِي كَوْنِهِ دُونَ تَبَاطُؤٍ وَلَا تَأَخُّرٍ عَنِ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لَهُمْ للتَّنْفِيذ بِمُقْتَضَىٰ تَقْدِيرِ اللهِ وقضائِهِ.

• ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾﴾: أي: فالمتقَدِّمَاتِ المسْرِعَاتِ لِتَنْفِيذِ أوَامِرِ اللهِ في الأمَاكِنِ المطْلُوبِ تَنْفِيذُ أَوَامِرِ اللهِ فيها مَهْمَا كانَتْ نَائِيَةً بَعِيدَة.

جَاءَتْ عِبَارَةُ ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ مَعْطُوفَةً بالْفَاء الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ التَّرْتِيب مَعَ التَّعْقِيب، للدَّلَالَةِ عَلَىٰ سُرْعَةِ طَاعَتِهِمْ لِأَوَامِرِ اللهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ دُونَ تَأْخِيرٍ وَلَا تَبَاطُؤ. واسْتُعْمِلَتْ مَادَّةُ السَّبْقِ الْمَوْضُوعَةُ للدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُودِ سَابقٍ ومَسْبُوقٍ؛ للدَّلَالَةِ عَلَىٰ الْمُبَالَغَةِ فِي سُرْعَةِ الْوُصُولِ إِلَىٰ مَكَانِ تَنْفِيذِ الْمَأْمُورِ بِتَنْفِيذِه، ولَا أَرَىٰ أَنَّ الْمَلَائِكَة يَتَسَابَقُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِيَقُومَ السَّابِقُ مِنْهُمْ بالتَّنْفِيذ.

وجَاءَ التَّوكِيدُ بِالمفْعُولِ المطْلَقِ «سَبْقاً» للدَّلَالَة على مُبَالَغَةِ الْمَلَائِكَةِ بِطَاعَةِ اللهِ، وبَيَانِ أَنَّ سَبْقَهُمْ حَسَنٌ مَحْمُودٌ حكيم.

• ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾﴾: وصِفَتْ هـٰذِهِ الْجَمَاعَاتُ مِنَ الملائِكَةِ بِكَوْنِهِمْ مُدَبِّراتٍ عَلَىٰ مَعْنَىٰ قيامِهِمْ بِتَنْفِيذِ مَا سَبَقَ بِهِ التَّدْبيرُ الرَّبَّانِي لِأُمُورِ كَوْنِهِ، الَّذِي سَبَقَ بِهِ تَقْدِيرُ اللهِ وَقَضَاؤُه، إِذْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَلَائِكَةِ تَدْبِيرُ

أُمُورِ الكَوْنِ، بَلْ هُمُ المأمُورُونَ بِتَنْفِيذِ مَا سَبَقَ أَنْ دَبَّرَهُ اللهُ، وتَمَّ بِهِ تَقْدِيرُ اللهِ وَقَضَاؤه.

أُطْلِقَ فِي الْعِبَارَةِ لَفْظُ «الْمُدَبِّراتِ» عِوَضاً عَنْ لَفْظِ «المنَفِّذَاتِ» على طَرِيقَةِ المجازِ المرسَل، وهو مِنْ إطْلَاقِ عَمَلِ الآمِرِ عَلَىٰ مَا يَقُومُ بِهِ المأمُورُ المكلَّف، وفي هذا إيجازٌ في العبارة، واختصارٌ لِجُمْلَةٍ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى: فالمنَفِّذَاتِ مَا سَبَقَ بِهِ تَدْبِيرُ اللهِ وتَمَّ بِهِ تَقْدِيرُ اللهِ وقَضاؤُه، وتَوَجَّه بِهِ أَمْرُهُ لِلمَلَائِكَةِ المكَلَّفين بالتَنْفِيذِ، باعتبارِه عَمَلاً سَبَبِيّاً، يَخْلُقُ اللهُ مَنْ قَنَوَاتِهِ مَا شَاءَ في الموضُوعِ المتعلّق بِهِ أَمْرُ التَّنْفِيذ.

واسْتُخْدِمَتْ فَاءُ الْعَطْفِ للدَّلَالَةِ عَلَىٰ قِيامِ الْمَلَائِكَةِ بالتَّنْفِيذِ دُونَ إبْطَاءٍ وَلَا تَأَخُّر.

وبهذا تَمَّ تَدَبُر الدَّرْسِ الأوّل مِنْ دُروس سُورَةِ (النَّازِعَات).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِه، وتَوْفِيقِه، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٥)
التَّدبُّر التحليلي للدّرس الثاني من دُروس سورة (النَّازِعات) الآيات من (٦ ـ ١٤)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾:

القراءات:

(١٠ ـ ١١) • قرأ نَافع، وابْنُ عامر، والكِسَائي، ويعقوب: **[أئِنَّا... إِذَا]**.

وقرأها أبو جعفر: **[إِنَّا... أئِذَا]**.

وقرأَهَا باقي القرّاء العشرة: **[أئِنَّا... أئِذَا]**.

(١١) • قرأ شعبة، وحَمْزَة، والكِسَائي بِخُلْف عن الدّوريّ، ورُوَيْس، وخلف: **[نَاخِرَةً]**.

وقرأَهَا باقي القرّاء العشرة: **[نَخِرَةً]**.

ناخِرَة، ونَخِرَة: لفظانِ لمعْنَىً واحِدٍ في اللُّغَة، وهُمَا بمعنى بالِيَة مُتَفَتِّتَة.

تمهيد:

في آيات هٰذا الدَّرسِ عَرْضُ فِقَراتٍ تَتَعَلَّقُ بِنَفْخَةِ إِنْهاءِ ظُرُوف الحياةِ الدُّنيا في الصُّور، ونَفْخَةِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، مَعَ عَرْضٍ لَمْحَةٍ مِنْ أحْوَال الْكَافِرِينَ المكَذِّبِينَ بَعْدَ الْبَعْثِ مِنْ ذُعْرٍ وذُلٍّ، وبَيَانٍ لِمَا كَانُوا فِي الحياة الدُّنْيَا يَقُولُونَهُ من اسْتِبْعَادٍ واسْتِغْرَابٍ لِلْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ وإنْكارٍ لَهُما، مَقْرُونٍ بِبَيَانٍ أنَّ بَعْثَهُمْ جَمِيعاً يَكُونُ بِزَجْرَةٍ صَوْتِيَّةٍ واحِدَة.

التدبّر التّحليلي:

■ قول اللهِ تعالى:

• ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾:

يقال لغة: «رَجَفَ، يَرْجُفُ، رَجْفاً، ورُجُوفاً، ورَجِيفاً، ورَجَفَاناً» أي: تَحرَّك واضْطَربَ اضْطِراباً شَدِيداً. «وَرَجَفَتِ الأرض» أي: حَصَل فيها زِلْزالٌ. **فالرَّاجِفَةُ**: هي الْمُضْطَرِبَةُ المتَزَلْزِلَةُ بِتَأْثِيرِ مُزَلْزِلٍ لَهَا.

المعنىٰ: يَوْمَ تَرْجُفُ وَتَتَزَلْزَلُ كُلُّ كَائِنَةٍ قَابِلَةٍ لِأَنْ تَرْجُفَ وَتَتَزَلْزَلَ في الْكَوْنِ، بتَأْثِيرِ النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ فِي الصُّورِ، الَّتِي يَكُونُ بِهَا إِنْهَاءُ ظُرُوفِ الحيَاةِ الدُّنْيَا. وَتَتْبَعُهَا النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فِي الصُّورِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا بَعْثُ الْأَحْيَاءِ لِلْحِسَاب، وفَصْلِ القضاءِ، وتَحْقيقِ الجزاء.

وصَفَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي يَكُونُ بِها الْبَعْثُ بِوَصْفِ «الرَّادِفة» بِمَعْنَىٰ التَّابِعَة، إذْ هِيَ تَابِعَةٌ للنَّفْخَةِ الْأُولَىٰ ولَوْ بَعْدَ فَاصِلٍ زَمَنِيٍّ طَوِيلٍ.

ولفْظُ «يَوْمَ» ظَرْفٌ مُتعَلِّقٌ بِخبَرٍ مُقَدَّرٍ مُقَدَّم علَىٰ المبْتَدأ الَّذِي هُوَ ﴿قُلُوبٌ﴾ الآتِي بَيَانُهَا. أو بِفِعْلِ «اذْكُرْ»، أي: ضَعْ في ذَاكِرَتِكَ يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفة.

• ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾:

وَاجِفَة: أي: مضْطَرِبَةٌ خَافِقَةٌ خَائِفَةٌ، وهِيَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ وَمُرْتَكِبِي كَبَائِرِ الإثْم.

المعنى: حِينَ تُنْفَخُ النَّفْخَتَانِ في الصُّورِ الْأُولَىٰ والثَّانِيَةِ، ويُبْعَثُ الْأَحْيَاءُ، ويَرَوْنَ أهْوَالَ الْمَوْقِفِ؛ تَكُونُ قُلُوبٌ هِيَ قُلُوبُ الكَفَرَةِ والْعُصَاةِ مُرْتَكِبِي كَبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ خَائِفَةً خَافِقَةً مُضْطرِبَةً، تَتَرَقَّبُ في حَذَرٍ أَنْ يَحْكُمَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عَلَيْهَا بالْعِقَابِ الَّذِي تَسْتَحِقُّهُ، وأَنْ يُدْخِلَها جهَنَّم دَارَ عَذَابِ المجْرِمِينَ، والْعُصَاةِ مُرْتَكِبي كبَائِرِ الإثم.

وتَكُونُ أبْصَارُ أصْحَابِ هَـٰذِهِ الْقُلُوبِ خاشِعَةً، أي: مُنْكَسِرَةً تَنْظُرُ إِلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ ذِلَّتِهِمْ، خَافِضَةً أجْفَانَهَا مِنْ خُضُوعِهِمْ وخَوْفِهِم.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُنْتَقِلاً إِلَىٰ بَيَانِ حَالِ الْكَافِرِينَ المكَذِّبين بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ وهُمْ في الحياة الدُّنْيَا:

• ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾:

يُقَال: «رَجعَ فِي حَافِرَتِهِ» أي: رجعَ إلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ في خِلْقَتِهِ الْأُولَىٰ، بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَ عَنْها.

المعْنَىٰ: يَقُولُ مُنْكِرُو الْبَعْثِ بِتَكْرَارٍ، مُسْتَبْعِدِينَ مُسْتَغْرِبين بأسْلُوب الاسْتِفْهَامِ الإنْكاريّ: أَءِنَّا لَرَاجِعُونَ إِلَىٰ الْحَيَاةِ بَعْدَ الموْتِ، أَءِذَا صِرْنَا عِظَاماً بالِيَةً مُتفَتِّتَةً مُتَفَرِّقَةً فِي تُرَابِ الأَرْضِ، أَنَرْجِعُ إِلَىٰ الْحَياةِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟؟! إِنَّ هـٰذا خَبَرٌ مُسْتَبْعَدُ الْحُصُولِ لا نُصَدِّقُهُ.

وفي كُلِّ مَرَّاتِ الاسْتِنْكَارِ الاسْتِغْرَابِيِّ لَمْ يَأْتُوا بِدَلِيلٍ يُحْتَجُّ بِهِ لِمَا أَنْكَرُوا احْتِجَاجاً يُمْكِنُ أَنْ تَقْبَلَهُ الْعُقُولُ، بَلِ الْحُجَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ الدَّامِغَةُ نافِذَةٌ إِلَىٰ عُمْقِ أَدمِغَتِهِمْ، ومَرَاكِزِ تَفْكِيرِهِمْ بِسُلْطَانِ الْحَقِّ، فَكَمَا خَلَقَهُمُ اللهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئاً مَذْكُوراً؛ إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُعِيدَ خَلْقَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وتَفَتُّتِ ذَرَّاتِ أَجْسَامِهِمْ واخْتِلَاطِهَا بِتُرَابِ الْأَرْضِ، وَلَا يُشْتَرَطُ إعَادَةُ الذَّرَّاتِ نَفْسِهَا إلى أَجْسَادِهِمْ حِينَ بَعْثِهِمْ، بَلْ تَكْفِي خَرِيطَةُ نُفُوسِهِمُ الْبَاقِيَةُ فِي ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ أَجْسَادِهِم لِلْبِنَاءِ عَليها، وهَـٰذِه باقِيَةٌ فِي عَجْبِ الذَّنَبِ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ، ويَكْفِي عِلْمُ اللهِ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ حتَّىٰ يَقُولَ لَهُمْ: كُونُوا، فَهُمْ يَكُونُونَ كَمَا خَلَقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّة.

• ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾:

يَظْهَرُ أَنَّ هـٰذِهِ المقُولَةَ قَالَهَا أئِمَّةُ مُنْكِرِي الْبَعْثِ، وهُمْ يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

أي: قَالُوا: إِنْ صَحَّ نَبَأُ الْبَعْثِ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ مُحَمَّد ﷺ فإنَّ تِلْكَ

الرَّجْعَةَ إِلَىٰ الحياةِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ سَوْفَ تَكُونُ رَجْعَةً خَاسِرَةً، أي: نَكُونُ نَحْنُ الْخَاسِرِينَ فيها خُسْرَاناً عَظيماً، إذْ نَخْلُدُ في عَذَاب جَهَنَّمَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا، بِسَبَبِ كُفْرِنَا بِمَا جَاءَ بِه عَنْ رَبِّنَا، وهذا من المجاز العقلي.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبيِّناً أَنَّ الْبَعْثَ إِلَىٰ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ يكُونُ بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ دُونَ حَاجَةٍ إِلَىٰ تَكْرَار:

• ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾:

الزَّجْرَة: المرَّةُ مِنَ الزَّجْر. **والزَّجْرُ**: يُطْلَقُ عَلَىٰ صَوْتٍ ذي أثَرٍ في شيءٍ ما، كأمْرٍ، أَوْ نَهْي، أو حَثٍّ، ومِنْهُ: «زَجْرُ الْبَعِير» أي: حَثُّهُ بِصَوْتٍ وَحَمْلُهُ عَلَىٰ السُّرْعَةِ. ويُقَالُ: «زَجَرَتِ الريحُ السَّحَابَ» أي: أَثَارَتْهُ.

السَّاهِرَة: وَجْهُ الْأَرْضِ الَّتِي كَانُوا فِي بَاطِنِهَا رُفَاتاً.

المعنى: لَا يَحْتَاجُ بَعْثُهُمْ إِلَىٰ الْحَيَاةِ، وإرْجَاعُهُمْ أَحْيَاءً كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ إِلَّا زَجْرَةً وَاحِدَةً بالنَّفْخِ في الصُّورِ، وبهَا يُفَاجَؤُونَ أَنَّهُمْ قَائِمُونَ أَحْيَاءً بالسَّاهِرَةِ، وهِي وَجْهُ الْأَرْضِ الَّتِي كانُوا فِي بَاطِنِهَا رُفَاتاً.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّاني مِنْ دُروس سُورَةِ (النَّازِعَات).

والْحَمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِه، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٦)
التدبّر التحليلي للدّرس الثالث من دُروس سورة (النَّازِعَات) الآيات من (١٥ ـ ٢٦)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ

ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾:

القراءات:

(١٦) • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [طُوَىٰ].

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿طُوًى﴾ وَأَمَالَهُ وَقْفاً: حَمْزَة، والكِسائِي، وَخَلَف.

ووَقف يعقوب على: ﴿بِٱلْوَادِ﴾ بِزِيادَةِ يَاءٍ سَاكِنَةٍ.

(١٨) • قرأ نافع، وابن كثير، وأَبُو جعفر، ويعقوب: [إِلَىٰٓ أَنْ تَزَّكَّىٰ] بِتَشْدِيد الزّاي.

وقرأهَا باقي القراء العشرة: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ بفتح الزَّاي دُونَ تَشْدِيدٍ.

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرْسِ بيان شَاهِدٍ تاريخيّ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ إِهْلاكِ اللهِ عزَّ وجلَّ لِبَعْضِ الكافِرِينَ المكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّين، وهو إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِه بالإِغْرَاق، الَّذِي كَانَ أَثَرَ مُعْجِزَةٍ كُبْرَى لموسَىٰ عليه السّلام، إِذْ فَلَقَ اللهُ لَهُ الْبَحْرَ، وأَنْجَىٰ بَنِي إِسْرَائِيل بِعُبُورِ مكان الفلق، وأغْرَقَ بَعْدَهم فِرْعَوْنَ وَكُلَّ جُنُودِه.

التدبر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُخاطِباً كُلَّ صَالحٍ لِلْخِطَابِ الرَّبَّانِي:

• ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾: اسْتِفْهَامٌ يرادُ بِهِ التَّعْلِيمُ لِلْجَاهِل، والتَّذْكِيرُ لِلْعَالم، أي: اسْتَمِعْ مُتَفَهِّماً هَـٰذَا الْحَدِيثَ المتَعلِّقَ بالنَّبِيِّ الرَّسُولِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام.

• ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾:

الوادي المقدَّسُ طوىً: هُو الوادِي المطَهَّرُ الْوَاقِعُ إِلَىٰ جَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ، وقَدْ سَبَقَ تَفْصِيلٌ لِقَصَّةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ وكَلَّمَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطُّور، واخْتَارَهُ نَبِيّاً وَرَسُولاً إلى فِرْعَوْنَ باعتبارِه مَلِكَ مِصْرَ في مواضع عدة سابقة من نجوم التنزيل وإرْسَالُهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إرْسَالٌ إِلَىٰ كُلِّ الْمِصْرِيين.

• ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾: أي: إِنَّهُ تَجَاوَزَ كُلَّ الْحُدُودِ الّتِي تَكُونُ مِنَ الْمُلُوكِ الْبُغَاةِ الظَّلَمَةِ، بِبغْيِهِ، وَظُلْمِهِ، وعُدْوانِهِ، وكُفْرِه، وَجَبَرُوته.

• ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾:

يُعَلِّمُ اللهُ عزَّ وجلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَدْعُوَ فِرْعَونَ إلى دِينِ اللهِ الْحَقِّ بِغَايَةِ الرِّفْقِ والتَّكْرِيم، وأَنْ يُخَاطِبَهُ بِأُسْلُوبِ مُخَاطَبَةِ المُلوكِ فِي زَمَانِهِ، مُسْتَخْدِماً الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي فِيهَا عَرْضٌ بِرِفْقٍ ولُطْفٍ، وبأُسْلُوب الاسْتِفْهَامِ، لَا بأُسْلُوب الأَمْرِ والنَّهْيِ والدَّعْوَةِ بِشِدَّة.

كانَ مِنَ الْمُمْكنِ أَنْ يَقْتَصِرَ التَّعْلِيمُ على: «هَلْ تَزَكّى» أو «هل لَكَ أَنْ تَزَكّى»، لَكِنْ جاءَ التَّعْلِيمُ مُسْتَخْدِماً أَطْوَلَ مُقَدِّمَاتِ عَرْضٍ قَبْلَ طَلَبِ التَّزْكِيَة، فجاء في المقدّمات: «هَلْ» عَرْضٌ بالاسْتِفْهَام، و«لَكَ» إطْنَابٌ، و«إِلَىٰ أَنْ» إطْنَابٌ آخرُ، والمطْلُوبُ في العرض: ﴿تَـزَكَّىٰ﴾.

التَّزْكِيَةُ: التَّطْهِيرُ، والتَّنْمِيَة. والإيمَانُ، والإسْلَامُ، والْعَمَلُ بِأَحْكَام دِينِ اللهِ؛ فِيهَا التَّطْهِيرُ مِنْ أَرْجَاسِ الكُفْرِ والشِّرْكِ وكَبَائِرِ الْإِثم، وَفِيها التَّنْمِيَةُ بارْتِقَاءِ دَرَجاتِ المتَّقِينَ، وَدَرَجاتِ الأبْرار، ودَرَجَاتِ الْمُحْسِنِين.

• ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾: أي: وَأُعَـرِّفَـكَ بِـصِـفَـاتِ رَبِّـكَ الْجَلِيلَةِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، ومِنْهَا أَنَّهُ خَالِقُ الْأَكْوَانِ، وأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِ التَّكْوِين، وأَنَّهُ قَوِيٌّ قَدِيرٌ عَزِيزٌ جَبَّارٌ حَكِيمٌ، فإذَا عَرَفْتَ بِعَقْلِكَ صِفَاتِهِ

الْجَلِيلَةَ خَشِيتَ عِقَابَهُ وانْتِقَامَهُ، فآمَنْتَ بِهِ رَبّاً لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسْلَمْتَ قِيادَكَ لَهُ، وَعَبَدْتَهُ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِعِبَادَتِهِ أَحداً، وأَطَعْتَهُ فَفَعَلْتَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ، واجْتَنَبْتَ مَا يَنْهاكَ عَنْهُ، طَامِعاً بِثَوابِهِ الْجَزِيلِ يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾: أي: فَطَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ؛ أَنْ يُرِيَه آيَةً تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ رَسُولٌ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ، فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى، وهِيَ آيَةُ الْعَصَا الَّتِي رَمَاهَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَانْقَلَبَتْ بِخَلْقِ اللهِ حَيَّةً عَظِيمَةً مُخِيفَةً تَسْعَىٰ.

• ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾: أي: فَكَذَّبَ بِأَنَّهَا آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، وزَعَمَ بِأَنَّها مِنْ أَعْمَالِ السِّحْرِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ سَحَرَةُ مِصْرَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهَا، وَعَصَىٰ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام، فَلَمْ يُؤْمِنْ ولَمْ يُسْلِمْ.

• ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾: أي: وانْتَظَرَ يَتَفَكَّرُ وَيَتَأَمَّلُ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي يُبَارِي بِهَا سِحْرَ مُوسَىٰ عليه السلام بِزَعْمِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَجْلِسِهِ الَّذِي أَجْرَىٰ فيه مُوسَىٰ عليه السلام آيَةَ الْعَصَا، وأَدْبَرَ يَسْعَىٰ مُتَفَكِّراً في اتِّخاذِ وَسِيلَةٍ يَغْلِبُ بِهَا عَصَا مُوسَىٰ عليه السلام.

• ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾: أي: فَسَاقَ وَجَمَعَ جموعاً كَثِيرَةً مِنَ الْمِصْرِيين، وَيَظْهَرُ أَنَّ هٰذَا كَانَ بَعْدَ أَنْ دَعَا مُوسَىٰ عليه السلام لِلْمُبَارَاةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَحَرَةِ مَصْرٍ، وبَعْدَ أَنْ غَلَبَتْ آيَةُ مُوسَىٰ عليه السلام سِحْرَ سَحَرَةِ مِصْر، وَأَرادَ بِهٰذا أَنْ يُثْبِتَ سُلْطَانَهُ عَلَىٰ مِصْرَ وَرَعَايَاهَا، فَنَادَىٰ في خُطْبَةٍ مِنْ خُطَبِ الْعَرْشِ الْفِرْعَوْنِي، فقالَ فيها: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ.

وكَانَ هٰذا فِي أَوَاخِرِ دَعْوَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِصْر، وقُبَيْلَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي اتِّجاهِ سِينَاء.

• ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾:

النَّكال: الْعِقَابُ الرَّادِع. «نَكَالَ الآخِرَة» أي: عِقَابَ مَقُولَتِهِ الآخِرَة، وهي قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. و«نَكَالَ الأُولى» أي: عِقَابَ مَقُولَتِهِ الأُولى،

وهي الَّتِي جاء بيانُها في سورة (الْقَصَص/ ٢٨ مصحف/ ٤٩ نزول) بِقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ . . . ﴿٣٨﴾﴾.

المعنى: فَأَخَذَهُ اللهُ أَخْذَ مُنْتَقِمٍ مُعَاقِبٍ ذي نَكَالٍ، عَلَىٰ مَقَالَتِهِ الآخِرَةِ، ومَقَالَتِهِ الأُولى، وَكَانَ هَـٰذا الأَخْذُ بإغْرَاقِهِ ومَلَئِهِ وَجَيْشِهِ في الْبَحْرِ، في مَكَانِ الْفَرْقِ الَّذِي سَلَكَهُ مُوسَىٰ وهَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، وسَائِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا فِي مصر.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ في آخِرِ هـٰذا الدَّرْس:

• ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾: **الْعِبْرَة**: الاتّعاظُ والاعْتِبارُ بما مَضىٰ، ممَّا هُوَ خَاضِعٌ لسُنَنِ اللهِ في كَوْنِهِ. وأَصْلُها الانْتِقَالُ عُبُوراً مَنْ حَدَثٍ جَرَىٰ إِلَىٰ حَدَثٍ مُشَابِهٍ لَمْ يَجْرِ، عَنْ طَرِيقِ القياس.

أي: إِنَّ في ذَلِكَ الَّذِي جَرَىٰ لِفِرْعَوْنَ مِنْ نَكَالٍ؛ لاتِّعَاظاً يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ يَخَافُ سُوءَ عَاقِبَةِ الْعَمَلِ الَّذِي عَاقَبَ اللهُ عَلَيْهِ بَعْضَ عباده.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثالث مِنْ دُروس سُورَةِ (النَّازِعَات).

والْحَمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِه، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٧)
التدبّر التحليلي للدّرس الرابع من دُروس سورة (النَّازِعَات) الآيات من (٢٧ ـ ٣٣)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾:

تمهيد:

في آيات هـٰذا الدَّرْس إقْنَاعٌ لِلْكَافِرِينَ بِقُدْرَة اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ عَلَىٰ بَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، مِنْ خِلالِ عَرْضِ بَعْضِ آياتِهِ فِي كَوْنِهِ، الَّتِي هِي أَشَدُّ خَلْقاً مِنْ إعَادَتِهِمْ إلَىٰ الْحَيَاةِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وفَنَاءِ أَجْسَادِهِمْ.

التدبرُّ التحليلي:

يُخَاطِبُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مِنْكِرِي الْبَعْثِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّين، فيُبَيِّنُ لَهُمْ عَنْ طَرِيق طَرْحِ السُّؤَالِ عَلَيْهِمْ لِانْتِزَاعِ اعْتِرافِهِمْ؛ أَنَّ خَلْقَ السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا مِنْ آيَاتِهِ، وخَلْقَ الأَرْضِ وَدَحْوَهَا، وَإخْرَاجَ مَائِهَا وَمَرْعَاهَا مِنْها، وَإرْسَاءَ الْجَبَالِ فيها؛ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَتاعاً فِي الدُّنْيا لَهُمْ وَلأَنْعَامِهِمْ.

• ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ . . . ﴿٢٧﴾﴾:

إنَّ السَّمَاءَ بأبْعَادِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ نُجُومٍ لَا يُحْصِي عَدَّهَا غَيْرُ بَارِئِهَا؛ أَشَدُّ خَلْقاً مِنْ خَلْقِ جَسَدِ الإنْسَان، وهـٰذَا وَاضِحٌ لِكُلِّ ذي نَظَرٍ وفِكْر، فَلَا عَجَبَ أَنْ يُعِيدَ اللهُ خَلْقَ الإنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَفَنَاء جَسَدِه.

وَمِنَ ظَوَاهِرِ خَلْقِهِ لِلسَّمَاء أَنَّهُ:

• ﴿. . . بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾: أي: بَنَاهَا بنَاءً عَظِيماً مُحْكَماً، لَا خَلَلَ فِيه وَلا نقص، وقَدْ رَفَعَها ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ وَهي كالسَّقْفِ ذي الطَّبَقَاتِ فَأَمْسَكَهَا فِي الْفَضَاءِ الْوَاسِعِ فِي مَوَاضِعَ مُحَدَّدَةٍ لَهَا لَا تَحِيدُ عَنْهَا، فَلَا تَهْبِطُ عَلَىٰ الأَرْضِ، مَعَ مَالَهَا مِنْ أَثْقَالٍ عظيمةٍ جِدّاً.

السَّمْكُ: فِي اللُّغَةِ: السَّقْفُ، وقد جاء في القرآن وصْفُ السَّمَاء بأنَّها سَقْفٌ مَحفُوظ، فقال الله عزَّ وجلَّ في سورة (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

أي: كالسَّقْفِ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ سُكَّانِ الأَرْض.

فَسَوَّاهَا: أي: أَبْلَغَهَا الْغَايَةَ الْمقْضِيَّةَ لَهَا، فجَعَلَهَا تَامَّةً مُسْتَوِيَةً بالِغَةً الْغَايَةَ المقْصُودَةَ مِنْ خلْقِهَا.

ونَفْهَمُ مِنْ قول اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أَنَّهُ رَفَعَ أجْرامَهَا التّي هِيَ كالسَّقْفِ فِي الْفَضَاء الواسِعِ، حتَّىٰ أَبْلَغَهَا الْغايَةَ المقْصُودَةَ مِنْ خلْقِهَا.

ومِنْ ظواهِرِ خَلْقِهِ للسَّمَاء أنَّهُ:

• ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾: أي: جَعَلَ لَيْلَها مُظْلِماً، يُقَالُ لُغَةً: «أغْطشَ اللهُ اللَّيْلَ» أي: جَعَلَهُ مُظْلِماً.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أي: وَأخْرَجَ شَمْسَها الّتي تسَبَّبَ عَنْ إخْراجِهِ لَهَا أَنْ يَنْجَلِي ضُحَاها، والْمُرَادُ بالسَّمَاءِ هُنَا جَوُّ السَّمَاءِ الْمَلاصِقُ لِلأَرْض.

الضُّحَىٰ: أَوّلُ النَّهَارِ مُنْذُ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ إلَىٰ الزَّوال، وخُصَّ بِالذِّكْرِ لِأَنّه أفْضَلُ أَوْقَاتِ امْتِدَاد الضِّياءِ عَلَىٰ الأَرْضِ بِتَأْثِير أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِ سَائِرُ أَوْقَاتِ النَّهار.

وَمِنْ ظَوَاهِرِ خَلْقِ اللهِ في كَوْنِهِ أَنَّهُ دَحَا الأَرْضَ، فقال تعالى:

• ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾: أي: وَدَحْرجَ الأَرْضَ بَعْدَ أنْ رَفَعَ سَمْكَ السَّمَاءِ فَسَوَّاهَا، وأغْطَشَ لَيْلَهَا وأَخْرَجَ ضُحَاها.

يُقَال لغة: «دَحَا السَّيْلُ الحَصا» أي: دَفَعَهُ فَتَدَحْرَجَ فكَانَت لَهُ حَرَكَتَانِ: حَرَكَةٌ حَوْلَ نَفْسِهِ، وحَرَكَةٌ فِي مَسِيرٍ. وكَانَ لِأَهْلِ مَكَّةَ لُعْبَةٌ يَلْعَبُونَ بها، وهِيَ حِجَارَةٌ كَالأَقراص، وتُحْفَرُ حُفْرَةٌ بِقَدْرِها، يَتَنَحَّوْنَ عَنْها قليلاً، ثُمَّ يَدْحُونَ بِتِلْكَ الأَحْجَارِ إلَىٰ تِلْكَ الحفْرَة، فإنْ وقَعَ فيها الْحَجَرُ فَقَدْ غَلَبَ صَاحِبُهُ، وإنْ لَمْ يَقَعْ غُلِب، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَجَرَ تَكُونُ لَهُ حَرَكَتَانِ، حَرَكَةٌ حولَ نَفْسِهِ، وحَرَكَةٌ فِي مَسِير.

وَهَـٰذا وَاقِعُ حَالِ الْأَرْضِ إِذْ أَثْبَتَ عُلَمَاءُ الكَوْنِيَّاتِ أَنَّ لِلْأَرْضِ حَرَكَةً حَوْلَ نَفْسِهَا فِي اتِّجَاهِ الشَّمْسِ، فَيَكُونُ مِنْ أَثَرِها ظَاهِرَة اللَّيْلِ والنَّهار، وَأَنَّ لَهَا حَرَكَةً أُخْرَىٰ في مَسِيرٍ فَلَكِيّ حَوْل الشَّمْس، يَكُونُ مِنْ أَثَرِهَا ظَاهِرَةُ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ بِفُصُولِهَا الْأَرْبَعَة.

وَبِهـٰذَا تَظْهَرُ لَنَا المطَابَقَةُ بَيْنَ النَّصِّ القرآنِي؛ وبَيْنَ مَا قَالَ الْعِلْمُ الإنْسَانِيُّ فِيهِ كَلِمَتَهُ الأَخِيرَة.

وجاء نَصْبُ «وَالْأَرْضَ» عَلَىٰ أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْل «دَحَا» مُقَدَّراً، لِأَنَّ الْفِعْلَ المذكُورَ اشْتَغَلَ عَنْ نَصْبِ الْأَرْضِ، بِنَصْبِ ضميرِها.

وَمِنْ ظواهِرِ خَلْقِ اللهِ لِلْأَرْضِ أَنَّهُ تبارَكَ وتَعالَىٰ:

• ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾:

أي: أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ بِحِكْمَتِهِ وَعَظِيم قُدْرَتِهِ مَاءَهَا أَوَّلَ مَا أَوْجَدَ الْمَاءَ فِيها، وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْمَاءِ مِنْهَا مَرْعَاهَا الَّذِي تَأْكُلُ مِنْهُ دوابُّ الأَرْضِ، وأَخْرَجَ مِنْهَا أَقْوَاتَ النَّاسِ وَفَاكِهَتَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا مَرْعَاهَا.

وَجَعَلَ الْجِبَالَ فِيهَا رَاسِيَةً كَالْأَوْتَادِ لِتَثبيتِ قِشْرَةِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا تَمِيدَ وَتَضْطَرِب بسُكَّانها.

وَمِنْ ظَوَاهِرِ رَحْمَتِهِ ـ جَلَّ جَلَالَهُ ـ للنَّاس أَنَّهُ جَعَلَ مَا يُخْرِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ مِمَّا يُؤْكل مَتَاعاً للنَّاسِ وَلأَنْعَامِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:

• ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾: **المتاع**: مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مُؤَقَّتا ومَصِيرُهُ إلى الْفَنَاء، وقد خصص اللهُ فِي كِتابِهِ لفظ المتَاعِ لِمَا جَعَلَ في الدُّنيا مِنْ مَنَافِعَ وَزِينَات، وخَصَّصَ لفظ النعيم لِمَا جَعَلَ فِي الجنَّةِ مِنْ مُسْعِدَاتِ أصْحَابها.

وبهذا انتهى تَدَبُّرُ الدَّرْس الرابع مِنْ دُرُوس سورة (النازعات).

والحَمْدُ للهِ على معُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتوفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٨)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دُروس سورة (النازعات) الآيات من (٣٤ ـ ٤١)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾:

القراءات:

(٣٩) • قرأ الأصبهاني، وأبو عمرو بخلفه، وأبو جعفر: [الْمَاوَىٰ] بإِبْدَال الهمزة أَلِفاً مَدّية، وكَذَلِكَ قَرأَهَا حَمْزَة في الوقف.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَـٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي سوف تَكُونُ يَوْمَ الدِّينَ، فَمِنْهَا مَا هُو مُرْهِبٌ لِلْكافِرِينَ، ومِنْهَا مَا هُوَ مُطْمِعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ المتَّقِين.

التدبُّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾:

وصَفَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ القِيَامَةَ وَمَا يجري فيها مِنْ أَحْدَاثٍ عَظِيمَةٍ؛ بِأَنَّها الطَّامَّةُ الكُبْرَىٰ.

الطَّامَّة: مُؤَنَّثُ «الطَّامّ»، وهذا اللَّفْظ يُطْلَقُ على الشَّيْءِ الْعَظِيم، والْمَاءِ الكثير، وحَرِيٌّ بالقِيَامَةِ وَأَحْدَاثِها العظيمَةِ الكَثِيرَةِ؛ أَنْ تُوصَفَ بأَنَّهَا الطَّامَةُ الكُبْرَىٰ.

فإِذَا جَاءَتْ هـٰذِهِ الأحْدَاثُ الكُبْرَى، الَّتِي يَكُونُ يَوْمَها مَوْقِفُ الْحِسَابِ وفَصْلِ الْقَضَاء؛ يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ مَا سَبَقَ أَنْ سَعَىٰ في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ، فَيَجِدُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ عَمَلِهِ مُطَابِقاً لِمَا سَعَىٰ في الحياة الدُّنْيَا الَّذِي تَذَكَّرَه.

لفظ: «السَّعْي» أُطْلِقَ فِي الْقُرْآن على الأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ ذَاتِ الأَثَرِ فِي الآخِرَة، أَمَّا الأَعْمَالُ الدُّنْيَوِيَّة غَيْرُ ذَاتِ الأَثَرِ فِي الآخِرَةِ فالمطْلُوبُ بالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا أَنْ نَمْشِيَ فِي مَنَاكِبِ الأَرْضِ مَشْياً لِلْحُصُولِ عَلَيْها، لا أن نَسْعَى سَعْياً.

• ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾: أي: وَأُظْهِرَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَىٰ أَهْوالها، وأوَّلُ الْمَقْصُودِينَ بِهـٰذَا الإظْهَارِ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيها.

الْجَحِيم: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاء النَّارِ دَارِ الْعَذَابِ يَوْم الدّين. وكُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مَهْوَاة هِي جَحِيمٌ لُغَةً.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ:

• ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء عَاطِفَةٌ فِيها مَعْنَىٰ التَّفْرِيعِ على ما سَبَق. «أمّا» حَرْفٌ فِيه مَعْنَىٰ الشَّرطِ، والتوكيد دَائماً، والتَّفْصِيلِ غَالِباً، وهُنَا فيها معْنَىٰ التفصِيلِ بين مَنْ طَغَىٰ ومَأْوَاهُ الجحيم، وبَيْنَ مَنْ خَافَ مَقَام رَبِّهِ ومأواه الجنَّة يَوْمَ الدِّين.

المعنى: فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ فَتَجَاوَزَ بِكَبَائِرِهِ حُدُودَ مَنْ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِ بالْخُلُودِ في عَذَابِ الْجَحِيم، فَصَارَ بِحُكْمِ اللهِ الْعَادِلِ مِنَ الَّذِينَ يَقْضِي اللهُ عَلَيْهِمْ بالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ؛ فإنَّ الْجَحِيمَ هِيَ مَأْواه، أي: هي مَنْزِلُهُ يَوْمَ الدِّين الذي يَأْوي إِلَيْهِ، وينْزَلُ فِيهِ، ويَسْكُنُهُ سُكُوناً أَبَدِيّاً.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ الَّذِي سَوْفَ يَقِفُهُ يَوْم الدِّين لِلْحِسَابِ وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وخَافَ تَنْفِيذ جزائِهِ الْعَادِل عَلَىٰ المعاصِي وارْتِكَاب الكبائر، وَنَهَىٰ نَفْسَهُ عَنِ اتِّباعِ الْهَوَىٰ الَّذِي يُطْغِيهِ، فَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ المعاصِي وارْتِكَابِ كبائِرِ الإثم، وطَوَّعَ نَفْسهِ أَنْ يُطِيعَ اللهَ بتَأْدِيَةِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَات؛ فإنَّ الجنَّة دَارَ نَعِيمِ المتَّقِينَ يَوْم الدِّينِ هِي مَأْواه، أي: مَنْزِلُهُ الَّذي يَأْوِي إِلَيْهِ يَوْمَ الدّين، وهِي الدَّارُ الَّتِي يَسْكُنُهَا مُنَعَّماً خَالِداً فِيهَا مُخَلَّداً أَبَداً.

الْهَوىٰ: مَيْلُ النَّفْسِ إلى مَا تُحِبُّ وَلَوْ كَانَ فِيهِ ضُرٌّ وشَرٌّ وإِثْمٌ وعصيان.

وفي الهوى معْنَىٰ السُّقُوطِ والْهُبُوط مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفُول.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الخامس مِنْ دُرُوس سورة (النازعات).

والحَمْدُ للهِ علَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وَفَضْلِهِ.



(٩)
التدبّر التحليلي للدّرس السادس من دُروس سورة (النّازِعات) الآيات من (٤٢ ـ ٤٦) آخر السورة

قال اللهُ تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾:

القراءات:

(٤٣) • وقف الْبَزِّي على ﴿فِيمَ﴾ بِهَاءِ السَّكْتِ بِخُلْفٍ عَنْهُ، وكذلِكَ يَعْقُوبُ بِخَلْف عنه.

(٤٥) • قرأ أبُو جَعْفَر: [مُنْذِرٌ] بالتَّنوين.

وقَرَأَهَا بَاقِي القرّاءِ العشرة: ﴿مُنذِرُ﴾ بالرَّفْعِ دُونَ تَنْوين، على الإضافة.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هـٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ تَعِلَّةِ الْكَافِرِينَ المكَذِّبين بالْبَعْثِ وبِيَوْمِ الدِّين، بسُؤَالِهِمْ رَسُول اللهِ ﷺ عَنِ الوقْتِ الّذِي تَقُومُ فِيهِ السَّاعَة، وجاء بَعْدَهُ بَيَانُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ لِرَسُوله ﷺ بأنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعْنِيّاً بالإجَابَةِ عَلَىٰ سُؤَالِهِمْ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ أبانَ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ أَنَّ وَقْتَ السَّاعَةِ مِمَّا أَخْفَاهُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ عبادِه، فَلَا تَأْتِي السَّاعَةُ إلَّا بَغْتَةً، وأَنَّ وَظيفة الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُنْذِرَ بِهَا، وبِمَا يُجْرِيه اللهُ بَعْدَهَا يَوْم الدِّين مِنْ حِسَابٍ، وفَصْل قضاء، وتَنْفِيذ جَزَاء، وأنَّ النَّاسَ حِينَ يَرَوْنَ أَحْدَاثَ السَّاعَةِ يَشْعُرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا في الْأَرْضِ بَيْنَ الْمَوْتِ والْبَعْث إلَّا مِقْدَارَ نَوْمَةٍ قَبْلَ مُنْتَصَفِ النَّهار، أَوْ نَوْمَةٍ بَعْدَ مُنْتَصَفِ النَّهار.

التدبر التحليلي:

■ يقولُ اللهِ عزَّ وجلَّ لِرسُوله ﷺ:

• ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾:

أي: يَسْأَلُكَ المكَذِّبُونَ بالْبَعْثِ وَيَوْم الدِّينِ عَنْ سَاعَةِ إنْهَاء ظُروفِ الحياة الدُّنيا، الَّتي تَأتي بَعْدَهَا سَاعَةُ البَعْثِ إلَىٰ الْحَياة الأُخْرى، فَيَتَسَاءَلُونَ مَتَىٰ تَقُومُ السَّاعَة؟

أَيَّان: اسْمُ اسْتِفْهَام يُسْأَلُ بِهِ عَنِ الزَّمَانِ المستقبل، ولَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِيما يُرَادُ تَضْخِيمُ أَمْرِهِ، وَتَعْظِيمُ شَأْنِهِ.

مُرْسَاها: **الْمُرْسَىٰ، والْمَرْسَىٰ**: مَحَطُّ السَّفِينَةِ بالسَّاحِلِ، وجَمْعُهُ الْمَرَاسي. شُبِّهَتِ السَّاعةُ بِسَفِينَةٍ سَائِرَةٍ فِي بَحْرِ الزَّمَنِ، وشُبِّهَ قِيَامُهَا: بِرُسُوِّ هَـٰذِهِ السَّفِينَةِ بالسَّاحِلِ، واسْتُعِيرَ لفظ «مُرْسَاها» للدَّلَالَةِ بِهِ عَلَىٰ قيامِهَا، أي: مَتَىٰ يَكُونُ قِيَامُ السَّاعَةِ؟.

• ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾؟:

أي: في أيِّ شيءٍ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ مِن تَذَكُّرِ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ وأَنْتَ لَا تَعْلَمُ عَنْ هـٰذا الْوَقْتِ شَيْئاً حتَّىٰ تُسْأَلَ عَنْه.

الذِّكْرَىٰ: تَأْتِي بِمَعْنَىٰ التَّذَكُّرِ، وهـٰذا الْمَعْنَىٰ هُوَ الظَّاهِرُ هُنَا.

وبِمَا أَنَّ الْعِلْمَ بَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ قَدْ أَخْفَاهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عَلَىٰ كُلِّ عِبَادِهِ، فَلَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ فَلَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ يَا مُحَمَّدُ بالتَّطَلُّعِ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا يَكُنْ مِمَّا يُهِمُّكَ أَنْ تَجِيبَ السَّائِلِينَ عَنْ وَقْتِهَا، مَهْمَا أَلَحُّوا في السُّؤَالِ عَنْهُ.

• ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾:

أي: إِلَىٰ رَبِّكَ وَحْدُهُ لا شَرِيكَ لَهُ عِلْمُ الْوَقْتِ الَّذِي يَنْتَهِي عَنْدَهُ مَسِيرُ زَمَنِ الحَيَاةِ الدُّنْيا، وتَرْسُو عِنْدَهُ سَاعَةُ إِنْهاءِ ظُرُوفِ هـٰذِهِ الحياة.

• ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾:

أي: لَيْسَ مِنْ وظِيفَتِكَ أَنْ تُبَيِّنَ لِلسَّائِلِينَ وَقْتَ قِيامِ السَّاعَةِ، وقَدْ أَخْفَاهُ رَبُّكَ عَلَى كُلِّ عِبَادِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ والإِنْسِ والْجِنّ.

إِنَّما وَظِيفَتُكَ أَنْ تُنْذِرَ بِعِقَابِ اللهِ مَنْ يَخْشَىٰ السَّاعَةَ، وَمَا أَعْتَدَ بَعْدَهَا مِنْ عقابٍ وَعَذَابٍ لِلْكَافِرِينَ ومُرْتَكِبِي كبَائِرِ الإِثْمِ، فِي رِحْلَة الامْتِحَانِ فِي

الحياةِ الدُّنْيا، ولعَلَّ الرَّسُولَ ﷺ تَحَدَّثَتْ نَفْسُهُ بِمَعْرِفَةِ وقت قيام السَّاعةِ لِيُجيب السائِلِينَ عَنْهُ، فَأنزل اللهُ عَلَيْهِ مَا جاءَ بيانه في هذه السورة.

■ وأبان الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنَّ نُفُوسَ الْمَوْتَىٰ لَا تُحِسُّ بِمُرُور الزَّمَنِ مَهْمَا طَالَ، فاللَّحَظَاتُ ومِلْيَارَاتُ السِّنِينَ سَوَاءٌ بالنِّسْبَةِ إليها، فقال الله ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَزَّ سُلْطَانُه ـ:

• ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾:

أي: كَأنَّ إحْسَاسَهُمْ بالزَّمَنِ يَوْمَ يَرَوْنَ الْبَعْثَ وَبَعْضَ أَحْدَاثِ مَا بَعْدَ الْبَعْثِ؛ يُسَاوِي فِي تَقْدِيرِهِمْ زَمَنَ نَوْمَةٍ نَامُوهَا بَعْدَ ظُهْرِ يَوْمٍ وَاحِدٍ، أَوْ نَوْمَةٍ نَامُوهَا قَبْلَ ظُهْرِ هـٰذا الْيَوم.

الْعَشِيَّة: نِصْفُ النهار الثَّانِي إلى الْغُروب.

الضُّحَىٰ: أَوَّلُ النَّهَارِ مُنْذُ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ إلى الزَّوَال، وضُحَىٰ العشية: أَوَّلُ نَهَارِ يَوْمِ الْعَشِيَّة.

وجاءت عبارةُ ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ للتَّنَاظُرِ بَيْنَ رُؤُوسِ الآيَات، مَعَ مَا فِيها مِنْ دَلَالَةٍ أنَّ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ واحِدٍ لَا أكْثَر.

وبهذا يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ إحْسَاسَ الميِّتِ بالزَّمَنِ فِي عَهْدِ آدَمَ عليه السلام؛ نَظِيرُ إحْسَاسِ الميِّتِ بالزَّمَنِ قُبَيْلَ سَاعَةِ إنْهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنيا.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ السَّادِس مِنْ دُرُوس سورة (النازعات) وهو الدَّرْس الأخير مِنها.

والحَمْدُ للهِ علَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وَفَتْحِه.

❁ ❁ ❁

(١٠)
ملحق: مستَخرَجَات بلَاغِيّة من سُورة (النازعات)

في هـٰذِهِ السُّورَةِ اخْتِيَارَاتٌ بَلَاغِيَّةٌ مُتَعَدِّدَة، مِنْها الاختيارات التاليات:

أولاً:

من الاستعارة قول اللهِ تَعَالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾:

اسْتُعِير لَفْظُ «الْمُرْسَى» وهُو مَحَطّ السّفينَةِ بالسَّاحِلِ، للدَّلَالَةِ بِهِ على وَقْتِ انْتِهاءِ ظُروفِ الحياةِ الدُّنْيا، وَقِيامِ السَّاعَة.

ثانياً:

من اقتطاع النَّصّ مِنْ وقْتِ حُدُوثِهِ وَتَقْدِيمِهِ كأَنَّهُ يَجْرِي عِنْدَ التكلُّمِ بِهِ؛ قول اللهِ تَعالى في حكَايَةِ مَا قَال لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾:

لم يأتِ في التعبير عبارة: فقال له، وإنَّما جَاءَتِ العبارة مقتطعةً من الحدَثِ الماضِي.

ثالثاً:

من القصر، وهو تخصيص شيءٍ بشيءٍ بعِبَارَةٍ كَلامِيَّة تَدُلُّ عَلَيْهِ، ومِنْه في السُّورة ما يلي:

(١) قولُ اللهِ تَعالَىٰ بشَأْنِ صَيْحَةِ الْبَعْث:

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾:

أي: فَمَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ زَاجِرَةٌ وَاحِدَةٌ، فإذَا الْمَوْتى مَبْعُوثُون إلَىٰ الحياةِ، وهُمْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْض.

والأداة المستعملة في هذا الْقَصْر لفظ: «إنَّما»، وهو بمعنى «ما» و«إلّا».

(٢) قول الله تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ السَّاعَة:

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾:

أي: مَا وَظيفَتُكَ يَا مُحَمَّد بالنسبَةِ إِلَىٰ السَّاعَةِ إلَّا أَنْ تُنْذِرَ مَنْ يَخْشَىٰ السَّاعَة وَمَا يَكُونُ بعْدَهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ وَعَذَابِه.

رابعاً:

من الإيجاز بالحذْفِ في السُّورَة ما يلي:

(١) قول الله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾:

الراجِفَة، والرَّادفَةُ، كُلٌّ مِنْهُمَا صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ إيجازاً، أي: يَوْمَ تَرْجُفُ وتَتَزَلْزَلُ كُلُّ كائِنَةٍ قَابِلَةٍ لِأَنَّ تَرْجُفَ وتَتَزَلْزَلَ فِي الكَوْنِ، بِتَأْثِيرِ النَّفْخَةِ الأُولَىٰ فِي الصُّور، ثُمَّ بِتَأْثِيرِ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ فِيه.

(٢) قول الله تَعَالَىٰ:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾:

أي: وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْهوىٰ.

(٣) قول اللهِ تَعَالَىٰ بِشأْنِ السَّاعَة وَوَقْتِ قِيامِهَا:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾:

أي: إلَىٰ رَبِّكَ عِلْمُ مُنْتَهىٰ الحياة الدُّنْيا، وقِيَامِ السَّاعَة.

خامساً:

من الإطْنَاب لِتَعْلِيم أُسْلُوبِ دَعْوَةِ عُظَمَاءِ النَّاس إلَىٰ دِينِ اللهِ قول اللهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسْلُوبَ دَعْوَةِ فِرْعَوْن:

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾:

فَعِبَارَةُ: «هَلْ تَزَكَّىٰ» كافِيَةٌ، لَكِنَّ مُقَدِّمَاتِ مُدَارَاتِ فِرْعَوْن اسْتَدْعَتِ الإطْنَاب.

سَادِساً:

من الاستفهام الخارج عَنْ أصْلِ دَلَالَتِهِ وهو طَلَبُ الإفهام؛ ما يلي:

(١) ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾؟:

يُرَادُ بالاسْتِفْهَامَيْنِ هُنَا الاسْتِبعادُ، والاسْتِغْرَابُ، والإنْكَارُ.

(٢) قول اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾؟:

يُرَادُ بِالاسْتِفْهَامِ هُنَا الإعْلَامُ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ غَيْرِ الْعَالم، والتَّذْكيرُ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ العالم.

(٣) قول اللهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسْلُوبَ خِطَابِ فِرْعَوْن:

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾؟:

يُرَادُ بالاسْتِفْهَامِ هُنَا الْعَرْضُ بِرِفْق.

(٤) قول اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً لمنْكِرِي الْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّين:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾؟:

يُرَادُ بالاسْتِفْهَامِ هُنَا الإقْنَاعُ، وانْتِزَاعُ الإقرار.

(٥) قول اللهِ تَعالَىٰ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ سُؤَال الْكَافِرِينَ عَنْ وَقْتِ قِيام السَّاعَة:

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾؟:

يُرَادُ بالاسْتِفْهَامُ هُنَا النفي، أي: لَسْتَ يَا مُحَمَّد في شيءٍ مِنْ ذِكْرَاهَا، فلا تَجْعَل مَعْرِفَةِ وَقْتِ قِيام السَّاعَةِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتي تُعْنَىٰ بها.

سَابعاً:

من التوكيد لداعٍ أَوْ أكْثرَ من الدَّواعي البلاغية؛ ما يلي:

(١) قول اللهِ تَعالَى:

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾﴾:

في هٰذِهِ الآيَات التوكيدُ بالْقَسَم عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ وَيَوْمَ الدِّينِ حَقٌّ، مع مَا فيها مِنْ حَذْفِ المقْسَمِ عَلَيْهِ إيجازاً.

وفيها التوكيد بالمفْعُولِ المطْلَقِ أَوْ بِصَفَتِهِ «غَرْقاً ـ نَشْطاً ـ سَبْحاً ـ سَبْقاً».

(٢) قول اللهِ تَعالَىٰ بِشَأْن إهْلَاكِ فِرْعَوْن:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾:

في هٰذِهِ الآيةِ التَّوْكيد بـ: «إنّ ـ والجملَة الاسمية ـ واللام المزحْلَقة».

وأكْتفي بهذهِ المسْتَخْرَجاتِ الْبَلَاغِيَّةِ، والحمدُ للهِ على مَعُونَتِه، ومَدَدِه، وتَوفِيقِه، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

سورة الانفطار

٨٢ مصحف ٨٢ نزول

وهي سورة مَكِيَّة بلا خلاف



(١)

نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

---

٧ ـ • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائيّ، وخلف: [فَعَدَلَكَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [فَعَدَّلَكَ]، بِتَشْدِيدِ الدّال.

٩ ـ • قرأ أبو جعفر: [يُكَذِّبُونَ] بياء الغائبين.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [تُكَذِّبُونَ] بتاء المخاطبين.

١٩ ـ • قرأ ابْن كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [يَوْمُ لَا].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يَوْمَ لَا].
وهما وَجْهانِ عَرَبيان جَائزان.

(٢)
مما ورد في السنة بشأن سورة (الانفطار)

روى النّسائِي بِسَنَدِه عَن جابر رضي الله عنه، قال: قَامَ مُعَاذٌ رضي الله عنه فَصَلَّىٰ الْعِشَاءِ الآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فقال النبيُّ ﷺ:

«أفَتَّانٌ يا مُعَاذ؟!، أفَتَّانٌ يا مُعَاذ؟!، أين كُنْتَ عَن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾؟!».

(٣)
موضوع سورة (الانفطار)

موضوع هذه السورة يَتَنَاوَلُ بياناً مُوجزاً حَوْلَ يَوْمِ الدّين.

ففيه لقَطَاتٌ مِنْ أحداثِ القيامَةِ، فبَيَانٌ إقناعِيٌّ للإنْسَانِ الكافِرِ بيَوْمِ الدِّين، فَبَيَانٌ بأَنَّ كُلَّ الموضُوعينَ فِي الحياةِ الدُّنْيا مَوْضِعَ الامْتِحانِ؛ مَلاحقُون بِكِتَابَةِ أعْمَالِهِمْ مِنْ قِبَلِ ملائِكَةٍ كِرَامٍ كاتِبينَ يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ أعْمَالٍ ظَاهِرَة وأعْمَالٍ باطِنَةٍ داخِلَ النفس، فَبيَانٌ يَتَعَلَّقُ بمصير الأبرار يَوْمَ الدِّين، وأَنَّهُمْ يَكُونُون فِي نَعِيم، ومَصِيرِ الْفُجَّارِ يَوْمَ الدِّين وأَنَّهُمْ يَكُونُون فِي جَحِيم، وختامٌ يَتَعَلَّقُ بِيَوْمِ الدِّين.

(٤)
دروس سورة (الانفطار)

ظَهَر لي أَنَّ هـٰذِهِ السُّورَةَ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ أرْبَعَةِ دُروس، وهي كما يلي:

الدرس الأوّل: الآيَات من (١ ـ ٥).

وفي آيات هذا الدَّرْسِ لَقَطَاتٌ مِنْ أَحْدَاثِ القيامَةِ؛ يَليهَا بَيَانُ بَعْثِ الْأَحْيَاءِ مِنَ الأَمَاكِنِ الّتِي بَقِيَتْ فِيها نَوَيَاتُ بَعْثِهِم، وعِنْدَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا فَعَلَتْ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ، وما أَخَرَّتْ فَلَمْ تَفْعَلْ مِمَّا فِيه تَرْكُ طَاعَةٍ للهِ أَوْ مَعْصِيَةٍ.

الدّرس الثاني: الآيات من (٦ ـ ١٢).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْس فِقَراتٌ إقْنَاعِيَّةٌ للإنْسَانِ الكافر، الشَّامِلِ لِكُلِّ الْكَافِرين باللهِ وَبِيَوْم الدِّين، معَ زَجْرٍ لَهُمْ فَتَحْذِيرٍ بأنَّهُمْ مُلَاحقُونَ بِكِتَابَةِ أعْمَالِهِمُ الْجَسَدِيَّةِ الظَّاهِرَة، وأعْمَالِهِمُ النَّفْسِيَّةِ الْبَاطِنَة، مِنْ قِبَلِ مَلَائِكَةٍ كِرَامٍ كَاتِبِين، يَعْلَمونَ مَا يَفْعَلُ الموضوعُونَ فِي الحياة الدُّنيا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، مِنْ أفْعَالٍ نَفْسِيَّةٍ، وأَفْعَالٍ جَسَدِية.

الدَّرْسُ الثالث: الآيات من (١٣ ـ ١٦).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ بيانُ مَصِيرِ الْأَبْرَارِ يَوْمَ الدِّين، وأَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي نَعِيم، وبَيَانُ مَصِيرِ الْفُجَّارِ يَوْمَ الدِّين، وأنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي جَحِيمٍ يَحْتَرِقُونَ بِنَارِها، ولَا يُفَارِقُونَها.

الدَّرْس الرابع: الآيات من (١٧ ـ ١٩) آخر السورة.

وفي آيات هذا الدَّرس إعْلَامٌ بأنَّ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمٌ عَظِيمٌ خَطِيرٌ، غَايَةٌ فِيما خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ وَدُبِّرَ لَهُ بِتَقْدِيرِ اللهِ وَقَضائِهِ، مَعَ بيانِ أنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ فِيهِ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، فَلَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شيئاً، مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرّ.

❋ ❋ ❋

(٥)
التدبر التحليلي للدّرس الأوّل من دُرُوس سورة (الانفطار)
الآيات من (١ ـ ٥)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:



﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾:

تمهيد:

فِي آيات هـٰذا الدّرْسِ لقَطَاتٌ مِنْ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ، ويليها بَيَانُ بَعْثِ الْأَحْيَاءِ مِنْ الأماكِنِ الَّتِي بَقِيَتْ فِيها نَوَيَاتُ بَعْثِهِم، وعنْدَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا فَعَلَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرّ، وتَعْلَمُ مَا أَخَّرَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ مِمَّا فِيهِ تَرْكُ طَاعَةٍ للهِ، أَوْ تَرْكُ مَعْصِيَة.

التدبّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾:

دَلَّتْ هـٰذِهِ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ مِنْ أَحْدَاثِ القيامَةِ انْفِطَارُ السَّمَاءِ، أي: انْشقاقُها.

يقال لغة: «انْفَطَرَ الشيءُ» أي: انْشَقَّ.

وانْفِطَارُ السَّمَاءِ يَكُونُ بانْشِقَاقٍ يَحْدُثُ بَيْنَ أجْزَائِهَا المتَمَاسِكَةِ، في الْبِنَاء التَّجَاذُبِيِّ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لها.

وجَاءَ بِشَأْنِ انْشِقَاقِ السَّمَاء مِنْ أَحْداثِ القيامَة:

(١) قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي سورة (الفرقان/ ٤٢ نزول):

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾.

(٢) وقول اللهِ تَعَالى في سورة (الحاقة/ ٧٨ نزول):

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦﴾:

أي: فهِيَ يَوْمَئِذٍ ضَعِيفَةُ التَّماسُكِ بَيْنَ أجْزَائِها وأَجْرَامِهَا.

(٣) وقولُ اللهِ تَعَالَى في سورة (الانْشقاق/ ٨٣ نزول):

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢)﴾:

أي: وأطاعَتْ لِأَمْرِ رَبِّهَا فِي تصارِيفِهِ لِأَحْدَاثِ القيامَةِ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ طاعةً جَبْرِيَّةً، لَا تَخْرِمُ مِن الأَمْرِ التَّكْوينيِّ الرَّبَّانِيِّ لَهَا شيئاً، لِأَنَّ الله إِذَا أَرَادَ فِي كَوْنِهِ شيئاً قالَ لَهُ: كُنْ، فَهُو يَكُونُ كما جاء في الأَمْرِ، إيجاداً أو إِعْدَاماً، أو تغييراً أَوْ تَحْوِيلاً، أَوْ غير ذلك.

٤ ـ وقول اللهِ تعالى في سورة (الرَّحْمٰن/ ٩٧ نزول):

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ (٣٧)﴾:

أي: فإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَصَارَتْ مِثْلَ وَرْدَةٍ ذَاتِ أَوْرَاقٍ حَمْراءَ كالْجُلُودِ الْحَمْراء، وهٰذا مِنْ أَحْدَاثِ القيامَة.

الْوَرْدَة: تُطْلَقُ على الزَّهْرَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مَعَ أَوْرَاقِ الشّجر، فَهِيَ تَزِيدُ فِي جَمالِ الشَّجَرَةِ، ولِأَشجار الْوَرْدِ أَزْهَارٌ بَدِيعَةٌ هِيَ ثَمَرَاتُها، وهِي ذَواتُ أَلْوَانٍ، ومِنْهَا الْوُرُودُ الْحَمْرَاء.

الدِّهَان: مِنْ مَعَانِيهِ الْجُلُودُ الْحَمْرَاء، والظَّاهِرُ أَنَّهَا هي المرادة هُنَا.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢)﴾:

الظاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بالكواكِبِ نُجُومُ السَّماءِ، أَمَّا الكواكِب في عِلْمِ الفلَكِ فَهِي الأجْرام السَّماوِيَّةُ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الشمس، وتقْتَبِسُ من الشَّمْسِ نورها.

وانْتِثَارُ الكَواكِبِ تَفرُّقُها عَلَىٰ غَيْرِ نِظَامٍ، وخُرُوجُها عَنْ خُطُوطِ مَدَارَاتِها، ويَكُونُ هٰذا لإعَادَةِ تَنْظِيمها تَنْظِيماً مُلَائماً لِأَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّين، إِذْ تُبَدَّلُ السَّمَاءُ غَيْرَ السَّمَاءِ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي التَّبْدِيلِ إعْدَامُ الْمُبَدَّلِ، وخَلْقُ سَمَاءٍ بِإِبْدَاعٍ جَدِيد.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ:

• ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾. وجاء في سورة (التكوير/ ٧ نزول) قول اللهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾:

التَّفْجير: يَأْتِي بمَعْنَىٰ بَعْثِ ودَفْعِ الشّيْءِ بِعُنْفٍ وَقُوَّةٍ، كَتَفَجِيرِ الْمَاءِ مِنْ مَنابِعِهِ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ.

والتَّسْجِيرِ: يأتِي بِمَعْنَىٰ إِيْقَادِ الشَّيْءِ وجَعْلِهِ مُلْتَهِباً نَاراً، ويَأْتِي بمَعْنَىٰ مَلْءِ الشَّيْءِ.

وبالتَّأَمُّلِ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ؛ يَتَرَجَّحُ لَدَىٰ المتدَبِّر أَنَّ الْمُرَادَ بتَفْجِيرِ الْبِحَارِ بَعْثُ بَرَاكِينَ مِنْ باطِنِ الْأَرْضِ تَحْتَ الْبَحَارِ، فَيَكُونُ مِنْ أَثَرِهَا تَفَجُّرُ البِحَارِ في اتِّجاهِ سَمَاوَاتِها، وَتَنْدَفِعُ مَعَ الْبَراكِينِ نِيرَانٌ شَدِيدَةٌ مِنْ باطِنِ الْأَرْض تَجْعَلُ مِياه الْبِحارِ ضِمْنَ لَهَبِ نِيرَانِ البراكينِ، وَوَقُوداً مُضَافاً لها.

وهٰذِه المسْتَقْبَلِيَّاتُ أَحْدَاثٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَحْدَاثِ القِيامَة.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾:

أي: وإِذَا الْقُبُورُ أُثِيرَتْ، وَأَخْرِجَ مَا كانَ مَدْفُوناً فِيهَا مِن نَوَيَاتِ أَحْيَاءٍ، وبُعِثَتْ إِلَىٰ الْحَيَاةِ بِخَلْقِ اللهِ، لِيَوْمِ الْحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وتَنْفِيذِ الجزاء.

يُقال لغة: «بَعْثَرَ الشَّيْءَ» أي: فَرَّقَهُ وَبَدَّده. ويُقَالُ: «بَعْثَرَ المخْبُوءَ» أي: أَثَارَهُ واسْتَخْرَجه.

وهَـٰذَا مِنْ أَحْدَاثِ القيامَة، الَّتِي تَكُونُ بالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ فِي الصُّور.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾:

أي: إذا حَدَثَتْ مُسْتَقْبَلاً أَحْدَاثُ انْفِطارِ السَّمَاءِ، وانْتِثَارِ الكواكب،

وتفجير البحار، وبَعْثَرَةِ الْقُبُور؛ فَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ ما قَدَّمَتْ لِحِسَابِهَا بَيْنَ يَدَي رَبِّها مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ تُثَابُ عَلَيْهِ، وعَمَلٍ سَيِّئٍ تُعَاقَبُ عَلَيْه، ومَا أَخَّرتْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهَا أَنْ تَعْمَلَهُ فَلَمْ تَعْمَلْهُ، فَهِيَ تُعَاقَبُ عَلَىٰ تَأْخِيرِهِ عَنْ سُلُوكِهَا الإراديّ، مَعْصِيَةً لِرَبّها، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ كَانَ مِنَ الواجِبِ عَلَيْها أَنْ لَا تَفْعَلَهُ طَاعَةً لِرَبّها، فَلَمْ تَعْمَلْهُ، فَهِي تُثَابُ على تَرْكِهِ وَتَأْخِيرِهِ عَنْ سُلُوكِهَا الإِرَادِيّ طَاعَةً لِرَبَّهَا.

وعلْمُ كُلِّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ وَمَا أَخَّرَتْ يَكُونُ بالنَّظَرِ فِي كِتَابِ أَعْمَالِهَا، الَّذِي كَتَبَتْ فِيهِ المَلائكةُ الكِرامُ كُلَّ صَغِيرَةٍ وكُلَّ كَبِيرَةٍ مِنْ سُلُوكِهَا الإِرَادِيّ، الظَّاهِرِ الْجَسَدِيّ، والباطِنِ النَّفْسِيّ، ويَعْلَمُهُ أَيْضاً بِتَذَكُّرِهِ لِكُلِّ مَا سَعَىٰ فِي رِحْلَةِ الحياةِ الدُّنْيا رِحْلَةِ الامْتِحَان.

وعِلْمُ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ مِنْ سُلُوكٍ إِرَادِيّ؛ يُعِدُّهَا لاستقبال حِسَابِ رَبِّها وفَصْلِ قَضَائِهِ، في مَحْكَمَةِ الفَضْلِ والْعَدْلِ الَّتي يُقِيمُها لعباده، الَّذِينَ كَانُوا في الحياة الدُّنيا مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الامتحان.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّر الدَّرْس الأوَّلِ من دُروس سورة (الانفطار).

والحَمْدُ للهِ على معُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفتحِهِ.



(٦)
التدبّر التحليلي للدّرس الثاني من دُروس سورة (الانفطار) الآيات من (٦ ـ ١٢)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾:

القراءات:

(٧) • قَرَأَ عَاصِمٌ، وحمزة، والكِسَائي، وخلف: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بفتح الدال دُونَ تَشْدِيد.

وقرأها باقي القرّاءِ العَشَرةِ: [**فَعَدَّلَكَ**] بفتح الدّال مُشَدَّدَة، وهذه القراءة فيها دَلَالَةٌ علىٰ أنَّ التَّعْدِيل غَايَةٌ فِي الإتْقَان.

(٩) • قرأ أبُو جَعْفَر: [**يُكَذِّبُون**] بِيَاء الْغَائِبِينَ.

وقرأهَا باقي القرّاء العشَرة: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بتَاء المخاطَبين.

وبيْنَ القراءَتَيْنِ تكَامُلٌ في الْأَدَاءِ البياني.

تمهيد:

في آياتِ هـٰذا الدّرس فِقَرَاتٌ إقْنَاعِيَّةٌ للإنْسَانِ الكافِرِ، الشَّامِلِ لِكُلِّ الْكَافِرِينَ باللهِ وبِيَوْم الدِّين، مَعَ زَجْرٍ لَهُمْ، فَتَحْذِيرٍ بأَنَّهُمْ مُلَاحقُون بِكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ الْجَسَدِيَّةِ الظَّاهِرَة، وأَعْمَالِهِمْ النَّفْسِيَّة الباطِنَةِ، مِنْ قِبَلِ مَلَائِكَةٍ كِرَامٍ كاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُ الموضُوعُونَ في الحياة الدُّنْيا مَوْضِعَ الامْتِحانِ، من أَعْمَالٍ نَفْسِيَّةٍ باطِنَةٍ، وأَعْمَالٍ جَسَدِيَّةٍ ظَاهِرَة مَعَ الْعِلْمِ بنِيَّاتِهِمْ المحدِّدَة لِغَايَاتِهِمْ ومقاصِدِهِمْ مِنها.

التدبّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ خطاباً يَتَنَاوَلُ كُلَّ إنْسَانٍ كَافِرٍ يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين، بأسْلُوبِ الْخِطَابِ الإفْرَادِي:

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾:

• ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾؟ أي: مَـا الـشَّـيْءُ الَّـذِي خَـدَعَـكَ

وَأطْمَعَكَ بالْبَاطِلِ، الَّذِي هُوَ الكُفْرُ بِرَبِّكَ وَبِمَا جاءَكَ مِنْ عِنْدِه عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِه عليه السلام، والتَّكْذِيبُ بالجزاء وَبِيَوْمِ الدِّينِ.

يقالُ لغة: «غَرَّ فُلَاناً شَيْءٌ مَا» أي: خَدَعَهُ وَأَطْمَعَهُ بالْبَاطل.

بِرَبِّكَ: أي: بِالْمُهَيْمِنِ عَلَيْكَ دَوَاماً وَالمتَصَرِّفِ فِيكَ والْمُمِدِّ لَكَ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، خَلْقاً، وإِمْدَاداً، وَرِزْقاً، وعَافِيَةً، وَمَرَضاً، وَحَيَاةً، ومَوْتاً، وابْتِلَاءً وَجَزَاءً، إِلَىٰ سَائِرِ التَّصَارِيفِ الَّتِي تَجْرِي فِيكَ، مِمَّا يَسُرُّكَ، ومِمَّا يُحْزِنُكَ، ومِمَّا يَلَذُّكَ ومِمَّا يُؤْلِمُكَ، وهُوَ الَّذِي يجْزِي فَاعِلَ الحسَنَةِ طَاعَةً لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ أَضْعَافٍ كثيرة، وهو الذي يجْزِي فاعِلَ السَّيِّئَةِ مَعْصِيَةً لَهُ بِمِثْلِهَا، وَيَعْفُو عَنْ كثير.

الكَرِيم: أي: الْمَحْمودُ بِكُلِّ الصِّفَاتِ الحسنة النَّفِيسَة، والجامِعُ لِكُلِّ أَنْوَاعِ وَأَفْرادِ الخير والشَّرَفِ والفضائل، والمنزَّهُ عَنْ كُلِّ النَّقائِصِ والدَّنايا.

• ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾: أي: مَا خَدَعَك وأطْمَعَك بالكُفرِ بِرَبِّكَ وَبِمَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكَ وَأَوْجَدَكَ مِنَ الْعَدَمِ، بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ، عَلَىٰ وَفْقِ حِكْمَتِهِ، المقْتَرِنَةِ بِعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شيْءٍ.

• ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: أي: أَبْلَغَكَ الْغَايَةَ الْمَقْضِيةَ لَكَ، فجعَلَكَ تَامّاً مُسْتَوِياً بالِغاً الغايَةَ المقْصُودَةَ مِنْ خَلْقِكَ وَصُنْعِكَ.

وفي التَّسْوِية معْنَىٰ إِحْكَامِ مَقَادِيرِ أَجْزَاءِ المصْنُوعِ، من عَنَاصِرَ وصُوَرٍ، وجَعْلِهِ يَتَدَرَّجُ فِي الإِنْشَاءِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ مُسْتَوِياً تَامّاً، بالِغاً الْغَايَة المقْضِيَّةَ لَهُ فِي إِعْدَادِ خُطَّةِ تكْوِينِهِ.

• ﴿فَعَدَلَكَ﴾: أي: فَأَعْطَىٰ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِكَ الظَّاهِرَةِ والْبَاطِنَةِ، وَكُلَّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَاكَ، حَقَّهُ مِنَ الْمَوَادِّ والْعَنَاصِرِ المكَوِّنَةِ له، حتَّىٰ يَبْلُغَ الْغَايَةَ المقْصُودَةَ مِنْ خَلْقِهِ.

إنّ للدِّمَاغِ مِقْدَاراً مِنَ الموادِّ والْعَنَاصِرِ، والْعَدْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سائِرِ الْأَعْضَاءِ يَقْتَضِي إعْطَاءَهُ المقدَارَ الَّذِي يُبَلِّغُهُ الْغَايَةَ المَقْضِيَّة له.

وإنّ لِلْعَيْنِ مِقْداراً من الموادِّ والْعَنَاصِرِ الْمُكَوِّنَةِ لها، والْعَدْلُ بَيْنَها وبَيْنَ سَائِرِ الأَعْضَاءِ والْجَوارِحِ؛ يَقْتَضِي إعْطَاءَهَا مِنَ الموادِّ والْعَنَاصِرِ المقدار الذي يُبْلِغُهَا الغايَةَ المقضيَّةَ لَهَا.

وهَكَذَا إلَىٰ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ والجوارحِ والْخَلَايا.

وقانُونُ اللهِ فِي التَكْوِينِ قَائِمٌ عَلَىٰ الْعَدْلِ، لَا عَلَىٰ جَعْلِ المكَوّنَاتِ مُتَسَاوِيةً فِي ذَوَاتِهَا وصِفَاتِهَا.

والْعَدْلُ: هُو إعْطاءُ كُلِّ شَيْءٍ حَقَّهُ مِنَ الذَّوَاتِ والصِّفَاتِ.

والمكَوَّنَاتُ في الْوُجُود مُتَفَاضِلَاتٌ فِيما بَيْنَهَا عَلَىٰ سُلَّمِ ذِي دَرَجَاتٍ لَا تَكادُ تُعَدُّ وَتُحْصَىٰ، والمتَفَاضِلَاتُ فِيما بَيْنَها يُلَائِمُهَا قَانُونُ الْعَدْل، لَا قَانُونُ الْمُسَاواة، إنّ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ المتَفَاضِلَاتِ ظُلْمٌ لِلْفَاضِلِ، ومُحَابَاةٌ للمفْضُولِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وهُوَ أَمْرٌ بَاطل مُنَافٍ لِلْحَقِّ.

• ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾:

أي: رَكَّبَ أجْزَاءَكَ تَرْكِيباً تَمَّ بِهِ جَعْلُكَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي شَاءَ أَنْ يَجْعَلَكَ فيها، وهَكَذا نَرَىٰ أنَّ لِكُلِّ إنْسَانٍ صُورَةً خَاصَّةً مَيَّزَهُ بها، ضِمْنَ المخَطَّطِ الْعَامِّ الشَّامِلِ لِأَفْرَادِ النَّوْعِ.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خِطابٍ عامٍّ مُوجَّهٍ للمكَذِّبينَ بالجزاء وبيوْمِ الدِّينِ بَعْدَ الْبَعْث:

• ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾:

• ﴿كَلَّا﴾: أداةُ زَجْرٍ لِلْمُكَذِّبين بالدِّين.

• ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩﴾: لَمْ تُؤْمِنُوا بِرَبِّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ فَسَوَّاكُمْ فَعَدَلَكُمْ، ولَمْ تُصَدِّقُوا بجزَائِهِ إِذْ إِنَّكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانٍ في الحياةِ الدُّنْيَا، ولَمْ تُصَدِّقُوا بالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدين، الَّذِي أَنْبَأكُمْ بِهِ عَنْ طَرِيق رَسُولِهِ عليه السلام فِيمَا أَنْزَلَ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ، بَلْ تُكَذِّبُونَ دوَاماً بالدِّين. فَبَلْ تَعْطِفُ على مَحْذُوفٍ ملاحظٍ ذِهْناً.

الدِّين: هو فِي اللُّغَةِ الجزاء، ولَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُحْمَلَ أيضاً عَلَىٰ يَوْمِ الدِّين، على تقدير مُضَافٍ مَحْذُوفٍ، ويَوْمُ الدِّينِ هُو يَوْمُ الجزَاءِ الْأَكْبر.

• ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾:

أي: وَإِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ جعَلَ عَلَيْكُمْ مَلَائِكَةً مُرَاقِبِينَ لَكُمْ، لَا يَنِدُّ عَنْ مُرَاقَبَتِهِمْ لَكُمْ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الظَّاهِرَةِ الْجَسَدِيَّة، والْبَاطِنَةِ النَّفْسِيَّة، وهُمْ حَافِظُونَ لَا يَفْلِتُ مِنْ ذَاكِرَاتِهِمْ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وهُمْ كِرَامٌ مُتَرَفِّعُونَ عَنِ النَّقَائِصِ، ومَتَحَلُّونَ بالْفَضَائِلِ، لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَهُمْ كاتِبُونَ يَكْتُبُونَ كُلّ صَغِيرَةٍ وكبيرَةٍ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الإرادِيَّةِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، فَاحْذَرُوا عِقَابَ رَبِّكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وآخِرَتِكُمْ يَوْمَ الدِّين.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّر الدَّرْسِ الثاني مِنْ دُرُوس سورة (الانفطار).

والحَمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٧)
التدبر التحليلي للدّرس الثالث من دُروس سورة (الانفطار)
الآيات من (١٣ ـ ١٦)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾:

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرْسِ بَيَانُ مَصِيرِ الأَبْرَار يَوْمَ الدِّين، وأَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي نَعِيمٍ، وَبَيَانُ مَصِير الْفُجَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، وأَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي جَحِيمٍ يَحْتَرِقُونَ بِنَارِها، وَلَا يُفَارِقُونَها.

التدبّر التحليلي:

الْأَبْرَار: هُمْ أَهْلُ الْمَرْتَبَةِ الْوُسْطَىٰ مِن مَرَاتِبِ المؤمِنِينَ، فَوْقَ مَرْتَبَةِ المتَّقِين، وَدُونَ مَرْتَبَةِ المحسِنِينَ، وهُمُ الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي فِعْلِ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ، فَوْقَ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي تَرْكِ المكْرُوهَاتِ فَوْقَ اجْتِنَابِ المحَرَّمَاتِ.

الفُجَّار: هم الّذِين يُسْرِفُونَ فِي ارْتِكَابِ الآثَامِ والجرائِمِ إِلَىٰ دَرَكَةِ الكُفْرِ الَّتِي لَا يَغْفِرُ اللهُ لِمَنْ يَنْحَطُّ إِلَيْهَا.

الفجور: هو الانْبِعَاثُ الْقَبِيحُ الْوَقِحُ الواسِعُ في فِعْل الشُّرُورِ والآثَام والكَبَائِرِ، وكُلِّ مَا فِيهِ ظُلْمٌ وضُرٌّ وبَغْيٌ وعُدْوان، دُونَ وَازِعٍ وَلَا رَادِعٍ مِنْ دَاخِلِ النفس.

وقَدْ جَعَلَ اللهُ الْفُجَّارَ مُقَابِلِينَ لِلأَبْرَارِ، فَالْأَبْرَارُ مُرْتَقُونَ فَوْقَ مَرْتَبَةِ المتَّقِينَ، والْفُجَّارُ مُنْحَطُّونَ إِلَىٰ مَا تَحْتَ دَرَكَاتِ الْعُصَاةِ الَّذِين قَدْ يَغْفِرُ اللهُ لَهُمْ إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ.

• ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾: أي: إنَّ الأبْرَارَ لَمُنْغَمِسُونَ فِي نَعِيمٍ مُحِيطٍ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ، وَدَاخِلٍ إِلَىٰ كُلِّ مَرَاكِزِ إِحْسَاسِهِمْ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيم يَوْمَ الدِّينِ، فَهُمْ يُنَعَّمُونَ دَواماً، وخالِدُونَ فِي جَنَّاتِ النعيم أبداً.

النَّعِيمُ: كُلُّ مَا يَلَذُّ الإنْسَانَ وَيَسُرُّهُ وَيُفْرِحُهُ وَيُسْعِدُهُ.

هٰذِه الْجُمْلَةُ مؤكَّدَة بـ: «إِنَّ ـ والجملة الاسمية ـ واللَّامُ المزَحْلَقَةِ»،

وقَدْ دَعَا إِلَىٰ هـٰذَا التَّوْكيدِ أَنَّ الخِطَابَ مُوَجَّهٌ فِي السِّبَاقِ لِلْكفَرَةِ المكَذِّبين بِالدِّين.

• ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾: وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَمُنْغَمِسُونَ فِي نَارٍ عَظِيمَةٍ مُحِيطَةٍ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ، وَنَافِذَةٍ إِلَىٰ كُلِّ مَرَاكِزِ إِحْسَاسهم، فَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِهَا دَوَاماً، وخالِدُونَ فِيها أَبَداً.

الْجَحِيم: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّين. وكُلُّ نَارٍ عظِيمَةٍ فِي مَهْوَاةٍ يُطْلَقُ عَلَيْهَا في اللُّغَةِ لَفْظُ «جَحِيم».

• ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾﴾: أي: يَدْخُلُهَا الْفُجَّارُ يَوْمَ الدِّين يَوْمَ الجزَاءِ الأَكْبَرِ، ويَحْتَرِقُونَ بِلَهَبِ نَارِهَا.

يُقَالُ لُغَة: «صَلِيَ النَّارَ، وَصَلِيَ بها» أي: احْتَرَقَ فيها، ولَامَسَ لَهَبُهَا جَسَدَهُ مُحْرِقاً.

• ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾: أي: وَمَا الْفُجَّارُ يَوْمَ الدِّينَ بِغَائِبِينَ عَنِ الْجَحِيم، لَا غِيَاباً أَبَدِيّاً، ولَا غِيَاباً مُؤَقَّتاً، بَلْ هُمْ خَالِدُونَ فِيها دَوَاماً.

الباء في ﴿بِغَآئِبِينَ﴾ مَزِيدَةٌ لِلتَّوْكِيد.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّر الدَّرْسِ الثالث مِنْ دُرُوس سورة (الانفطار).

والحَمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفتْحِهِ.



(٨)

التدبّر التحليلي للدّرس الرابع من دُروسِ سورة (الانفطار) الآيات (١٧ ـ ١٩) وهي آخر السورة

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾:

القراءات:

(١٩) • قرأ ابْنُ كثير، وأبو عَمرو، ويعقوب: [يَوْمُ لَا] بِرَفْعِ الميم.

وقرأها باقي القرَّاء العشرة: ﴿يَوْمَ لَا﴾ بفَتْحِ الميم.

وهُمَا وَجْهَانِ عَرَبيَّان جائزان، فرَفْعُ «يَوْمُ» على أنَّهُ بَدَلٌ من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، أو علىٰ أنَّهُ خَبَرٌ لمبتدأٍ مَحْذُوف، أي: هو يَوْمُ الدِّين. وفَتْحُ «يَوْمَ» على أنَّهَا فَتْحَةُ بناء، لإضافَتِهِ إلَىٰ الْجُمْلَةِ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هذا الدّرْسِ إعْلَامٌ بأَنَّ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمٌ عَظِيمٌ خَطِيرٌ، غايَةٌ فِيمَا خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ وَدُبِّرَ لَهُ بِتَقْدِيرِ اللهِ وقضائِه، مع بيانِ أنْ الْأَمْرَ كُلَّهُ فيه للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً، مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ.

التدبر التحليلي:

• ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾: اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ مِنْ عَظَمَةِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمِ الجزاءِ الْأَكْبَرِ، الَّتِي سَوْفَ تَحْدُثُ بَعْدَ الْبَعْث.

أي: أعْظِمْ مُتَعَجِّباً أَيُّها المتَلَقِّي من الْأَحْدَاثِ الْكُبْرَىٰ الْخَطِيرَةِ الّتي سَوْفَ تَحْدُثُ يَوْمَ الدِّين.

هَذَا الاسْتِفْهَامُ وَنظيرُهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَىٰ عِلْمِ المخاطَبِ بِمَا هُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أي: أنْتَ لَا تَدْرِي مَهْمَا انْطلقْتَ سَابحاً فِي التَّصَوُّرِ مَبْلَغَ عَظَمَةِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ العظيم، إلَّا إذا أعْلَمْنَاكَ بِذَلِكَ، وفي هٰذا دَلَالَةٌ كَافِيَةٌ عَلَىٰ أَنَّ أَحْدَاثَ يَوْمِ الدّين أحْدَاثٌ عَظِيمَةٌ جِدّاً.

قال المفسِّرُون في: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾؟! وأمْثَالِهَا: لَمْ تَبْلُغْ دِرَايَتُكَ إدْرَاكَ عَظَمَةِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ يَوْم الجزاءِ الْأَكْبَرِ.

أقول: لقد تكرَّر فِي القرآنِ المجيدِ مِثْلُ هـٰذا الاسْتِعْمَالِ، حتَّىٰ صَارَ مَعْلُوماً أَنَّهُ أُسْلُوبٌ قُرْآنِيٌّ مِنْ أَسَالِيبِ التَّعظيم والتَّكْبِيرِ والتهويلِ والتَّعْجِيب، وهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ فِي التَّعْبِير.

أي: أَعْظِمْ بِيَوْمِ الدِّينِ إعْظَاماً لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَدَىٰ إِدْرَاكِكَ.

وظاهِرٌ أَنَّ هـٰذِهِ الْعِبَارَةَ وَأَمْثَالَهَا أَبْلَغُ مِنْ عِبَارَتَي التَّعَجُّبِ والتَّعْجِيبِ المستَعْمَلَتَيْنِ عِنْدَ العَرَب، وهُما: «مَا أَعْظَمَهُ» و«أَعْظِمْ بِهِ»، فَهَاتَانِ العبارَتَانِ لَا تُدُلَّان عَلَىٰ عَدَم قُدْرَةِ الْمُخَاطَبِ علَىٰ إدْرَاكِ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ الّذِي يُرَادُ تَعْظِيمُهُ، وأَنَّ مَدَارِكَهُ لَا تَصِلُ إِلَىٰ الإحَاطَةِ بِهِ، بخِلَافِ الصِّيغَةِ القرآنِيَّةِ المبتَكَرَةِ فِي التَّعْجِيب.

• ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨﴾: أي: ثُمَّ مَهْمَا أَطَلْتَ التَّأَمُّلَ والتَّفْكِيرَ أزْمَاناً مُتَطَاوِلَةً؛ فإنَّ دِرَايَتَكَ لَا تَبْلُغُ إِلَىٰ إدْرَاك عَظَمَةِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمِ الجزاءِ الأَكْبَرِ، لِأَنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ تَصَوُّرَاتِكَ وَتَخَيُّلَاتِك مَهْمَا انْطَلَقْتَ سَابِحاً فيما تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ تَصَوُّرَاتٍ وَتَخَيُّلَات.

• ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾:

أي: وَمِنْ خَصَائِصِ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمِ الجزاءِ الأَكْبَرِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْبَعْث؛ أَنَّهُ يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ فِيهِ نَفْسٌ مِنْ نُفُوسِ كُلِّ المخْلُوقَاتِ، مِنَ الإنْسِ والجِنِّ والْمَلَائِكَةِ، مَهْمَا عَلَتْ مَنْزِلَةُ ومَكَانَةُ هـٰذا المخْلُوقِ عِنْدَ رَبِّهِ؛ أَنْ تَصْنَعَ أَوْ تَفْعَلَ شَيْئاً لِنَفْسٍ أُخْرَىٰ، ولَوْ كَانَتْ مِنْ أَحَبِّ النُّفُوسِ إِلَيْهَا.

والْأَمْرُ كُلُّهُ الْمُتَعَلِّقُ بِأَحْدَاثِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيم؛ لَيْسَ لِأَحدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِيهِ تَأْثِيرٌ مَا فِي شيْءٍ مَا، بَلْ هُو للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، ولَهُ الْحكْمُ، ولَهُ الْفِعْلُ، ولَهُ الْخلْقُ، ولَهُ الأَمْر، ولَهُ النَّهْيُ، وَلَهُ الإِذْنُ، ولَهُ الْحِسَابُ، ولَهُ القضاء، ولَهُ السُّلْطَانُ عَلَىٰ كُلِّ شيءٍ، جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّر الدَّرْسِ الرابع مِنْ دُرُوس سورة (الانْفِطَار) وبِهِ انْتَهَىٰ تَدَبُّر السُّورَةِ عَلَىٰ مَا فَتَحَ اللهُ به.

والحَمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفتْحِهِ.



(٩)
ملحق: مُستَخرَجَات بلاغيّة مِن سُورَةِ (الانفطار)

فِي هـٰذه السورة اخْتِيارَاتٌ بَلَاغيه مُتَعَدَّدَة، مِنْها:

أوّلاً:

مِنَ الْإيجازِ بالحَذْفِ قول اللهِ تَعَالى:

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ⑨﴾:

أي: ﴿كَلَّا﴾ زَجْراً لَكُمْ يَا أَيّهَا الَّذِينَ لَمْ تَنْتَفِعُوا بآيَاتِ اللهِ فيكُم، إذْ خَلَقَكُمْ فَسَوَّاكُم فَعدَلَكُمْ، وفي الصُّوَرِ الَّتِي شاءَهَا رَكَّبَكُمْ، فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَلَمْ تُؤْمِنُوا بِجَزَائِهِ، وبأَنَّكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانٍ، وبَعْدَ مَوْتِكُمْ سَوْفَ تُبعَثُونَ وتُحاسَبُونَ وتُجَازَوْنَ ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ تَكْذِيباً مُتَتَابِعاً ﴿بِالدِّينِ﴾ بِالْجَزاءِ وَبِيَوْمِ الجزاء الْأَكْبَر.

ثانياً:

من التوكيد لدَواعٍ بلاغيَّة:

(١) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩﴾:

(٢) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬﴾:

(٣) ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭﴾:

جاء التوكيدُ الموَجَّهُ لِلْمكَذِّبين في هذه الجمل الثلاث بـ«إِنَّ - والْجُمَل الاسميّة - واللَّام المزَحْلَقة».

(٤) ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾:

جاء التوكيد في هذه الجملة بحرف الجرّ الزائد «الباء».

ثالثاً:

في السُّورَة من البديعِ ما يُسَمَّى الموازَنَة، وهي تساوي الفاصِلَتَيْنِ في الوزن من الفقرتين المقترِنَتَيْنِ، مع اختلافِهما في الحرف الأخير مِنْهما.

ومن الموازنة في السورة ما يلي:

(١) ﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ .... ﴿ٱنتَثَرَتْ﴾.

(٢) ﴿فُجِّرَتْ﴾ .... ﴿بُعْثِرَتْ﴾.

(٣) ﴿لَحَـٰفِظِينَ﴾ .... ﴿كَـٰتِبِينَ﴾.

(٤) ﴿نَعِيمٍ﴾ .... ﴿جَحِيمٍ﴾.

وأكْتَفِي بهذهِ المستخرجاتِ الْبَلَاغِيَّةِ من هذه السورة.

والحَمْدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفتْحِهِ.





سورة الانْشقَاق

٨٤ مصحف ٨٣ نزول

وهي مَكّيَّة بلَا خلاف



(١)

نصّ السّورة ومَا فيها من فرش القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ

١٢ ـ • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكِسائي، وغَلَّظ ورش اللّامَ مع الفتح، ورقَّقَها مع التَّقْلِيل: [وَيُصَلَّىٰ].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَيَصْلَىٰ].

١٩ ـ • قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لَتَرْكَبَنَّ] على أن الخطاب للمفرد.
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَتَرْكَبُنَّ] على أن الخطاب للجماعة.

٢١ ـ • أبْدَلَ أبو جعفر الْهَمْزَةَ مِنْ: [قُرِئَ] يَاءً مَفْتُوحَةً وصْلاً، وساكِنَةً وَقفاً: [قُرِيْ] وَوَقَفَ حمزة، وهشام بخلفه كأبي جعفر: [قُرِيْ].

=

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

=٢١ ـ • قرأ أبو عَمْرو: [عَلَيْهِمِ الْقُرْآن].
وقرأَهَا حمزةُ، والكِسَائِي، ويَعْقُوبُ، وخلَف: [عَلَيْهُمُ الْقُرْآنُ].
وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ].
وهذا كُلُّهُ عِنْدَ الوصْل، وأَمَّا عِنْدَ الوقف فكُلُّهُمْ عَلَىٰ كَسْرِ الهاءِ وإِسْكَانِ الميم، مَا عَدَا حمزة، ويعقوب، فإنّهما يَقْرآنِ بِضَمْ الهاء وإِسْكَانِ الميم.
٢١ ـ • قرأ ابْنُ كثير: [الْقُرَانُ]. وكَذَٰلِكَ قَرَأَها حمزةُ في الوقف.

(٢)
مما وَرَدَ في السنة بشَأنِ سورة (الانشِقَاق)

١ ـ روى البخاري ومسلم وغَيْرُهُما عَنْ أَبِي رَافع رضي الله عنه، قال: «صَلَيْتُ مَعَ أَبي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَة (أي: العشاء) فقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ فَسجَدَ، (أي: عِنْدَ قول اللهِ تَعَالَىٰ فيها: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾). فقُلْتُ لَهُ، فقال: سَجَدْتُ خَلْفَ أبي الْقَاسِمِ ﷺ، فَلا أَزَالُ أَسْجُدُ فِيها حَتَّىٰ أَلْقاه».

٢ ـ وروى مسلم، وأَهْلُ السُّنَنِ، وغيرُهُمْ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَال: «سَجَدْنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ وفي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾».

٣ ـ ورَوىٰ ابْنُ خُزَيمَةَ، والرُّويَاني في مُسْنَدِه، والضياء المقدسي فِي المختارة، عَنْ بُرَيدَة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرأ فِي الظُّهرِ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ ونَحْوَها».

(٣)
موضوع سورة (الانشِقَاقِ)

يَدُور مَوْضُوعُ هـٰذِهِ السورة حَوْلَ الابْتِلَاءِ، والجزَاءِ، ويَوْمِ الدِّين.

فهو يتناوَلُ عَرْضَ لَقَطَاتٍ مِنْ أَحْدَاثِ الْقِيَامَة، وبَعْدَهَا خِطَابٌ للإنْسانِ خِطَاباً يَشْمَلُ كُلَّ فَرْدٍ من أفرادِ النَّاسِ الموضوعين فِي الحيَاةِ الدُّنْيا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، بأسْلُوبِ الْخِطَابِ الإفْرَادِيِّ، لإعْلَام كُلِّ فَرْدٍ بأنَّهُ مَحلُّ عِنَايَةِ الرَّبِّ في خِطابه، ومضْمُونُ هـٰذا الْخِطَابِ يَتَعَلَّقُ بِبَيانِ أَنَّهُ فِي رحْلَةِ الحياة كَادِحٌ، إمَّا فِي الْخَيْرِ وطَاعَةِ اللهِ، وإمَّا فِي الشَّرِّ ومَعْصِيَةِ الله، فَهُو في كُلِّ أحْوَالِهِ لَا يَخْرُجُ عَنْ قَانُونِ الكَدْحِ المتْعِبِ لَهُ، لَكِنَّهُ بَعْدَ كَدْحِهِ في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ مَجْزِيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الدِّينِ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ سَعْيٍ فِي حَيَاةِ ابْتِلَائه.

وهُنَا تَأْتِي لَقَطَاتٌ مِنَ الأَحْدَاثِ المستَقْبلِيَّةِ الَّتِي سَوْفَ تَكُونُ يَوْمَ الدِّين، من المشَاهِدِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بالثَّوَابِ أَوْ بالْعِقَابِ بِحَسَبِ مُكْتَسَبَاتِهِ الإرَادِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَها.

وبَعْدَ ذَلِكَ يُقْسِمُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِبَعْضِ آيَاتِهِ في كَوْنِهِ، علَىٰ أَنَّ النَّاسَ سَيَصِلُونَ مُسْتَقْبلاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا إِلَىٰ مَا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الصُّعُودِ في جَوِّ السَّمَاءِ تَمْكِيناً جُزْئِيّاً يَصِلُونَ بِهِ إِلَىٰ بَعْضِ كَوَاكِب الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّة، وهـٰذا بَيَانٌ عَنْ بَعْضِ الْأَنْبَاءِ الغيْبِيَّةِ المسْتَقْبَلِيَّةِ الَّتِي تَحقَّقَ بَعْضُها.

وبَعْدَهَا تَحَدَّثَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - عَنِ الْكَافِرِينَ حَدِيثَ تَعْجِيبٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، إِذْ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَهُم عَنْ رَبِّهِم، وإِذْ لَا يَسْجُدُونَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرآن. وأَبَانَ أَنَّهُمْ مُنْغَمِسُونَ فِي أَوْحَالِ التَّكْذِيب بالحقّ، وأَنَّ الله عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا يَعْمَلُونَ، فالْكَافِرُونَ مُنْذَرُونَ بِعَذابٍ أليم، أَمَّا المؤمنونَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ، بل هو مُسْتَمِرٌّ مُرافِقٌ لِخُلُودِهِمْ في جنَّاتِ النَّعِيم.

(٤)
دُرُوسُ سُورَةِ (الانشِقاق)

من الواضحِ أنَّ هذه السورة يُمْكِنُ تَقْسِيمُها إلى أربعة دُروس:

الدرسُ الأول: الآيات من (١ ـ ٥).

وفي آياتِ هذا الدّرسِ بيانُ لقطاتٍ مِنْ أَحْدَاثٍ عُظْمَىٰ، تَكُونُ مع القيامَة الَّتِي يَتْبَعُها بَعْثُ الموتَىٰ إِلَىٰ الحيَاةِ الْأُخْرَىٰ.

الدّرْس الثاني: الآيات من (٦ ـ ١٥).

وفي آيَاتِ هذا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ الإنْسَانَ في الحياة الدُّنْيَا كادِحٌ مُمْتَحنٌ، فِيمَا يكْتَسِبُهُ بإرَادَتِهِ الحرَّةِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرّ.

وفيها لقَطَاتٌ مِنْ مَشَاهِدِ حِسَابِهِ وَجَزَائِهِ يَوْم الدِّين مَعَ بَيَانِ بَعْضِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الحياة الدُّنْيا.

الدرس الثالث: الآيات من (١٦ ـ ١٩).

وفي آيَاتِ هَـٰذا الدَّرْس يُقْسِمُ اللهُ عزَّ وجلَّ بِبَعْضِ آيَاتِهِ في كَوْنِه، علَىٰ أنَّ النَّاسَ سَيَرْكَبُونَ بِمَا يَكْتَشِفُونَ بإلْهَام اللهِ لهم مِنْ مَرَاكِبَ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ، حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَىٰ أجْرَامٍ سَمَاوِيَّةٍ عُلْيَا كَالْقَمَر.

الدَّرْس الرابع: الآيات من (٢٠ ـ ٢٥).

وفي آيات هـٰذا الدَّرس تَعْجِيبٌ مِنْ أَمْرِ الكَفَرَةِ المكَذِّبين، الَّذِينَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِنْ بَرَاهِينِ الْحَقِّ الَّتِي دَفَعَهُمُ اللهُ بها، مع إنْذَارِهِمْ بعَذَابٍ أليمٍ.

وفيها بَيَانٌ يَتَعَلَّقُ بِثَوَابِ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات.

❁ ❁ ❁

(٥)
التدبر التحليلي للدّرس الأوّل من دُروس سورة (الانشقَاق) الآيات من (١ ـ ٥)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾:

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرسِ بَيانُ لقَطاتٍ مِنْ أَحْداثٍ عُظْمَىٰ، تَكُونُ مَعَ القيامَةِ الَّتِي يَتْبَعُهَا بَعْثُ الْمَوْتَىٰ إلىٰ الحياة الأُخْرَى، لِلْحِسَابِ، وفَصْلِ القضاء، وتَنْفِيذِ الجزاء.

التدبُّر التحليلي:

• ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾:

سَبَقَ في سُورَةِ (الانفطار/ ٨٢ نزول) بَيَانُ أنَّ الانْفِطَارَ هُوَ الانْشقاق، وأَنَّ انْفِطَارَ السَّمَاءِ يَكُونُ بانْشِقَاقٍ يَحْدُثُ بَيْنَ أَجْزَائِهَا المتماسِكَةِ، فِي الْبِنَاءِ التجاذُبِيِّ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ لها ـ بِحِكْمَتِهِ وعَظِيم قُدْرتِهِ، مَعَ ذِكْرِ النُّصُوصِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي جَاءَ فِيها بَيَانُ انْشِقَاقِ السَّمَاءِ، وسَبَقَ بَيانُ أَنَّ هٰذا الانْشِقَاقَ يَكُونُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْعُظْمَىٰ لِيَوْمِ القيامَة.

• ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾:

﴿وَأَذِنَتْ﴾: أي: واسْتَمَعَتْ فَأَطَاعَت.

أي: واسْتَمَعَتِ السَّمَاءُ لِأَوَامِرِ رَبِّهَا التَّكْوِينيَّةِ، فَأَطَاعَتْ إطَاعَةً جَبْرِيَّةً.

﴿وَحُقَّتْ﴾: أي: وَنَفَذَتْ فِيهَا أوَامِرُ اللهِ التَّكْوِينيَّةُ، إذْ هِيَ حَقٌّ نَافِذٌ ثَابِتٌ لَا يَسْتَطِيعُ مَأْمُورٌ بِهَا أَنْ يُعَانِدَ وَيُخَالِفَ ويَحِيد عَنْهَا أَقَلَّ مِقْدَارٍ، لِأَنَّهَا أَوَامِرُ مُجْبِرَةٌ قَاهِرَةٌ مُكَوِّنَةٌ عَلَىٰ وَفْقِ المشيئَةِ الربَّانِية.

• ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾:

أي: وَإِذَا الْأَرْضُ بُسِطَتْ بَسْطاً وَاسِعاً، فَصَارَتْ مَعَ مَدِّهَا مِنْ أَطْرَافِها سَطْحاً مُسْتَوِياً، لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا مَرْتَفِعَاتٍ ولَا مُنْخَفِضَات.

وإِذَا الْأَرْضُ قَذَفَتْ كُلَّ شيءٍ هُوَ مُسْتَوْدَعٌ فِيها أَوْ مَكْنُوزٌ، فَأَلْقَتْهُ بِتَقْدِيرِ رَبِّها وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ عَلَىٰ سَطْحِهَا وَتَخَلَّتْ عَنِ الاحْتِفَاظِ بأيِّ شيءٍ مُخَالِفٍ لِأَصْلِ تَكْوِينِها، ومِنْهَا نَوَيَاتُ الْأَحْيَاءِ المقَدَّرِ بَعْثُهُمْ لِلْحَيَاةِ الْأُخْرَىٰ.

• ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾:

أي: واسْتَمَعَتِ الْأَرْضُ لِأَوَامِرِ رَبِّهَا التَّكْوِينيَّةِ، فَأَطَاعَتْ إطاعةً جَبْرِيَّة، وَنَفَذَتْ فِيها هٰذِهِ الْأَوَامِرُ بالْجَبْرِ والْقَهْرِ، إذْ هِيَ حَقٌّ نَافِذٌ ثَابِتٌ لَا يَسْتَطِيعُ مَأْمُورٌ بِهَا أَنْ يُعَانِدَ ويُخَالِفَ ويَحِيدَ عَنْهَا أَقَلَّ مِقْدَار.

وجوابُ الشَّرْطِ الّذي تَقْتَضِيهِ ﴿إِذَا﴾ في الْمَوْضِعَيْنِ مَطْوِيٌّ إيجازاً، ويُمْكِنُ تَقْدِيرُه بِما يَلِي: بَدَأَتْ أَحْدَاثُ يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمِ الْجَزاء الْأَكْبر، بِمَا فِيهِ مِنْ حِسَابٍ، وفَصْلِ قَضاءٍ، وتَنْفِيذِ جَزاء.

وبهذا انْتَهىٰ تَدَبُّر الدَّرْس الأول مِنْ دُرُوس سورة (الانْشقاق).

والحمد للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٦)
التدبُّر التحليلي للدَّرس الثاني من دُروس سورة (الانشقَاق) الآيات من (٦ ـ ١٥)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾:

القراءات:

(١٢) ● قرأ نافع، وابْنُ كثير، وابْنُ عَامِر، والكسائي: [**وَيُصَلَّىٰ**]، وكذلِكَ وَرْشٌ، وغَلَّظَ اللَّامَ مع الْفَتْح ورقّقَها مَعَ التقليل.

وقَرَأَها باقي الْقُرَّاءِ العشَرَة: ﴿وَيَصْلَىٰ﴾.

وبَيْنَ القراءتَيْنِ تَكَامُلٌ فِكْرِيٌّ، إذِ الْكَافِرُ يُصَلَّىٰ بِالْقَهْرِ سَعِيراً، فَهُو يَصْلَاهَا مَجْبُوراً مَقْهُوراً.

تمهيد:

فِي آيَات هـٰذا الدَّرْسِ بيانُ أَنَّ الإنْسَانَ في الحياة الدُّنْيَا كَادِحٌ فِي أَعْمَالِهِ بِمَشَقَّةٍ وَدَأْبٍ، وهُو مُمْتَحنٌ فِيمَا يَكْتَسِبُهُ بِإرَادَتِهِ الحرَّةِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرّ.

وفيها لقطاتٌ مِنْ مَشاهِدِ حِسَابِهِ وجزائِهِ يَوْمَ الدِّين، مع بَيَانِ بَعْضِ ما كان عليه، إذْ كانَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الحياة الدُّنْيا.

التدبّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦﴾:

الكَدْح: الْكَدُّ بِدَأْبٍ فِي الْعَمَل، وقد يَصِلُ إلى حَدِّ بَذْلِ الْجَهْدِ الشَّدِيدِ، والمشَقَّةِ والْإِعْيَاءِ.

جَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ وَسِيلَةَ الْحُصُولِ على المعَايِشِ وَمَطَالِبِ الإنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ؛ أَنْ يَعْمَلَ كَادّاً كادِحاً، وأَنْ يَبْذُلَ جَهْداً شَدِيداً، ويَتَحَمَّلَ مَشَقَّةً قَدْ تَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ الإعْيَاء.

وجَعَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ فِي النُّفُوسِ رَغَبَاتٍ تَدْفَعُهُ بِقُوَّةٍ لِلْحُصُولِ عَلَىٰ مَعَايِشِهِ، ومَطَالِبِهِ فِي حَيَاتِهِ، ليتَخَلَّصَ مِنْ آلَامِ مَشَاعِرِ الحِرْمَانِ، وَلِيَسْتَمْتِعَ بِلَذَّاتِ مَا يُحَقِّقُهُ مِنْ مَطَالِبِهِ المادِّيَّةِ أو الْمَعْنَوِيَّةِ.

فَلا نَكَادُ نَجِدُ في النَّاسِ إِنْسَاناً غَيْرَ كَادِحٍ، ولَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْكَدْحُ في عَمَلٍ جَسَدِيٍّ، بَلْ قَدْ يَكُونُ فِي حَرَكَاتٍ نَفْسِيَّةٍ ذَاتِ مَشَقَّةٍ عَلَىٰ النَّفْسِ أَكْثَرَ مِنَ حَرَكَاتِ الْكَدِّ الْجَسَدِيِّ.

ومِنَ الكَدْحِ مَا يُعَانِيهِ الإنْسَانُ مِنْ أَمْرَاضٍ، وأَوْجَاعٍ، وآلَامٍ، جَسَدِيَّةٍ وَنَفْسِيَّة.

ومِنَ الكَدْحِ مَا يُعَانِيهِ الإنْسَانُ مِنْ آلَامِ المصَائِبِ في الْأَمْوَالِ والْأَنْفسِ، وفَقْدِ الْأَحِبَّةِ.

ومِنَ الْكَدْحِ عِشْقُ الْعَاشِقِينَ الْمَحْرُومِينَ، وحُزْنُ الْحَزِينِين، وكَرْبُ الْمَكْرُوبِينَ، واكْتِئَابُ المكتَئِبين.

ويَسْتَمِرُّ كَدْحُ الإنْسَانِ حَتَّىٰ اللَّحَظَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ حَيَاتِهِ، ومُلَاقَاتِهِ رَبَّهُ بِالْمَوْتِ، وبَعْدَ مُلَاقَاتِهِ رَبَّهُ بِالْمَوْتِ تَبْدَأُ مَرْحَلَةُ مُلَاقَاةِ حِسَابِهِ، وفَصْلِ

الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِ، ومُجَازَاتِهِ عَلَىٰ ما كَسَبَهُ بإرَادَتِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِه، وأكْبَرُ ذَلِكَ مَا يَكُونُ يَوْمَ الدِّين.

فالمعنىٰ: يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ المبتَعِدُ بِمَشَاعِرِكَ عَنْ رَبّك؛ إِنَّكَ كادِحٌ كادٌّ فِي حَيَاتِكَ، تَبْذُلُ كَلَّ مَا لَدَيْكَ مِنْ جَهْدٍ، وتَتَحَمَّلُ المشَقَّاتِ، فِي الخير وفي الشَّرِّ، لِلْحُصُولِ عَلَىٰ مَطَالِبِكَ العاجلَة أو الآجِلَةِ. وفِي أَعْمَالِكَ الَّتِي تَعْمَلُهَا مَا هُوَ طَاعَةٌ لِرَبِّكَ، وفيها مَا هو مَعْصِيَةٌ لِرَبِّكَ، إِذْ أَنْتَ فِي رِحْلَةِ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَان.

ويَسْتَمِرُّ كَدحُكَ إِلَىٰ مُلَاقَاةِ رَبِّكَ بالْمَوْتِ، الَّذِي يَنْقَطِعُ بِهِ عَمَلُكَ وكَدْحُكَ، وبَعْدَ الموْتِ الَّذِي يَتْبَعُهُ الْبَعْثُ تُلَاقِي حِسَابَكَ عَلَىٰ مَا كَسَبْتَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكَ، وفَصْلَ الْقَضَاءِ بِشَأْنِكَ، وجَزَاءَكَ بالْعَدْلِ أَوْ بالفضل.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّناً مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ يَوْمَ الدِّينِ الكادِحُونَ الْكَاسِبُونَ، فِي رِحْلَةِ الحياة الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وشَرّ:

• ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾:

أمَّا: حرْفُ شَرْطٍ، وتَوْكيد، وتفصِيل.

دلَّت هٰذه الآياتُ عَلَىٰ أنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أعْمَالِهِمْ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الحياة الدُّنْيَا بأيْمَانِهِمْ، وأَنَّهُمْ سَوْفَ يُحَاسَبُونَ فِي مَحْكَمَةِ اللهِ حِسَاباً يَسِيراً لَا يُنَاقَشُونَ فِيهِ الْحِسَابَ، وأَنَّهُمْ يَنْقَلِبُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ زَوْجَاتِهِمْ مِنْ الحُورِ الْعِينِ، وأهْلِيهِمْ الَّذِينَ قُضِيَ لَهُمْ بِأَنْ يَكُونوا مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ مَعَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَهْلِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَسْرُورِينَ سُعَدَاء بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ.

ودَلَّتْ أَيْضاً عَلَىٰ أنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِم

الّتي عَمِلُوهَا في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ وَرَاء ظُهُورِهِمْ، ودَلَّ غَيْرُ هٰـذا النصِّ مِن الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَمِنْ جَمْعِ النُّصُوصِ نَفْهَمُ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهم بَشَمَائِلِهِمْ، زِيَادَةً فِي تَمْييزِهِمْ عَنْ أَهْلِ الجنَّة، وإهَانَةً لَهُمْ. وأَنَّهُمْ حِينَ يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ بالْخُلُودِ فِي النَّارِ دَارِ تَعْذِيبِهِمْ ويَشْهَدُونَ مَشَاهِدَ مِنْ أَهْوَالِهَا يَدْعُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بالْهَلَاكِ الأبَدِيِّ والتَّخَلُّصِ مِنَ الحياة، ولَكِنْ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، بَلْ يُدْخَلُونَ قَهْراً فِي الْجحِيم، ويَصْلَوْنَ مُحتَرِقين بِلَهَبِهَا، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَهُمُ اللهُ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العذابَ دَواماً، أخذاً من دَلَالَاتِ نصٍّ آخر.

• ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩﴾: أي: ويَنْصَرِفُ ذَاهِباً إِلَىٰ أَهْلِهِ فِي الجنَّة فَرِحاً مَسْرُوراً.

أَهْلُهُ: هُمْ زَوْجَاتُهُ مِنَ المؤْمِنَاتِ والْحُورِ الْعِينِ، وعَشِيرَتُهُ وأَصْحَابُ مَوَدَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الإيمانِ مِثْلِهِ الّذِينَ قَضَىٰ اللهُ لَهُمْ بأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

• ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١﴾: أي: فَبَعْدَ انْتِظَارٍ طَوِيلٍ فِي المحشَرِ، وبَعْدَ الْحُكْم عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّار، وبَعْدَ سَوْقِهِ إلى أبْوابِ جَهَنَّمَ وَمُشَاهَدَتِهِ دَرَكَتَهُ فِي عَذَابِ الْجَحِيمِ؛ يَدْعُو عَلَىٰ نَفْسِهِ بالْهَلَاكِ الْأَبَدِي.

الثُّبُورُ: يُرَادُ به الْهَلَاكُ الْأَبَدِيُّ، وهُو الْمَوْتُ الَّذِي لَا حَيَاةَ بَعْدَه.

• ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ وفي القِراءَةِ الأُخْرَىٰ [**وَيُصَلَّىٰ سَعيراً**]: أي: وَيَحْتَرِقُ بِلَهَبِ النَّارِ، بَعْدَ أَنْ يُدْخَلَ قَهْراً إلى دَرَكة عَذَابِهِ فِي جَهَنَّمَ.

يُقَالُ لُغَةً: «صَلِيَ النَّارَ، وصَلِي بِهَا» أي: احْتَرَقَ فيها، ولَامَسَ لَهَبُها جَسَدَهُ مُحْرِقاً. ويُقَالُ: «صَلَّاهُ، وأَصْلَاهُ» أي: أدْخَلَهُ فِي النار.

السّعير: يأتي في اللُّغَةِ بمَعْنَىٰ النّار، وقيل: «السَّعِيرُ» لَهَبُ النار.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ يَصِفُ حَالَ مَنْ أُوتِي كتابَهُ وراءَ ظَهْرِهِ، حِينَ كَانَ فِي الدُّنْيا كافِرَاً بِرَبِّهِ، مُكَذِّباً رَسُولَهُ عليه السلام، ومُكَذِّباً بما جَاءَهُ عَنْهُ، مَعَ بَيَانٍ مُلَائم:

• ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾:

• ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾: أي: إنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا مَسْرُوراً بِكُفْرِهِ، وفُجُورِهِ، يَتَّبِعُ أَهْوَاءَ نَفْسِهِ وَشَهَوَاتِها، ويَفْعَلُ مَا يَلَذُّ لَهُ مِنْ جَرَائِمَ وَعُدْوانٍ، وظُلْمٍ وطُغْيَانٍ، غَيْرَ عَابِئٍ بالإِنْذَارَاتِ الَّتِي بَلَّغَهَا رَسُولُ رَبِّهِ عليه السلام، ولَا بالتَّرْغِيب والترهيب، اللَّذَينِ جَاءَا فِي كِتَابِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ.

• ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾: أي: إِنَّهُ ظَنَّ ظَنّاً ضَعِيفاً إِذْ كَانَ فِي الحياة الدُّنْيا غَيْرَ مُعْتَمِدٍ فِيهِ إِلَّا عَلَىٰ الاسْتِبْعَادِ والاسْتِغْراب؛ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ إِلَىٰ الحيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، لِيُحَاسَبَ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ، ويُقْضَىٰ بِشَأْنِهِ، وَيُجَازَىٰ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ الَّتِي كانَ فِيها كَافِراً فَاجِراً مُجْرِماً.

﴿لَّن يَحُورَ﴾: أي: لَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الحياة بَعْدَ الموت، يُقَالُ لغة: «حَارَ، يَحُورُ، حَوْراً» أي: رَجَعَ، **والْمَحَارُ**: الرُّجُوع.

• ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾: أي: لَيْسَ كَمَا ظَنَّ ظَنّاً تَوَهُّمِيّاً، فَقَالَ: لَا رُجُوعَ إِلَىٰ الحياة بَعْدَ الموت، بَلَىٰ هُو رَاجِعٌ إِلَىٰ الحياةِ يَوْمَ بَعْثِ الأَحْيَاءِ، لِيُحَاسَبَ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي حَيَاةِ ابْتِلَائِهِ مِنْ عَمَلٍ، ولِيُقْضَىٰ بِشَأْنِهِ، ولِيُجَازَىٰ الجزاءَ الملائِمَ لِعَمَلِهِ. وَعَمَلُهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيا مَعْلُومٌ كُلُّهُ، ومَكْتُوبٌ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ مَلَائِكَةٍ كِرَامٍ كَاتِبِين، يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُ، ومَعْلُومٌ كُلُّهُ أَيْضاً مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ خَالِقِهِ وَرَازِقِه، وَالمُهَيْمِنِ عَلَيْهِ دَوَاماً بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِعِبَادِه، إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً، حِينَ كَانَ يَخُوضُ خَوْضَهُ فِي الحياة الدُّنيا، عَاصِياً مُجْرِماً أَثِيماً.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّر الدَّرْس الثاني مِنْ دُرُوس سورة (الانْشقاق).

والحمدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٧)
التدبّر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الانشقاق)
الآيات من (١٦ ـ ١٩)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾:

القراءات:

(١٩) • قرأ ابْنُ كثير، وحمزة، والكِسَائي، وخلف: [لَتَرْكَبَنَّ] عَلَىٰ أَنَّ الخِطَابَ لِمُخَاطَبٍ مفرد، وهو الإنسان.

وقرأها باقي القُرَّاءِ العشرة: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ على أنَّ الخطاب مُوَجَّهٌ لِلنَّاسِ.

تمهيد:

في آياتِ هـٰذَا الدَّرْسِ يُقْسِمُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِبَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ، على أَنَّ الناسَ سَيَرْكَبُونَ بِما سَيَكْتَشِفُونَ مِنْ مَرَاكِبَ بإلْهَامِ اللهِ لَهُمْ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ، حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَىٰ أَجْرَامٍ سَمَاوِيَّةٍ عُليَا كَالْقَمَر.

التدبُّر التحليلي:

الشّفَق: حُمْرَةٌ تَظْهَرُ في الْأُفُقِ حَيْثُ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، وتَسْتَمِرُّ مِنَ الْغُروب إِلَىٰ مَا قُبَيْلَ الْعِشَاءِ تَقْرِيباً.

• ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾: أي: واللَّيْلِ وَمَا جَلَّلَ وسَتَر مِنْ أشْيَاء بظُلْمَتِه، ويُقَالُ لُغَةً: «وَسَقَ الْأَشْيَاءَ» أي: ضَمَّها وجَمَعَها.

• ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾: أي: والْقَمَرِ إِذَا اسْتَوَىٰ وامْتَلأَ، فَصَار بَدْراً مُكْتمِلاً أَوْ قريباً مِنَ الاكْتمال في اللَّيالي من (١٣ ـ ١٦).

• ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾: خطاباً للنَّاس. وفي القراءة الأخرىٰ: [لَتَرْكَبَنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ] خِطاباً للإنسان.

الطَّبَقُ: المطابِقُ لِغَيْرِه الْمُسَاوِي له، وَالغِطاءُ، والغِشاءُ، والْحَالُ والمنزِلَة.

• ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أي: طَبَقاً يَنْفَصِلُ عَنْ طَبَقٍ، أَوْ مَرْكَبَةً يُرْكَبُ فيها، يَنْتَقِلُ بِهَا الإنسانُ مُرْتَقِياً فِي طَبَقَاتٍ ومُجْتَازاً فِي كُلِّ طَبقَةٍ يَصِلُ إِلَيْها عَنِ طَبقَةٍ انْتَهىٰ مِنْ عُبُورِها.

ويظْهَرُ لي أَنَّ هـٰذا إنْباءٌ رَبَّانِيٌّ عَنْ حَدَثٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ، يَصِلُ إِلَيْهِ الإنْسَانُ باكْتِشَافَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ والصِّناعِيَّةِ، وهـٰذا الْحَدَثُ يَرْكَبُ فِيهِ الإنْسَانُ مَرْكَبَةً جَوِّيَّةً يَنْطَبِقُ عَلَيْها أَنَّها تَنْتَقِلُ طَبقاً عن طَبَق. وحَرْف «عَنْ» مَعْنَاهُ المجاوَزَةُ، وهذا المعنى هو الأصل، وقَدْ يأتي لمعانٍ أُخرَىٰ.

فقد تَكُونُ الْمَرْكَبَةُ تَدْفعُهَا قُوىً دافِعَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، إِذَا دَفَعَتْها أَدْنَاهَا انْفَصَلَتْ عَنْهَا، ثُمَّ تَدْفعُهَا الَّتِي بَعْدَهَا وَتَنْفَصِلُ عَنْها، وهَكَذا حَتَّىٰ تَصِلَ الْمَرْكَبَةُ إِلَىٰ الكَوْكَبِ الموَجَّهَةِ لَهُ.

وقَدْ يكُونُ المرادُ اجْتِيَازَ الْمَرْكَبَةِ طَبقاً فِي الْجَوّ بَعْدَ طَبَقٍ.

إلى غير هـٰذَيْنِ مِن الاحْتِمَالَات، وَالْوَاقِع الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ الإنْسَانُ باكْتِشَافَاتِهِ وَتَجْرِبَاتِهِ وتَطْبيقَاتِهِ هو الّذِي يُفَسِّرُ المرادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ خطاباً للنَّاس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، أو خطاباً للإنْسَانِ: [لَتَرْكَبَنَّ].

أَمَّا الْقَسَمُ المنْفِيُّ بالشَّفَقِ، وباللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وبالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ، فَقَدْ ظَهَرَ كَمَا أَبَنْتُ فِي القاعِدَة العشرين من كتاب: «قواعد التَّدَبُّر الأَمْثَلِ لِكِتَاب اللهِ عزَّ وجلَّ» أَنَّهُ أَسْلُوبٌ مُبْتَكَرٌ للدَّلَالَة عَلَىٰ أَنَّ الموضوع مَعَ حَال الْمُخَاطِبِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ يَقْتَضِي اقتضاءَيْنِ مُتَعَارِضين:

(١) أَحَدُهُمَا يَسْتَدْعِي البيانُ فيهِ الْقَسَمَ المؤكِّدِ لِلْخَبَرِ الَّذِي هُوَ الْمُقْسَمُ عليه.

(٢) والآخَرُ يَسْتَدْعِي الْبَيَانُ فِيهِ عَدَمَ الْقَسَم.

فَكَانَ الحلُّ المبتَكَرُ فِي أَسَالِيبِ البيانِ القرآنِيَّة اخْتِيَارَ أُسْلُوبِ ذِكْرِ لفظ الْقَسَم، وذِكْرَ لفظ المقْسَمِ بهِ تَنْبِيهاً عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ آيَاتِ اللهِ العظمَىٰ، مَعَ سَبْقِ الْقَسَمِ بأَدَاةِ النَّفْي.

فالْوَجْهُ الَّذِي اقْتَضَىٰ الْقَسَمَ رُوعِيَ حَالُهُ بِذِكْرِ الْقَسَمِ والمقْسَمِ بِهِ، تَنْبيهاً علَىٰ مَا فِي المقْسَم بِهِ مِنْ تَأْكِيدٍ أَوْ حُجَّةٍ هَادِيَةٍ إِلَىٰ أَنَّ الموضُوعَ الَّذِي يُرَادُ تَأْكِيدُهُ هُوَ مُتحَقِّقُ الْوُقُوع لا مَحَالَة.

والْوَجْهُ الَّذِي اقْتَضَىٰ عَدَمَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الْقَسَمِ رُوعي حَالُهُ بِنَفْيِ الْقَسَمِ بأَدَاة النَّفْي «لا».

أَمَّا الْمقسَمُ به في هٰذِهِ السُّورَةِ فَفِيهِ عَدَدٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، وَتَدْبِيرِهِ لِمَا خَلَقَ.

فَالشَّفَقُ: يَتَطَلَّبُ دِراسَةً ضَوْئِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةً لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَة إِبَّانَ تَنْزِيلِ الْقُرْآن، لَكِنْ سَيَصِلُ الْعُلَمَاءُ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهَا، ومَعْرِفَةِ إتْقَانِ صُنْعِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ في آيَةِ الشَّفَقِ.

واللّيلُ وَمَا جلَّلَ وسَتَرَ: لَمْ يَكُنِ النَّاسُ إبَّانَ التَّنْزِيلِ يَعْلَمُونَ عَظَمَة هذه الآيَةِ الرَّبَّانيَّةِ فِي كَوْنِهِ، لَكِنْ سَيَصِلُ الْعُلَماءِ الْبَاحِثُونَ إلى مَعْرِفَةِ هٰذِهِ الآيَةِ العظيمة، ومَعْرِفَةِ إتْقَانِ صُنْعِ اللهِ فيها.

والْقَمَرُ إِذَا اكْتَمَلَ نُورُه: لَمْ يَكُنِ النَّاسُ إِبَّانَ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ قَدْ عَرَفُوا سَبَبَ تَنَاقُصِ الْقَمَرِ واكْتِمَالِهِ، ولَمْ يَكُونُوا قَدِ اكْتَشَفُوا بَدِيعَ آياتِ اللهِ فِيه، لَكِنْ سَيَصِلُ الْعُلَمَاءُ الْبَاحِثُونَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ مَا فِي هٰذِهِ الآيَةِ مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ مِنْ إتْقَانِ صُنْعٍ، وعِنايَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ.

ومُرَاعَاةً للاقْتِضاءَيْنِ جَاءَ الْقَسَمُ مَنْفِيّاً بأُسْلُوبٍ قُرْآنِيٍّ مُبْتَكر.

وفي الختام أقول: هَلْ وُصُولُ الإِنْسَانِ إِلَىٰ الْقَمَر، بمَرْكَبَةٍ جَوِّيَّةٍ تَدْفَعُهَا صَوَارِيخُ تَنْفَصِلُ عَنْها، دَافِعاً ثُمَّ دَافِعاً، مِمَّا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ يُخَاطِبُ الإنسان: [**لَتَرْكَبَنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق**]، وَيُخَاطِبُ النَّاسَ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾؟؟.

وهَلْ هـٰذا مِنْ أمْثِلَةِ الإعْجَازِ الْخَبَرِيِّ عَنْ أَحْدَاثِ المستَقْبَلِ فِي الْقُرْآن؟؟.

أَتْرُكُ الإجَابَةَ لِعُلَمَاءِ الكَوْنِيَّاتِ، ورِجالِ الْبَحْثِ العِلْمِيِّ في المكْتَشَفاتِ الْعِلْمِيَّةِ والصِّناعِيَّة.

وبهذا انْتَهىٰ تَدَبُّر الدَّرْس الثَّالِثِ مِنْ دُرُوس سورَة (الانْشقاق).

والحمدُ للهِ على مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٨)
التدبّر التحليلي للدّرس الرابع من دُروس سورة (الانشِقَاق) الآيات من (٢٠ ـ ٢٥) آخر السورة

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾:

القراءات:

(٢١) • أبْدَلَ أبو جعفر الهمزة من: ﴿قُرِئَ﴾ يَاءً مَفْتُوحَةً وَصْلاً، وسَاكِنَةً وقْفاً، [قُرِيْ].

ووقَفَ حمزة، وهِشَامٌ بخلفه كأبِي جَعْفر: [قُرِيْ].

(٢١) • قَرَأ أبو عَمْرٍو: [عَلَيْهِمِ الْقُرْآنُ].

وقرأهَا حمزة، والكِسَائي، ويَعْقُوبُ، وخَلَف: [عَليهُمُ الْقرآنُ].

وقرأهَا باقِي القرّاء العشرة: ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

وهـٰذا كُلُّهُ عِنْدَ الْوَصْلِ، أمَّا عِنْدَ الْوَقف فكُلُّهُمْ عَلَىٰ كَسْرِ الهَاءِ وإسْكَانِ الميم، مَا عَدَا حمزَة، ويَعْقُوب، فإنَّهُما يَقْرَآنِ بِضَمِّ الْهَاءِ وإسْكانِ الميم.

(٢١) • قرأ ابْنُ كثير: [الْقُرَانُ]، وكذَلِكَ قَرأها حَمْزَةُ فِي الوقف.

تَمهيد:

في آيات هذا الدَّرْسِ تعجيبٌ مِنْ أمْرِ الكَفَرَةِ المكَذِّبينَ، الَّذِينَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِنْ بَرَاهِينِ الْحَقِّ الَّتِي دَفَعَهُمُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بها، مع إنْذَارِهِمْ بِعَذَابٍ أليم.

وفيها بيانٌ يَتَعَلَّقُ بِثَوابِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحات.

التدبّر التَحلِيلي:

▪ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ الكَفَرَةِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، ولَمْ يُؤْمِنُوا بالقرآنِ العظيم:

• ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾﴾:

أي: أيُّ شَيْءٍ هُوَ حُجَّةٌ لَهُمْ تَجْعَلُهُمْ يُصِرُّونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، ولَا يُؤْمِنُونَ بالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وبالْقُرْآنِ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إيَّاهُ عَنْ رَبِّهِ، مَعَ تَوَالِي الإقْنَاعَاتِ والمَوَاعِظِ الحسنَةِ بالتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيب؟؟!!.

اسْتُعْمِلَ الْفِعْلُ المضارِعُ في: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ للدَّلَالَة عَلَىٰ تَتَابُعِ

مُجَاهَدَتِهِمْ ومُعَالَجَتِهِمْ، بِمُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ الإقْنَاعِيَّةِ والْعِلَاجِيَّةِ، وَتَتَابُعِ رَفْضِهِمْ بِإِصْرَارٍ أَنْ يُؤْمِنُوا بالْحّقِّ المنزَّلِ إلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ.

وأيُّ شَيْءٍ هُوَ صَارِفٌ لَهُمْ عَنِ السُّجُودِ لِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ الْمَجِيد، إذَا قُرِئَ عَلَيْهِمْ، أو تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ مِنْ آيَاتِهِ، مَعَ أَنَّ مِنْ عَادَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ تَعْظِيماً لِكَلامٍ بَلِيغٍ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ نَاثر، أَوْ أُلْقِيَ عَلَىٰ مَسامِعِهِمْ، فِي حَالِ أَنَّ الْقُرْآنَ أَعْظَمُ كَلَامٍ بَلِيغٍ يَسْمَعُونَهُ؟؟!!.

واستُعْمِلَ الْفِعْلُ المضارِعُ في: ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ للدَّلَالَةِ عَلَىٰ تَتَابُعِ قِرَاءَةِ القرآنِ الْعَظِيم المعْجِزِ عَلَىٰ مَسَامِعِهِمْ، وتتابُعِ صَدِّهِمْ عَنْهُ، وعَدَمِ التَّعْبِيرِ عَنْ إعْظَامِهِمْ لِبَلَاغَتِهِ الْمُعْجِزةِ بالسُّجُودِ له.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ يُبَيِّنُ السَّبَبَ في أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وإذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القرآنُ لَا يَسْجُدُونَ:

● ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾:

يُوعُونَ: أي: يَجْمَعُونَ فِي أَوْعِيَتِهِمْ، والمرادُ أَوْعِيَةُ نُفُوسِهِمْ وصُدُورِهِمْ، وقُلُوبِهِمْ، وأَفْئِدَتِهِمْ، وأَدْمِغَتِهِمْ، مِنْ مُكْتَسَبَاتٍ إرَادِيَّة فِيها.

المعنى: لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا المعْنِيُّونَ بِالْبَيَانِ أصْحَابَ حُجَجٍ تَجْعَلُهُمْ لَا يُؤْمِنُون بإصْرَارٍ مُتَتَابع، ولَيْسُوا فِيمَا يَتَظَاهَرُونَ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِبَلَاغَةِ القرآنِ الْمُعْجِزَةِ صَادِقِين، بَلْ هُمْ يُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، ويُكَذِّبُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَكْذِيباً مُتَجَدِّداً كُلَّمَا تَتَابَعَتْ عَلَيْهِمْ بَرَاهِينُ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَكُلَّمَا سَمِعُوا نَجْماً مِنْ نُجُوم القرآنِ المنزَّلَة، وهٰذا التَّكْذِيبُ المدْفُوعُ بِعَدَمِ رَغْبَتِهِمْ فِي تَرْكِ جَرَائِمِهِمْ الَّتِي يُمَارِسُونَهَا دَوَاماً، قَدْ طَمَسَ بَصَائِرَهُمْ، وَغَشَّىٰ عَلَىٰ عُقُولِهِمْ، فَجَعَلَهُمْ لَا يَرَوْنَ الحقَّ حَقّاً، ولَا يَرَوْنَ الْبَاطِلَ بَاطِلاً.

واللهُ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَلِيمٍ، بِمَا يَجْمَعُونَ في أَوْعِيَةِ نُفُوسِهِمْ،

وصُدُورِهِمْ، وقُلُوبِهِمْ، وأَفْئِدَتِهِمْ، وأَدْمِغَتِهِمْ، مِنْ مُكْتَسَبَاتٍ إِرَادِيَّةٍ فيها، وهُمْ فِيها بُغَاةٌ، ظَلَمَةٌ، جَحُودُونَ، مُتَشَبِّثُونَ بما يَشْتَهُونَ مِنْ مَتَاعِ الحياة الدُّنْيَا، غَيْرَ عَابِئِينَ بالآخِرَة، ومَا أَعَدَّ الرَّبُّ الْجَلِيلُ فيها مِنْ جزاء بالثَّوَابِ، وبالْعِقَاب، لِلَّذِينَ كَانُوا فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الابْتِلَاء.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُنْذِراً لِلْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْم الدّين:

• ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

الخطابُ في هٰذِهِ الآيَةِ مُوَجَّهُ لِلرَّسُولِ ﷺ ولِكُلِّ مُؤْمِنٍ مُسْلِم مِنْ أُمَّتِهِ، بأسْلُوبِ الخِطَابِ الإفْرَادِي، ومُوَجَّهٌ لِلْكافِرينَ تَعْرِيضاً عَنْ طَرِيقِ اللُّزُومِ الذِّهْنِي، أي: فَأَبشِرُوا بَعَذَابٍ أَلِيم.

أَصْلُ التَّبْشِير: الإخْبَارُ بما يَسُرُّ وَيُفْرِحُ الْمُبَشَّر، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ التبشِيرُ فِي الإخْبَارِ بِمَا يَسُوءُ وَيُحْزِنُ الْمُبَشَّرَ عَلَىٰ سَبِيلِ التهكُّم، مَعَ قَرِينَةٍ دَالَّةٍ عَلَىٰ المراد، والْقَرِينَةُ هُنَا كَوْنُ المبَشَّرِ بِهِ عَذَاباً أَلِيماً، أَي: شَدِيدَ الإيلَام.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّناً بِصُورَةٍ إِجْمَالِيَّةٍ عَامَّةٍ ثَوابَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات، فِي مُقَابِلِ عِقَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا:

• ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾:

لفظ: ﴿إِلَّا﴾ هُنَا هِي بِمَعْنَىٰ «لَكِنْ».

• ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: مُسْتَمِرٌّ مُتَتَابِعٌ مُتَجَدِّدٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، إِذْ هُوَ دَائِمٌ مَعَ دَوَامِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ خَالِدِينَ فِي جنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّين.

وبهذا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّر سُورة (الانْشِقَاق) بانْتِهَاءِ تَدَبُّر الدَّرْس الرابع منها.

والحمدُ للهِ علىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❋ ❋ ❋

(٩)
ملحق: مستَخرَجَات بَلاغِيّة مِن سُورة (الانشِقَاق)

أوّلاً:

من التوكيد لدواعٍ بَلاغية نَجِدُ في السورة ما يلي:

(١) قول اللهِ تَعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾:

في هَـٰذا البيان تَوْكيد بـ(إنَّ ـ والجملةِ الاسْمِيَّةِ ـ والمفعول المطْلَق «كَدْحاً»)، وتَوْكيد بِـ«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةِ التَّفْصِيلية، وكذلِك نَظِيرُهَا في الآية (١٠).

(٢) التوكيد بِالْقَسَم في قول اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾.

ثانياً:

مِنَ الإيجاز بالحذف، قولُ اللهِ تَعالى:

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾:

أي: لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا المعْنِيُّون أصْحَابَ حُجَجٍ تَجعلُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، ولَيْسُوا فِيمَا يَتَظَاهَرُونَ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ لا يَشْعُرُونَ بِبَلَاغَةِ الْقُرْآنِ المعجِزَةِ صَادقين، بَلْ هُمْ يُكَذِّبُونَ الرَّسُول ﷺ، وَيُكَذِّبُونَ بأَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبّ الْعَالَمِين، إلى آخر مَا جاءَ فِي تَدَبُّر الآيات.

فَحَرْف «بَلْ» يَعْطِفُ عَلَىٰ مَحْذُوفٍ يَسْهُلُ عَلى المتَدَبّر المتأني أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ ذهناً.

وأَكْتَفِي بهذهِ المستخرجات البلاغية مِنْ سُورَة (الانْشقاق)، والحمد للهِ على معونتِهِ ومَدَدِه، وتوفيقهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❊ ❊ ❊



سورة الرُّوم

٣٠ مصحف ٨٤ نزول

وهي مكيَّةٌ كُلُّها بلا خلاف



(١)

نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ

---

١ - • سَكَتَ أبو جعفر على: «ألف» و«لام» و«مِيم» سَكْتَةً خفيفةً بِدُونَ تنفُّسٍ.

٥ - • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضَمِّ الهاء. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٩ - • قرأ أبو عمْرو: [رُسْلُهُمْ] بإسكانِ السين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [رُسُلُهُمْ] بضمّ السّينِ.

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

---

١٠ ـ • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ] برفع لفظ: «عَاقِبة».

وقرأها باقِي القرّاء العشرة: [ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِين] بِنصب «عاقِبةَ».

وهُمَا وَجْهَانِ نَحْويَّانِ جائِزَان.

١٠ ـ • قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزُونَ]، وكذلِكَ حمزة في الوقف، ولَهُ أيضاً التَّسْهيل بين بين، وله أيضاً الإبْدَال يَاءً [يَسْتَهْزِيُونَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَسْتَهْزِئُون]، ولِلأزرق ثَلَاثَةُ البدل.

١١ ـ • قرأ أبو عمرو، وشعبة: [يُرْجَعُونَ].

وقرأها رَوْح: [يَرْجِعُونَ].

وقرأها رُوَيس: [تَرْجِعُونَ].

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: [تُرْجَعُونَ].

١٩ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة: [الْمَيْت]، بإسكان الياء دون تشديد في الموضعين.

=

مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ

= وقرأهما باقي القرّاءِ العشرة: [الْمَيِّت]، بتشديد الياء المكسورة.

١٩ ـ • قرأ حمزة، والكِسائي، وخلف، وابْنُ ذكْوان بخلف عنه: [تَخْرُجُونَ].
وقرأها باقي القرّاءِ العشرة وهو الثاني لابن ذكوان: [تُخْرَجُون].

٢٢ ـ • قرأ حفص: [لِلْعَالِمِينَ].
وقرأها بَاقي القرّاء العشرة [لِلْعَالَمِينَ].
وبَيْنَ القراءتَيْنِ تكامل، أي: للعالِمينَ مِنَ الْعَالَمِينَ.

٢٤ ـ • قرأ ابْنُ كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [وَيُنْزِلُ]، من فعل «أنْزَل».
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَيُنَزِّلُ]، من فعل «نَزَّل».
والقراءتان متكافئتان، إِذِ الفعْل المهموز أخُو الفعل المضعَّف.

٢٧ ـ • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكِسائِي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء. =

ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضمّ الهاء. ووقف يعقوب بهاءِ السَّكْتِ. وكذا حيث ورد.

٣٠ ـ • وَقف ابن كثير، وأبو عَمْرو، والكسائي، ويعقوب، بالهاء عَلَىٰ: [فِطْرَتَ]. ووقف باقي القراء العشرة عَلَيْها بالتاء.

٣٢ ـ • قرأ حمزة، والكسائي: [فَارَقُوا].
وقرأها باقي القراء العشرة: [فَرَّقُوا].
وبين القراءتين تكامُلٌ في أداء المعنى المراد.

٣٢ ـ قرأ حمزة، ويعقوب: [لَدَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَدَيْهِمْ].

٣٥ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ].

سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى

٣٥ ـ • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكِسَائِي، وأبو جَعْفَر: [وَهْوَ] بإسْكان الهاء.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَهُوَ] بضم الهاء.

٣٦ ـ • قرأ يعقوب: [أَيْدِيهُمْ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [أَيْدِيهِمْ].

٣٦ ـ • قرأ أبو عمرو، والكِسَائيّ، ويعقوب، وخلَف العاشِر: [يَقْنِطُون] بكسر النون.
وقرأها باقي القراء العشرة: [يَقْنَطُون] بفتح النّون.

٣٩ ـ • قرأ ابْنُ كثير: [وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رِباً].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً].

٣٩ ـ • قَرَأ نَافع، وأَبُو جعفر، ويَعقُوب: [لِتُرْبُوا].
وقرأها باقي القُرَّاءِ العشرة: [لِيَرْبُوَا].
أي: لِتُرْبُوا أَنْتُمْ، ولِيَرْبُوَ المال.

٤٠ ـ • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [تُشْرِكُونَ] بتاءِ المخاطَبِينَ.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يُشْرِكُونَ] بياء الغائبين.

ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ

٤١ ـ • قرأ قُنْبُلُ بخلف عنه، ورَوْح: [لِنُذِيقَهُمْ] بنون المتكلم العظيم.
وقرأها باقي القراء العشرة، وهو الثاني لقنبل: [لِيُذِيقَهُمْ]، أي: لِيُذِيقَهُمْ اللهُ.

٤٨ ـ • قرأ ابن كثير، وحمزة، والكِسائي، وخلف: [الرِّيحَ] بالإفراد.
وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [الرِّيَاحَ] بالْجَمْع.

٤٨ ـ • قرأ هشام بخلف عنه، وأبو جعفر: [كِسْفاً] بإسكان السين.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [كِسَفاً] بفتح السين، وهو الوجه الثاني لهشام.

٤٩ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويَعْقُوب: [يُنْزَلَ] من فعل: «أنزل».
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يُنَزَّلَ] من فعل: «نزّل».

عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا

٥٠ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عمرو، وشُعْبَة، وأبو جعفر، ويعقوب: [أَثَرِ] بالإفراد.
وقرأها باقي القراء العشرة: [آثارِ] بالجمع، والمؤدّى واحد.

٥٠ ـ • وقف ابْنُ كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب على: [رَحمَتِ] بالهاء.
ووقف باقي القراء العشرة عليها بالتّاء.

٥٠ ـ • قرأ قالُون، وأبو عمرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء. وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضم الهاء، ووقف عليها يعقوب بهاء السكت.

٥٢ ـ • قرأ ابْنُ كَثِير: [وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ].
وقرأها باقِي القراء العشرة: [وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ].

٥٣ ـ • قرأ حمزة: [تَهْدِي الْعُمْيَ]، ووقف على [تَهْدِي] بالياء بخلف عنه.
وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [بِهَادِي الْعُمْيِ]، ولا يَخْفَىٰ أنّ الياء تحذف وصْلاً للساكنين. ووقف على [بهادي] بإثبات الياء: يعقوب، والكسائي بخلفه.
ووقف الباقون بحذفها.

٥٤ ـ • قرأ شعبة، وحمزة: [ضَعْفٍ] في الموضعين، وكذاك حَفْصٌ بخُلف عنه.
وقرأها باقي القراء العشرة: [ضُعْفٍ] في الموضعين، وكذلك [ضُعْفاً]. وهو الوجه الثاني لحفْصٍ.

٥٤ ـ • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ]؛ بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بِضَمّ الهاء ووقف عليها يعقوب بهاء السكت.

لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥٧ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لَا يَنْفَعُ] بالياء.
وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [لَا تَنْفَعُ] بالتاء.
وهما وجْهَان عربيان.

٥٨ - • قرأ ابن كثير: [الْقُرَانِ]. وكذلِكَ حمزة في الوقف.

٥٨ - • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر: [جِيتَهُمْ]. وكذلِكَ قرأها حمزَةُ في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [جِئْتَهُمْ]

٦٠ - • قرأ رُويس: [وَلَا يَسْتَخِفَنْكَ] بإسْكَانِ النُّون.
وقرأها باقي القراءِ العشرة: [وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ] بتشدِيد النون.

(٢)

موضوع سورة (الرّوم)

ظَهَرَ لِي أنَّ هذه السورة ذَاتُ خُطُوطٍ ثلاثَةٍ، بَعْدَ تَمْهيد يتَضَمَّنُ صِدْقَ الأنباء الرَّبَّانِيَّةِ المسْتَقْبَلِيَّةِ الوارِدَةِ فِي القرآن، بِحَدَثٍ سَيَقَعُ قَرِيباً فِي بضع سِنِينَ، وهو انْتِصَارُ الرُّوم علَىٰ الْفُرْسِ، بَعْدَ حَدَثٍ وَقَعَ كَانَ فِيهِ انْتِصَارُ الْفُرْسِ على الرُّوم مع إلْمَاحٍ إلى انْتِصَارِ الْمسْلِمينَ على المشركين، وقد كان ذَلِكَ في غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ.

الخطّ الأول: تَسِير عليه قضايا تتعَلّقُ بقَانُونِ الْجَزاءِ الرَّبَّانِي المعجَّلِ والمؤجَّلِ، مع بيانِ أَنَّ مَنْ بدَأ الخلْقَ هُو الذِّي يُعِيدُهُ، لِلْحِسَاب، وفَصْلِ القضاء، وتنفيذ الجزاء.

الخط الثاني: خَطٌّ تَسِيرُ عَلَيْهِ بيانَاتٌ تتعلَّقُ بالشِّرْكِ وبُطْلَانِهِ.

الخطّ الثالث: خَطٌّ تسير عليه بيانَاتٌ تتعَلّقُ بأنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيْءٍ، فهو المالك لِكُلِّ شيءٍ في السَّمَاوَاتِ وَفي الأرض.

وفي السورة مُرَافقاتٌ لِفُرُوعِ وَأفْنَانِ شَجَرةِ السُّورةِ، مُلائماتٌ لَهَا ضِمْنَ خُطُوطِهَا الكُلِّيَّةِ العامَّة.

(٣)
دروس سورة (الرُّوم)

رَأَيْتُ بالتأمّلِ في آيَاتِ سورة (الرُّوم) وعَنَاصِرِها الفكرِيَّةِ؛ أنَّ مِنَ المناسِبِ تجزئَتَهَا إِلَىٰ اثني عشر دَرْساً، وهذه الدُّرُوس مُرْتَبطَةٌ بِوَحْدَةِ مَوضوع شَجَرَةِ السُّورَة، وهي الدُّروس التالية:

الدَّرْس الأول: الآيات من (١ ـ ٧).

وفي آياتِ هذا الدّرْسِ تَمْهِيدٌ بنَبَأٍ عن حَدَثٍ غيْبِيٍّ مُسْتَقْبلِّي يَكْشِفُ الواقِع القريبُ صِدْقَه، دليلاً على أَنَّ القرآنَ حَقٌّ وصِدْقٌ مَنَزَّلٌ مِنْ لَدُن رَبِّ الْعَالَمِين، وهذ النَّبأُ هو أنّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سنين، مَعَ إتْبَاعَاتٍ مُلاَئِمَاتٍ للإعْلَامِ بهذا النَّبأ.

الدرس الثاني: الآيات من (٨ ـ ١٦).

وفي آيات هذا الدَّرْس بيانَاتٌ وإقْنَاعَاتٌ تَتَعَلَّقُ بِقَانُونِ الْجَزاءِ الرَّبَّانِي، المعجَّلِ في الدُّنيا، والمؤجَّلِ إِلَىٰ يَوْمِ الدّين.

الدرس الثالث: الآياتُ من (١٧ ـ ٢٧).

وفي آياتِ هـٰذا الدَّرسِ عَرْضُ طائِفَةٍ مِنْ آياتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، دَالَّاتٍ عَلَىٰ تَنْزِيهِ اللهِ عَنْ كُلِّ ما لَا يَلِيقُ بأزَلِيَّتِهِ وأَبَدِيَّتِهِ، وعلى أَنَّ لَهُ كُلَّ صِفَاتِ الكَمَالِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا فِي السَّمَاوَاتِ وفِي الْأَرْضِ.

الدَّرْس الرابع: الآيَات من (٢٨ ـ ٣٥).

وفي آيَاتِ هـٰذا الدَّرْسِ قضايا تَتَعَلَّقُ بُبُطْلَانِ الشِّرْك، وأنَّ المشركين يتَّبِعُونَ أهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْم، مَعَ تَوْجِيهِ الأمْرِ الرَّبَّانِيّ بإقَامَةِ الوجْهِ للدِّينِ حَنيفاً، والأمْرِ بالتقوى، وإقامَةِ الصَّلَاةِ، والنَّهْي عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمَرِ المشركين، الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينهم وكانُوا شيعاً.

وفيها بيانُ حَالِ المشركينَ تُجَاه مَا يمَسُّهُمْ مِنْ ضُرٍّ أَوْ رَحْمَة، وأَنَّهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ في أَحْوَالِ الضُّرِّ، وأَنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ يُشْرِكُون حِينَما يُذِيقُهُمْ رَبُّهُمْ بَعْضَ آثارِ رَحْمته، مَعَ بَيَانِ أنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ حُجَّةً عَلَىٰ شَيْءٍ من قَضَايا شِرْكِهِمْ.

الدَّرْس الخامس: الآيات من (٣٦ ـ ٣٩).

وفي آيَاتِ هَـٰذَا الدَّرْسِ وَصْفُ حَالِ النَّاس في عَطَاءاتِ اللهِ لَهُمْ، وأَنَّ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ بِحِكْمَتِهِ لِمَنْ يَشَاء، وَيَقْدِرُهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاء، مَعَ توجيه الأمْرِ بالإنْفَاقِ ابْتغاءَ وجْهِهِ، والتحذير من الرِّبَا، للظفر بالفلاح ومضاعَفَةِ الأجْرِ يَوْمَ الدِّين.

الدرس السادس: الآيات من (٤٠ ـ ٤٥).

في آيات هذا الدّرس خِطابٌ من اللهِ للمشركين بأنَّهُ هو الذي خَلَقَهُمْ، ثُمَّ رَزَقَهُمْ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ، ثُمَّ يُحْيِيهِمْ، وأَنَّهُ تَنَزَّهَ وتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُون.

وفيها بَيَانُ أنَّ النَّاس الَّذِينَ خَالَفُوا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ الأشْيَاء

والأحياءَ عَلَيْها؛ قَدْ ظَهَرَ بمَا كَسَبُوا الْفَسَادُ في الْبَرِّ والبحر، إذْ أرَادُوا أَنْ يتَدَخَّلُوا في تغْيير فِطَرِ الأشياءِ، طمعاً في زِيَادَةِ مَكَاسِبِهِمْ مِنَ الأمْوال.

وفيها التحْذِيرُ مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ المعجَّلَة بالدَّعْوَةِ إلى السَّيْرِ في الْأَرْضِ، للنظر في عاقبة الَّذِينَ كَانَ أَكْثَرُهم مُشْرِكين، وكيف أنَّ الله أهْلَكَهُمْ إهْلَاكاً جماعِيّاً مُسْتَأْصِلاً.

وفيها الأمْرُ بإقامَةِ الْوَجْه لِلدِّينِ الْقَيِّم مع التَّحْذِيرِ من عقاب اللهِ يَوْمَ الدّين.

الدرس السابع: الآيات من (٤٦ ـ ٥١).

وفي آيات هٰذا الدَّرْس عَرْضُ بَعْضِ آيات اللهِ في كَوْنِهِ، وبَعْضِ آيَاتِهِ الجزائيّة، وفِيهَا قِيَاسُ إحْيَاءِ الموْتىٰ عَلَىٰ إحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتها، مَعَ بيانِ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَتَّعِظُونَ بِمُنْذِرَاتِ الْعَذَابِ بَلْ يَظَلُّونَ يَكْفُرُون.

الدرس الثامن: الآيتان (٥٢ و٥٣).

وفي آيَتي هذا الدّرْس تَيْئِيسُ الداعي إلى اللهِ مِنْ تَأْثير دَعْوَتِهِ في الَّذين بَلَغُوا فِي نُفُوسِهِمْ دَرَكَةَ مَوْتَىٰ الْقُلُوب، أو دَرَكَةَ الصُّمِّ الْعُمْيِ، فَعَلَيْهِ أنْ يُجَاهِدَ فِي غَيْرِ الميؤُوسِ مِنْهم.

الدرس التاسع: الآية (٥٤).

وفي آية هذا الدَّرْسِ بَيَانُ وَاقِعِ رِحْلَةِ الإنْسَانِ في هَـٰذِهِ الْحيَاةِ الدُّنيا، بَيْنَ الضَّعْفِ والقوة، والَّتِي يَكُونُ خِتامُهَا انْتِهَاءَ هـٰذِه الرِّحْلَةِ بالموت.

الدرس العاشر: الآيات من (٥٥ ـ ٥٧).

وفي آيات هذا الدَّرْس بيانٌ عن أحوال النَّاسِ عِنْدَ قيام سَاعَةِ الْبَعْث.

الدرس الحادي عشر: الآيتان (٥٨ ـ ٥٩):

وفي آيتي هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ اللهَ قَد ضَرَبَ لِلنَّاسِ في هـٰذا القرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، لإقْنَاعِ الْكَافِرينَ بنبذِ كُفْرِيَّاتِهِم، ولَكِنَّ الكافِرينَ يُوَاجِهُونَ مَا يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ بِقَوْلِهِم للمؤمنين: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ. والسبب في ذَلِكَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ مُقْفَلَةٌ مَطْبُوعٌ علىٰ أَقْفَالِها. وَلِيَكُونَ المثَلُ مِقْياساً يُقَاسُ عَلَيْهِ في حُكْمِهِ أشباهُهُ في صِفاتِهِ.

الدرس الثاني عشر: الآية (٦٠) وهي آخر السّورة.

وفي آيَةِ هـٰذا الدَّرْسِ يأْمُرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بالصَّبْرِ، ويُحَذِّرُهُ مِنْ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِين لَا يُوقِنُونَ، فَيُطِيعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ إغراءاتِهِم أَوْ زُخْرُفِ أَقْوالِهِم، وَيُلْحَقُ بالرَّسُولِ ﷺ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

❁ ❁ ❁

(٤)
التدبّر التحليلي للدرس الأوّلِ مِن دُروسِ سُورة (الرُّوم) الآيات من (١ ـ ٧)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾:

القراءات:

(١) • سَكتَ أبو جعفر على «ألف» و«لام» و«ميم» سَكْتَةً خَفِيفَةً بِدُون تَنفُّس.

(٥) • قرأ قَالُون، وأبو عمْرو، والِكسَائِيّ، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكانِ الهاء، وهو لغة عَرَبية.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: ﴿وَهُوَ﴾ بِضَمّ الهاء. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرْس تمهيدٌ بِنَبأٍ عَنْ حَدَثٍ غَيْبِيّ مسْتَقْبَلِيّ يَكْشِفُ الواقِعُ الْقَرِيبُ صِدْقَهُ، دَليلاً عَلىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وصِدْقٌ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُن رَبّ العالَمِينَ، وهٰذا النَّبأُ هو أنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِين، مع إتْبَاعَات مُلَائِمَاتٍ للإعْلَامِ بهذا النَّبأ.

موجز مَا عِنْدَ أَهْلِ التَّارِيخِ حَوْلَ الْحُرُوبِ بَيْنَ فَارِسَ والرُّومِ إبَّانَ التَّنْزِيل:

في أيَّامِ حُكْمِ هِرَقْلَ مَلِكاً عَلَىٰ الرُّوم، وَكَانَ الملكُ عَلَىٰ الرُّوم يُقالُ لَهُ: «قَيْصَر»، أمَّا المِلكُ على الفرس فكَان يقال لَهُ: «كِسْرَىٰ» ـ:

قالوا: إنَّ «كِسْرَىٰ» مَلِكَ الفُرْسِ، إبَّانَ عَهْدِ «هِرَقْلَ» قَيْصَرِ الرُّوم؛ غزَا بِلَادَ الرُّوم وَانْتَصَرَ عَلَىٰ جُيُوشِهِمْ، حتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ «قُسْطَنْطِينيَّة»، فحَاصَرَها مُدَّة طَوِيلَةً، لَكِنَّهُ لَمْ يسْتَطِعْ أَنْ يَفْتَحها. ثُمَّ احْتَالَ «قَيْصَرُ» أنْ يَخْرُجَ مِنْها، لِيَجْمَعَ لِكِسْرىٰ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يُرِيدُ، بَعْدَ مُفَاوَضَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُمَا، وخَرَجَ مَعَهُ ثُلَّةٌ مُنْتَقَاةٌ مِنْ جَيْشِهِ، أمَّا كِسْرَىٰ فَبَقِيَ مُرَابطاً عند «قُسْطَنْطِينِيَّة» يَنْتَظِرُ عَوْدَتَهُ بِمَا وَعَدَهُ أَنْ يَجْلُبَ لَهُ مِنْ أَمْوال.

لَكِنَّ قَيْصَرَ غَزَا بِلَادَ فَارِس، وعَاثَ فيها قتلاً وتَخرِيباً وسَلْباً، حتَّىٰ وَصَلَ إلى «المدائِن» بَلَدِ عَرْشِ «كِسْرىٰ» فَقَتَل مُقَاتِلَتَها، واسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَا فِيها مِنْ أَمْوَالٍ وكُنُوزٍ، واحْتَالَ فِي عَوْدَتِهِ إِلَىٰ «قُسْطَنْطِينِيَّة» بَعِيداً عَنْ جَيْشِ «كِسْرَىٰ» المرابِطِ، وقد بَلَغَهُ أَنَّ قَيْصَر غَزَا بِلَادَهُ وخَرَّبَها، واسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ أَمْوَالِهِ في «المدائن».

وكانَ انْتِصَارُ الرُّومِ عَلَىٰ فَارِسَ بَعْدَ تِسْع سِنِينَ من انتصارِ فَارِسَ على الرُّوم.

وجاء في بَعْضِ الرِّوايَاتِ؛ أَنَّ الرُّومَ غَلَبُوا الْفُرْسَ فِي يَوْمِ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ المشْرِكين فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الكُبْرَىٰ.

التدبُّر التَّحْلِيلِي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ . . .﴾:

• ﴿الٓمٓ ۝١﴾: هـٰذِهِ من الحروف المقطَّعةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي أوائِلِ بَعْضِ سُوَرِ القرآن، وقد ذَكَرْتُ مَا يكْفِي بِشَأْنِهَا فِي أوائلِ تَدبُّر سورة (القلم/ ٤ نُزُول) فَلْيُرْجَعْ إليه.

• ﴿ٱلرُّومُ﴾: أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ مَعْرُوفَة، عاصِمَةُ مَمْلَكَتِهِمْ مَدِينَةُ «قُسْطَنْطِينِيَّة» وهي: «اصْطَنْبُول» الآن.

• ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: فِي أَقْرَبِ أَرْضِهِمْ مِنْ أَرْضِ الجزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، والظَّاهِرُ أَنَّهَا مِنْ بِلَادِ الشَّام «فِلِسْطِين ومَا حَوْلَها».

جاء عند المفسّرين: أنَّ دَوْلَةَ «فَارِس» غَلَبَتْ دَوْلَةَ الرُّوم، ففرح بهذا مُشْرِكُو مَكَّة، وقالُوا: غَلَبَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ وهُمُ الْفُرْسُ؛ الَّذِينَ لَهُمْ كِتَابٌ وهُمُ الرُّوم، وافْتَخَرُوا بهذا عَلَىٰ المسلمين، وقَالُوا لَهُمْ: سنغلِبُكُمْ كَما غَلَبَ الْفُرْسُ الرُّوم.

• ﴿. . . وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ . .﴾:

أي: وسَيَكُونُ لِلرُّومِ فِي بِضْعِ سِنِينَ انْتِصَارٌ على فَارِسَ، وهـٰذا خَبَرٌ قُرْآنِيٌّ عَنْ غَيْبٍ سَيَقَعُ في المسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ، وهُوَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي

تُثبِتُ أنَّهُ كِتَابٌ مَنَزَّلٌ مِنْ رَبّ الْعَالَمِينَ، إذْ تَحَقَّقَ انْتِصَارُ الرُّومِ عَلَىٰ فَارِسَ بَعْدَ نَحْوِ تِسْعِ سِنِينَ.

البِضْعُ: هو في الْعَدَد من الثَّلاثِ إلَىٰ التّسع.

وجاءت رِوايات متَعَدِّدَات، فيها أَنَّ نَاساً مِنَ المشركين من قريش؛ قَالُوا لِأَبي بَكْرِ رضي اللهُ عَنْهُ: أَلَا تَرَىٰ إلَىٰ مَا يَقُولُ صَاحِبُك يَزْعُمَ أَنَّ الرُّوم سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ؟!. قال: صَدَقَ صَاحِبِي.

قالوا: هَلْ لَكَ أَنْ نُقَامِرَكَ؟، وَكَانَ هَـٰذَا قَبْلَ تَحْرِيم الْقِمَارِ. فَقَبِلَ أبو بَكْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُرَاهِنَهُمْ، تَصْدِيقاً للهِ ورسُولِهِ ﷺ، واجْتَهَدَ أَبُو بَكْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَحْدِيدِ السِّنِينَ إذْ جَعَلَهَا دُونَ تِسْع سِنِين، ثُمّ زَادَهَا إلى تِسْعِ سِنِينَ. وتَحقَّقَ انْتِصَارُ الرُّوم عَلَىٰ فَارِسَ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآن.

وقيل: إنَّ الَّذِي رَاهَنَ أَبَا بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو «أُميَّةُ بْنُ خَلف»، على عَشْرِ قَلَائِص «وهي من الإبل الشابَّة»، ثُمَّ زَادَ أَبو بكْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْأَجَلَ، وزاد في القلائِصِ فجعلَها مِئةً.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

● ﴿... لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾:

أي: للهِ وَحْدَهُ كُلُّ الْأَمْرِ مِنْ تَصَارِيفِ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ قَبْلِ انْتِصَارِ فَارِسَ عَلَىٰ الرُّوم، فَهُو الَّذِي نَصَرَ فَارِسَ يَوْمَئِذٍ، وللهِ وَحْدَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ انْتِصَارِهِمْ، فَهوَ الَّذِي سَيَنْصُرُ الرُّومَ عَلَىٰ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِين، ويَوْمَ يَتَحقَّقُ انْتِصَارُ الرُّوم عَلَىٰ فَارِسَ يَفْرَحُ المؤْمِنُونَ بهذا الانْتِصارِ، لأنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَاب. ويَفْرَحُ المؤمِنُونَ أَيْضاً بانْتِصَارِهِمْ عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيشٍ فِي

غَزَواتٍ أَوَّلُهَا غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ، وهَـٰذا النَّصْرُ هُوَ مِنَ اللهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطانُهُ ـ تَقْدِيراً وَقَضاءً وخَلْقاً، أَوْ إِذْناً وَتَمْكِيناً، فَهُوَ الَّذِي يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وما النَّصْرُ دَواماً إِلَّا مِنْ عِنْدِ الله.

• ﴿... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾: أي: واللهُ وَحْدَهُ هو الْقَوِيُّ الغالِبُ، وَذُو الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ بِعِبادِه.

• ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾:

أي: إنَّ الْإِنْبَاءَ بأنْ يَنْصُرَ اللهُ الرُّومَ عَلَىٰ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ؛ خَبَرٌ عَنْ أمْرٍ غَيْبِيٍّ مُسْتَقْبَلِيٍّ سَيَقَعُ فِي المسْتَقْبَلِ الْقَرِيب، حَالَةَ كَوْنِهِ وَعْدَ اللهِ صَادِراً عَنْهُ، ويَجْرِي الْوَاقِعُ بِتَقْدِيرِهِ وقضائِهِ أَوْ إِذْنِهِ، وهُوَ مَشْمُولٌ بِعِلْمِهِ المحِيطِ بِمَا كَانَ وبِمَا هُوَ كائِنٌ وبما سَيكُون.

ومن صِفَاتِ اللهِ أَنَّهُ لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، إذْ صِدْقُ الْوَعْدِ مِنْ صِفَاتِ كمالَاتِ الله، وهُو ـ جلَّ جَلَالُهُ ـ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَه.

ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَمالَاتِ صِفاتِ اللهِ، وتَنَزُّهِهِ عَنِ النقائِصِ كُلِّها، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ فيما يُخْبِرُ بِهِ حَقٌّ، ولَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الميعاد، وَغَيْرُ مُؤْمِنِينَ بأنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ لَدُنْهُ، فَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بالْأَنْبَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا آيَاتُهُ.

واسْتَدْرَكَ الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ بالنِّسْبَةِ إلى عِلْمِ النَّاس، فأَبَانَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وأَنَّهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون.

أَمَّا عِلْمُ أَكْثَرِ النَّاسِ بِظَاهِرٍ مِنَ الحياةِ الدُّنْيا؛ فَهُو عِلْمُهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ لِحَياتِهِمُ الدُّنْيا، وَيقَدِّمُ لَهُمْ مَا يُحِبُّونَ مِنْ مَتَاعَاتِها، ولَذَّاتِهَا، وَمَا تَهْواهُ نُفُوسُهُمْ مِنْها.

فالْعِلْمُ بأحْسَنِ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُقَدِّمُ لَهُمْ أَطْيَبَ الْأَطْعِمَةِ وألَذَّها؛ هُوَ مِنَ الْعِلْم بِظَاهِرٍ مِنَ الحياة الدُّنْيَا.

والْعِلْمُ بأحْسَنِ الوسائِلِ الَّتِي تُنْتِجُ أفْضَلَ المزارعِ وأَحْسَنَ الثَّمَرَاتِ؛ هُو مِن الْعِلْمِ بظاهِرٍ مِنَ الحياة الدُّنْيا.

والْعِلْمُ بأَحْسَنِ وَسَائِلِ كَسْبِ الأمْوال؛ هو مِنَ الْعِلْم بظاهِرٍ من الْحَيَاةِ الدُّنْيا.

والْعِلْم الموصِلُ إلىٰ صِنَاعَةِ أحْسَنِ المراكِبِ الْبَرِّيَّةِ والْبَحْرِيَّةِ والجوِّيَّة؛ هُو مِنَ الْعِلْمِ بظَاهِرٍ مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا.

والْعِلْمُ الموصِلُ إلى مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الأدْوِيَةِ والْعِلَاجَاتِ الطِّبِّيَّة؛ هو من الْعِلْمِ بظاهِرٍ من الحياةِ الدُّنيا.

وهَكَذا إلى أَمْثِلَةٍ كَثيرَة لَا تَكَادُ تُحْصَىٰ.

أمَّا بَاطِنُ مَا فِي الحياة الدُّنْيا فَهُو دَلَالَةُ كُلِّ شَيءٍ فيها على الخالِقِ البارئ المُصَوِّرِ، الرَّحِيمِ بِعِباده، والَّذِي أَتْقَنَ كَلَّ شَيْءٍ صُنْعاً، وَخَلَقَ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ وَأَحكَمَهَا لِحَياةِ الابْتِلَاءِ، وَجَعَل مَا جَعَلَ فيها دَالّاً عَلَىٰ صِفَاتِهِ العظْمَىٰ وَأَسْمَائِهِ الحسْنَىٰ.

ومَعْرِفَةُ صِفاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ؛ تَهْدِي إِلَىٰ الإيمانِ بالجزاءِ الرَّبَّانِيِّ الحكِيم، والْإِيمَانُ بِالجزاءِ الرَّبَّانِيِّ الحكِيم يَهْدِي عَنْ طَرِيق اللَّوَازِمِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَىٰ الإيمانِ بالْآخِرَةِ حَتْماً، ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَنْ هـٰذِهِ الحقيقَةِ العظْمَىٰ غَافِلُون.

وبياناً لِهـٰذِهِ الحقيقةِ قَالَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - فِي وَصْفِ أَكْثَرِ الناس:

• ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾:

أي: وهم - بالتأكِيدِ المشَدَّدِ - غافِلُونَ عَنِ الحياةِ الآخِرَةِ، الَّتِي تكُونُ

بَعْدَ الْبَعْثِ إلى يَوْمِ الدِّين، وغافِلُونَ عَمَّا سَوْفَ يَكُونُ فِيها مِنْ جزَاءٍ بالثَّوَابِ أَوْ بِالْعِقَاب، إذْ تَقْتَضِي حِكْمَةُ اللهِ تَحْقِيقَ هٰذا الجزاء.

إِنَّهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ، مَعَ وُجُودِ أَدِلَّةِ الْجزاءِ يَوْمَ الدِّينِ فِي ظَاهِرَاتِ الحياةِ الدُّنْيا، وَهِي تَسْتَثِيرُ كُلَّ ذِي فِكْرٍ لِمَعْرِفَتِها، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مُنْصَرِفُو الْأَذْهَانِ عَنْهَا، انْشغَالاً بمَتَاعَاتِ نُفُوسِهِم وَمَطَالِبِهِمْ لِحَياتِهِمُ الدُّنْيَا مِنْهَا، فَهُمْ لَا يَسْعَوْنَ لِلْآخِرَة والنجاة من عَذَابِها، والظَّفَرِ بِنَعِيمِهَا؛ سَعْيَها الَّذِي جاءت بِهِ تَعَالِيمُ دِينِ اللهِ وآياتُ كِتَابِهِ، وأَرْسَلَ رَسُولَهُ ﷺ مُبَلِّغاً وَمُبَيِّناً.

وبهذا انْتَهَىٰ تَدَبُّر الدَّرْسِ الأول مِنْ دُروس سورة (الروم).

والحمد للهِ على معونَتِهِ، ومدَدِهِ، وتَوْفِيقِه، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٥)
التدبّر التحليلي للدّرس الثاني من دُروس سورة (الرُّوم) الآيات من (٨ ـ ١٦)

قال اللهُ عزَّ وجلّ:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن

شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾:

القراءات:

(٩) • قرأ أبو عمْرو: [**رُسْلُهُمْ**] بإسْكانِ السّين، وهو لغة.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿رُسُلُهُم﴾ بِضَمِّ السّين، وهو لغة.

(١٠) • قرأ نَافع، وابْنُ كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ويَعْقُوب: [**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ**] برَفْعِ لفظ «عَاقِبة».

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ﴾ بِنَصْبِ لفظِ «عاقبة».

والقراءتان وجهانِ عَرَبيانِ جَائِزان.

(١٠) • قرأ أبو جعفر: [**يَسْتَهْزُونَ**]، وكذلِكَ قرأها حمزة في الوقف، ولَهُ أيضاً التَّسْهِيلُ بَيْنَ بَيْن، وله أيضاً الإبْدَالُ يَاءً [**يَسْتَهْزِيُونَ**].

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾. وللأزرْق ثلاثة الْبَدَل.

(١١) • قرأ أبو عَمْرو، وشُعْبَةُ: [**يُرْجَعُونَ**].

وقرأهَا رَوْحُ: [**يَرْجِعُونَ**].

وقرأها رُوَيس: [**تَرْجِعُونَ**].

وقرأها باقِي الْقُرَّاءِ العشرة: ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

وبيْنَها تكامُلٌ فِي الأَدَاءِ البياني.

تمهيد:

في آيات هٰذا الدّرس بيانَاتٌ وإقْنَاعَاتٌ تَتعلَّقُ بِقانونِ الجزاءِ الرَّبّاني، المعجَّلِ في الدُّنْيا، والمؤجَّلِ إلَىٰ يَوْمِ الدِّين.

التدبّر التحليلي:

■ قول اللهِ تَعالَىٰ بِشَأْنِ المشركينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالجزاءِ الرَّبَّانِيّ الحكيم، القائِمِ عَلَىٰ الْعَدْلِ، والْفَضْلِ، وفي مُقَدِّمَةِ المعنيّينَ مُشْرِكُو مَكَّة إبَّانَ التنزيل:

• ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾:

• ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ... (٨)﴾:

أي: أَنطَمَسَتْ عُقُولُهُمْ وَأَذْهَانُهُمْ وَبَصَائِرُهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ بِمَتَاعَاتِ الحياةِ الدّنيا، وزِينَتِهَا، وَمَطَالِبِهِمْ مِنْهَا، وَلَمْ يَتفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تفكُّراً سَدِيداً رَشِيداً يُوصِلُهُمْ إلَىٰ إدْرَاكِ الْغَايَةِ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وأَنَّ اللهَ ـ جَلَّ جَلالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ مَا خَلَقَ هٰذِهِ المخْلُوقَاتِ العظْمَىٰ إلَّا مُتَّصِفَةً بالحَقِّ؟!.

ومِمَّا بَيْنَ السَّمَاواتِ والأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ والْجِنُّ والإنْسُ، والْقُوَىٰ غَيْرُ المنظُورَةِ المنْتَشِرَةُ فِي بَاطِنِ هٰذا الكَوْنِ وَأَرْجَائِهِ.

والْحَقُّ هُوَ الشَّيْءُ الثَّابِتُ، وأجْزَاءُ هٰذا الكَوْنِ أشْيَاءُ مَوْجُودَةٌ حَقّاً، وَلَيْسَتْ وَهْماً مِنَ الأَوْهَام، ومِنَ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ لِلْخَلْقِ غايَةٌ حَكِيمَةٌ، ولَمَّا كانَ مِنْ صِفَاتِ الباري ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ أَنَّهُ عَلِيمٌ، قَدِيرٌ، حَكِيمٌ، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَلْقُ الإِنْسِ والجنِّ أمراً حَكِيماً ذَا غَايَةٍ تُنَاسِبُ صِفَاتِ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ الْحَكِيم، وَأَنْ لَا يَكُونَ هٰذا الْخَلْقُ عَبَثاً وَلَا لَهْواً وَلَا لَعِباً.

وبالتَّفكُّرِ السَّدِيدِ الرَّشِيدِ؛ يُدْرِكُ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ فِي ظُرُوفِ هٰذِهِ الحياة الدُّنْيَا لِيَبْلُوهُمْ، ويَلْزَمُ عَقْلاً مِنَ الابْتِلَاءِ الْجَزَاءُ، وإلَّا كَانَ الابْتِلَاءُ عَبَثاً، ويَلْزَمُ عَقْلاً أَنْ يَكُونَ للابْتِلَاءِ أَجَلٌ يَنْتَهِي عِنْدَه، والْعَلِيمُ الْقَدِيرُ الْحَكِيمُ لَا بُدَّ أَنْ يُحَدِّدِ زَمَنَ الابْتِلَاءِ فِي ظُرُوفِ الحياة الدُّنْيَا، وأنْ يُسَمِّيَ الأَجَلَ الَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَهُ، وبانْتِهائِهِ يأتِي زَمَنُ إِقَامَةِ سَاعَةِ إِفْنَاءِ الأَحْيَاءِ، وَتَغْيِيرِ نِظَام الكَوْنِ الْقَائِمِ المناسِبِ لِمُدَّةِ الابْتِلَاءِ، ثم يأْتِي زَمَنُ إِقَامَةِ سَاعَةِ الْبَعْث، وإيجادِ نِظَامٍ كَوْنِيٍّ يُنَاسِبُ يَوْمَ الجزاء الأكبر.

ودَلَّتْ عبارَة: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْۗ﴾ عَلَىٰ أَنَّ أجهِزَةَ التفكِيرِ فِي النَّاسِ جُزْءٌ مِنَ أنْفُسِهمْ.

وَلَمَّا كَانَ لِقَاءُ اللهِ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ الْبَعْثِ للحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وتَنْفِيذِ الجزاء؛ عُنْصراً مِنْ عَنَاصِرِ خُطَّةِ الباري جَلَّ جَلَالُهُ لِتَحْقِيقِ الْغَايَةِ الحكيمَةِ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وهي الجزاءُ الْحَكِيمُ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ مُتَعَلِّقِينَ بمَتَاعَاتِ الحياة الدُّنْيَا، وزُخْرُفِها، وزِينَاتِهَا، ويُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ الآخِرَة؛ كَانَ الكثِيرُ مِنْهُمْ كَافِرِينَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ، وبياناً لِهٰذِهِ الحقيقَةِ قَال اللهُ تَعَالَىٰ:

● ﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾:

والباعِثُ لَهُمْ أَنْ يَكْفُروا أَنَّ الإِيمَانَ يَجْعَلُهُمْ يَتْركُونَ كَثِيراً مِمَّا يُحِبُّونَ مِنَ الدُّنْيا، وهُمْ مُتَشَبِّثُونَ بِهَا، وَلَا يَسْهُلُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَتْرُكُوها.

جَاءَ توكيد هٰذه العبارة بِـ«إنَّ ـ والجملة الاسميَّة ـ واللَّام المزحْلَقَة».

■ قول الله تعالىٰ:

• ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۝١٠﴾:

أيْ: أَاسْتَقَرَّ الْمَعْنِيُّونَ بالْعِلَاجِ وَهُمْ أَئِمَّةُ مُشْرِكِي مَكَّةَ فِي بَلَدِهِمْ، وَلَمْ يَسِيرُوا مُسَافِرِينَ في الأَرْضِ، وصُولاً إِلَىٰ بِلَادِ مُهْلَكِين سَابِقِينَ مِنْ أَقْوَام كَفَرَةٍ، فَيَنْظُرُوا بِأَعْيُنِهِمْ آثَارَ بُلْدَانِهِمُ المدَمَّرَةِ عَلَيْهِمْ، ويَعْلَمُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمُ الْوَخِيمَةُ تَعْذِيباً لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ الْعِنَادِيِّ الإِجْرَامِيّ؟!.

والجواب: بَلْ سَارُوا وَنَظَرُوا، وعَلِمُوا، فَقَدْ شَاهَدُوا دِيَارَ ثَمُودَ، قَوْمِ النبيّ الرَّسُولِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَام، وشاهَدُوا كَيْفَ قَلَبَ اللهُ أَرْضَ سَدُوم، قَوْمِ النبيِّ الرَّسُولِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَام، وجَعَلَ مَكانَ دِيَارِهم الْبَحْرَ الميِّتَ، وَشَاهَدُوا دِيَارَ أَقْوَامٍ آخَرِينَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَّعِظُوا وَلَمْ يَرْتَدِعُوا.

وبَعْضُ هٰؤلَاءِ الأَقْوَامِ المهْلَكِينَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قُوَّةً، مثل: «عَادٍ»، قَوْمِ النَّبيِّ الرَّسُولِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَام، ومِثْل: «فِرْعَوْنَ» وآلِهِ وَجُنْدِه، الَّذِينَ كَذَّبُوا بالآياتِ التِّسْعِ الَّتِي آتاها اللهُ مُوسَىٰ ومَعَهُ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السلام.

• ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾: أي: وحَفَرُوهَا وحَرَثُوهَا لمنافِعِهِمُ الزراعِيَّةِ والْعُمْرانِيَّةِ والصِّناعِيَّة، أَكْثَرَ مِمَّا أَثَارَ أَهْلُ مَكَّةَ الأَرْض التي كَانَ لهم سُلْطَانٌ عليها.

• ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي: وَعَمَرَ المهْلَكُونَ السَّابِقُونَ أَرْضَهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَ أَهْلُ مَكَّةَ أَرْضَهُمْ.

• ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: أي: وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالآياتِ البَيِّناتِ الواضِحاتِ، وَهِيَ الآياتُ الْبَيِّناتُ المنزَّلاتُ مِنَ الكُتُبِ والصُّحُفِ.

• ﴿... فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾:

أي: فَقَضَىٰ اللهُ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ، بِقَضَائِهِ الْعَادِلِ، وَمَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ اسْتِعْمَالُ سُلْطَانِهِ وقُدْرَتِهِ العظيمةِ؛ لِيَظْلِمَهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ في قَضَائِهِ وَلَا في تَنْفِيذِ جزائِهِ العقابيِّ، ولَكِنْ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وبارتكابِهِم الجرائِمَ الكُبْرَىٰ، علَىٰ الرُّغْمِ مِنْ تَحْذِيرِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ وعَذَابِهِ.

إِنَّ مَنْ يُبَلَّغُ أَنَّهُ إِذَا كَفَرَ بِرَبِّهِ وعَصَاهُ بمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ ونَواهِيهِ؛ عَاقَبَهُ رَبُّهُ عِقَاباً أَلِيماً، فَلَمْ يَعْبأْ بِمَا جَاءَهُ مِنْ بَلاغٍ حَقٍّ، فَكَفَرَ وَعصَىٰ، ولَمْ يَتَدَارَكْ نَفْسَهُ بالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفَارِ؛ فَهُوَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ بإِدْخَالِهِ نَفْسَهُ تَحْتَ نَوَازِلِ عِقَابِ رَبِّهِ وعَذَابِهِ، الَّتِي جَاءَ التحذيرُ مِنْهُ فِي الْبَلَاغِ الحقِّ الصَّادِقِ عَنْهُ.

• ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾:

السُّوأىٰ: مؤنَّثُ «الأَسْوَأ»، والمرادُ بالسُّوأَىٰ هُنَا: دَارُ العذاب النَّار.

أي: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الْمُهْلَكِينَ مِنَ الأَمَمِ السَّالِفَةِ الَّذِينَ أَسَاؤُوا؛ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، بقَضَاءٍ عَادِلٍ مِنْ رَبِّهِمْ، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ الإعجازِيَّةِ وَآيَاتِهِ البيانِيَّة، وأَنَّهُمْ كانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ، إِنْكاراً لَهَا وَجُحُوداً.

■ قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ يُبَيِّنُ خِطَّتَهُ لِحَيَاةِ الابْتِلَاءِ وَحَيَاةِ الجزاء:

• ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ

يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾:

- ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾:

أي: اللهُ الأزَلِيُّ بلا بِدَايَةٍ، الأَبَدِيُّ بلا نِهَايَةٍ؛ يَبْدأُ خَلْقَ مَا قَدَّرَ وَقَضَىٰ أَنْ يَخْلُقَهُ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، ثُمَّ يُمِيتُ الأَحْيَاءَ الَّتِي خَلَقَهَا، ويُفْنِي مَا يَشَاءُ أَنْ يُفْنِيَهُ، ثُمَّ يُعِيدُ الأحْيَاءَ الَّتِي أَمَاتَهَا، وَيُعِيدُ مِمَّا أَفْنَاهُ مَا شَاءَ أَنْ يُعِيدَهُ بِقُدْرَتِهِ العظيمة.

وخَاطَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ النَّاسَ بقَوْلِهِ:

- ﴿... ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾:

أي: ثُمَّ تُبْعَثُونَ لِلْحَيَاةِ الأُخْرَىٰ، وإِلَىٰ حِسَابِ اللهِ تعالى، وفَصْلِ قَضَائِهِ، وَتَنْفِيذِ جَزَائِهِ، تُرْجَعُونَ بالْجَبْرِ، فَأَنْتُم تَرْجِعُونَ مُطَاوِعِينَ.

- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾:

﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أي: يَسْكُتُ، وَيَيْئَسُ، وَيَنْدَمُ الْمُجْرِمُونَ.

المجْرِمُون: أي: المعْتَدُونَ بِذُنُوبٍ كَبِيرَةٍ، وقَدْ جاء لفظ «المجرمينَ» في القرآن عُنْوَاناً مُقَابِلاً لِلْمُسْلِمِينَ، ووَصْفاً لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ خالِدِينَ فِي النار يَوْم الدِّين.

المعْنَىٰ: وَيَوْمَ تَقُومُ سَاعَةُ الْبَعْثِ، ويَشْهَدُ المجرِمُونَ الكَفَرَةُ مَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ أَمْراً وَاقِعاً حَقّاً، وأَنَّهُمْ سَيَحْكُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ بالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وتَكْذِيبِهِمْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ حِينَ كَانُوا فِي رِحْلَةِ الامْتِحَانِ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَبَعْثِهِمْ؛ لَا يَجِدُونَ شَيْئاً يَتَصَرَّفُونَهُ إِلَّا الإِبْلَاسَ ـ وهُوَ السُّكُوتُ ـ واليأسُ، وَالنَّدَمُ.

• ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾:

أي: وَلَمْ يَجِدُوا أَحداً وَلَا أَكْثَرَ مِنْ آلِهَتِهِمُ الَّذِينَ جَعَلُوهُمْ شُرَكَاءَ للهِ فِي إلٰهيَّتِهِ، حين كانُوا في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ الرَّبِّ الْواحِدِ الأَحَدِ الَّذِي لَا إلٰهَ بِحَقٍّ إلَّا هُو، ولَا رَبَّ فِي الوجود سِوَاه.

وإذْ لَمْ يَجِدُوا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا آلِهَتَهُمْ شُفَعَاءَ لَهُمْ صَارُوا بِهِمْ كَافِرِين، ولَكِنَّ كُفْرَهُمْ بِهِمْ جَاءَ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ، وبَعْدَ انْتِهَاءِ حَيَاةِ الامْتِحَانِ، وبَعْدَ تَحَقُّقِ حَيَاةِ الجزاء.

• ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾:

أي: وَيَوْمَ تَقُومُ سَاعَةُ الْبَعْثِ، وَيُحْشَرُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا مَوْضُوعِينَ بِحِكْمَةِ اللهِ مَوْضِعَ الامْتِحَان؛ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ، ويَنْقَسِمُونَ إلَىٰ فَرِيقَيْنِ رَئِيسَيْنِ أَكْبَرَينِ:

الْقِسْمُ الأَوَّلُ: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِم.

الْقِسْمُ الثَّانِي: الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتِ رَبِّهِمُ الإعجازِيَّة، والجزائِيَّةِ، والبيانِيَّة.

• ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾:

يُحْبَرُون: أي: يُسَرُّونَ، ويُنَعَّمُونَ، يُقَالُ لُغَةً: «حَبَرَهُ، يَحْبُرُهُ، حُبُوراً» أي: سَرَّهُ ونَعَّمَهُ.

والرَّوْضَةُ: الأرضُ المكْسُوَّةُ خُضرَةً، وأَزْهَاراً، ووروداً، والْبُسْتَانُ الحسن، والمرادُ بالرَّوْضَةِ هُنَا الجنَّةُ دَارُ المتَّقِينَ يَوْمَ الدِّين.

المعنىٰ: فَأَمَّا فَرِيقُ الَّذِينَ كَانُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الحياة الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ يُعَبِّرُونَ عَنْ صِدْقِ إيمانِهِمْ بأعْمَالٍ صَالِحَاتٍ، فَهُمْ فِي الجنَّةِ دَارِ

نَعِيم المتّقِينَ يَوْمَ الدّين، يُسَرُّونَ، ويَنَعَّمُونَ، خَالِدِينَ فِيها فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ لَا يَنْقَطِعُ.

• ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾:

• ﴿كَفَرُوا۟﴾: أي: جَحَدُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ في رُبُوبيَّتِهِ، أو بِوَحْدَانِيّتِهِ فِي إلٰهِيَّتِهِ، مَعَ وُضُوحِ أَدِلَّةِ وَحْدَانِيّتِهِ لهم.

• ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: وكَذَّبُوا بآيَاتِ اللهِ الْبَيَانِيَّةِ، وآيَاتِهِ الإعْجَازِيَّةِ، وآيَاتِهِ الجَزَائِيَّة، علَىٰ الرُّغم مِنْ كَوْنِهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ واضِحَات.

• ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أي: وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ فِي الآخِرَة للحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وتَنْفِيذِ الجزاء.

• ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: أي: فأُولٰئِكَ الْبُعَدَاءُ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ سَوْفَ يَكُونُونَ مُقِيمينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ، وسَوْفَ يَكُونُونَ مَسُوقِينَ قَهْراً إِلَىٰ دَرَكَاتِ تَعْذِيبِهِمْ في جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فيها.

الإحضار: يكونُ بحَسَبِ الغايَةِ مِنْهُ، فإذَا كانَتِ الغايَة مِنْهُ الحسابَ وفَصْلَ القضاء؛ فالْمُحْضَرُ يُسَاقُ قَهْراً إلَىٰ مَوْقِفِ مُحَاسَبَتِهِ وفَصْلِ القَضَاء بشَأْنِهِ، وإذا كانَتِ الغايَةُ مِنْهُ تَنْفِيذَ الجزَاءِ؛ فالْمُحْضَرُ يُسَاقُ أَوْ يُحْمَلُ إلىٰ المكان المعَدِّ لتَعْذِيبه فيه، والقَرائِنُ كَوَاشِفُ لِلْمُرَادِ بالإِحْضَارِ.

وبهٰذا انْتَهىٰ مَا فتح اللهُ بِهِ مِنْ تَدَبُّر الدّرْسِ الثاني مِنْ دُروسِ سُورة (الروم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِه، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٦)
التدبّر التحليلي للدّرس الثالث من دُروس سورة (الروم) الآيات من (١٧ ـ ٢٧)

قال اللهُ عَزَّ وجلّ:

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾:

القراءات:

(١٩) ● قرأ ابْنُ كثير، وأبو عمْرو، وابْنُ عامر، وشُعْبَة: [**الْمَيْت**] بإسْكان الياء دُونَ تَشْدِيدٍ في الموضِعَيْن.

وقرأهُمَا باقي القرّاءِ العشرة: ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾ بِتَشْدِيد الياء المكْسُورَة.

وهُمَا نُطْقَانِ عَرَبيان والمرادُ بهما واحد.

(١٩) ● قرأ حمزة، والكسَائِيّ، وخلف، وابْن ذَكْوَان بخلف عنه: [**تَخْرُجُونَ**].

وقرأهَا باقي القرّاء العشَرة وهو الثاني لابن ذكوان: [تُخْرَجُوْنَ].

أي: تُخْرَجُونَ بِخَلْقٍ جَبْرِيّ، فَتَخْرُجُونَ مُطَاوِعين.

(٢٢) • قرأ حفص: [لِلْعَالِمِينَ].

وقرأهَا بَاقِي القُرّاءِ العشَرة: ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وبين القراءتَيْنِ تكَامُل، أي: لِلْعَالِمِينَ مِنَ الْعَالَمِينَ.

(٢٤) • قرأ ابْنُ كَثِير، وأبُو عمرو، ويَعْقُوب: [وَيُنْزِلُ]، مِنْ فعل «أَنْزَلَ».

وقرأهَا باقِي القراء العشرة: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾، مِنْ فِعْلِ «نَزَّلَ».

والقراءتَان متكافِئَتَان، إِذِ الْفِعْلُ المهموزُ أَخُو الْفِعْل المضَعَّف.

(٢٧) • قرأ قَالُون، وأبُو عمرو، والكِسَائِي، وأبو جَعْفَر: [وَهْوَ] بإسْكان الهاء.

وقرأهَا باقي القراء العشرة: ﴿وَهُوَ﴾ بِضَمِّ الْهَاءِ، ووقَفَ يَعْقُوبُ بهاء السَّكْت.

وكذا حيْثُ وَرَد.

إِسْكَانُ هَاء «وَهْوَ» وضَمُّهَا نُطْقَانِ عَرَبيان.

تمهيد:

في آيات هـٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ طَائِفَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ في كَوْنِهِ، دَالَّاتٍ عَلَىٰ تَنْزِيهِ اللهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بأَزَلِيَّتِهِ وَأَبَدِيَّتِهِ، وعَلَىٰ أَنَّ لَهُ كُلَّ صِفَاتِ الكَمَالِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الأَرْض.

التَّدَبُّر التحليلي:

■ قول اللهِ تعالىٰ يُرْشِدُ عِبادَهُ إلىٰ تَنْزِيهِهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ بالْحَمْدِ، فِي المَساء، وفي الصَّبَاحِ، وَفِي الْعَشِيّ، وعِنْدَ الظَّهِيرَة:

• ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾:

• ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾: أي: حِينَ تَدْخُلُونَ في المسَاءِ، وهُو يُطْلَقُ عَلَىٰ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ وقد يَمْتَدُّ إِلَىٰ مُنْتَصَفِ اللَّيل.

• ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: أي: وحِينَ تَدْخُلُونَ فِي الصَّبَاح، وهو أَوَّلُ النَّهار.

• ﴿وَعَشِيّٗا﴾: الْعَشِيُّ هُوَ مِنْ أَوَّلِ وَقْتِ الْعَصْرِ إِلَىٰ غُروبِ الشَّمْس.

• ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: أي: وحِينَ تَدْخُلُونَ فِي وَقْتِ الظَهِيرَة. وهو منتصف النهار.

المعنىٰ: يُرْشِدُ اللهُ عزَّ وجَلَّ عِبادَهُ المؤمِنينَ بِعِبارَةٍ خَبَرِيَّةٍ لَا أَمْرَ فِيها وَلَا تَكْلِيفَ؛ إِلَىٰ أَنْ يُسَبِّحُوا اللهَ وَيَحْمَدُوهُ في وقْتِ الْمَسَاءِ، وفِي وقْتِ الصَّباحِ، وفي وَقْتِ العشِيِّ، وفي وقْتِ الظَّهِيرَةِ.

إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ مُنَزَّهٌ دواماً عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وعَظيمِ سُلْطَانِه، وهُوَ مَحْمُودٌ دَواماً بِكُلِّ صِفَاتِ الكَمالِ في السَّماوَاتِ والأَرْضِ، فذِكْرُ أَوْقَاتِ الْمَسَاءِ، والصَّبَاحِ، والْعَشِيّ، والظَّهِيرَةِ؛ يَدُلُّ دَلَالَةً ضِمْنِيَّةً عَلَىٰ إرْشَادِ المؤمِنِينَ إلىٰ أَنْ يُسَبِّحُوا رَبَّهُمْ فِي هـٰذِهِ الأَوْقَاتِ.

وَجاءَتْ عِبارَةُ: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ جُمْلَةً مُعْتَرِضَةً لِتُؤَدِيَ دَلالَتَيْن:

الأولىٰ: أَنَّ اللهَ مَحْمُودٌ في كُلِّ الكَوْنِ، إِذْ يَدُلُّ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ علىٰ صِفَاتِهِ العظْمَىٰ، وأسْمَائِهِ الحسنَىٰ.

الثَّانِية: ارْتِبَاطُ التَّسْبِيحِ بِالْحَمْدِ، فالتَّسْبِيحُ تَنْزِيهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ لَا يَلِيقُ بأَزَلِيَّتِهِ وأَبَدِيَّتِهِ، والْحَمْدُ ثَنَاءٌ بِصِفَاتِهِ العظْمَىٰ ذَاتِ الكَمَالِ الّذِي لَا حَدَّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ.

ولهٰـذا جَاءَ في العبارات المرْوِيَّاتِ عن النّبِيّ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ والْحَمْدُ لله، سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه.

■ قول الله تَعَالَىٰ مبيّناً بَعْضَ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾:

أي: مِنْ آيَاتِهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ أَنَّهُ يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ الميّتِ، ومِنْهَا أَنَّهُ أخْرَجَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَام حَيّاً مِنْ طِينٍ جافٍّ لَا حَيَاةَ لَهُ، فَهُوَ كَائِنُ إِنْسَانٍ ذو نفس مَيِّتٍ، ويُخْرِجُ مِنَ الْبُيُوضِ الميّتَةِ الأحْيَاءَ الَّتِي تَفْقِسُ عَنْهَا الْبُيُوضُ، وَأَخْرَجَ نَاقَةَ صَالح ـ عَلَيْهِ السلام ـ من صَخْرَةٍ مِنْ صُخُورِ الْجَبَلِ، وكُلُّ جَنِينٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ تُنْفَخَ فِيهِ الرّوحُ كَانَ مَيِّتاً، وَيُخْرِجُ اللهُ مِنْهُ كَائِناً حَيّاً بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيه.

ويظْهَرُ أَنَّ المرادَ بالإخْرَاجِ التَّحْوِيلُ مِن مَيّتٍ إِلَىٰ حَيٍّ، إِذْ هو بهٰـذَا يَخْرُجُ مِنْ وَضْعٍ إِلَىٰ وضْعٍ آخَرَ، وَمِنْ حَالِ سُكُونٍ أَوْ نَمُوٍّ كَنُمُوّ النَّبَاتَاتِ؛ إِلَىٰ وَضْعٍ آخَرَ وحَالٍ أُخْرَىٰ يَكونُ فِيهَا كَائِناً يَتَحَرَّكُ تَحرُّكاً إِرادِيّاً ذَا حَيَاةٍ خاصَّةٍ جامِعَةٍ لكلّ أَجزائِهِ وخَلايَاه.

• ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾: أَيْ: ويُخْرِجُ نَبَاتَاتِ الأَرْضِ مِنْ بُزُورهَا أو نَوَيَاتِهَا الميّتَةِ، الَّتِي لَا خُضْرَةَ وَلَا نُضْرَةَ لَها، فَيَجْعَلُهَا ذَاتَ حَيَاةٍ نَبَاتِيَّةٍ وَذَاتَ ثَمَرٍ نَافِعٍ وَفِير، فالمرادُ بالأَرْضِ نَبَاتَاتُها.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾: أي: وَكَذَلِكَ الإحْيَاءِ للنَّبَاتَاتِ مِنْ بُزُورِها أَوْ نَوَيَاتِهَا الميّتَةِ؛ تُخْرجُونَ أَيُّهَا النَّاسُ حِينَ الْبَعْثِ إِلَىٰ ظُرُوفِ الْحَياةِ

الأُخْرَىٰ، مِنْ نَوَيَاتِكُمُ الْبَاقِيَةِ في الأَرْضِ، والَّتِي قَدَّرَ اللهُ وقَضَىٰ أَنْ لَا تَفْنَىٰ، وَهُوَ عَلَىٰ إِعَادَةِ إِيجادِكُمْ مِنَ الْعَدَمِ قَديرٌ، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ صِفَاتِ وَخَصَائِصِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْكُمْ كَافٍ لإِعَادَتِكُمْ، ولَكِنَّ للهِ خُطَّةً فِي إِبْدَاءِ الْخَلْقِ وإِعَادَتِهِ، أَبَانَهَا فيما أَنْزَلَ في آيَاتِ كِتَابِهِ، وفِيمَا أَنْطَقَ بِهِ رَسُولَهُ محمّداً ﷺ، مِن بَيَانَاتٍ ثَبَتَتْ صِحَّتُهَا.

■ قَولُ اللهِ تَعَالىٰ:

● ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾:

● ﴿تَنتَشِرُونَ﴾: أَيْ: تَتَفَرَّقُونَ في الأَرْضِ بِحَسَبِ مَطَالِبِ حَيَواتِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ، ومَا تُرِيدُونَ فِي تَنَقُّلَاتِكُمْ مِنْ مَكَانٍ لآخَر.

أي: ومِنْ آيَاتِ اللهِ في كَوْنِهِ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ مُخْتَلِطٍ بالماء.

فآدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ أَبُو الْبَشَرِ جَمِيعاً خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طِينٍ جَفَّ بَعْدَ أَنْ صَوَّرَهُ وَأَتْقَنَ أَجْزَاءَهُ الظَّاهِرَةَ والْبَاطِنَةَ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَصَارَ بَشَراً سَوِيّاً حَيّاً.

وحَوَّاءُ أُمُّ الْبَشَرِ خَلَقَهَا اللهُ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِ آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ، فَهِيَ أَيْضاً مِثْلُ آدَمَ مِنْ تُرَاب.

والنُّطَفُ الّتِي تَنَاسَلَ مِنْهَا سَائِرُ الْبَشَر مُتَحَوِّلَاتٌ من الدِّمَاءِ، والدِّمَاءُ مُتَحَوِّلَاتٌ مِنَ الأَغْذِية، والأَغْذِيَةُ تَرْجِعُ جَمِيعُها إِلَىٰ تُرَابِ الأرضِ مُخْتَلِطاً بالْمَاء، أَمَّا الأَغْذِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ فأَمْرُهَا ظَاهِرٌ، وأَمَّا الأَغْذِيَةُ الْحَيوَانِيَّةُ، فَجَمِيعُ الْحَيَوانَاتِ تَرْجِعُ أَغْذِيَتُها وَتَكَوّنُ أَجْسَادِهَا إِلَىٰ تُرَابِ الأَرْضِ مَعَ الْمَاءِ.

وجاء في نُصُوصٍ أُخْرَىٰ بيانُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ النَّاسَ مِنْ طين، وأَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِين، وأَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماء.

وَمِنَ الْمُشَاهَدِ أَنَّ أَجْسَادَ النَّاسِ وسَائِرِ الأَحْيَاءِ مُكَوَّنَةٌ مِنْ مَاءٍ، ومِنْ عَنَاصِرَ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ بما فِيهِ مِنْ مَعَادِن.

• ﴿... ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ تَكْوِينِ أجْسَادِكُمْ ونُفُوسِكُمْ فِي بُطُونِ أَمَّهَاتِكُمْ، وَبَعْدَ نَفْخِ أَرْواحِكُمْ فِيها، وبَعْدَ تَكَامُلِ خَلْقِكُمْ أَطْفَالاً، وبَعْدَ وِلادَتِكُمْ وتَجاوُزِكُم مَرْحَلَةَ الطُّفُولَة، وَوُصولِكُمْ إلَىٰ مَرْحَلَةِ الاسْتِقْلالِ بِتَصرُّفَاتِكُمْ؛ تُفَاجِئُونَ مَنْ يُرَاقِبُ أطْوارَكُمْ بِأَنَّكُمْ بَشَرٌ مُكْتَمِلُو الْخَلْقِ تَنْتَشِرُونَ مُتفَرِّقِينَ فِي الأَرْضِ، سُهولِها، وجبالِهَا، وَوِدْيَانِها، وَمُدُنِهَا، وَقُراها، بِحَسَبِ مَطَالِبِ حَيَواتِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ، وَمَا تُحِبُّونَ وَتَهْوَوْنَ مِنْ دُنياكم.

■ قول اللهِ تَعالَىٰ:

• ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾:

أي: ومِنْ آياتِ اللهِ الْجَلِيلَةِ في كَوْنِهِ؛ أَنَّهُ خَلَقَ لِلرِّجَالِ مِنْ نَوْعِ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجاً لِيَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وأَنَّهُ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، فَحَوَّاء خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلاعِ آدم عَلَيْهِ السَّلام، ففيها وفي ذُرِّيَاتِهَا كَثِيرٌ مِنْ خَصَائِصِ هٰذا النوع من الأحياء.

• أمّا السُّكُونُ لِلأَزْوَاجِ؛ فَهُو الحالَةُ النَّفْسِيَّةُ الَّتِي تَجْعَلُ الزَّوْجَ يَأْنَسُ بِزَوْجِهِ، وَيُصِيبُ مِنْهُ مُتْعَةً وَلَذَّةً، وَهٰذِهِ الْحَالَةُ تُخْرِجُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَلَقِ والاضطِّرابِ وَالتَّوتُّرِ، الَّتِي تَجْلُبُهَا لَهُ مُنغّصاتُ الحياةِ وأَكْدارُهَا، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جداً، فَالأُنْسُ والاسْتِمْتَاعُ بالزَّوْجِ الملائم، مِمَّا يُنْسِيهِ مُشْكِلاتِ الحياةِ المقْلِقَةِ المثيرَةِ للاضطرابِ والتَّوتُّرِ، فَتَهْدَأُ نَفْسُهُ وَتَسْتَرْخِي وأخيراً تَسْكُنُ سُكُونَ رَاحَةٍ.

الزَّوْج: خِلَافُ الْفَرْدِ، وَكُلُّ مُقْتَرِنَيْنِ هُمَا زَوْجَان، ولَوْ كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ، فالرَّجُلُ مَعَ زَوْجَتِهِ زَوْج، والمرأَةُ مَعَ زَوْجِهَا زَوْج، وجمع الزَّوجِ أَزْوَاج، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً.

ومِنْ طبيعَةِ كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ المتَلائِمَيْنِ أَنْ يَسْكُنَ لِزَوْجِهِ، فَهُوَ يَسْكُنُ مَائِلاً إِلَيْهَا، وهِيَ تَسْكُنُ مَائِلَةً إِلَيْهِ.

المودَّة: نَوْعٌ مِنَ الحبِّ الهادِئِ الثَّابِتِ الَّذِي يَكُونُ بيْنَ الأَصْحَابِ والإخوانِ وذَوِي الْعَلاقَاتِ الْقَوِيَّة، وَلَا يُطْلَقُ علىٰ المشبُوب بالْعَواطِفِ الثائِرَة.

الرَّحْمَة: عَاطِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ تَدْفَعُ مَنْ تَتَحرَّكُ فِيهِ إِلَىٰ الْعَطَاءِ والمسَاعَدَةِ والموَاسَاةِ، ومُشَارَكَةِ المعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي آلَامِهِ وآمَالِهِ.

فإذَا لَمْ تُوجَدْ مَوَدَّةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْن، أَوْ لَمْ تُوجَدْ بَيْنَ أَحَدِهِمَا تُجاهَ الآخرِ؛ فَلَا أَقلَّ مِنْ أَنْ تَصْنَعَ العِشْرَةُ بَيْنَهُمَا إِلْفاً يُولِّدُ رَحْمَةً دَافِعَةً إِلَىٰ الْعَطَاءِ والْمُسَاعَدَةِ والْمُواسَاةِ، وهـٰذَا بالنِّسْبَةِ إِلىٰ مُعْظم النَّاسِ، باسْتِثْنَاءِ الْقِلَّةِ الشَّاذِّينَ الَّذِينَ نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبهم، وفي هـٰذا امتنانٌ من اللهِ علىٰ النَّاسِ بأَنْ خلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجاً مِنْ أنفسهم.

• ﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾: أي: إنَّ في الّذِي جَاءَ فِي هـٰذِهِ الآيَةِ مِنْ بَيَانٍ لآياتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ جَلِيلَاتٍ، يُدْرِكُهَا قَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ تَفكُّراً مُتَأَنِّياً عَمِيقاً فِيمَا خَلَقَ الله، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيم قُدْرَة اللهِ، وعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وعِنَايَتِهِ ورَحْمَتِهِ بَعِبَادِهِ، وَحِكْمَتِهِ السَّامِيَةِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ.

فخَلْقُ الأَزْوَاجِ مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ رَابطٌ اجْتِماعِيٌّ عَظِيمٌ فِيهِ الإيناسُ، والإِمْتَاعُ، والتَّعَاوُنُ، وبناءٌ لِلْخَلِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الأُوْلَىٰ الَّتِي هي الأُسْرَةُ، وَحِينَ يَتّبِعُ النَّاسُ نِظَامَ الأُسْرَةِ في الإِسْلَامِ، يَتَكَوَّنُ مُجْتَمَعٌ سَعِيدٌ عَابِدٌ لِرَبِّهِ، وَخَالٍ مِنَ الشُّرورِ والْعُدْوانِ والطُّغْيَان.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾:

أي: وَمِنْ آيَاتِ اللهِ العظيمةِ في كَوْنِهِ الدَّالَّاتِ علىٰ كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ وَأَسْمَائِهِ الحسْنَىٰ ورُبُوبيَّتِهِ الواحِدَةِ لِكَوْنِهِ كُلِّهِ خَلْقُهُ للسَّمَاوَاتِ وَخَلْقُهُ لِلأَرْضِ بِمَا فِيهِمَا مِنْ مُدْهِشَاتٍ لِعُقُولِ أُولِي الأَلْبَابِ المتفكّرِينَ الْعَالِمِينَ بِمَا فِيهَا مِنْ صِفَاتٍ عَظِيمَةٍ وإتْقَانٍ بَدِيعٍ، وَهـٰذِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ صِفَاتِ خَالِقِهِمَا غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ في السّمُوّ والْعُلُوِّ الكَمَالِي.

ومِنْ آيَاتِهِ الباهرة أيْضاً اخْتِلَافُ أَلْسِنَةِ النَّاسِ في التَّعْبِيرِ عَمَّا تُرِيدُ أَنْفُسُهُمُ التَّعْبِيرَ عَنْه، فَلَمْ يَجْعَلْ سُبْحَانَهُ أَلْسِنَةَ التَّعْبِيرِ عَنْ مُرَادَاتِ الأَنْفُسِ فِي شُعُوبِ الأَرْضِ وَاحِدَةً بالْفِطْرَةِ، بِخِلَافِ الطُّيُورِ، فَكُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا ذُو مَنْطِقٍ يَتَفَاهَمُ بِهِ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أفرادِ نَوْعِهِ مَهْمَا تَبَاعَدَتْ مَوَاطِنُهُمْ، وكَذَلِكَ سَائِرُ الحيوانات.

ويَلْزَمُ مِن اخْتِلَافِ الأَلْسِنَةِ تَفَاضُلُ اللُّغَاتِ فِيمَا بَيْنَها، وهـٰذا التَّفَاضُلُ إِحْدَىٰ ظَوَاهِرِ الْخَلْقِ الرَّبَّانِيِّ فِي الكَوْن.

وَمِنْ آيَاتِ اللهِ الْبَاهِرَة اخْتِلَافُ أَلْوَانِ النَّاس، فَمِنْهُمُ الْبِيضُ عَلَىٰ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِ البياضِ فيما بَيْنَهم، وَمِنْهُمُ السُّودُ عَلَىٰ اختِلَافِ دَرَجَاتِ السَّوَادِ فيما بَيْنَهُمْ، ومِنْهُمُ السُّمْرُ، ومِنْهُمُ الصُّفْرُ، ومِنْهُمُ الْحُمْرُ، والباحِثُونَ العالِمُونَ من الْعَالَمِينَ، هُمُ الَّذِينَ تَهْدِيهِمْ بُحُوثُهُمْ إلَىٰ مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ اخْتِلَاف الأَلْوَانِ فِي السُّلَالَاتِ الْبَشَرِيَّة، وإِدْرَاكِ آيَاتِ الله فيها.

■ قَولُ اللهِ تَعالَىٰ:

● ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾:

إِنَّ مِنَ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ لِلنَّاسِ جَمِيعاً؛ أَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لَهُمُ النَّوْمَ باللَّيْلِ والنَّهارِ سَبباً مِنْ أَسْبَابِ رَاحَتِهِمْ، مِنْ عَنَاءِ الكَدِّ وَالكَدْحِ والْعَمَلِ فِي سَاعَاتِ يَقظَتِهِمْ، وأَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ سَاعَاتِ يَقظَتِهِمْ وَنَشَاطِهِمْ؛ زَمَناً مُلَائِماً

لاكْتِسَابِ أَرْزَاقِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ لِحَيَواتِهِمْ، مِنْ فَضْلِ رَبِّهِم الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

ولِظُهُورِ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ يَكْفِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِما بِبَيَانٍ كَلامِيٍّ يُسْمَعُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي البيان: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

● ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾:

إِنَّ ظَاهِرَةَ الْبَرْقِ مِنْ تَصَارِيفِ الظَّاهِرَات الكَوْنِيَّةِ الَّتِي يُجْرِيها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كَوْنِهِ، مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَهـٰذِهِ الظَّاهِرَةُ تُخِيفُ لاحْتِمَالِ إِنْزَالِ الصَّوَاعِقِ الْمُهْلِكَةِ الْمُدَمِّرَةِ بها، وهِيَ تُطْمِعُ الْمُحْتَاجِينَ لِمَاءِ السَّمَاءِ باحْتِمَالِ إِنْزَالِ مَطَرِ السَّمَاءِ بِها أَوْ مَعَها، لِيُحْيِيَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ زُرُوعَ الأَرْضِ بِهِ بَعْدَ مَوْتها.

والْبَرَقُ حَدَثٌ كَهْرَبَائِيٌّ يَعْرِفُهُ عُلَمَاءُ الْفِيزْيَاء من احْتِكَاكِ السّالِبِ وَالْمُوجِبِ فِي السَّحَاب.

وَلَمَّا كَانَ الْبَرْقُ ظَاهِرَةً تُخِيفُ وتُطْمِعُ؛ كَانَتْ آيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بِإِرَادَاتِهِمُ الْقَوِيَّة نُفُوسَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ؛ عَنِ ارْتِكَابِ المعاصِي بِتَرْكِ الواجِبَاتِ وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَات.

الْعَقْلُ هُنَا عَقْلٌ إِرَادِيّ، وهُوَ الَّذِي يَضْبِطُ السُّلُوكَ عن الانْحِرَاف خُرُوجاً عَنْ صِرَاطِ اللهِ المسْتَقِيم.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

● ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾:

أي: ومِنْ آيَاتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ؛ أَنْ يَسْتَمِرَّ كُلُّ صَغِيرٍ وكبيرٍ في السَّماء والأرض مُحَافِظاً عَلَىٰ الْقِيَام بالْعَمَلِ المقَدَّرِ المقْضِيِّ لَهُ، دُونَ خُرُوجٍ عَنهُ وَدُونَ إِخلَالٍ به، وَهَـٰذا القِيَامُ المسْتَمِرُّ مُنْذُ إِنْشاءِ اللهِ السَّمَاءَ والأَرْضَ؛ إِنَّمَا يَتَحقَّقُ بِأَمْرِ اللهِ التَّكْوينيّ وَسُلْطَانِهِ الدَّائِمِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ في كَوْنِهِ.

ثُمّ بَعْدَ مَوْتِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ الأُولَىٰ، سَاعَةِ تَغْيِيرِ نِظَام الحَياةِ الدُّنْيا، وَبَعْدَ قِيَام السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ سَاعَةِ بَدْءِ نِظَام الحياة الأُخْرَىٰ، الَّتِي يَكُونُ عَقِبَهَا بَعْثُ الأَحْيَاءِ لِيَوْم الدّينِ؛ تُفَاجؤُونَ بأَنَّكُم تُخْرَجُونَ أَحْيَاءً للحساب، وفَصْلِ القضاء، وتَنْفِيذِ الجزاء، بِدَعْوَةٍ يَدْعُوكُمُ اللهُ إيَّاهَا لِلْخُرُوجِ مِنَ الأَرْضِ أحْيَاءً.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

أي: وَللهِ ـ جَلَّ جَلالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ مِلْكُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ أَحْيَاء ذَوِي عِلْمٍ، فَهُمْ عَبِيدُهُ، لأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.

• ﴿... كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾: **القُنُوت**: يأتي بمَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ، وَيَأْتِي بمعنىٰ الطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ والذُّلّ، وهـٰذَا المعْنَىٰ هُوَ الْمُلَائِمُ هُنَا، لأَنَّ فِي الأَرْضِ مِنَ الجنِّ والإنْسِ كَفَرَةً غَيْرَ عَابِدِينَ للهِ بإرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، لَكِنَّهُمْ مُطِيعُونَ بالْجَبْرِ لأَوَامِرِهِ التَّكْوِينِيَّةِ ولتَصَارِيفِهِ، خَاضِعُونَ أَذِلَّاءَ، لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ فِي إيقافِ شيءٍ مِنْ أَوَامِرِهِ التَّكْوِينيَّة وَتَصَارِيفِهِ، وَلَوْ كَانُوا كَارِهِينَ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾:

أي: واللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَبْدأُ خَلْقَ الأَحْيَاء، وهُوَ

وَحْدَهُ الَّذِي يُعِيدُهُمْ إِلَىٰ مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُمِيتَهُمْ ويُفْنِيَ أَجْسَادَهم، وَهٰذَا الْخَلْقُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ إِعَادَةٌ لِلْخَلْقِ الأَوَّلِ؛ هُوَ فِي مقايِيسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، لأَنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّ الْبَدْءَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ أَصْعَبُ مِنَ الإِعَادَة، مَعَ أَنَّ الإِعَادَةَ بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ اللهِ مِثْلُ الْبَدْءِ، لأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ شَيئاً فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَهُوَ يَكُونُ فَوْراً دُون فَاصِلٍ زَمَنِيّ.

• ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: وَلَهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ المَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي خَلْقِهِ للسَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فَهٰذَا الْخَلْقُ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ فِي حجُومِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ، وَهُوَ مَثَلٌ أَعْلَىٰ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ عَلَىٰ الْخلْقِ، وخَالِقُ المثَلِ الأَعْلَىٰ قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ المثَلِ الأَدْنَىٰ بَدَاهَةً، فَلَا عَجَبَ فِي أَنْ يُعِيدَ اللهُ خَلْقَ الأَحْيَاءِ بَعْدَ أَنْ يُمِيتَهُمْ، ويُفْنِي أَجْسَادَهُمْ.

• ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾:

الْعَزِيز: أي: ذُو الْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ الَّذِي لَا يُعَانِدُ قُوَّتَهُ شَيْءٌ فِي الْوُجُود.

الْحَكِيم: أي: الَّذِي يُجْرِي خَلْقَهُ وَتَصَارِيفَهُ وَأَحْكَامَهُ عَلَىٰ أَفْضَلِ الاحْتِمَالَاتِ وَأَحْكَمِهَا، بِوَضْعِ الأَشْيَاءِ في أَحْسَنِ وأَفْضَلِ الاحْتِمَالَاتِ الْمُلَائِمَاتِ لِمَا تُوضَعُ له، ومِنْ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ قَدَّرَ وَقَضَىٰ حَيَاةً أُخْرَىٰ لِلْحِسَابِ، وَفَصْلِ الْقَضَاءِ، وتَنْفِيذِ الجزاء، بَعْدَ الحياة الدُّنْيا حَيَاةِ الامْتِحَانِ.

وبهٰذَا انْتَهَىٰ مَا فتح اللهُ بِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس الثالث من دُروس سورة (الرُّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❀ ❀ ❀

(٧)
التدبّر التحليلي للدّرس الرابع من دُروس سورة (الرُّوم)
الآيات من (٢٨ ـ ٣٥)

قال اللهُ عزَّ وجلّ:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾:

القراءات:

(٣٠) • وقف ٱبن كثيرٍ، وأبو عمْرو، والكِسَائيُّ، ويَعْقُوب، بالهاء علىٰ: **[فِطْرَتَ]**.

ووقف باقي الْقُرّاءِ العشرة عَلَيْها بالتّاء.

(٣٢) • قَرأ حَمْزَةُ، والكِسَائي: **[فَارَقُوا]**.

وقرأها باقي الْقُرّاءِ العشرة: ﴿فَرَّقُوا﴾.

وبَيْنَ الْقِراءَتَيْنِ تكامُل فِي أَداءِ المعْنَىٰ المراد.

(٣٢) • قَرأَ حَمْزَة، ويَعْقُوب: **[لَدَيْهُمْ]** بضم الميم.

وَقَرأَها بَاقِي الْقُرّاء العشرة: **[لَدَيْهِمْ]** بكسر الميم.

(٣٥) • قَرأ حمزة، ويَعْقُوب: [عَلَيْهُمْ] وهي لغة عربية.

وقرأها باقي القرَّاء العشرة: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وهي لغة عربيَّة.

(٣٥) • قَرأ قَالُون، وأبو عمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بِضَمِّ الهاء. وهما لغتان عربيّتان.

تمهيد:

فِي آيَات هـٰذا الدَّرْس قَضَايَا تَتَعَلَّقُ بِبُطْلَانِ الشّرك، وأَنَّ المشركين يتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، مَعَ تَوْجِيهِ الأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ بإِقَامَةِ الْوَجْهِ للدِّينِ حَنِيفاً، والأَمْرِ بالتَّقْوىٰ، وإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، والنَّهْي عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمَرِ المشْرِكين، الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيعاً.

وفيها بَيَانُ حَالِ المشْرِكينَ تُجاهَ مَا يَمَسُّهُمْ مِنْ ضُرّ أَوْ رَحْمَةٍ، وأَنَّهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فِي أَحْوَالِ الضُّرِّ، وأَنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ يُشْرِكُونَ حِينَما يُذِيقُهُمْ رَبُّهُم بَعْضَ آثارِ رَحْمَتِهِ، مَعَ بَيانِ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ حُجَّةً عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ قَضَايَا شِرْكِهِمْ.

التدبُّر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً للمشْرِكين مُقَدِّماً لَهُمْ دَلِيلاً إِقْنَاعِيّاً عَلَىٰ بُطْلَانِ الشِّرْكِ:

• ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

أَصْلُ الضَّرْبِ إِلْصَاقُ شيْءٍ بشَيْءٍ بِقُوَّةٍ وعُنْف، وقَدْ يَنْفُذُ المضْرُوبُ

بِهِ إِلَىٰ عُمْقِ المضْرُوبِ، كالضَّرْبِ بالسَّيْفِ، أو بالرُّمح، أو بالسّكّينِ، أو نحوها، ومِنْهُ ضَرْبُ الدَّراهِم والدَّنَانِيرِ بقَوالبَ مَحْفُورٍ فيها أَمْثِلَتُها، وهِي مِنَ الْحَدِيدِ الصُّلْب، فتظْهَرُ في الْمَعْدَنِ المَضْرُوبِ أَمْثِلَةُ الْمَحْفُورِ فِي الْقَوالب.

وحصَلَ توَسُّعٌ فِي معْنَىٰ الضَّرْب هـٰذا، فَصَارَ يُسْتَعْمَلُ فِي ضَرْبِ المثَلِ، بِمَعْنَىٰ ذِكْرِ شَبِيهِ الممثَّلِ لَهُ.

المعنىٰ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلِهَةً من دُونِ الله، يَعْبُدُونَهُمْ كَعِبَادَةِ عُبَّادِ اللهِ للهِ جَلَّ جلالُهُ وعزَّ سُلْطَانُهُ.

وهـٰذا المَثَلُ مُنْتَزَعٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، لِيَقيسُوا عَلَيْهِ، ولِيُدْرِكُوا بِهِ أَنَّ شِرْكَهُمْ بَاطِلٌ.

إِنَّ أَحَدَ المشْرِكِينَ قَدْ يَمْلِكُ عَبِيداً وَإِمَاءً بِوَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْمِلْكِ، ولَيْسَ مِنْهَا وَسِيلَةُ الْخَلْقِ، فَهَلْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ مَمْلُوكُهُ شَرِيكاً لَهُ فِيمَا يَمْلِكُ مِنْ أشياءَ أَوْ أَحْيَاء؟، فَهُوَ يَمْلِكُ مَعَهُ مِلْكاً مُسَاوِياً لِمِلْكِهِ، ويَمْلِكُ فِيهِ التَّصَرُّفَ كَمَا يَمْلِكُ هُوَ فِيهِ التَّصَرُّف، وَيَخَافُ أَنْ يُنَافِسَهُ، ويَنْتَزِعَ بمُشَارَكَتِهِ أشْيَاءَ يُحِبُّهَا مِنْ مُمْتَلَكَاتِهِ، كَمَا يَخَافُ شُرَكَاءَ لَهُ أَحْرَاراً لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ بِمِلْكٍ، فَهُمْ مِثْلُهُ فِي المشَارَكَةِ الحقيقيَّةِ والنِّدِّيَّة.

إِنَّ أَحَداً مِنْكُمْ أَيُّهَا المشْرِكُونَ لَا يَرْضَىٰ هـٰذا لنَفْسِه، فَكَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِين اتَّخَذَ شُرَكَاءَ لَهُ مِنَ الَّذِينَ خَلَقَهُم هو، وهُمْ مِلْكُهُ وَعَبِيدُهُ؟، وَكَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بمُشارَكَتِهِمْ لَهُ يَتَصَرَّفُونَ بِبَعْضِ كَوْنِهِ كَمَا يَتَصَرَّفُ هُو؟، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا تُشْرِكُونَ عُلُوّاً كبِيراً.

• ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي: تَخَافُونَ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ كَخِيفَتِكُمْ شُرَكَاءَ أَحْرَاراً مِثْلَ أَنْفُسِكُمْ، لَا عَبِيداً وَاقِعِينَ تَحْتَ مِلْكِكُمْ.

• ﴿... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾: أي: كَذَلِكَ

التَّفْصِيلِ الَّذِي فَصَّلْنَاهُ فِي هـٰذا المثَلِ الإقْنَاعِيِّ لإِبْطَالِ الشِّرْكِ، بَعْدَ الْحُجَجِ الْبُرْهَانِيةِ الَّتِي عَرَضْنَاهَا فِيما أَنْزَلْنَاهُ سَابقاً مِنْ نُجُومِ التَّنْزِيلِ قَبْلَ سُورَةِ (الرُّوم)؛ نُفَصِّلُ الآياتِ الْبَيَانِيَّةَ مِنْ مُخْتَلِفِ الجوانِبِ، لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا قَوْمٌ يَعْقِلُونَ الْحقَائِقَ الْعِلْمِيَّة وَلِيُدْرِكُوهَا إِدْرَاكاً سَلِيماً، وَيَعْقِلُونَ عَقْلاً إِرَادِيّاً، فَيَحْجُزُونَ بِهِ أَهْوَاءَهُمْ وَنُفُوسَهُمْ ونَزَعَاتِهِمْ وَنَزَغَاتِهِمْ عن الاسْتِمْسَاكِ بالْبَاطِلِ، واتِّبَاعِهِ، ولَوْ كَانَ دِينَ آبائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتابعاً ومُبيّناً الباعِثَ لِشِرْكِ المشركين، والْحُكْمَ عَلَيْهِمْ بالضَّلَال:

● ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

أي: بَلْ لَا حُجَّةَ لِلّذِينَ أشْرَكُوا وَظَلَمُوا الحقَّ بِشِرْكِهِمْ، ولكِن اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهم الجانِحَةَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، ومن اتِّبَاعِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ اتِّبَاعُهُمْ آبَاءَهُمْ وأَجْدَادَهُمْ بِالتَّقْلِيدِ الأَعْمَىٰ عَلَىٰ سَبِيلِ المناصَرَةِ العنْصُرِيَّة، وهُمْ بهـٰذا ضَالُّونَ مُبْطِلُونَ.

وقَدْ حَكَمَ اللهُ عَلَيْهِم بِالضَّلَالِ إذْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، ولَا عُذْرَ لَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ وَلَا شُبْهَةَ عُذْرٍ، فَهَلْ يُوجَدُ مَنْ يَحْكُمُ لَهُمْ بالْهِدَايَةِ بَعْدَ أَنْ حَكَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بالضَّلَالِ، ولَا حُكْمَ إلَّا للهِ؟، وَهَلْ يُوجَدُ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ وضَلَالِهِم؟.

لَا يُوجَدُ لَهُمْ نَاصِرُون، ولَو اجْتَمَعَ كُلُّ خَلْقِ اللهِ عَلَىٰ نُصْرَتِهِمْ، وحِمَايَتِهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، لأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ دَفْعِ ذَرَّةٍ مِنْ عَذَابِ اللهِ لَهُمْ أَوْ أَقَلَّ مِنْها.

■ قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ خِطَاباً لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ مَوْضُوعٍ في الحياة الدُّنْيَا مَوْضِعَ الامْتِحَان، بأسْلُوبِ الخِطَابِ الإفْرَادِي:

• ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

أصْلُ الْقِيَامِ الوقُوفُ بِنصْبِ الْقَامَة، واسْتُعْمِلَ القِيَامُ بمَعْنَىٰ الثَّبَاتِ ومُلَازَمَةِ تَوْجِيهِ الإرَادَةِ باسْتِقَامَةٍ عَلَىٰ صِرَاطِ اللهِ.

وإقَامَةُ الْوَجْهِ تَكُونُ بِجعْلِهِ مُسْتَقِيمَ التَّوجُّهِ عَلَىٰ صِرَاطِ اللهِ، فِي مَسِيرَةِ الإنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ، لَا يَلْتَفِتُ ذَاتَ اليمينِ وَلَا ذاتَ الشِّمَالِ، لِئَلَّا تَنْزِعَ نَفْسُهُ إلىٰ الْخُرُوجِ عَنْ حَدِّهِ الأَيْمَنِ أَوْ حَدِّهِ الأَيْسَرِ.

واختِيرَتِ اسْتِعَارَةُ الْوَجْهِ للتَّعْبِيرِ بِهِ عَنِ السُّلُوكِ الإرَادِيّ للإنْسَانِ، لأنَّ تَوَجُّهَ الْوَجْهِ مَعَ المداوَمَةِ؛ هُوَ الدَّالُّ عَلَىٰ اخْتِيَارِ الإنْسَانِ طَرِيقَهُ فِي مَسِيرَتِهِ، وَلأنَّ فِيهِ حَاسَّتَي السَّمْعِ والْبَصَرِ، أَعْظَمِ الحَواسِّ الضَّابِطَةِ لِسُلُوكِ الإنْسَانِ عَلَىٰ طَرِيقِه.

والْمُرَادُ بالدِّينِ دينُ اللهِ الْحَقِّ، الَّذِي بلَّغَهُ أنبياءُ اللهِ وَرُسُلُهُ عَلَيْهِم السَّلَام فيما أنْزَلَ عليهم.

• ﴿حَنِيفًا﴾: أي: مَائِلاً عَنْ كُلِّ الْعَقَائِدِ والمذَاهِبِ والأدْيَانِ المخالِفَةِ لِدِينِ اللهِ الحقِّ، والميْلُ عَنْهَا جَمِيعاً يَجْعَلُهُ مُسْتَقِيماً عَلَىٰ دِينِ اللهِ الحقِّ وعَلَىٰ صِرَاطِهِ المستقيم، ولأنَّ الميْلَ عَنِ المائِلَاتِ المنْحَرِفَاتِ، الْمَائِلَاتِ كُلَّ خُطُوطِ الانْحِرَافِ؛ لَا يَكُونُ إلَّا بالاستقامَةِ علىٰ الحقّ.

أي: فَأَقِمْ وَجْهَكَ أَيُّهَا الموضُوعُ في الحيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، واجْعَلْهُ مُوَجَّهاً للدِّينِ الحقّ، وهُو الدِّين الَّذِي اصْطَفَاهُ اللهُ لِعِبَادِهِ، لِيُؤمِنُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بأحْكَامِهِ وَتَعَالِيمِهِ مَا دَامُوا فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا.

وهٰذا الدِّينُ الحقُّ هُوَ فِطْرَةُ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، فَجَعَلَ في طَاقَاتِهِمُ الْفِكْرِيَّةِ مَوازِينَ وَمَقَايِيسَ يُدْرِكُونَ بِها أَنَّهُ الحقُّ، وجَعَلَ في مَشَاعِرِ

نُفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ مَا يُحِسُّونَ بِهَا أَنَّهُ الموافِقُ لِمَا يُرْضِيها، وَيُسْعِدُهَا حِينَما يُعَامَلُونَ بِمُقْتَضَىٰ أَحْكَامِهِ وَتَعَالِيمِهِ.

وهـٰذِهِ الفِطْرَةُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، بَلْ تَبْقَىٰ مَوْجُودَةً فِي النَّاسِ إلىٰ آخِرِ آجَالِهِمْ فِي الحياة الدُّنْيَا، والمخالِفُونَ لِدِينِ اللهِ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وشَهَواتِهِمْ وَنَزَغاتِ شَيَاطِينِهِمْ، وَهُمْ يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ يُخَالِفُونَ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْها، ولَكِنَّ عاجِلَ لَذَّاتِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الحياة الدُّنْيا يُضْعِفُ إِرَادَاتِهِمْ، فَيَجْعَلُهَا تَنْسَاقُ لمطالِبِ أَهوائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَنَزَغَاتِ شَيَاطِينِهِمْ عَمَلاً، ثُمَّ فِكْراً واعْتِقَاداً.

ذَلِكَ الْعَظِيمُ الرَّفِيعُ هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ المسْتَقِيمُ الَّذِي لا عوجَ فيه، وهُوَ ذُو الْقِيمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْعَظِيمَةِ الْجَلِيلَةِ بَيْنَ كُلِّ المذاهِب والأدْيَان والاحْتِمَالَاتِ الفِكْرِيَّة المخالِفَةِ له، ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هـٰذِهِ الحقيقةَ، لأَنَّهُمْ صَرَفُوا أَذْهَانَهُمْ عَنِ التَّبَصُّرُ فيها ومُحَاوَلَةِ إِدْرَاكِهَا، إِذْ رَبَطُوا حُبَّهُمْ بالْعَاجِلَةِ وَتَرْكِ الآخِرَة والتَّوَلِّي عَنْهَا.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتَابِعاً خِطَابَهُ لِلْمَوْضُوعِينَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا مَوْضِعَ الامْتِحَان، بَعْدَ تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُقِيمُوا وَجُوهَهُمْ للدِّينِ حنيفاً، بأسْلُوب الْخِطَابِ الإفرادي، ولَا سيما المشْرِكُونَ مِنْهُمْ:

• ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾:

• ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي: رَاجِعِينَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّكُمْ بِرُجُوعِكُمْ إِلَىٰ فِطْرَتِكُمْ الَّتِي فَطَرَكُمْ عَلَيْهَا، وبِإِقَامَةِ وُجُوهِكُمْ للدِّينِ حَنِيفاً.

• ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: أي: واتَّقُوا عِقَابَ اللهِ رَبِّكُمْ بِفِعْلِ مَا أَمَرَكُم وَيَأْمُرُكُمْ بِهِ، وتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

• ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: وَدَاوِمُوا وَوَاظِبُوا عَلَىٰ أَدَاءِ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ المفْرُوضَةِ يَوْمِيّاً، فِي أَوْقَاتِها عَلَىٰ الوجْهِ الشَّرْعِيِّ المطْلُوب فيها.

وأَدَاؤُهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ المشْرُوعِ يَجْعَلُهَا مُسْتَقِيمَةً.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: وَلَا تَكُونُوا مِنَ المشْرِكِينَ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ وَلَا بإلـٰهِيَّتِهِ، ولَوْ كَانَ شِرْكاً خَفِيّاً، كَتَصَوُّرِ أَنَّ الأسْبَابَ ذَاتُ تَأْثِيرٍ ذَاتِيٍّ بِمُسَبَّبَاتِها، وكابْتِغَاءِ مُرَاءَاتِ العِبَادِ في الأَعْمَالِ الَّتِي يُبْتَغَىٰ بِهَا وَجْهُ اللهِ ورِضْوَانُه، لِتَحْصِيلِ مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ مِنَ الْعِبَادِ. ومِنَ الشِّرْكِ وَضْعُ أَحْكَامٍ تَشْرِيعيَّة علىٰ خلاف مَا جاء في شرع الله لعباده.

• ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾:

وفي القراءة الأُخْرَىٰ: [**مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ**]:

إِنَّ المشْرِكِينَ المنْتَمِينَ إِلَىٰ الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ فَارَقُوا دِينَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ، وَفَرَّقُوا دِينَهُمُ الَّذِي ابْتَدَعُوهُ بِشِرْكِيَّاتِهِمُ المخْتَلِفَاتِ، وَكَانُوا بهـٰذا التَّفْرِيقِ شِيَعاً وأَحْزَاباً، وكُلُّ شِيعَةٍ مِنْهُمْ وَكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ مِمَّا ابْتَدَعُوهُ مِنْ شِرْكِيَّاتٍ فَرِحُونَ، لأَنَّ هـٰذِهِ المبْتَدَعَاتِ تَخْدُمُ مَصَالِحَهُمْ وَمَنَافِعَهُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَلَا سيمَا أَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ أَصْحَابُ المنافِعِ الكُبْرَىٰ مِنْ مُبْتَدَعَاتِهِمْ.

• ﴿شِيَعًا﴾: جَمْعُ «شِيعَة»، وهيَ الْفِرْقَةُ والجماعَةُ الَّتِي يُنَاصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، ويَتَّبعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. وقَدْ يُطْلَقُ لفظ «الشِّيعَةِ» عَلَىٰ أَصْحَابِ المذهَبِ الواحِدِ، دُونَ اشْتِرَاطِ المناصَرَة أو اتِّحَادِ الزَّمن.

الحزب: الجماعَةُ المتَّفِقَةُ المتناصِرَةُ علَىٰ أَمْرٍ، والجماعَةُ الَّذِينَ تَشَاكَلَتْ مَبَادِئُهُمْ وَأَهْوَاؤُهم، واتَّفقَتْ أَعْمَالُهُم.

▪ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّناً سُلُوكَ النَّاسِ بِوَجْهٍ عَامٍّ تُجاهَ مَا يَمَسُّهُمْ مِنْ

ضُرٌّ، أَوْ مَا يُذِيقُهُمُ اللهُ مِنْ رَحْمَةٍ، وَمَا لَدَيْهِمْ مِنْ نَوازِعِ شِرْكٍ بِرَبِّهِمْ، وَسِيما المشْرِكُونَ مِنْهُمْ:

• ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾:

إنَّ وَاقِعَ حَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ ـ ولَا سيما المشركونَ مِنْهُم ـ إذا مَسَّهُمْ ضُرٌّ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَهْلِيهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ؛ لَمْ يَجِدُوا مَنْ يَكْشِفُ عَنْهُمْ مَا مَسَّهُمْ مِنْ ضُرٍّ إِلَّا أَنْ يَلْجَؤُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَيَدْعُوهُ رَاجِعِينَ إِلَيْهِ بقُلُوبِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ وَدُعَائِهِمْ، ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ نِعَماً هِيَ آثَارُ رَحْمَةٍ مِنْهُ رَحِمَهُمْ بِهَا؛ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ، يَنْسُبُونَ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ الظَّوَاهِرِ السَّبَبِيَّةِ الَّتِي يَسَّرَها اللهُ لَهُمْ، ودَلَّ الواقعُ المشْهُودُ أَنَّ هَـٰذَا حَالُ الْفَرِيقِ الأَكْثَرِ مِنَ النَّاس.

والباعِثُ لِهَـٰذَا الْفَرِيقِ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ؛ رَغْبَتُهُمْ بِجُحُودِ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، حَتَّىٰ لَا يَشْعُرُوا بِأَنَّهُمْ مُلْزَمُونَ بِشُكْرِ اللهِ بالْعَمَلِ بمراضِيهِ، فَغَرَضُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ مِمَّا يَسُرُّهُمْ وَيُفْرِحُهُمْ.

وَخَاطَبَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ لِهَـٰؤُلَاءِ المشْرِكِينَ الْجَاحِدِين: ﴿... فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾: أي: فَتَمَتَّعُوا في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا بما أَنْعَمْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ الْبَعْثِ مَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتَحَدِّثاً عَنِ المشْرِكِينَ، وأَنَّهُمْ لا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ شِرْكِيَّاتِهِمْ، تَسْتَنِدُ إِلَىٰ دَلِيلٍ مِنْ بَيَانٍ مُنَزَّلٍ مِنَ اللهِ رَبِّهِمْ:

• ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾:

أي: بَلْ عَلَىٰ سَبِيلِ الإِضْرَابِ الانْتِقَالِيِّ؛ هَلْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ عَنْ طَرِيقِ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِنَا؛ بُرْهَاناً فِي كِتَابٍ صَادِقٍ مِنْ كُتُبِنَا لِعِبَادِنَا، فَهَـٰذَا الكِتَابُ

يَتَكَلَّمُ فِي آيَاتٍ مِنْهُ، بِصِحَّةِ مَا كَانُوا فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ يَجْعَلُونَهُمْ شُرَكَاءَ لَنَا فِي رُبُوبِيَّتِنَا أَوْ فِي إِلٰهِيَّتِنَا؟.

إِنَّنَا لَمْ نُنْزِلْ كِتَاباً فِيهِ آيَاتٌ تَتَكَلَّمُ بِصِحَّةِ مَا كَانُوا يُشْرِكُونَ به، أي: يَتَكَلَّمُ تَالُوهُ بذَلِكَ. أُطْلِقَ الْكَلَامُ عَلَىٰ الكِتَابِ وهُوَ حَدَثٌ يَجْرِي مِنْ قِبَلِ تَالِيهِ، عَلىٰ سَبِيلِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيّ: «وَهُو إِسْنَادُ الْفِعْلِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ هُوَ لَهُ، لِعَلَاقَةٍ مِنْ عَلَاقَاتِ المَجازِ».

السُّلْطَان: يأتي بِمَعْنَىٰ الْقُوَّةِ والْقَهْرِ، وبِمَعْنَىٰ الحجَّةِ والْبُرْهَان، وهـٰذا المعنَىٰ هُوَ المناسِبُ هُنَا.

وبهـٰذَا انْتَهَىٰ مَا فتح اللهُ بِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس الرَّابِعِ من دُروسِ سورة (الرّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٨)
التدبُّر التحليلي للدّرسِ الخامِسِ من دُروس سورة (الرُّوم) الآيات من (٣٦ ـ ٣٩)

قالَ اللهُ عزَّ وجلّ:

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾:

القراءات:

(٣٦) • قرأ يَعْقُوب: [**أَيْدِيهُمْ**].

وقرأهَا باقي الْقُرَّاء العشرة: [**أَيْدِيهِمْ**].

والقراءتان لغتان عَرَبيَّتَان.

(٣٦) • قرأ أبو عمْرو، والكِسَائيُّ، ويَعْقُوبُ، وخَلَفٌ العاشر: [**يَقْنِطُونَ**] بِكَسْرِ النُّون.

وقرأهَا باقِي الْقُرَّاءِ العشَرةِ: ﴿**يَقْنَطُونَ**﴾ بفتح النون. وهُمَا لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَان.

(٣٩) • قرأ ابن كثير: [**وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رِباً**]، أي: وما فَعَلْتُم مِنْ رباً.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: [**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً**]: أي: وما أَعْطَيْتُمْ مِنْ رِباً.

وبَيْنَ القراءتَيْنِ تَكَامُلٌ فِكري، أي: وما فَعَلْتُم مِنْ رباً آكِلِينَ ومُوكلين، ومَا أعْطَيْتُمْ مِنْ مَالٍ لِتَرْبَحُوا مِنْهُ مَالاً رِباً.

(٣٩) • قرأ نَافع، وأبو جَعْفر، ويَعْقُوب: [**لِتُرْبُوا**].

وقرأهَا باقي القراء العشرة: [**لِيَرْبُوَا**].

وبين القراءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي الأداء البياني، أي: لِتُرْبُوا أَنْتُم أَمْوَالَكُمْ، وَلِيَرْبُو مَالُكُمْ.

تمهيد:

فِي آياتِ هـٰذا الدَّرْس وصْفُ حَالِ النَّاسِ فِي عَطَاءَاتِ اللهِ لَهُمْ، وَبيانُ أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ بِحِكْمَتِهِ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَقْدِرُهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، مَعَ تَوْجِيهِ الأَمْرِ بالإنْفَاقِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ، ومَعَ التَّحْذِيرِ مِنَ الرِّبا، للظَّفَرِ بالْفَلاحِ

ومُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ يَوْمَ الدِّين.

التدبُّر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّناً حَالَ مُعْظَمِ النَّاسِ إذَا أَذَاقَهُمْ رَبُّهُمْ مَتَاعَاتٍ هِيَ من آثَارِ رَحْمَتِهِ، وإذَا أَنْزَلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ مَصَائِبَ بِسَبَبِ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ مِن ذُنُوبٍ وآثَام:

• ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾:

• ﴿فَرِحُوا۟﴾: أي: سُرُّوا وابتَهَجُوا.

• [**يَقنَطُونَ**]: أي: يَيْأَسُونَ أشَدَّ الْيَأْسِ.

• [**يَبْسُطُ الرِّزْقَ**]: أي: يُوَسِّعُهُ وَيَكَثِّرُه.

• [**وَيَقْدِرُ**]: أي: وَيُضَيِّقُ، يُقَالُ لغةً: «قَدَرَ اللهُ عَلَىٰ فُلَانٍ الرِّزْقَ» أي: ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ وَقَلَّلَهُ عَنْ مِقْدَارِ حَاجَتِهِ وحاجَاتِ عِيَالِهِ.

إنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ في ابْتِلَاءِ عِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ؛ أَنْ يَبْلُوَهُمْ بِمَا يَسُرُّهُمْ ويُفْرِحُهُمْ، وبِمَا يَسُوؤُهُمْ وَيُحْزِنُهُمْ، وفي بَعْضِ الأحْيَانِ يُصِيبُهُمْ بِمَا يَسُوؤُهُمْ عِقَاباً لَهُمْ بِسَبَبِ مَا كَسَبُوا مِنْ ذُنُوبٍ وخَطَايَا قَدَّمَتْهَا أَيْدِيهِمْ.

فإذَا أَذَاقَ اللهُ النَّاسَ نِعَماً هِيَ مِن آثَارِ رَحْمَةٍ مِنْهُ فَرِحُوا بِهَا، وأكْثَرُهُمْ لا يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، بَلْ يَقْتَصِرُونَ عَلَىٰ الْفَرَحِ بها. (إذَا: لِلْمُتَحَقِّقِ الوقُوع عِنْدَ الْبَلاغيين).

وَإِنْ أَنْزَلَ بِهِمْ أَحْيَاناً نَادِرَةً سَيِّئَةً تُصِيبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَهْلِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ، بِسَبَبِ مَا كَسَبُوا مِنْ ذُنُوبٍ وخَطَايَا؛ يُفَاجِئُونَ مُرَاقِبِيهِمْ بأَنَّهُمْ يَقْنَطُون يَائِسِينَ أَشَدَّ الْيَأْسِ. (إنْ: للنَّادِرِ الْوُقُوعِ أو المشْكُوكِ فِيهِ عِنْدَ الْبَلَاغيين).

تَكُونُ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ، مَعَ أَنَّهُمْ يُشَاهِدُونَ دَواماً؛ أَنَّ اللهَ مِنْ سُنَّتِهِ فِي عِبَادِهِ أَنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ، لِيَبْلُوَهُمْ فِيمَا آتَاهُمْ هَلْ يَشْكُرُونَ؟، وَيَقْدِرُ مُضَيِّقاً الرِّزْقَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لِيمْتَحِنَهُمْ بتَضْيِيقِ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ، هَلْ يَصْبِرُونَ وَيَسْتَسْلِمُونَ لِحِكْمَةِ اللهِ فيما اخْتَارَهُ لَهُمْ، أَمْ يَضْجَرُونَ وَيَرْكَبُونَ مَرَاكِبَ مَعْصِيَتِهِ، لِلْحُصُولِ عَلَىٰ مَا يَطِيبُ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَاسِعٍ، وَمَا يُحِبُّونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الحيَاةِ الدُّنْيَا؟.

• ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا﴾:

اسْتُعِير الفِعْلُ في: «أَذَقْنَا» للدَّلاَلَةِ بِهِ عَلَىٰ معْنَىٰ الفِعْلِ فِي «أَمْتَعْنَا» لأَنَّ حَاسَةَ الذَّوْقِ قَوِيَّةُ الإِحْسَاسِ بِمَا يُلامِسُهَا، والتَّلَذُّذِ بما تَذُوقُهُ مِنْ طَيِّبات.

وأُطْلِقَتِ الرَّحْمَةُ والمَرادُ آثَارُهَا مِنْ عَطَاءَاتِ اللهِ لِعِبَادِهِ المرحُومِين.

واسْتُعْمِلَتْ «إِذَا» للدَّلاَلَة بِهَا عَلَىٰ تَحَقُّقِ شَرْطِهَا في الواقع غالباً.

واقْتَصَرَ البيانُ علىٰ ذِكْرِ الْفَرَحِ، للدَّلاَلَة علىٰ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَىٰ مَا يُؤْتِيهِمْ مِنْ نِعَمٍ يُفْرِحُهُمْ بها.

• ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

جَاءَ اسْتِعْمَالُ حَرْفِ الشَّرْطِ «إِنْ» للدَّلاَلَةِ بِهِ عَلَىٰ أَنَّ إِصَابَتَهُمْ بِمَا يَسُوؤُهُمْ قَلِيلٌ فِي حَيَوَاتِهِمْ، بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ ما يُذِيقُهُمْ رَبُّهُم مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، وهُوَ فِي الْغَالِبِ يَكُونُ بِسَبَبِ مَا كَسَبُوا مِنْ خطَايَا وَذُنُوب.

وَجَاءَ اسْتِعْمَالُ عِبَارَةِ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لِلدَّلاَلَةِ بِهَا عَلَىٰ مَا كَسَبُوا وَيَكْسِبُونَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، لأَنَّ يَدَي الإِنْسَانِ مُشَارِكَتَانِ فِي مُعْظَمِ مَا يَكْسِبُ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ فِي جَسَدِه.

• ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: «إِذَا» فُجَائِيَّة، أي: يُفَاجِئُونَ مُرَاقِبيهم بِأَنَّهُمْ يَيْأَسُونَ أَشَدَّ الْيَأْسِ.

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؟!:

أي: أنْطَمَسَتْ بَصَائِرُ النَّاسِ المَتحدَّثِ عَنهُمْ، ولَمْ يَرَوْا رُؤيَةً عِلْمِيَّةً شَبيهَةً بالرُّؤيَةِ الْبَصَرِيَّةِ لِوُضُوحِهَا أَنَّ اللهَ يُوَسِّعُ في حَيَاةِ الامْتِحَانِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه، لِيَبْلُوَهُمْ فِيمَا آتاهُمْ، هَلْ يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ أَمْ يَكْفُرُونَه، وأَنَّهُ يَقْدِرُ وَيُضَيِّقُ الرِّزْقَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُمْ وَرِضَاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ فيمَا ابْتَلاهُمْ بِهِ، وَسُؤَالَهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يُغْنِيَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، غَيْرَ نَاظِرِينَ إِلَىٰ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ بِعُيُونِ الحسَدِ وَالاعْتِرَاضِ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا اخْتَارَ لِعِبَادِهِ فِي دَقَائِقِ حِكْمَتِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ؟.

• ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾: أَيْ: إِنَّ فِـي ذَلِـكَ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْعِبَادِ لآيَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ عَلَىٰ حِكْمَةِ اللهِ السَّامِيَةِ في اخْتِيَارَاتِهِ، وهـٰذِهِ الآيَاتُ يُدْرِكُهَا الْقَوْمُ المسْتَعِدُّونَ لأَنْ يُؤْمِنُوا بِحِكَمِ اللهِ الْجَلِيلَةِ في اخْتِيَارَاتِهِ وَمَا يُرِيدُهُ لِعِبَادِهِ مِنْ بَسْطٍ وقَبْضٍ، وعَطَاءٍ وإِمْسَاكٍ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُخَاطِبُ المؤمِنَ الَّذِي لَدَيْهِ سَعَةٌ مِن الرِّزْقِ، وقَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِقَ مِنْهُ:

• ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾:

• ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾: تَدُلُّ هـٰذِهِ العِبارَةُ مِنْ عِبَارَاتِ التكْلِيفِ؛ عَلَىٰ أَنَّ لِذِي الْقُرْبَىٰ حَقّاً مَعْرُوفاً إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَة، وهُوَ مَا عُرِفَ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ فيما بَعْدُ بِالنَّفَقَةِ الواجِبَةِ عَلَىٰ الأَقْرَبِين.

• ﴿ذَا الْقُرْبَىٰ﴾: أي: صَاحِبَ الْقَرَابَةِ، وهي الْقُرْبُ والدُّنُوّ في النسب.

• ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾: أي: وآتِ المسْكِينَ، وهُوَ الَّذِي يُعْلِنُ أَنَّهُ فَقِيرٌ ذُو حَاجَةٍ لِمَعَاشِهِ وَمَعَاشِ أُسْرَتِهِ، وقَدْ لَا يَكُونُ فِي وَاقِعِ حَالِهِ فقيراً، ولَكِنَّ

التَحَرِّيَ لإِعْطاءِ الفقيرِ ذِي الحاجَةِ حقّاً أَفْضَلُ، لِئَلَّا يَعْتَادَ بَعْضُ الأَغْنِيَاءِ المكْفِيِّينَ عَلَىٰ التَّسَوُّلِ، رَغْبَةً فِي جَمْعِ الأَمْوَالِ والاسْتِكْثَارِ مِنْهَا، وهِيَ في الْوَاقِعِ أَمْوَالُ الْفُقَرَاء، وهَـٰؤُلَاءِ لَا حَقَّ لَهُمْ فيها.

• ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: وآتِ ٱبْنَ السَّبِيلِ، وهُو الْمُسَافِرُ المنْقَطِعُ بِهِ، وهُوَ يُرِيدُ الرُّجُوعَ إلىٰ بَلَدِهِ، ولَا يَجِدُ مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ.

وحَقُّهُ إيتَاؤُهُ مَا يُوصِلُهُ إِلَىٰ بَلَدِهِ، ويُعِيدُهُ إِلَىٰ دَارِ إِقَامَتِهِ، أو تَيْسِيرُ إِيصَالِهِ إِلَىٰ بَلَدِهِ مَكْفِيّاً بِوَسِيلَةٍ ما، فهـٰذا مِنْ إيتائِهِ.

• ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: أي: ذَلِـكَ الإيتـاءُ لِـذِي الْقُرْبَىٰ، والمسْكِينِ، وٱبْنِ السَّبِيلِ؛ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ ذَاتِ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِين، يُثَابُ بِهِ الّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَقُرُبَاتِهِمْ، أي: يُرِيدُونَ الْوَجْهَ الَّذِي يُرْضُونَ بِهِ رَبَّهُمْ ويَطْلُبُونَ بِهِ ثَوَابَهُ.

وإِرَادَةُ وَجْهِ اللهِ بالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي حَثَّ اللهُ عَلَيْهَا، أو رَغَّبَ فيها؛ هي النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي يثِيبُ اللهُ عِبَادَهُ عَلَيْهَا، ولهـٰذا قال الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ»، أي: مَا تُحْسَبُ قِيمَةُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ إِلَّا بالنِّيَّاتِ الْمُحَدِّدَاتِ لِلْقَصْدِ مِنْها.

• ﴿... وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾: أي: وأُولـٰئِكَ الْفُضَلَاءُ رَفِيعُو المنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ؛ هُمْ وَحْدَهم المفْلِحُونَ. اسْتُفِيدَ الْقَصْرُ مِنْ تَعْرِيفِ طَرَفي الإسْنَاد.

المفلحون: أي: هُمُ الظَّافِرُونَ بِمَا يُرِيدُونَ، والفائِزُونَ بِنَعِيمِ الآخرة، يقالُ لغة: «أَفْلَحَ فُلَانٌ» أي: فَازَ ونَجَا وَظَفِر، وأَصْلُ معْنَىٰ «الْفَلَاح» البقاءُ في النَّعِيمِ والْخَيْر.

▪ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُحَذِّرُ مِنَ الرِّبَا وَيُرَغِّبُ فِي الزَّكَاةِ بِمُنَاسَبَةِ أَمْرِهِ المؤمِنَ بإيتاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ حَقَّه، والمسْكِين، وابْن السبيل، مُخَاطِباً المؤمِنِينَ

الْحَرِيصِينَ عَلَىٰ أَنْ يَبْتَغُوا وَجْهَ اللهِ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَة:

• ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾:

أي: وَمَا أَعْطَيْتُمْ مِنْ مَالٍ علَىٰ سَبِيلِ الْقَرْضِ أَوِ الدَّيْنِ لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، فَيَدْفَعُوا لَكُمْ أَجْرَ مُرُورِ الزَّمَنِ عَلَىٰ الأَمْوَالِ الَّتِي هِيَ لَكُم عِنْدَهُمْ، مُسْتَغِلِّينَ ضَرُوراتِهِمْ أَوْ حَاجَاتِهِمْ؛ فَهُو لَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ.

الرِّبَا: الزِّيَادَةُ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَالِ فِي الْقَرْضِ أَوِ الدَّيْنِ، مُقَابِلَ مُرُورِ الزَّمَنِ.

• ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: فَلَا يَزِيدُ الْمَالُ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يَمْحَقُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ.

وَمَا أَعْطَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ في سَبِيلِ اللهِ، تُطَهِّرُونَ أَمْوَالَكُمْ، وَتَبْتَغُونَ مِنَ اللهِ نَمَاءَها؛ فإِنَّ اللهَ يُضَاعِفُهَا لَكُمْ، تَعْويضاً، وثواباً عِنْدَه.

جَاءَ التَّعْبِيرُ بعبارَة: ﴿... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بَدَلَ: فَأَنْتُمُ المضْعِفُونَ، للثَّنَاءِ عَلَىٰ المزكّينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ، باسْمِ الإشَارَةِ الَّذِي يُشَارُ بِهِ لِرَفِيعِي المنْزِلَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ «أولَئكَ».

المضْعِفُون: أي: الْحَاصِلُونَ عَلَىٰ ثَوَابٍ مُضَاعَفٍ عِنْدَ اللهِ، إذْ يَجْعَلُ اللهُ الحسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلَىٰ سَبْعمائة ضعف إلىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَة.

وبهـٰذَا انْتَهَىٰ مَا فتح اللهُ بِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس الخامس مِنْ دُروس سورة (الرُّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❋ ❋ ❋

(٩)

التدبّر التحليلي للدّرسِ السادس من دُروس سورة (الرّوم) الآيات من (٤٠ ـ ٤٥)

قال اللهُ عزَّ وجلّ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾:

القراءات:

(٤٠) • قرأ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وخَلَفٌ: **[تُشْرِكُونَ]** بتَاءِ المخَاطَبِينَ.

وقرأهَا باقِي الْقُرَّاءِ الْعَشَرة: **[يُشْرِكُونَ]** بِيَاءِ الْغَائِبِين.

وبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تكَامُلٌ فِي الأداءِ البيانيّ.

(٤١) • قرأ قُنْبل بخلف عنه، ورَوْح: **[لِنُذِيقَهُمْ]** بِنُونِ المتكلِّمِ العظيم.

وقرأهَا بَاقي القرَّاء العشرة، وهو الثاني لقنبل: **[لِيُذِيقَهُمْ]**: أي: لِيُذِيقَهُمُ اللهُ.

ومؤدى القراءتين واحد.

تمهيد:

في آياتِ هَـٰذَا الدَّرسِ خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِلمُشْرِكِينَ بأنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، ثُمَّ رَزَقَهُمْ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ، ثُمَّ يُحْيِيهِمْ، وأَنَّهُ تَنَزَّهَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُون.

وفيها بَيَانُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ خَالَفُوا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ الأَشْيَاءَ والأَحْيَاءَ عَلَيْها؛ قَدْ ظَهَرَ بِمَا كَسَبُوا الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِذْ أَرَادُوا أَنْ يَتَدَخَّلُوا فِي تَغْيِيرِ فِطَرِ الأَشْيَاءِ، طَمَعاً فِي زِيَادَةِ مَكاسِبِهِمْ مِنَ الأَمْوَال.

وفيها التَّحْذِيرُ مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ الْمُعَجَّلَةِ بالدَّعْوَةِ إِلَىٰ السَّيْرِ فِي الأَرْضِ، لِلنظَرِ في عَاقِبَةِ الَّذِينَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ أَهْلَكَهُمْ إِهْلَاكاً جَمَاعِيّاً مُسْتَأْصِلاً.

وفيها الأَمْرُ بإِقَامَةِ الْوَجْهِ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ، مَعَ التَّحْذِيرِ مِنْ عِقَابِ اللهِ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ الجزَاءِ الأَكْبَر.

التدبُّر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً لِلْمُشْرِكِينَ، يُبَيِّنُ لَهُمْ حَقَائِقَ لَيْسَ فِيهَا مَا يَعْذُرُهُمْ بِأَنْ يَتَّخِذُوا شُرَكَاءَ للهِ مِنْ دُونِهِ:

• ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾:

• ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أي: اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ خَلْقَ إِبْدَاعٍ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وخَلْقَ تَصْوِيرٍ، فَجَعَلَكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ نَفْسِيٍّ وأَحْسَنِ صُورَةٍ جَسَدِيَّة، وَنَفَخَ فِيكُمُ الرُّوحَ الإنْسَانِيَّةَ.

• ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ أَنْ خَلَقَكُمْ، ومَضَتْ مُدَّةُ إِنْشَائِكُمُ الأَوَّلِ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ، وبَعْدَ أَنْ نَفَخَ فِي أَجْسَادِكُمُ الرُّوحَ الإِنْسَانِيَّةَ، وَصِرْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ قُوتٍ لاسْتِمْرَارِ حَيَواتِكُمْ؛ رَزَقَكُمْ بأَلْطَافِهِ الْخَفِيَّةِ، مِنْ دِمَاءِ أُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ بالرَّضَاعِ فالطَّعَامِ والشَّرَابِ، طَوَالَ حَيَواتِكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الدُّنْيا.

• ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ في الحياة

الدُّنْيَا؛ يُمِيتُكُمْ وَيُفْنِي أَجْسَادَكُم إِلَّا خَلِيَّةً فِي عَجْبِ الذَّنَبِ، يُبْقِيهَا اللهُ لِتَكُونَ النَّوَاةَ الَّتِي يُنْبِتُكُمْ مِنْهَا، لِيُحْيِيَكُم بَعْدَ مَوْتِكُمْ لِيَوْمِ الدِّينِ.

• ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ إِنْبَاتِكُمْ مِنْ نَوَيَاتِكُمْ؛ يَنْفُخُ فِيكُمْ أَرْوَاحَكُمْ الَّتِي انْفَصَلَتْ عَنْكُمْ عِنْدَ إِمَاتَتِكُمْ، فَيُحْيِيكُمْ وَيَبْعَثُكُمْ أَحْيَاءً بِكُلِّ صِفَاتِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِتُلَاقُوا حِسَابَ رَبِّكُمْ، وفَصْلَ قَضَائِهِ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْكُمْ، وَتَنْفِيذَ جَزَائِهِ عَلَىٰ مَا كَسَبْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيَا.

• ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾؟!: أي: هَلْ بَعْضُ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ كَذِباً وزُوراً وَبَاطِلاً للهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أو فِي إِلٰهِيَّتِهِ؛ مَنْ يَخْلُقُ أَوْ يَرْزُقُ، أَوْ يُمِيتُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الآجَالِ المَحدَّدَةِ بِقَضَاءِ اللهِ، أَوْ يُحْيِي يَوْمَ البعث؟!.

إِنَّهُ لا يُوجَدُ أَحَدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين.

«مِنْ» في عِبَارَةِ: «مِنْ شَيْءٍ» مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ المفْهُوم مِنَ الاسْتِفهَامِ الإِنْكَارِي، أي: لَا أَحَدَ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ شَيْئاً مَهْمَا كَانَ قَلِيلاً.

• ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾: وفي القِراءَة الأُخْرَىٰ: [**عَمَّا تُشْرِكُونَ**] خِطاباً لِلْمُشْرِكِينَ:

سُبْحَانَهُ: أي: تَنَزَّهَ ـ جلَّ جَلَالُهُ ـ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شُرَكَاء.

وَتَعَالَىٰ: أي: تَسَامَىٰ، مِنَ الْعُلُوِّ المعْنَوِيّ الْفِكْرِيّ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ.

عَمَّا يُشْرِكُونَ: أي: عَنْ كُلِّ مَا يَجْعَلُهُ المشْرِكُونَ شَرِيكاً أَوْ شُرَكَاءَ للهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ فِي إِلٰهِيَّتِهِ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبيِّناً سُوءَ تَدَخُّلِ النَّاسِ فِي تَغْيِيرِ أَنْظِمَتِهِ فِي كَوْنِهِ، مِمَّا جَعَلَ لَهُمْ قُدْرَةً عَلَىٰ التَّدَخُّلِ فِيهِ:

• ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾:

تَدَخَّلَ النَّاسُ في تَغْيِيرِ نظامِ اللهِ في كَوْنِهِ، فظَهَرَ بِسَبَبِ تَدَخُّلِهِمْ فَسَادٌ خَطِير في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ والْجَوِّ الجامِعِ لَهُمَا، ومِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ ما يلي:

المثال الأول: تَدَخَّلَ النَّاسُ فِي نِظَامِ الغاباتِ الرَّبَّانِيّ، فقَطَعُوا أشْجَارَهَا بِإسْرَافٍ ابْتغَاءَ المكاسِبِ الماليَّة، فَنَجَمَ عَنْ ذَلِكَ تَصَحُّرٌ واختلافٌ فِي مُنَاخِ الْبِيئة، ونَفَقَتْ بِسَبَبِهِ حَيَواناتٌ كَانَ وُجُودُهَا مُكَمِّلاً لِصَلاحِ البيئة.

المثال الثاني: أَسْرَفَ النَّاسُ في صَيْدِ الْحَيَوانَاتِ بِوَسَائِلِ الْقَتْلِ الْجَمَاعِيّ، وفِي أَوْقَاتِ التَّزاوُجِ وَالتَّكاثُرِ الَّتِي لَا يُسْمَحُ الصَّيْدُ فيها، فَنَجَمَ عَنْ هٰذا الإِسْرَافِ انْقِرَاضُ بَعْضِ أَصْنَافٍ مِنَ الحيوانَاتِ، وخَلَلٌ فِي النِّظَامِ الرَّبَّانِي الْقَائِمِ عَلَىٰ الْعَدْلِ (المصْطَلَح عَلَيْهِ بالتَّوَازُنِ الْبِيئِيّ).

المثال الثالث: الآلَاتُ الصِّنَاعِيَّة المسْتَحْدَثَةُ، ومَا نَتَجَ عَنْهَا مِنْ مُخَلَّفَاتٍ مُفْسِدَةٍ أَوْ سَامَّة؛ فَنَجَمَ عَنْهَا تَلَوُّثٌ في الهواء، وفِي الماء، وفِي بَاطِنِ الأَرْضِ، الأَمْر الَّذِي أَضَرَّ بالحياة، وثَقْبُ الأُوزون مِنَ الأَضْرَارِ والْفَسَادِ النَّاجِم عَنْهُ.

المثال الرابع: اكْتِشَافُ النَّاسِ للطَّاقَةِ الذَّرِّيَّةِ والأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ، وَمَا نَجَمَ عَنْهُ مِنْ تَعْرِيضِ شُعُوبٍ وَمُدُنٍ كُبْرَىٰ، لأَمْرَاضٍ خَطِيرَةٍ جدّاً، كالأَوْرَام السَّرَطَانِيَّةِ، والأَمْرَاضِ الْجِلْدِيَّةِ المخْتَلِفَةِ، والَّتِي تَسْتَعْصِي عَلَىٰ الْعِلَاجِ، وَهِي تُهَدِّدُ دواماً بتَدْمِيرِ كُلِّ شَيْءٍ علىٰ الْكُرَةِ الأَرْضِيَّة.

المثال الخامس: تَدَخُّلُ النَّاسِ فِي تَغْذِيَةِ الْحَيَوَانَاتِ، عَلىٰ خِلَافِ نِظَامِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، ابْتِغَاءَ التَّنْمِيَةِ الكَثِيرَةِ، والرِّبْحِ الوفير؛ نَجَمَ عَنْهُ فَسَادٌ فِي الأَحْيَاءِ الَّتِي خَضَعَتْ لِتَدَخُّلِ الناس، ومِنْهَا مَا عُرِف بِجُنُونِ البقر،

والْفَيْرُوسَات الَّتي أَصَابَتْ بَعْضَ الدَّواجِنِ، وجَعَلَتْ أَصْحَابَ حَظَائِرِها يَتَخَلَّصُونَ مِنَ الأَعْدَادِ الكَثِيرَةِ جدّاً مِنْهَا.

المثال السادس: تَدَخُّلَ النَّاسُ فِي أَنْظِمَةِ اللهِ الاجْتِمَاعِيَّة، ومِنْهَا نِظَامُ الأُسْرَةِ؛ فَنَجَمَ عَنْ تَدَخُّلِهِمُ الشَّيْطَانِيِّ الْخَبِيثِ؛ فَسَادٌ عَرِيضٌ فِي المجتَمَعَاتِ، ذُو سَلَاسِلَ مُتَوَالِيَاتٍ مِنَ الْفَسَادِ، فِي عَلَاقَاتِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَفِي كَسْبِ المالِ، وَفِي تَفَكُّكِ أَفْرَادِ المجْتَمَعِ الْبَشَرِي، وفِي الْعَوَاطِفِ الإِنْسَانِيَّة النَّبِيلَة.

إلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْثِلَةٍ كَثِيرَةٍ، يَزْعُمُ النَّاسُ فيها أَنَّهُمْ يُصْلِحُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ.

وَجَاءَ التَّعْبِيرُ بالْفِعْلِ الْمَاضِي بقَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ ظَهَرَ هٰـذَا الْفَسَادُ إِبَّانَ تَنْزِيلِ هٰـذَا الْبَيانِ الرَّبَّانِيِّ، للدَّلالَةِ عَلَىٰ أَنَّ هٰـذَا الْفَسَادَ سَيَظْهَرُ حَتْماً فِي مُسْتَقْبَلِ النَّاسِ، فَتَحَقُّقُهُ فِي المسْتَقْبَلِ بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ بِمَثَابَةِ تَحقُّقِهِ فِي الماضِي، لأَنَّ عِلْمَ اللهِ لَا يَتَخَلَّفُ.

وَهٰـذِهِ الآيَةُ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ الخَبَرِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَمَّا سَيَكُونُ، كالَّذِي جَاءَ في أَوائِلِ هٰـذِهِ السورة:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ ... ﴿٤﴾﴾:

- ﴿... لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾:

دَلَّ هٰـذا الْبَيَانُ عَلَىٰ أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي ظَهَرَ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ، بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ؛ فِيهِ مَكَارِهُ لِلنَّاسِ وآلَامٌ هِي مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ تَدَخُّلِهِمْ فِي تَغْيِيرِ أَنْظِمَةِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، الَّتِي مَكَّنَهُمْ مِنَ التَّغْيِيرِ فيهَا، لِيَبْلُوَهُمْ فِيمَا مَكَّنَهُمْ مِنْهُ.

واللهُ عَزَّ وجَلَّ يُذِيقُ النَّاسَ آلَامَ بَعْضِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ رَغْبَةً مِنْهُ فِي أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ تَمَادِيهِمْ فِي تَدَخُّلَاتِهِم الْمُفْسِدَات.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ اللهِ مِنْ أُمَّتِهِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الإِفْرَادِي، مَا يَقُولُهُ للمشْرِكين:

• ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾:

العاقِبَةُ، والْعُقْبَىٰ: آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ وخاتِمَتُهُ، والجزاءُ عَلَىٰ المكْتَسَبِ الإِرَادِي.

أي: قُلْ أَيُّها الدَّاعِي إلىٰ الدِّينِ الحقِّ، لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِنَبْذِ شِرْكِيّاتِهِمْ، بِبَرَاهِينِ التوحيدِ الحقّ: سِيرُوا فِي الأرضِ حَتَّىٰ تَصِلُوا دِيَارِ المهْلَكِينَ السَّابقينَ الَّذِينَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكين، فَانْظُرُوا الْبَاقِي مِنْ آثارِ بِلَادِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَقُصُورِهِمْ، وَمَعَابِدِهِمُ الْوَثَنِيَّة، وَتَفَكَّروا كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ رَبُّهُمْ إِهْلَاكاً جَمَاعِيّاً مُسْتَأْصِلاً، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ فِي رُبُوبِيَّةِ اللهِ، وفِي إِلٰـهِيَّتِهِ، واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً بَاطِلَةً، وَزَعَمُوا أَنَّهَا تَجْلُبُ لِعَابِدِيها نَفْعاً، وتَدْفَعُ عَنْهُمْ ضُرّاً.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً لِكُلِّ مَوْضُوعٍ في الحياةِ الدُّنْيا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ بأسْلُوبِ الْخِطَاب الإفْرادِيّ:

• ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾:

في الآية (٣٠) من هـٰذه السُّورة؛ جاءت العبارة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ﴾، وأكَرِّر هُنَا مَا ذَكَرْتُهُ فِي تَدَبُّر هـٰذِهِ الآية، من أَنَّ إِقَامَةَ الْوَجْهِ تَكُونُ بِجَعْلِ الْوَجْهِ مُسْتَقِيمَ التَّوجُّهِ عَلَىٰ صِرَاطِ اللهِ، فِي مَسِيرَة الإِنْسَانِ في

حَيَاتِهِ، لَا يَلْتَفِتُ ذَاتَ الْيَمِينِ ولَا ذَاتَ الشِّمَالِ، لِئَلَّا تَنْزِعَ نَفْسُهُ إِلَىٰ الْخُرُوجِ عَنْ حَدِّهِ الأَيْمَنِ وَلَا عَنْ حَدِّهِ الأَيْسَرِ.

أَمَّا كَوْنُهُ حَنِيفاً فَالمرادُ بِهِ مَيْلُهُ عَنْ كُلِّ الْعَقَائِدِ والمذاهِب والأَدْيانِ المخالِفَةِ لِدِينِ اللهِ الْحَقِّ، والمَيْلُ عَنْهَا جَمِيعاً يَجْعَلُهُ مُسْتَقِيماً عَلَىٰ صِرَاطِ اللهِ المستقيم، وَهٰذَا المَعْنَىٰ يَتَّفِقُ مَعَ وَصْفِ الدِّين بِوَصْفِ «الْقَيِّمِ» الَّذِي جَاءَ فِي الآيَة (٤٣) الّتِي يَعْمَلُ الْفِكْرُ عَلَىٰ تَدَبُّرِها.

الْقَيِّم: أي: المسْتَقِيمُ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ والْخَيْرِ وَمَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ والسُّلُوك.

أي: فَأَقِمْ وَجْهَكَ أَيُّهَا الموْضُوعُ فِي الحياة الدُّنْيَا مَوْضِعَ الابْتِلَاءِ، واجْعَلْهُ مُوَجَّهاً دَوَاماً للدِّينِ الْقَيِّمِ، وهُو الدِّينُ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللهُ الرَّبُّ لِعِبَادِهِ، لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَلِيَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ وَتَعَالِيمِهِ مَا دَامُوا فِي الحياة الدُّنْيا.

- ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾:

أي: فاجْعَلْ وَجْهَكَ دواماً مُوَجَّهاً للدِّينِ الْقَيِّمِ حتَّىٰ آخِرِ رِحْلَةِ امْتِحَانِكَ في الحياة الدّنيا، مِنْ قَبْلِ أَنْ يأتِيَ يَوْمٌ هُو يَوْم الدِّينِ الّذِي لا مَرَدَّ لَهُ، وهُوَ يأتِي مِنَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

- ﴿مَرَدَّ﴾: مَصْدَر مِيمي مِنْ فِعلْ «رَدَّ»، أي: لَا دَفْعَ لَهُ ولا إِرْجَاعَ لَهُ.

- ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلّقٌ بفِعْلِ [**يَأْتِي**].

- ﴿... يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾: أي: يَوْمَ يَأْتِي ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ وهُوَ يَوْمُ الدِّينِ؛ يَنْقَسِمُ الّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدنيا مَوْضِعَ الامْتِحانِ إِلَىٰ أقسام مُتَعَدِّدَةٍ، وإِلىٰ زُمَرٍ بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوا لآخِرَتِهِمْ، فَأَهْلُ النَّارِ يُسَاقُونَ إِلَيْهَا زُمَراً بِحَسَبِ أَعْمَالِهِم، وأَهْلُ الجَنَّةِ يُسَاقُونَ إليها زُمَراً بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.

[يَصّدَّعُونَ]: أي: يَتفرَّقُونَ، يُقَالُ لُغَةً: «تَصدَّعَ الْقَوْمُ» أي: تَفرَّقُوا، مَأْخُوذٌ مِنَ التَصدُّعِ، وهُوَ التَّشَقُّقُ والتكسُّر.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُبَيِّنُ الْفَرْقَ الكبيرَ بَيْنَ مَنْ كَفَرَ وبَيْنَ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالحاً:

• ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾:

أي: مَنْ كَفَرَ وَمَاتَ وهو كافِرٌ؛ فَعَلَيْهِ وزْرُ كُفْرِه، وعَلَيْهِ عِقَابُ كُفْرِهِ خُلُوداً فِي عَذَابِ نَارِ جَهنَمَ عَلَىٰ مَا جاءَ تَفْصِيلُهُ فِي نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ أُخْرَىٰ.

وَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً يُعَبِّرُ بِهِ عَنْ صِحَّةِ إيمانِهِ وَصِدْقِهِ فِيه؛ فَأُولٰئِكَ الْفُضَلاءُ المرتَفِعُو الدَّرَجاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ لأَنْفُسِهِمْ يُقَدِّمُونَ أَعْمَالاً تُمَهِّدُ لَهُمُ الطَّرِيق لِنَيْلِ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ الْعَظِيمِ الْخَالِدِ في جَنَّاتِ النَّعِيم.

• ﴿... فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾: أي: فَلأَنْفُسِهِمْ لا لِغَيْرِهِمْ يُوَطِّئُونَ ويُسَهِّلُونَ وَيَبْسُطُونَ؛ مَا سَوْفَ يَكُونُ جَزَاؤُهُم عَلَيْهِ مَنَازِلَ مُسْعِدَةً لَهُمْ، ومُمَهَّدَةً، عَظِيمَةَ الإنْعَامِ والإسْعَادِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم.

يقال لغة: «مَهَدَ الفِرَاشَ يَمْهَدُهُ مَهْداً» أي: بَسَطَهُ وَوَطَّأَهُ وجَعَلَهُ مُرِيحاً لِلْجُلُوسِ أو الاضطجاعِ عليه.

وقَوْلُ اللهِ تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ مُرْتَبِطٌ بما جَاءَ فِي الآيَة (٤٣) بِشَأْنِ يَوْمِ الدِّين الّذِي لَا مَرَدَّ له. أي: وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ هٰذَا الْيَوْمَ الْعَظِيمَ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَزَاءً عظيماً مِنْ فَضْلِهِ، مُنَاسِباً لِفَضْلِهِ العظيم.

وأمَّا الْكَافِرُونَ فإنَّ اللهَ لَا يُحِبُّهُمْ، فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، بَلْ يَكُونُ نَصِيبُهُمْ مِنْ عَدْلِهِ، وهُوَ الْخُلُودُ فِي عَذَابِ النَّارِ خُلُوداً لَا نِهَايَةَ لَهُ.

وبهٰذَا انْتَهَىٰ تدبُّر الدَّرس السادس من دُروس سورة (الروم).

والحمد للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِه.

❀ ❀ ❀

(١٠)

التدبّر التحليلي للدرس السابع من دُروس سورة (الروم)
الآيات من (٤٦ ـ ٥١)

قال اللهُ عزَّ وجلّ:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾:

القراءات:

(٤٨) • قرأ ٱبْنُ كثير، وحمزة، والكِسَائي، وخلف: **[الرِّيحَ]** بالإفراد، اسْم جنْسٍ.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ بالجمْعِ. والمؤدَّىٰ واحد.

(٤٨) • قرأ هشام بخُلْفٍ عَنْه، وأبو جعفر: **[كِسْفاً]** بإسكانِ السين.

وقرأها بَاقي القرّاء العشرة: ﴿كِسَفًا﴾ بِفتْح السين، وهو الوجْهُ الثاني لِهِشام.

(٤٩) • قرأ ابن كثير، وأبو عمْرو، ويعْقُوب: **[يُنْزَلَ]** من فعل «أَنْزَلَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿يُنَزِّلَ﴾ مِنْ فِعْلِ «نَزَّلَ».

«أَنْزَلَ» و«نَزَّلَ» متكافئان، فالمهْمُوز أَخُو المضَعَّف.

(٥٠) • قرأ نَافع، وٱبْن كثير، وأبو عمْرو، وشُعْبَة، وأَبُو جَعْفر، ويعقوب: [أَثَرِ] بالإفراد، اسم جنس.

وقرأهَا باقي الْقُرّاءِ العشرة: ﴿ءَاثَٰرِ﴾ بالجمع. والمؤدَّىٰ واحد.

(٥٠) • وقف ابْن كثير، وأبو عمْرو، والكسائي، ويعقوب علىٰ: [رَحْمَتِ] بالهاء.

ووقف باقي القرّاء العشرة عليها بالتاء.

(٥٠) • قرأ قالُون، وأبو عمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكانِ الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿وَهُوَ﴾ بضم الهاء. وهما لُغَتان.

تمهيد:

في آياتِ هـٰذا الدّرْسِ عَرْضُ بَعْضِ آياتِ اللهِ في كونِهِ وبَعْضِ آيَاتِهِ الْجزَائِيَّة.

وفيها قياسُ إحْيَاءِ الموتَىٰ علَىٰ إحْيَاءِ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِها، مَعَ بَيَانِ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَتَّعِظُونَ بِمُنْذِرَاتِ العَذَاب، بَلْ يظَلُّونَ يَكْفُرُونَ.

التدبّر التحليلي:

▪ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبيِّناً بَعْضَ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ المتضمّنة بعض مِنَنِهِ علىٰ عِبَادِهِ، رغْبَةً مِنْهُ في أَنْ يَكُونُوا شَاكِرِين:

• ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾:

• ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾: أي: ومِنَ الْعَلامَاتِ الدَّالّات علىٰ طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ ـ جَلَّ جَلالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ وأسْمَائِهِ الحسْنَىٰ.

• ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾: أي: ومِنْ آيَاتِهِ إِرْسَالُهُ ـ تبارَكَ وتَعَالَىٰ ـ أنواعاً مِنَ الرِّيَاحِ خاصَّةً بإِنْعَامِ اللهِ علىٰ عِبَادِهِ، وهـٰذِهِ الرِّيَاحُ مُبشِّراتٌ بِسُحُبٍ ذَاتِ غَيْثٍ يُنْبِتُ الزَّرْعَ، ويَفِيضُ بِهِ الرِّزْقُ عَلَىٰ النَّاسِ وعلىٰ سَائِرِ الأَحْيَاءِ في الأَرْضِ.

• ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: فِي هـٰذِهِ الجمْلَةِ خِطَابٌ لِلنَّاسِ، وهِيَ ـ فِيمَا أَرَىٰ ـ مَعْطُوفَةٌ علَىٰ مَضْمُونِ [مُبشِّراتٍ]، إِذَ المعنَىٰ: لِيُبَشِّرَكُمْ أَيُّها النَّاسُ بالْغَيْثِ، ولِيُذِيقَكُمْ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ بِمَا يُنْبِتُ لَكُمْ مِنْ زُرُوعٍ وثِمَارٍ، ويُخْرِجَ لَكُمْ مِنْ أَنْواعٍ وأَصْنَافِ أشْجَارٍ، لَكُمْ فيها مَنَافِعُ كَثِيرَة.

استُعْمِلَتِ «الإذاقَةُ» الْخَاصَّةُ بِمَا يُحِسُّ بِهِ اللِّسَانُ، وأُرِيدَ بِهَا جَمِيعُ ما يُحِسُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ طَيِّبَاتٍ فِي كُلِّ حَوَاسِّهِمْ، وهَـٰذا مِن التَّعْمِيمِ المجَازِي، أو مِنَ التَّوَسُّعِ فِي دَلَالَاتِ الْكَلِمَاتِ اللّغويَّة.

• ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾: أي: ولِيَكُونَ إِرْسَالُ الرِّيَاحِ سَبَباً فِي إجراء الْفُلْكِ فِي الْبَحْرِ بأمْرِ اللهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ فَمَا يَكُونُ لَهَا مِنْ سَلَامَةٍ إِلَّا بأَمْرِهِ، ومَا يَكُونُ لَهَا مِنْ تَوْفِيقٍ وبُلُوغٍ إِلَىٰ غَايَاتِ أَهْلِهَا إِلَّا بأمْرِه، وَمَا يَكُونُ لَهَا مِنْ حَرَكَةٍ عَبْرَ الأَمْوَاجِ إِلَّا بأَمْرِه.

• ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أيْ: وَلِتَبْتَغُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرُكُوبِ الْفُلْكِ، وبِتَسْخِيرِ اللهِ إِيَّاهَا لَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ جَلْبَ أَرْزَاقٍ، واسْتِخْرَاجَ لَحمٍ طَرِيٍّ، ونَقْلَ بَضَائِعَ تَجْنُونَ مِنْهَا أَرْبَاحاً عَنْ طَرِيقِ التجارَةِ مَعَ أَهْلِ بُلْدَانٍ نَائِيَة، وغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مصالِحَ ومَنَافِعَ لَكُمْ.

• ﴿... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾: أي: وَرَغْبَةً في أَنْ تَشْكُرُوا ربَّكُمْ أيها النَّاسُ عَلَىٰ ما تفضَّلَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، إِذْ تَعْلَمُونَ أَنَّها مِنْ جُودِهِ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً لِرَسُولِهِ محمّد ﷺ:

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾:

دلَّتْ هـٰذهِ الآيَةُ علىٰ أَنَّ الرسُولَ ﷺ؛ كَانَ إِبَّانَ نُزُولِ هـٰذِهِ السُّورَة يَرْغَبُ فِي أَنْ يَنْتَقِمَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مِنَ الكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ، وأَنَّ المضطَّهَدِينَ من المؤمِنينَ المسْلِمينَ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ تَشْتَدُّ فِي طَلَبِ انْتِقَامِ اللهِ مِنْ أَعْدَائِهِم الكَفَرَةِ المضطّهِدِينَ لَهُمْ ظُلْماً وَعُدْواناً.

فأنْزَلَ اللهُ هَـٰذَا الْبَيَانَ الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هـٰذِهِ الآيَةُ طَمْأَنَةً لِقُلُوبِهِمْ، وإعْلَاماً لَهُمْ بأنَّ سُنَّتَهُ فِي الانْتِقَامِ مِنَ المجْرِمِينَ ونُصْرَةِ عباده المؤمنينَ لَنْ تَتَخَلَّفَ، فَهِيَ حَقٌّ أَلْزَمَ اللهُ نَفْسَهِ بِهِ ضِمْنَ مَجَارِي سُنَنِهِ.

• ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو تَعْطِفُ بَيَاناً عَلَىٰ بَيَانٍ سَابقٍ، واللَّام واقِعةٌ فِي جواب قَسَمٍ مَنْوِي، و«قَدْ» حَرْفُ تَحْقِيق.

• ﴿أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: أي: نُؤَكِّدُ تَوْكِيداً مُشَدَّداً بِـ **[لَقَدْ]** أَنَّا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّد رُسُلاً كثِيرِينَ إلَىٰ أَقْوَامِهِمْ.

أُطْلِقَ لفظ «قَوْمٍ» وأُرِيدَ بِهِ «أَقْوام» لأَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ إفرادِي يَصْدُقُ عَلَىٰ الْقَلِيلِ والكَثِير.

• ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أي: فجاءَ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ بالبيِّنَاتِ مِنَ الْحُجَجِ والْبَرَاهِينَ، وجاؤُوهُمْ بالْبَيِّنَاتِ مِن الآيَاتِ الخوارقِ المعْجِزَةِ.

• ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: أي: فَعَاقَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا فِي تَصَرُّفَاتِهِم مُجْرِمِينَ.

الانْتِقام: الْعِقَابُ عَلَىٰ الإثْم.

الإِجْرَامُ: ارْتِكَابُ ذَنْبٍ كَبِيرٍ. **والْمُجْرِم**: المعْتَدِي بِذَنْبٍ كبير.

● ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾: أي: وَكَانَ وَاجِباً عَلَيْنَا أنْ نَنْصُرَ المؤمِنينَ عَلىٰ أعْدَائِهِم الْمُجْرِمِينَ، ألْزَمْنَا بِهِ أنْفُسَنَا فيما دَبَّرْنَاه وقَرَّرْنَاه مِنْ تَصَارِيفِنَا لِعِبَادِنا.

لَقَدْ أوْجَبَ اللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وحَرَّمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، حتَّىٰ لَا يَتعالَىٰ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ النَّاسِ عَنْ أنْ يُوجِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ واجِبَاتٍ يَقْتَضِي الْحَقُّ والْعَدْلُ أنْ يُوجِبَهَا عَلَيْها، ولَا يَتَعالَىٰ عَنْ أنْ يُحَرِّمَ علَىٰ نَفْسِهِ مُحَرَّمَاتٍ يَقْتَضِي الحقُّ والْعَدْلُ أنْ يُحَرِّمَهَا عَلَيْهَا.

ودَلَّتْ هٰذِهِ العبارة بأسْلُوبِ الكِنَايَةِ عَلَىٰ أنَّ اللهَ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ قَدْ نَصَرَ رُسُلَهُ عَلَيْهِمْ السَّلَام السَّابِقِينَ والَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ عَلَىٰ الكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ مِنْ أقْوَامِهِمْ، فَلَا بُدَ أنْ يَنْصُرَ رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ عَلَىٰ الْمُجْرِمِينَ مِنْ قَوْمِهِمْ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ فِي بَيَانٍ مُتَّصِلٍ بآيَةِ الرِّيَاحِ بَعْدَ الْبَيَانِ المعْتَرِضِ في الآية (٤٧):

● ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾:

وفي القراءة الأخرىٰ: [كِسْفاً].

● ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾: أي: اللهُ المتفَرِّدُ بِسُلْطَانِهِ عَلَىٰ تَصَارِيفِ كَوْنِهِ؛ هُو وَحْدَهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ علىٰ اخْتِلَافِ أنْوَاعِهَا، وَدَرَجَاتِ شِدَّتِهَا وَضَعْفِهَا، وَمُسْتَوِيَاتِهَا ارْتِفَاعاً أوِ انْخِفَاضاً، ودَرَجَاتِ حَرَارَتِهَا وَبُرُودَتِها، ونِسَبِ عَنَاصِرِها الغازِيَّة.

● ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: أي: فَتَنْشُرُ الرِّيَاحُ سُحُباً فِي جَوِّ السَّمَاءِ.

سَحَاب: اسم جِنْس جَمْعِي، مُفْرَدُهُ «سَحَابَة»، ويُلاحَظ معنىٰ الْجَمْعِ فِيهِ فَيُوصَفُ بالجمع، فيقال: «سَحَابٌ ثِقَال». ويَلاحَظ معْنَىٰ الإفرادِ فِيهِ فَيُوصَفُ بالمفْرَد، كَمَا سَيَأْتِي في: «فيبْسُطُهُ»، وفي: «من خِلَالِهِ».

• ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: أي: فَيَبْسُطُ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ السَّحَابَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، ويَجْعَلُهُ عَلَىٰ الكيْفِيَّةِ الّتِي يَشَاؤُها، فَمَا نُشَاهِدُهُ مِنْ كَيْفِيَّاتٍ كَثِيرَاتٍ مُخْتَلِفَاتِ الأَشْكَالِ والأَحْوَالِ؛ هُوَ مِنْ صُنْعِ اللهِ الّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعاً، وأَحْكَمَ كُلَّ تَصْرِيفٍ مِنْ تَصَارِيفِهِ فِي كَوْنِهِ بِحِكْمَتِهِ السَّامِيَة.

• ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: وفي القراءة الأخرىٰ: [**كِسْفاً**]: أي: ويَجْعَلُهُ قِطَعاً، **الْكِسَفُ ـ والكِسْفُ**: الْقِطَعُ مِنْ أَيِّ شيءٍ. واللَّفْظُ جَمْعٌ، واحِدَتُهُ: «كِسْفَة»، وهي الْقِطْعَةُ مِنْ أيِّ شيءٍ.

• ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾: أي: فَتَرىٰ أَيُّها الرّائِي الْمَطَرَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ السَّحابِ، بِتَقْدِيرِ اللهِ وقَضَائِهِ وَعِلْمِهِ وحِكْمَتِه، لِمَنَافِعِ الأَحْيَاءِ فِي الأَرْض.

الودق: المطر كله شديده وهيّنه، يقال لغة: «وَدَقَ، يَدِقُ، وَدْقاً» أي: قطر.

• ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾:

أي: فإذَا أصابَ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ بِمَاءِ المطَرِ مَوَاضِعَ حَاجَاتِ ومَطَالِبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه؛ فاجَؤُوا مَنْ يُرَاقبهم بِأَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ وَيُسَرُّون.

اسْتَبْشَرَ: فَرِحَ وسُرَّ.

• ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾:

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: أي: لَيَائِسِينَ، ساكِتِينَ، مُتَحَيِّرِينَ، لا يَمْلِكُونَ وسِيلَةً يَجْلُبُونَ بِهَا مَا يُغِيثُهُمْ لأَنْفُسِهِمْ وأَرْضِهِمْ وبَهَائِمِهِمْ، وسَائِر ما يَحْتَاجُونَ فِيهِ إلىٰ الماء.

المعنىٰ: وقَدْ كَانَ شَأْنُهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاء، من قَبْلِهِ بِلَحَظَاتٍ؛ لَيَائِسِينَ، سَاكِتِينَ، مُتَحَيِّرِينَ، لَا حِيلَةَ لَهُمْ يَجْلُبُونَ بِهَا مَاءً لمصَالِحِ حَيَواتِهِمْ.

جَاءَ تَكْرِيرُ فِكْرَةِ الْقَبْلِيَّة بِعِبَارَةِ: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ للدَّلَالَة عَلَىٰ الْقَبْلِيَّةِ الْمُبَاشِرَةِ فِيمَا أَرَىٰ، ودَفعاً لِتَوَهُّم الْقَبْلِيَّةِ الْبَعِيدَة، وبَيَاناً لأُسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي تَكْرِير الْعِبَارَة للتوكيد.

«إنْ» في: ﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ هِي المخفَّفَة مِنَ الثقِيلَة، فهي تُفِيدُ التوكيد، واللَّام في: ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ هي لَامُ التوكِيدِ المزحْلَقة، فالعبارة مؤكَّدَة، بـ: «إنَّ ـ والجملَةِ الاسْمِيَّةِ ـ واللّام المزحْلَقة».

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُنَبِّهاً عَلَىٰ رَحْمَتِهِ، وحِكْمَتِهِ، وقُدْرَتِهِ فِي تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ:

● ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾:

فِي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ بَيَانُ أَرْبَعِ قَضَايا:

الْقَضِيَّةُ الأُولَىٰ: دَلَّ عَلَيْها قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾:

أي: فانْظُرْ أيُّها النَّاظِرُ المتَفَكِّرُ المتَدَبِّرُ إِلَىٰ آثَارِ صِفَةِ رَحْمَةِ اللهِ في كَوْنِهِ، وَتَصَارِيفِ خَلْقِهِ المسْبُوقِ بِتَقْدِيرِهِ وَقضائِهِ، كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ، بإخْرَاجِ نَبَاتِهَا وزُرُوعِها وَأَشْجَارِهَا وثمراتها، بالْمَاءِ الَّذِي يُنَزِّلُهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَخْتَلِطُ بِتُرَابِ الأَرْضِ، ثُمَّ يَخْتَلِطُ بالبزور والجذور، فتَتَنَامَىٰ بِخَلْقِهِ، حتَّىٰ تَكُونَ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْض ذَوَات حَيَاةٍ نَبَاتِيَّة، مختَلِفَةَ الأَجْنَاسِ والأَنْوَاعِ والأَصْنَاف، وفي كلٍّ مِنْهَا مَنَافِعُ للعباد.

الْقَضِيَّة الثانية: دلَّ عَلَيْهَا قول اللهِ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾:
أي: إنَّ ذَلِكَ الْعَظِيم الْجَلِيلَ الْقَدِيرَ الَّذي يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؛ لَمُحْيِي الموتىٰ مِنَ الأَحْيَاءِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ إِذَا شَاءَ، ولَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ جَمِيعاً يَوْمَ الْبَعْثِ لِمَرْحَلَةِ الْجَزَاء.

القضيَّة الثَّالِثَة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿... وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾: أي: وهُو ـ جَلَّ جَلاَلُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ قَدِيرٌ علىٰ إِيجادِ كُلِّ شَيْءٍ يَشَاءُ إِيجادَهُ، وقَدِيرٌ عَلَىٰ إِعْدَام كُلِّ شيءٍ يَشَاءُ إِعْدَامَهُ، ومَعْلُومٌ أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ فِي الإيجادِ وَالإِعْدَام لَا تتعلَّقُ إلَّا بالجائزاتِ الْعَقْلِيَّة، فَلَا تَتعلَّقُ بالْوَاجِبَاتِ الْعَقْلِيَّة، وهِي ذَاتُهُ وصِفَاتُهُ، ولَا بالمسْتَحِيلاتِ الْعَقْلِيَّة، كإيجَادِ رَبٍّ مُمَاثِلٍ له، وكالْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ.

الْقَضِيَّةُ الرَّابعة: دَلَّ عليها قولُ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾: يَتَحدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ المتكلّم العظيم.

أي: وأُقْسِمُ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً مَصْحُوبَةً بمَا يُنْذِرُ بِعَذَابٍ وإِهْلَاكٍ وتَدْمِيرٍ، فَرَأَوْا جَوَّ السَّمَاءِ مُصْفَرّاً بِمَا تَحمِلُ الرِّيحُ مِنْ تُرابٍ وغُبَارٍ ورِمَالٍ ومُهْلِكَاتٍ؛ لَاسْتَمَرُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ، حَتَّىٰ يَنْزِلَ بهم وَيُصِيبَهُمُ العقاب الرَّبَّانِيُّ.

إِنَّهم حِينَ يَرَوْنَ جَوَّ السَّمَاءِ مُصْفَرّاً مُنْذِراً بِعِقَابٍ؛ يُعَلِّلُونَ مَا شَاهَدُوه بأَنَّهُ مِنَ الظَّواهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي الكَوْنِ، وَلَيْسَتْ أَثَرَ رَبٍّ خَالِقٍ يتصَرَّفُ بأَحْدَاثِ كَوْنِهِ علَىٰ وَفْقِ حِكْمَتِهِ، ومِنْ حِكْمَتِهِ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الْكَافِرِين.

وبهـٰذَا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْس السابعِ من دُروس سورة (الرُّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(١١)
التدبّر التحليلي للدّرس الثامن من دروس سورة (الرّوم) الآيتان (٥٢ و٥٣)

قال الله عزّ وجلّ:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾:

القراءات:

(٥٢) • قرأ ابْنُ كَثِير: **[وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ]**.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني، فَأَنْتَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاء، وهُمْ لَا يَسْمَعُونَ الدُّعاء.

(٥٣) • قرأ حمزة: **[تَهْدِي الْعُمْيَ]**، وَوَقَفَ على **[تَهْدِي]** بالياء بخلف عنه.

وقرأَهَا باقِي القرَّاء العشرة: ﴿بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾. ومؤدّىٰ القراءتَيْنِ واحد.

ولَا يَخْفَىٰ أَنَّ الياء تحذف وصْلاً للساكنين. ووقف على **[بهادي]** بإثبات الياء: يعقوب، والكسائي بخلفه. ووقف الباقون بحذفها.

تمهيد:

في آيَتَيْ هـٰذا الدَّرْسِ تَيْئِيسُ الدّاعي إلَىٰ اللهِ من تَأْثِيرِ دَعْوَتِهِ فِي الَّذِين بَلَغُوا في قُلُوبِهِمْ دَرَكَةَ مَوْتَىٰ الْقُلُوبِ، أَوْ دَرَكَة الصُّمِّ الْعُمْي فِي بَصَائِرِهم، فَعَلَيْهِ أَنْ يُجَاهِدَ فِي دَعْوَةِ غَيْرِ الميؤُوسِ مِنْهُمْ.

التدبّر التحليلي:

الصُّمُّ: جَمْعُ «الأَصَمِّ»، وهو من لَا سَمْعَ لَهُ.

الْعُمْي: جَمْعُ «الأعْمَىٰ»، وهو مَنْ لَا بَصَرَ لَهُ.

والمراد بالصُّمِّ الّذِينَ سَدُّوا أسْمَاعَهُمْ بالنِّسْبَةِ إلىٰ دَعْوَة الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّة، والمرادُ بالْعُمْي الَّذِينَ أَغْمَضُوا عُيُونَ بَصَائِرِهم عن إدْراكِ أنوار الهداية الرَّبَّانِيَّة.

والمرَادُ بِالْمَوْتَىٰ الّذِينَ فَقَدُوا كُلَّ إحْسَاسٍ لهم بِشَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا دِينِ اللهِ لهم، فَهُمْ كالموْتَىٰ.

المعنىٰ: فأَنْتَ أَيُّها المؤمِنُ المسْلِمُ الدّاعِي إلَىٰ سَبِيلِ رَبّكَ؛ لَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمُجاهَدَةِ مَنْ أَثْبَتَتِ التَّجْرِبَةُ الطَّوِيلَةُ أَنَّهُمْ كالْمَوْتَىٰ بالنِّسْبَةِ إلىٰ قَضَايا الدِّين، فإِنَّهُمْ لا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكَ، وأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسمِعَهُمْ دُعَاءَك، لأَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤَثِّرَ علىٰ إرَادَاتِهِمْ، الَّتِي تَشَبَّثَتْ بأَهْوَائِهِمْ وشَهَوَاتِهِمْ وَمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ، وَابْتَعَدُوا بُعْداً شَاسِعاً عَنْ رَبِّهِمْ وعَنْ تَصَوُّرِ الْيَوْم الآخِرِ وَحِكْمَةِ الجزاءِ الرَّبَّانِيّ بالْعَدْلِ أَوْ بالفضل، فصَارُوا كالموتَىٰ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ هٰذِهِ القضايا.

ولَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمُجَاهَدَةِ مَنْ أَثْبَتَتِ التَّجْرِبَةُ الطَّوِيلَةُ أَنَّهُمْ كالصُّمِّ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ قَضَايَا الدِّين، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَك، وأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَهُمْ دُعَاءَكَ، لأَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ بالْجَبْرِ أَنْ تُحَوِّلَهُمْ مِنْ صُمٍّ إِلَىٰ سَامِعِينَ، وقَدْ جَعَلَهُمْ رَبُّكَ ذَوِي إرادَاتٍ حُرَّةٍ يَخْتَارُونَ بِهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ أَوْ طَرِيقَ الشَّرِّ، ولَمْ يَجْعَلْهُمْ مَجْبُورِينَ، ولَا قَابِلِينَ لِلْجَبْرِ الَّذِي يُوَجِّهُ لإرَادَاتِهِمْ، ولَا سِيَّما إذَا ابْتَعَدُوا مُدْبِرِينَ عَنْ دَائِرَةِ سَمَاعِ النداء.

وَكذلِكَ لَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمُجَاهَدَةِ مَنْ أَثْبَتَتِ التَّجْرِبَةُ الطَّوِيلَة أَنَّهُمْ كالْعُمْي بالنِّسْبَةِ إلَىٰ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ هِدَايَةٍ عَنْ طَرِيقِ أَبْصَارِهِمْ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ قَضَايَا الدِّين، فإِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَها، وأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَهُمْ إيَاهَا، ولَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ دَلَالَاتِها، ولَا أَنْ تَهْدِيَهُمْ وهُمْ مُوغِلُونَ فِي ضَلَالَاتِهِمْ، بَعِيدونَ عن صراطِ الْهُدَىٰ، وعَنْ مَوَاقِعِ الحقِّ.

جاءَ في هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ اسْتِعَارَةُ أَلْفَاظِ «الْمَوْتَىٰ» و«الصُّمِّ» و«الْعُمْي» للدَّلَالَة بِهَا عَلَىٰ مَنْ بَلَغُوا دَرَكَةَ حَجْبِ مَدَارِكِهِمُ النَّفْسِيَّةِ عَنْ قَبُولِ دَعْوَةِ الْحَقِّ مِنْ دُعَاةِ الحقِّ، رَسُولاً كَانَ فَمَنْ دُونَهُ.

ويَقول اللهِ للدَّاعِي: مَا تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنَا البيانِيَّة وآيَاتِنَا الكونِيَّةِ الإعجازِيَّةِ والجزائيَّةِ، فَهُمْ بِدَافِعِ إيمانِهِمْ مُسْلِمُونَ مُسْتَسْلِمُون.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْسِ الثَّامِنِ من دُروس سورة (الرُّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(١٢)
التدبر التحليلي للدّرس التاسع من دروس سورة (الرُّوم)
الآية (٥٤)

قال الله عزّ وجل:

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾:

القراءات:

(٥٤) • قرأ شُعبة، وحمزة: [**ضَعْفٍ**] في الموضِعَيْن، وكذلِكَ حفْصٌ بِخُلْفٍ عَنْهُ.

وقرأها باقِي القُرَّاءِ العشرة: [**ضُعْفٍ**] في الموضِعَيْن، وكَذَلِكَ: [**ضُعْفاً**]. وهُو الوَجْهُ الثَّانِي لحفص.

(٥٤) • قرأ قالون، وأبو عَمْرو، والكِسَائِي، وأبو جَعْفر: [**وَهْوَ**] بإسكان الهاء.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: ﴿وَهُوَ﴾ بِضَمِّ الهاء وَوَقَفَ عليها يعقوب بهاء السكت.

تمهيد:

في هـٰذا الدّرس بيان واقِع رِحْلَةِ الإنْسَانِ في هـٰذِهِ الحَياةِ الدنيا، بَيْنَ الضَّعْفِ والْقَوَّةِ، والَّتِي يَكُونُ انْتِهَاؤُهَا بالْمَوْتِ.

التدبّر التحليلي:

هـٰذه الآيَةُ تَدُلُّ علَىٰ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ خلَقَ النَّاسَ من ضَعْفٍ.

وجاء في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) قَوْلُ اللهِ عَزَّ وجلّ:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

دَلَّ هَـٰذَانِ النَّصَّانِ عَلَىٰ وَاقِعِ الْحِكْمَةِ الرَّبَانِيَّةِ فِي خَلْقِ الإنْسَانِ نَاشِئاً مِنْ ضَعْف، وفِي خَلْقِهِ حَالَةَ كَوْنِهِ مَخْلُوقاً ضَعِيفاً.

الضَّعْفُ: نَقْصٌ فِي الْقُوَّةِ بالنِّسْبَةِ إلَىٰ ذِي قُوَّةٍ أَكْثَرَ وأَشَدَّ، والضَّعِيفُ هو الَّذِي يَعْجِز عَنْ تَحْقِيقِ مَطْلُوبِهِ بِقُوَّتِهِ.

إنَّ مِنَ الملاحَظِ لِكُلِّ ذِي فِكْرٍ؛ أَنَّ الإنْسَانَ ـ كُلَّ الإنْسَانِ ـ مَخْلُوقٌ مِنْ مَادَّةٍ ضَعِيفَةٍ جدّاً فِي النُّطْفَةِ الَّتِي يَبْدَأُ تَكَوُّنُهُ مِنْها، فَكَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ ضَعْفٍ لِشِدَّةِ الضَّعْفِ فِيهَا عَنْ مُقَاوَمَةِ أيِّ مُغَالِب لَهَا مِنْ حَوْلِهَا، لَوْلَا حِمَايَةُ الْخَالِقِ لَهَا، وحِفْظُهَا مِنْ كُلِّ ذي قُوَّةٍ لَهُ حَاجَةٌ بِمُغَالَبَتِها، ولَوْ كَانَتْ قُوَّتُهُ زَائِدَةً علىٰ قُوَّتِهَا زِيَادَةً لَا يَسْتَطِيعُ الحاسِبُونَ تَقْدِيرَها.

ويَسْتَمِرُّ حَالُ الضَّعْفِ فِي الإنْسَانِ، حتَّىٰ تَكَادَ بَعُوضَةٌ أَن تَطْرَحَهُ أَوْ تَقْتُلَهُ، وَرُبَّ جُرْثُومَةٍ أَوْ فيروسَةٍ تَجْتَمِعُ الملَايِينُ مِنْهَا عَلَىٰ رَأْسِ إبْرَةٍ أَوْ شَوْكَةٍ؛ تَكُونُ سَبباً فِي إسْقَاطِهِ مَرِيضاً عَاجِزاً، أَوْ قَتْلِهِ، لأَنَّهُ يَضْعُفُ عَنْ مُقَاوَمَتِها، أَوْ إدْرَاكِهَا، وَتَدْخُلُ فِي جَسَدِهِ إلَىٰ مَقَاتِلِهِ وهُوَ لَا يَرَاها، لِضَعْفِ بَصَرِهِ عَنْ رُؤيَتِهَا.

وفِي مَسِيرَةِ الإنْسَانِ الْمَحْفُوظ بِحَفْظِ اللهِ لَهُ مِنَ المخاطِرِ؛ يُعْطِيهِ اللهُ

ـ جلَّ جلَالُهُ وعظُمَ سُلْطانُهُ ـ قُوّةً ما تجعلُه يقُومُ ببَعْضِ الأَعْمالِ الشَّاقَّةِ، وَلَكِنَّ الله يُنَكِّسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُنَبِّهَهُ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيُنْهِي حَيَاتَهُ، بِسَلْبِ كُلِّ قُوَّةٍ لَهُ، وجَعْلِهِ مَيِّتاً لَا حَيَاةَ فِيهِ ولَا حَرَكَةَ لَهُ، وَلِيُذَكِّرَه بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَوْمِ الدِّينِ، لِيُلَاقِي حِسَابَهُ، وفَصْلَ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِ، وَجزَاءَهُ بالْعَدْلِ أَوْ بالْفَضْلِ.

وَمِنْ حِكْمَةِ اللهِ أَنَّهُ رَاعَىٰ حَالَةَ ضَعْفِ الإنسان، فَخَفَّفَ عنهُ تكَالِيفَ الامْتِحَانِ، وخَفَّفَ مِنْ مُؤَاخذَتِهِ عَلَىٰ المعاصِي مِنْ دُونِ الكُفْرِ، فَجَعَلَ لَهَا مُكَفِّرَاتٍ بِالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفَارِ، وإِتْبَاعِ السَّيِّئَةِ الحسَنَةَ، والاعتمادِ علىٰ وَاسِعِ رَحْمَتِهِ وعَظِيم فَضْلِهِ.

• ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: أيْ: يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ خَلْقَهُ، وَلَكِنَّ مَشيئَتَهُ ـ جلَّ جَلَالُهُ ـ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ.

• ﴿... وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾: أي: وهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، الْقَدِيرُ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ أَنْ يَخْلُقَهُ.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس التاسع من دُروس سورة (الرُّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(١٣)
التدبّر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الرُّوم) الآيات من (٥٥ ـ ٥٧)

قال الله عزَّ وجلّ:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾:

القراءات:

(٥٧) • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: **[لَا يَنْفَعُ]** بالياء.

وقرأها باقي القراء الْعَشَرةِ: **[لَا تَنْفَعُ]** بالتاء.

وهما وَجهان عَرَبيان لأنّ الفاعل مجازِيُّ التَّأْنِيث.

تمهيد:

في آياتِ هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ عِنْدَ قِيَامِ سَاعَةِ البعث، بالنِّسْبَةِ إلىٰ بَقَائِهِمْ فِي الْبَرْزَخِ بَيْنَ الموْتِ والْبَعْث.

التدبّر التحليلي:

• ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي: وَيَوْمَ تَقُومُ سَاعَةُ الْبَعْثِ إلَىٰ الْحَيَاةِ الأُخْرَىٰ، لِلْحِسَابِ، وَفَصْلِ الْقَضَاءِ، وتَنْفِيذِ الجزاء.

هـٰذا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاق، وبَعِيدٌ أَنْ يَكُونَ المرادُ سَاعَةَ إِنْهَاءِ ظُرُوفِ الحيَاةِ الدُّنْيا.

• ﴿يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾: أي: يَحْلِفُ غُلَاةُ الكَفَرَةِ الْمُجْرِمُونَ بارْتِكَاب الآثَام الكُبْرَىٰ قائِلين: مَا أَقَمْنَا فِي مَدَافِنِنَا بَيْنَ المَوْتِ والْبَعْثِ إلَّا سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ.

والسَّبَبُ فِي هَـٰذَا أَنَّ الْحِسَّ بالزَّمَنِ مَمْسُوحٌ مِنْ إِدْرَاكِ نُفُوسِهِمْ بالْمَوْتِ، فَالسَّاعَةُ فِي إدْرَاكِهَا ومِلْيَارَاتُ الْقُرُونِ سَوَاءٌ، فَهُمْ يُقْسِمُونَ عَلَىٰ أَقَلِّ مِقْدَارٍ زَمَنِيٍّ يُقَدِّرُونَهُ تَقْدِيراً، دُونَ شُعُورٍ مِنْهُمْ بِمُدَّتِهِ، ولَمْ يَكُونُوا قَبْلَ مَوْتِهِمْ مُؤْمِنينَ بالْبَعْثِ ولَا بِيَوْمِ الدّين، بَعْدَ انْتِهَاءِ ظُرُوفِ الحياةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا.

• ﴿... كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝٥٥﴾: **يُؤْفَكُونَ**: أي: يُصْرَفُون.

إنَّهُمْ لَمْ يَسْتَرْجِعُوا مَا كَانُوا يُنَبَّؤُونَ بِهِ عَنِ الْبَرْزَخِ والْبَعْثِ لِيَوْم الدِّين بَعْدَ انْتِهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، بَلْ اسْتَمَرُّوا يَعِيشُونَ فِي أَوْهَامِهِمُ الْخَاصَّةِ، وَمَا يُحِسُّونَ فِي مَشَاعِرِهِمْ دُونَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا عُقُولَهُمْ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، لَقَدْ كَانُوا فِي الحياةِ الدُّنْيَا يُصْرَفُونَ عَنْ إدْرَاكِ الحقِّ بِعُقُولِهِمْ، بِعَوَامِلِ أَهْوَاءِ نُفُوسِهِمْ، وشَهَواتِهِمْ، وإحْسَاسَاتِ نُفُوسِهِم السَّطْحِيَّة، وعِنْدَ سَاعَةِ الْبَعْثِ يَكُونُ حَالُهُمْ مِثْلَ حَالِهِمْ قُبَيْلَ مَوْتِهِمْ، يُصْرَفُونَ عَنْ إدْرَاكِ الحقِّ بِعُقُولِهِمْ بالْعَوامِلِ الَّتِي كَانُوا يُصْرَفُونَ بها في الحياة الدُّنْيَا، حَتَّىٰ تَظْهَرَ لَهُمْ بَعْضُ أَحْوَالِ الْيَوْمِ الآخر، أمَّا عذابُ القبر فهم يظنُّونَهُ بمثابة أحْلَامٍ كانوا يرَوْنَها.

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾:

أي: وَقَالَ لَهُمُ المؤمِنُونَ الَّذِينَ مَاتُوا مُؤْمِنِينَ، وسَبَقَ لَهُمْ أَنْ عَلِمُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُ اللهِ ـ عليهم السلام ـ مِنْ أَحْوَالِ الْيَوْمِ الآخِرِ، والْبَعْثِ بَعْدَ الموتِ وانْتِهَاءِ ظُرُوفِ الحياةِ الدُّنْيَا مَهْمَا طَالَ زَمَنُها: لَقَدْ لبِثْتُمْ مَوْتَىٰ فِي مَدَافِنِ أَجْسَادِكُمْ زَمَناً مُحَدَّداً فِي عِلْمِ اللهِ المكْتُوبِ فِي اللَّوْحِ المحْفُوظِ، وَهَـٰذَا الزَّمَنُ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الأشْخَاصِ مِنْ عَهْدِ آدَمَ ـ عليه السلام ـ حَتَّىٰ قِيَام سَاعَةِ الإفْنَاء، وَلَا يَعْلَمُ زَمَنَ إقَامَةِ كُلِّ واحِدٍ في الْبَرْزَخِ بَيْنَ الموْتِ والْبَعْثِ إلَّا اللهُ الَّذِي وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شيءٍ، ومَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ أو غَيْرِهِم.

وقالُوا لهم أَيْضاً: ولَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا تَعْلَمُونَ مَا أَنْبَأَكُمْ بِهِ رُسُلُ اللهِ ـ عليهم السلام ـ، لأنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تُصَدِّقُونَهُمْ فِي قَضايا الدِّينَ، فَتَصْرِفونَ أَذْهَانَكُمْ عَنْ حِفْظِ مَا كَانُوا قَدْ بَلَّغُوكُمْ مِنْ عِلْمٍ وَعَنِ تَذَكُّرِهِ، فَقُلْتُمُ الْيَوْمَ مَقَالَتَكُمْ بأنَّكُمْ مَا لَبِثْتُمْ غَيْرَ سَاعَةٍ وَأَنْتُمْ جاهِلُونَ، تَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ ظُنُونِكُمُ الضَّعِيفَةِ الْوَاهِيَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ قَبِيلِ الأَوْهَام.

• ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾:

الْمَعْذِرَةُ: الحجَّةُ الَّتِي يُقَدِّمُها ويُجَادِلُ بِهَا المعْتَذِرُ عَنْ ذَنْبِهِ، لِتَبْرِئَةِ نَفْسِهِ مِنِ ارْتِكَابِ الإِثْمِ.

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يُقْبَلُ رَفْعُ الْمَلَامِ عَنْهُمْ. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي: وَلَا هُمْ يُقْبَلُ رَفْعُ الْعَتبِ عَنْهُمْ، وَلَا رَفْعُ الْمَلَامِ والمؤاخَذَةِ عَنْهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ظَالِمِينَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ بما جَاءَهُم عَنْ رَبِّهِمْ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِم ـ عليهم السلام ـ، والمؤيَّدِين بالآيَاتِ الْبَيِّنَات والْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَات.

يُقَالُ لُغَةً: «أَعْتَبَ فُلَانٌ فُلَاناً» أي: قَبِلَ رَفْعَ الْمَلَامِ والمؤاخَذَةِ والْعِقَابِ عَنْهُ.

المعنىٰ: فَيَوْمَ تَقُومُ سَاعَةُ الْبَعْثِ، وَتَحْضُرُ مَحْكَمَةُ الْعَدْلِ والْفَضْلِ الرَّبَّانِيَة، لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دَرَكة الكُفْرِ حُجَجُهُمُ الْكَوَاذِبُ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا، لِسَتْرِ ذُنُوبِهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لِطَلَبِهِمْ رَفْعَ الْمَلَامِ والْعَتْبِ والمؤاخَذَةِ عَنْهُمْ مَهْمَا زَخْرَفُوا أَقْوالَهُمْ، ومَهْمَا تَذَلَّلُوا وَخَضَعُوا دَاعِينَ أَنْ يَرْفَعَ اللهُ عَنْهُمُ الْعِقَابَ، فَقَدِ انْتَهَتْ حَيَاة الابْتِلَاءِ، وَجَاءَتْ يَوْمَ الدِّينِ حَيَاةُ الجزاء.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس العاشر مِنْ دُروس سورة (الرُّوم).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(١٤)

التدبّر التحليلي للدّرس الحادي عشر من دُروس سورة (الرُّوم) الآيتان (٥٨ و٥٩)

قال اللهُ عزَّ وجلّ:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾:

القراءات:

(٥٨) • قرأ ابن كثير: [**الْقُرَانِ**]. وكَذَلِكَ حَمْزَةُ في الوقف.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾.

(٥٨) • قرأ السُّوسِي، وأبُو جَعْفَر: [**جِيتَهُمْ**]. وكَذَلِكَ قَرَأَهَا حَمْزَةُ فِي الوقف.

وقرأها باقي القُرّاءِ العشرة: ﴿جِئْتَهُم﴾.

تمهيد:

في آيَتَيْ هَـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ اللهَ - عزَّ وجَلَّ - قَدْ ضَرَبَ للنَّاسِ فِي هَـٰذَا القرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لإِقْنَاعِ الْكَافِرِينَ بِنَبْذِ كُفْرِهِمْ وشِرْكِيَّاتِهِمْ، ولَكِنَّ الْكَافِرِينَ يُوَاجِهُونَ مَا يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ - عَزَّ وجلَّ - بِقَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ. والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ مُقْفَلَةٌ مَطْبُوعٌ عَلَىٰ أَقْفَالِهَا.

التدبُّر التحليلي:

• ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ . . .﴾:

• ﴿وَلَقَدْ﴾ اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنْوِيٍّ. أي: وأُقْسِمُ لَقَدْ.

• ﴿ضَرَبْنَا﴾: أَصْلُ الضَّرْبِ تَوْجِيهُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ آخَرَ بِقُوَّةٍ حَتَّىٰ يَصْطَدِمَ به. ولمَّا كَانَتْ صِناعَةُ الدَّراهِمِ والدَّنَانِيرِ، قَدْ كانَتْ تَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ ضَرْبِ صَفَائِحِ الْفِضَّةِ والذَّهَبِ بِقَوَالِبَ حَدِيدِيَّةٍ صُلْبَة حُفِرَت فِيها أَمْثِلَتُها، أو ضِمْنَ قَوالِبَ يَدْخُلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ؛ قالوا: ضَرَبَ فُلَانٌ الدَّرَاهِمَ والدَّنَانِير، إذَا طَبَعَ مَعْدِنَهُمَا عَلَىٰ الْمِثَالِ الْمَحْفُورِ فِي القالب، ثُمَّ حَصَلَ تَوَسُّعٌ فِي الضَّرْبِ فقالُوا: «ضَرَبَ فُلَانٌ مَثلاً» أي: ذَكَرَ أَوْ صَنَعَ أو قَدَّمَ مَثلاً لأَمْرٍ بِقَصْدِ أَنْ يُقَاسَ عَلَيْهِ.

• ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾: يُطلَقُ «المثَلُ» علىٰ الشَّيْءِ الّذي يُضرَبُ لِشَيْءٍ آخر، للدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ شَبِيهُهُ، فَيُدَّعَىٰ أَنَّهُ مِثْلُهُ.

المعنىٰ: يخاطِبُ اللهُ عزَّ وجلَّ النَّاسَ بِضَمِيرِ المتكلِّمِ العظيم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾.

• مِنْ وَسَائِلِ الإقْنَاعِ ضَرْبُ مَثَلٍ مِنَ المسَلَّمَاتِ لِيُقَاسَ عَلَيْهِ المدَّعَىٰ مِنْ غَيْرِ المسَلَّمَاتِ، إذْ هُوَ مِثْلُهُ وشبيهُهُ.

• ومِنْ أَسَالِيبِ التَّعْمِيمِ ضَرْبُ مَثَلٍ لِيُقَاسَ عَلَيْهِ شبيهُهُ، فَيُعْطَىٰ الشَّبِيهُ حُكْمَ الْمَثَلِ الَّذي جِيءَ بِهِ لِيُقَاسَ عَلَيْهِ.

(١) فإحياءُ الموْتَىٰ يَوْمَ الْبَعْثِ الّذِي يَجْحَدُهُ المشْرِكُونَ جُحُودَ اسْتِبْعَادٍ واسْتِغْرَابٍ؛ يُضْرَبُ لَهُ مَثَلٌ مِنْ خَلْقِ الإنْسَانِ الأوَّلِ مِنْ طِينٍ، وإحْيَائِهِ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيه. وَيُضرَبُ لَهُ مَثَلٌ مِنْ إِحْيَاءِ الْعُزَيرِ وحِمَارِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا مِئَة سَنَة. ويُضرَبُ لَهُ مَثَلٌ مِنْ إحْيَاءِ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُخْبِرَ عَنْ قَاتِلِهِ. ويُضرَبُ لَهُ مَثَلٌ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الكَهْفِ. ويُضرَبُ لَهُ مَثَلٌ مِنْ إِعْطَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام مُعْجِزَةَ النَّفْخِ فِي طِينٍ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً حَيّاً بِإِذْنِ اللهِ وَيُضرَبُ لَهُ مَثَلٌ مِنْ إِحْيَاءِ الأَرْضِ بِالنَّبَاتِ مِنْ بُزُورِهِ وَجُذُورِه بَعْدَ مَوْتِهَا وخُلُوِّهَا مِنْ حَيَاةٍ نَبَاتِيَّةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِسَقْيِهَا بالماء.

(٢) والتَّعْمِيمُ يَكُونُ بِبَيَانِ حُكْم ذِي صِفَةٍ تَقْتَضِي عَقْلاً هٰذَا الحكْمَ، لِيُقَاسَ عَلَيْهِ أَشْبَاهُهُ فِي الصِّفَةِ الَّتِي اقْتَضَتْ عَقْلاً هٰذَا الْحُكْمَ.

فَذِكْرُ الْخَمْرِ وبَيَانُ تَحْرِيمِ شُرْبِهَا مَثَلٌ يُقَاسُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَحْمِلُ صِفَةَ الْخَمْرِ مِنَ الإسْكَارِ والأَضْرَارِ، ولَا سِيمَا إذا كَانَ في ذَلِكَ أَشَدَّ مِنَ الْخَمْرِ وأَوْلَىٰ بِحُكْمِ التَّحْرِيمِ.

والنَّهْيُ عَنْ أَنْ يَقُولَ الإِنْسَانُ لِأُمِّهِ أَوْ أَبِيهِ كَلِمَةَ: «أُفٍّ» مَثَلٌ يُقَاسُ عَلَيْهِ مَا هُوَ مِثْلُ كَلِمَةِ: «أُف»، ويُقَاسُ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هٰذِهِ الكَلِمَةِ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً.

والنَّهْيُ عَنِ الاقْتِرَاب مِنْ مَكَانِ عَمَلٍ مَا؛ يُقَاسُ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ من الاقْتِرَاب، كَمُمَارَسَةِ الْعَمَلِ وفِعْلِهِ الَّذِي هُوَ المقْصُودُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الاقْتِرَاب.

والنَّهْيُ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا - وَلَوْ بِرِضَىٰ بَاذِلِ الْفَائِدَةِ - يُقَاسُ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ، كَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بالْبَاطِلِ بالْحِيلَةِ دُونَ شُعُورٍ مِمَّنْ تُؤْكَلُ أَمْوَالُهُمْ، كالْغِشِّ، والتَّطْفِيفِ فِي الْمَوازِينِ، والسَّرِقَةِ فِي الخفاء.

فَمِنَ الْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - الْقِيَاسُ عَلَىٰ الْأَمْثَالِ الَّتِي جَاءَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِهِ، وإعْطَاءُ الْمَقِيسِ حُكْمَ المقِيسِ عَلَيهِ.

لَكِنَّ الكَفَرَةَ المشْرِكِينَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يُكابِرُونَ، فَيَجْحَدُوْنَ الْبَعْثَ، دُونَ أَنْ يُقَدِّمُوا حُجَّةً مَا غَيْرَ التَّعَجُّبِ والاسْتِبْعَادِ والاسْتِغْرَابِ.

• ﴿وَلَبِن جِئْتَهُم بِئَايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨﴾:

اللَّام فِي ﴿وَلَبِن﴾ واقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنْوِي، وتُسَمَّىٰ مُوَطِّئَةً لِلْقَسَم.

المعنىٰ: وأُقْسِمُ لَئِنْ جِئْتَ النَّاسَ أَيُّهَا الدَّاعِي إلى اللهِ - رَسُولاً فَمَنْ دُونَهُ - بآيَةٍ بَيَانِيَّة أَوْ بآيَةٍ كَوْنِيَّة، دَلِيلاً عَلَىٰ مَا تَعْرِضُهُ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ، كَقَضِيَّةِ الْبَعْثِ للحساب، وفَصْلِ القضاء، وتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، يَوْمَ الدِّينِ؛ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الدُّعَاةِ إلى اللهِ وإلَىٰ سَبِيلِهِ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ.

إِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ حُجَّةً مَا يَكْشِفُونَ بِهَا بُطْلَانَ آيَاتِ الدُّعَاةِ إلى اللهِ، لَكِنَّهُمْ يُوَاجِهُونَهُمْ بِسَفَاهَةٍ وَمَكَابَرَةٍ وعِنَادٍ، بِمَقَالَةٍ ادِّعَائِيَّةٍ غَيْرِ مُقْتَرِنَةٍ بِحُجَّةٍ تَقْبَلُهَا الْعُقُولُ لِلْمُنَاظَرَةِ والرَّدّ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ.

كُلُّ فَاقِدٍ للاحْتِجَاجِ بِمَنْطِقٍ عَقْلِي قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَشْتُمَ صَاحِبَ الحجَّةِ الْعَقْلِيَّة بأنْ يَقُولَ لَهُ: أَنْتَ مُبْطِلٌ كَذَّاب، أو مَا أَنْتَ إلَّا مُبْطِلٌ كذَّاب، وَلَا نَظِيرَ لِهٰذَا إلَّا عُوَاءُ الْكَلاب، ومُوَاءُ الْقِطَطِ عِنْدَ التَّخَاصُمِ، ومِثْلُهُ سِبَابُ السُّفَهَاءِ الَّذِين لَا عُقُولَ لَهُمْ.

«إنْ» في: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ حَرْف نَفْي بمَعْنَىٰ «مَا».

- ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾:

- ﴿يَطْبَعُ﴾: الطَّبْعُ فِي المادّيَّاتِ الملْمُوسَةِ كالْخَتْم، وقد كَانَ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ إذَا أَرْسَلُوا رَسَائِلَ، وأَرَادُوا المحافَظَة على سِرِّيَّةِ مَا فِيها؛ أَقْفَلُوهَا بإحْكَامٍ، وَوَضَعُوا عنْدَ مَكانِ إقْفَالِهَا طِيناً خَاصّاً، يَطْبَعُونَ عَلَيْهِ خَاتَمَهُمُ الْخَاصَّ بِهِم، فَيَجِفُّ الطِّينُ ومِثَالُ الْخَاتَمِ عَلَيْهِ مَطْبُوعٌ، فَلَا يُعْرَفُ مَا فِي دَاخِلِ الرِّسَالَةِ إلَّا بِكَسْرِ خَاتَمِ الطين.

وعلى سَبِيلِ التوسُّع في التَّعْبِيرِ، بِنَقْل مَا هُوَ لِلْمَادِّيَّاتِ إلى المعنويَّات؛ جاء في القرآن التَّعْبِيرُ بالطَّبْع والْخَتْم على القُلُوبِ، للدَّلَالَةِ على أَنَّهَا صَارَتْ مَحْجُوبَةً عَنْ إدْرَاكِ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِمَا هِيَ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُ.

وَطَبْعُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عَلَىٰ الْقُلُوبِ لَا يَكُونُ بِصُورَةٍ ابْتِدَائِيَّةٍ جَبْرِيَّة، ولَكِنْ يَكُونُ نَتِيجَةَ مَا يَكْسِبُهُ الْعَبْدُ بإرَادَتِهِ، مِن أَعْمَالٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ بَاطِنَةٍ، يَتَوَلَّدُ عَنْهَا الطَّبْعُ بِمُقْتَضَىٰ سُنَّةِ اللهِ في قَوَانِينِ الْأَسْبَابِ والمسَبَّبَات.

المعنى: كَذَلِكَ الَّذِي يَجري من الَّذِينَ كَفَرُوا إذْ يَقُولُونَ للدُّعَاةِ إلَىٰ الله: ﴿... إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ مِنَ الطَّبع عَلَىٰ قُلُوبهم؛ يَطْبَعُ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ على قُلُوبِ الذينَ أَقْفَلُوا أَبْوابَ مَدَارِكِهِمُ الْفِكْرِيَّةِ عَنْ تَلَقِّي كُلِّ عِلْمٍ يَأْتِي حَوْلَ الْقَضَايا الدِّينِيَّة، فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوها.

الفِعْلُ فِي: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ جاء للدَّلَالَةِ عَلَىٰ الْحَال والاسْتِقْبَالِ،

أي: فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الآنَ عِنْدَ نُزُولِ النَّصِّ، ولَا يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَعْلَمُوا مُسْتَقْبَلاً، لأَنَّهُمْ سَدُّوا المنافِذَ إلى مَرَاكِزِ أفْكَارِهِمْ وعُقُولِهِمْ، فَحَجبُوهَا عَنْ تَلَقِّي المعَارِفِ والْعُلُومِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِقَضَايا الدِّين، فَطَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِمُقْتَضَىٰ سُنَّتِهِ فِي عِبَادِهِ، فَمَنْ حَجَبَ بإرادَتِهِ قَلْبَهُ عَنِ الحقِّ حِجَاباً تَامّاً طَبَعَ اللهُ عَلَيْهِ.

وبهٰذا أنْتَهِي من تدبُّر الدّرْسِ الحادي عشر من دُروس سورة (الرُّوم).

والحمد للهِ على معونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❋ ❋ ❋

(١٥)

التدبرّ التحليلي للدّرس الثانِي عشر من دُروس سورة (الرُّوم) الآية (٦٠) آخر السورة

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خطاباً لرسُوله ﷺ، ويُلْحَقَ بِهِ الداعي من أمتِهِ:

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾:

القراءات:

- قرأ رُوَيس: **[وَلَا يَسْتَخِفَنْكَ]** بنوْن التوكيد الخفيفة.

وقرأها باقي القرَّاءِ العَشَرَة: **[وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ]** بِنُونِ التَّوكِيد الثَّقِيلَة.

القراءتان تُعَبِّران عَنْ حالَتي قُوَّةِ أعْمَالِ الاسْتِخفافِ وضَعْفِهَا.

تمهيد:

فِي آيَةِ هـٰذا الدَّرْس يَأْمُرُ اللهِ رَسُولَهُ ﷺ فكُلَّ دَاعٍ إلى اللهِ مِنْ أُمَّتِهِ بالصَّبْر، ويُحَذِّرُهُ مِنْ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ، فَيُطِيعَهُمْ فِي شيءٍ مِنْ إغْرَاءَاتِهِمْ أَوْ زُخْرُفِ أقْوالِهم، الخفيفة أو الشَّدِيدَة.

التدبُّر التَّحليلي:

الصَّبْر: قُوَّةٌ خُلُقِيَّةٌ مِنْ قُوَىٰ الإرَادَة، تُمَكِّنُ الإنْسَانَ مِنْ ضَبْطِ نَفْسِهِ لِتَحمُّلِ المتاعِبِ والمشقَّاتِ والآلام، وضَبْطِها عَنِ الانْدِفَاعِ بِعَوامِلِ الضَّجَرِ والْجَزَعِ والسَّأمِ والمللِ والْعَجَلَةِ والرُّعُونَةِ والْغَضَبِ والطَّيْش، وضبْطِها عنْدَ الْخَوْفِ أو الطمع، وعِنْدَ هِيَاجِ الأَهْوَاءِ والشَّهَواتِ والْغَرَائِزِ.

- ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: وَلَا يَسْتَفِزَّنَّكَ مُهَيِّجاً لَكَ مِنْ مَوَاطِنِ الْخِفَّةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُ أنَّهُ يَسْتَفِزُّكَ مِنْهَا.

- ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا مَا يُبَلَّغُونَهُ مِنْ مَعَارِف وَعُلُوم عَنْ قَضَايَا تَتَعلَّقُ بالدِّينِ، وإذا أَدْرَكُوا مِنْهَا شَيْئاً لَمْ يُدْخِلُوهُ إِلَىٰ مَرَاكِزِ الْعِلْمِ الثَّابِتِ الحقّ.

الْيَقِين: هو الْعِلْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

المعْنَىٰ: دَلَّتْ هـٰذِهِ الآيَةُ على أَنَّ الرسُولَ محمّداً ﷺ، وحَمَلَة رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ؛ كانُوا إبَّانَ نُزُول السُّورَةِ وقَبْلَهَا يَتَعَرَّضُونَ لِمَا يُزْعِجُهُمْ وَيَسْتَخِفُّهُمْ، مِنْ قِبَلِ الكَفرَةِ المشْرِكِينَ، الَّذِينَ جَاهَرُوا بِخُصُومَتِهِمْ وعِدَائِهِمْ لِلْإِسْلَامِ، وللرَّسُولِ ﷺ، ولِلْمُسْلِمِين، ولا سيَّما الدُّعَاةُ إلَىٰ دِينِ اللهِ مِنْهُمْ.

ولَمَّا كانَ الْعِلَاجُ الْمُلَائِمُ في مُوَاجَهَةِ هذا الواقِعِ الْكريهِ الصَّبْرَ، والثِّقَةَ بِوَعْدِ اللهِ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَنْصُرَهُ ويَنْصُرَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لِرَسُولِهِ ﷺ فَلِكُلِّ حَامِلٍ لِرَسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: فاصبرْ عَلَىٰ مَا تَلْقَىٰ مِنْ قومِكَ مِمَّا تَكْرَهُ، وَتَرَقَّبْ تحقيقَ وَعْدِ اللهِ لَكَ ولِلْمُؤْمِنينَ مَعَكَ بالنُّصْرة عَلَىٰ الكَفَرَةِ المشْرِكين، فَإِنَّ تَحْقِيقَ هـٰذا الوعْدِ سَيَحْصُلُ لَا مَحَالَةَ.

وقَدْ تَحقَّقَ هـٰذا النَّصْرُ قَرِيباً فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ، فَسُورَة (الرُّوم/ ٨٤ نزول) مِنْ أَوَاخِر التَّنْزِيلِ المكِّيّ.

وقال اللهُ - عزَّ وجلَّ لَهُ ﷺ - في آخِرِ السُّورَة: ﴿... وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾:

أي: وَلَا تَسْتَجِبْ لِلْمُهَيِّجَاتِ الَّتِي يُحَاوِلُ أئِمَّةُ المشْرِكينَ أن يَسْتَفِزُّوكَ بِهَا، لِتَقُومَ بأعْمَالٍ فِيها وَرَطَاتٌ لَكَ ولِلْمُؤْمِنينَ، فَيَسْتَغِلُّوها للنِّكايَةِ بِكُمْ، قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُلَائِمِ، وقَبْلَ اتِّخاذِ الْوَسَائِلِ السَّبَبِيَّة الَّتِي يتَحَقَّقُ لَكُمْ بِهَا النَّصْرُ المؤزَّر.

أمَّا حِينَ قَضَىٰ اللهُ بأنْ تَقُومَ مَعْرَكَةُ النَّصْرِ المصْحُوبَةُ بِمَدَدٍ مِنَ اللهِ في بَدْرٍ؛ فَقَدْ كَانَ هُوَ الْوَقْتَ الملائِمَ بِتَوْفِيقِ الله وحِكْمَتِهِ السَّنِيَّة.

وبهٰذا أنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْسِ الثاني عشر من دُروس سورة الرُّوم، وهو الدرس الأخير مِنها.

والحمد للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(١٦)
ملحق: مُستَخرَجَات بَلَاغِيّة من سُورَةِ (الرُّوم)

في سورة (الرّوم/ ٨٤ نزول) بَلاغِيَّاتٌ كَثِيراتٌ، اسْتَخْرَجْتُ مِنهَا المسْتَخْرَجَاتِ التاليات:

(أ): من الْقَصْر الأَمْثِلَةُ التالية

المثال الأول:

قول الله تَعالَى:

﴿... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾:

في عبارة: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قصْرٌ أداتُهُ تَعْرِيف طَرَفي الإسْنَاد.

المثال الثاني:

قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ ... ﴿٨﴾﴾:

فِي هذا البيان قَصْرٌ أداته النَّفْيُّ في: ﴿مَا خَلَقَ﴾، والاستِثْنَاءُ في: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

المثالُ الثالث:

قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾:

في هذه العبارة قصر أداتُهُ تَعْرِيفُ طَرَفَي الإسْنَاد.

المثالُ الرابع:

قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ... ﴿٤٨﴾﴾:

في هذا البيان قَصْرٌ بَتَعْرِيف طَرَفي الإسْناد، أي: لا يُرْسِلُ الرِّيَاحَ غَيْرُهُ، جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

المثال الخامس:

قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿... إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾:

اسْتفِيدَ الْقَصْر هُنَا من النَّفْي والاسْتِثْنَاءِ، أي: مَا تُسْمِعُ إلّا مَنْ يُؤْمِنُ بآياتنا.

المثال السادس:

قول الله تَعَالى:

﴿... وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾:

استفِيدَ الْقَصْرُ هُنَا مِنْ تَعْرِيفِ طَرَفَي الإسْنَاد.

(ب): من الكناية

قول اللهِ تَعَالَى خطاباً لِرَسُوله ﷺ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾:

جاءت في هٰذِهِ الآيَةِ عِبَارَةُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، كِنَايَة عَنْ أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ نَصَرَ المؤمِنِينَ كَمَا انْتَقَمَ مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا.

(ج): مِنَ الإيجاز بالحذف

المثال الأول:

قول الله تعالى:

﴿... لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾:

أي: للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ الْغَلَبِ ومِنْ بَعْدِ الْغَلَب.

المثال الثاني:

قول اللهِ تَعَالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ... ۝٨﴾:

أي: أفَقَدُوا قُدْراتِهِمُ الْفِكْرِيَّةَ وانْطمَسَتْ بَصائِرُهُمْ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا؟.

والاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامٌ إنْكَارِيٌّ، يُنْكِرُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنَّهم لَم يَتفَكَّرُوا، أَوْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إليْهِ تَفْكِيرُهم.

المثال الثالِثُ:

قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بشأْنِ كُبَراء مُشْرِكي مَكَّة:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴿٩﴾﴾:

أي: أَأَقَامُوا فِي بَلَدِهِمْ في مَكةَ طَوَالَ أَعْمَارِهِمْ وَلَمْ يَسِيروا فِي الأرض فيَنْظُروا آثار الَّذِين أُهْلِكُوا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ عليهم السلام.

وَالاسْتِفْهَام هُنَا اسْتِفْهَامٌ إنْكَارِيٌّ أَيْضاً.

وهَـٰذَا المثال بِوَجْهٍ عامٍّ نَظِيرُ المثال السابق له.

المثال الرابع:

قول الله تعالى: ﴿... تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ... ﴿٢٨﴾﴾:

أي: تَخافُونَ الْعَبِيدَ والإمَاءَ كَخِيْفَتِكُمُ الشُّرَكَاءَ الأَحْرَارَ الذين هُمْ أمْثَالُ أنْفُسِكُمْ.

المثال الخامس:

قول الله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾:

أي: وقَدَّرَ اللهُ وَقَضَىٰ بِحِكْمَتِهِ إظْهَارَ هـٰذا الْفَسَاد ضِمْنَ سُنَنِهِ، لِيُذِيقَ النَّاسَ عِقَابَ بَعْضِ الَّذي عَمِلُوا رَغْبَةً فِي أَنْ يَرْجِعُوا عن أعمالهم الَّتِي يَنْجُمُ عَنْهَا الْفَسَادُ.

(د): من تنزيل القريب منْزِلَة الْبَعيد لِدَاعٍ من الدَّواعي البلاغِية

المثال الأول:

قول الله تَعالىٰ:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾:

جَاءَتِ الإشارة إلى الَّذِينَ كَفَرُوا باسم الإشارة «أُولئِكَ» للدَّلالَةِ عَلى أنَّهُمْ مُنْحطُّو المنْزِلَةِ في اتِّجاه الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النّارِ، بَعِيدُون جِدّاً عَنْ مَوَاطِنِ تَنَزُّلِ رَحَمات الله.

المثال الثاني:

قول اللهِ تَعالىٰ:

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾:

(١) ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ نُزِّلَ في هذه العبارة القريبُ الَّذِي هو الإيتاء مَنْزِلَة الْبَعِيد؛ للدَّلالَةِ على ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ جدّاً عِنْدَ الله.

(٢) ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: وَجاءَت الإشَارَةُ إلى الَّذِين يريدون بإيتائهم وجْهَ اللهِ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِين؛ للدَّلالَةِ على عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ. ونَظِيرُهُ: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾.

(هـ): من مُخَاطَبَةِ المفْرَدِ والبناء عَلَيْهِ بِخِطَابِ الْجَماعَةِ للدَّلالَة عَلىٰ أنّ المقصُودَ بِخِطَاب المفرد خِطَابُ جَمِيعِ الأفْرادِ عَلىٰ سَبِيلِ التَّناوُب

قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ . . . ٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١﴾.

جاء الخطاب أوّلاً لِلْمُفْرَد بِعبارَةِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾، وَجاء البناء عَلَيْهِ بِخِطَاب الجماعَة: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾؛ للدَّلَالَة على أن المقصود بِخِطَابِ الْمُفْرَدِ خِطَابُ جَمِيعِ الأفراد عَلَىٰ سَبِيل التَّناوُب.

(و): من التوكيد لِدَاعٍ من الدواعي البلاغية

المثال الأول:

قول الله تَعَالى:

﴿. . . وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾:

جاء التوكيد هُنَا بِتَكرِير ضَمِير «هُم» لِتَوكِيد غَفْلَتِهِمْ عَنِ الآخِرَة.

المثال الثاني:

قول الله تعالى:

﴿. . . وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾:

جاء التوكيد في هذا البيان بـ: «إنَّ ـ والجملة الاسمية ـ واللّام المزحْلَقَة».

المثال الثالث:

قول اللهِ تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾:

جاء التوكيد في هذا البيان بتكْرِير كلمة يوم في عِبَارَةِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

المثال الرابع:

قول اللهِ تعالى:

﴿. . . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾:

جاء التوكيد في هذا البيان بـ«إنَّ ـ والجملة الاسمية ـ واللّام المزحلقة».

المثال الخامس:

قول الله تعالى:

﴿... هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾:

جِيءَ بحرف «مِنْ» الزائد في عبارة: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ للتَّوْكيد، لِأَنَّ الكلام مُوَجَّهٌ للمشْرِكين.

المثال السادس:

قول اللهِ تعالى:

﴿... إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾:

جاء التوكيدُ في هٰذهِ الجملة بـ«إنَّ ـ والْجُمْلَةِ الاسمية».

المثال السابع:

قول الله تعالى:

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾:

في هذا البيان تَوْكيدان:

الأول: التوكيد بـ«إِنْ المخفَّفة من الثقيلة ـ والجملة الاسمية ـ واللام المزحْلَقَة».

الثاني: تكْرِير كَلِمَةِ «قَبْلِ» في عبارة: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

وأكْتَفِي بهذه المستخرجات البلاغية، والحمد لله على معونَتِه، ومَدَدِه، وتَوْفيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❋ ❋ ❋



سورة العنكبوت

٢٩ مصحف ٨٥ نزول

وهي كُلُّها مَكِّيَّة في أَرْجحِ الأقوال



(١)

نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

١ ـ ٢ ـ • سكَتَ أبو جعفر على ألف، ولام، وميم من [ألٓمٓ]. ونقل ورْش حركة همزة [أَحَسِبَ] إلى الساكن قبلها، مع القَصْرِ والمدِّ فِي الميم، ووقف حمزة بالنقل كورش، وله التحقيق مع السكت وعدمه.

٥ ـ • قرأ قالُون، وأبو عَمْرُو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بِضَمِّ الهاء.
وهما لغتان عربيتان.
ووقف يعقوب بهاء السكت.

٨ ـ • وقف يعقوبُ بخلف عنه بهاء السَّكْتِ علىٰ: [إِلَيَّ].

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا

١٣ ـ • قرأ حمزة عند الوقف: [وَلَيُسَلُنَّ] بِنَقْلِ حَرَكة الهمزة إلى ما قبلها مع حَذفِ الهمزة.

١٤ ـ • قرأ يَعْقُوب: [فِيهُمْ] بِضَمِّ الهاء. وهو لغة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فِيهِمْ].

١٧ ـ • قرأ يَعْقُوب: [تَرْجِعُونَ].

=

عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ
يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ
سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ
ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾
وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ

= وقرأها باقي القرَّاءِ العشرة: [تُرْجَعُونَ].
وبين القراءتَيْن تكامُلٌ في الأداء البياني.

١٩ ـ • قرأ شُعْبَةُ بخلف عنه، وحمزة، والكِسَائِيُّ، وخلف: [أَوَلَمْ تَرَوْا] بتاء الخطاب.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [أَوَلَمْ يَرَوْا] بياء الغائبين.
وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

٢٠ ـ • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمْرو: [النَّشَاءَةَ].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [النَّشْأَةَ]. ووقف حمزة بنَقْلِ الهمزة إلَىٰ الساكِنِ قَبْلَها مَعَ حَذْفِ الهمزة: [النَّشَةَ]، وبإبْدَالِ الهمزةِ ألِفاً مراعاةً للرَّسْم: [النَّشَاة].

٢٥ ـ • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمْرو، والكِسَائي، ورُوَيس: [مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ].
وقرأها حفص، وحمزة، ورَوْح: [مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ]. والمؤدَّىٰ فِيها واحد.

وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ

٢٥ ـ • قرأ ورش من طريق الأصبهاني، وأبو عمرو بخلفه، وأبو جعفر: [وَمَاوَاكُمْ]، وكذلكَ حمزة فِي الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَأْوَاكُمْ].

٢٦ ـ • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [رَبِّيَ إِنَّهُ] بِفَتْحِ يَاء المتكلم.
وقرأها باقي القراء العشرَةِ بإسْكَانِ ياء المتكلّم.

٢٧ ـ • قرأ نَافع: [النُّبُوءَةَ] مَعَ المدّ المتصل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [النُّبُوَّةَ].

٢٨ ـ ٢٩ ـ • قرأ نَافع، وابْنُ كثير، وابْنُ عَامِرٍ، وحفص، وأبو جَعْفر، ويعقوب: [إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ـ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ].
وقرأها باقي الْقُرّاء العشرة: [أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ـ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ] على الاستفهام في العبارتَيْن.

٣١ ـ • قرأ أبو عمْرو: [رُسْلُنَا] بإسْكَان السين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [رُسُلُنَا]. وكذلك ما جاء في الآية (٣٣).

٣١ ـ • قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان: [إِبْرَاهَام].
وقرأها باقي القراء العشرة، وهو الثاني لابن ذكوان: [إِبْرَاهِيمَ].

أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن

٣٢ ـ • قرأ حمزة، والكِسَائي، ويَعْقُوب، وخلَف: [لَنُنْجِيَنَّهُ]، من فعل «أَنْجَىٰ».
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَنُنَجِّيَنَّهُ]، من فعل «نَجَّىٰ».
والقراءتان متكافئتان لِأَنَّ المهمُوزَ أَخُو المضعف.

٣٣ ـ • قرأ نافع، وأَبَو عمْرو، وابْنُ عامر، وحفص، وأبو جعفر: [مُنَجُّوكَ]، من فعل «نَجَّىٰ».
وقرأها باقي القراء العشرة: [مُنْجُوكَ]، من فعل «أَنْجَىٰ» المهموز.

٣٤ ـ • قرأ ابْنُ عامر: [مُنَزِّلُونَ]، مِن فِعْل: «نَزَّل» المضعف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [مُنْزِلُونَ]، من فعل: «أَنْزَلَ» المهموز.

٣٨ ـ • قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: [وَثَمُودَ]، ووقفوا بالدَّال.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَثَمُوداً] بالتنوين، ووقفوا بالألِفِ المُبْدَلة من التّنوين.

مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ

---

٤١ ـ • قرأ ورش، وأبو عمْرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [الْبُيُوتِ]، بضم الباء.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [البِيُوتِ]، بِكَسْرِ الباء.

وهما لغتان.

٤٢ ـ • قرأ أبو عمْرو، وعَاصِم، ويعقوب: [يَدْعُونَ]، بياء الغائِبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَدْعُونَ]، بتاء المخاطبين.

٤٢ ـ • قرأ قالون، وأبو عمْرو، والكِسَائِي، وأبو جعفر: [وَهْوَ]، بإسكان الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ]، بضَمِّ الهاء. وهما لغتان. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞
وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ
وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ
هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا
لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ
عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً

٥٠ ـ • قرأ ابن كثير، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: [آيَةٌ] بالإفراد، وكلٌّ عَلَىٰ أصله وقفاً.
وقرأها باقي القرَّاء العشرة: [آيَاتٌ] بالجمع.

٥١ ـ • قرأ رُوَيس: [أَوَلَمْ يَكْفِهُمْ]، بضم الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ]، بكَسْرِ الهاء.
وهما لُغَتان.

٥١ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ]، بِضَمّ الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ]، بكَسْرِ الهاء.
وهُمَا لغتان.

وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ

---

٥٥ ـ • قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [**وَيَقُولُ**].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [**وَنَقُولُ**]، بالنُّون.

٥٦ ـ • قرأ نافع، وابنُ كثير، وابنُ عامر، وعاصم، وأبو جعفر: [**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ**]، بفتح ياء المتكلّم.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: بإسْكانِ ياء المتكلم.

٥٦ ـ • قرأ ابن عامرٍ: [**إِنَّ أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ**]، بفَتْحِ ياءِ المتكلم. وقرأها باقي القراء العشرة: بإسْكانِ ياءِ المتكلّم.

٥٦ ـ • قرأ يَعْقوب: [**فَاعْبُدُونِي**] بإثباتِ ياء المتكلم في الحالين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**فَاعْبُدُونِ**] بحذف ياء المتكلم.

٥٧ ـ • قرأ شُعبة: [**يُرْجَعُونَ**]، بياء الغائِبينَ مع البناء للمجهول.
وقرأها يَعْقُوب: [**تَرْجِعُونَ**]، بتاء المخاطبين المفتوحة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**تُرْجَعُونَ**]، بتاء المخاطبين المضمومة.

٥٨ ـ • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [**لَنُثْوِيَنَّهُمْ**] من فعل: «أَثْوَىٰ».
وقرأها أبو جعفر [**لَنُبَوِّيَنَّهُم**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ**]، من فعل «بَوَّأَ».

نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا

---

٦٠ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: [وَكَائِنْ]، إلّا أنَّ أبا جعفر يُسَهِّلُ الهمزة مطلقاً مع المدّ والقصر.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَكَأَيِّنْ]. ويقف عليها أبو عمْرو، ويعقوب: بالياء دون النُّون، والباقون بالنون. ووقف حمزة بالتسهيل وبالتحقيق.

٦٠ ـ • قرأ قالون، وأبو عمْرو، والكسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ]، بإسْكانِ الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وهُوَ]، بضم الهاء، ووقف يقعوب بهاء السكت.

٦٤ ـ • قرأ قالون، وأبو عمْروٍ، والكِسَائي، وأبو جعفر: [لَهْيَ]، بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَهِيَ]، بكَسْر الهاء. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٦٦ ـ • قرأ قالون، وابْنُ كثير، وحمزة، والكِسَائي، وخلَف: [وَلْيَتَمَتَّعُوا]، بإسكان اللام.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلِيَتَمَتَّعُوا]، بِكَسْرِ اللام.

وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

٦٩ - ● قرأ أبو عمْرو: [سُبْلَنَا]، بإسْكان الباء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [سُبُلَنَا]، بِضَمِّ الباء.

(٢)
ممّا ورد في السنة بشأن سورة (العنكبوت)

رَوَىٰ الدَّارَقُطْنِي في السُّنَن عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ والْقَمَرِ أَرْبعَ رَكَعَاتٍ وأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، يَقْرأ في الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ الْعَنْكَبُوتَ أَوِ الرُّوم، وَفي الثَّانِيَةِ يَسٓ».

(٣)
موضع سورة (العنكَبُوت/٨٥ نزول)

اقْتَضَتِ الحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ فِي أَواخِر المرحَلَةِ المكيَّةِ من مَسِيرَةَ الدَّعْوَةِ الإسلامِيَّةِ، الَّتِي حَمَلَ رِسَالَتَهَا سيِّدُنا محمَّد رَسُولُ الله صلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وسَلَّم؛ أَنْ يُبَيِّنَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - لِلْمُؤْمِنينَ قَضَايا تَتَعَلَّقُ بالْمَسِيرَةِ الْجهَادِيَّةِ الَّتِي سَتَقْتَرِنُ بِقتَالِ فِئَاتٍ مِنَ الكافِرِينَ المجْرِمِينَ، وَيَتَعَرَّضُ المؤمِنُونَ فِيها لِأَذَاهُم بِمُقْتَضَىٰ مَا يَدُورُ بَيْنَهُمْ مِنْ قِتَالٍ وحَرْبٍ سافِرَة، وهَـٰذَا مِنْ لَوَازِمِهِ ضِمْنَ سُنَنِ الأَسْبَابِ والمسَبَّبَاتِ؛ أَنْ يُصَابَ بَعْضُ المؤمِنين بأَذًى فِي أَجْسَامِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ أَوْ أَهْلِهِم مِنْ قِبَلِ أَعْدَائِهِم الكافِرين.

فدارتِ السورة حَوْلَ بَيَانِ أَقْسَام مُعْلِنِي إيمانهم تُجَاهَ مَا يَنْزِلُ مِنْ أذىً، بأسْلُوبٍ مُقْتَرِنٍ بِالتَّنبيهِ على حِكْمَةِ اللهِ في ابْتِلَائِهِ، وبِوَعْدٍ بالأجْرِ العظيم للمؤمنينَ الصادِقِين الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ مَكَارِهَ ضِمْنَ صَالِحَاتِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يُثِيبُهُمُ اللهُ عَلَيْهَا ثَواباً جَزِيلاً. وأَمَّا المنافِقُونَ وَضُعَفَاءُ الإيمانِ فَإِنَّ اللهَ - جَلَّ جَلالُهُ - يَكْشِفُ بِالاخْتِبَار مَا فِي قُلوبِهِمْ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِحَسَبِهِ.

فأمّا الْمُنَافِقُونَ فَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ تَمْكِينَ اللهِ الْكَافِرِينَ مِنْ تَعْذِيبِ المؤمنين مِثْلُ تَعْذِيبِ اللهِ المباشِرِ لِبَعْضِ عبادِهِ، ولَا يَضَعُونَ في حُسْبانِهِمْ أَنَّ لَازِمَ التَّمْكِينِ لِلابْتِلَاءِ يَخْتَلِفُ عَمَا يَحْدُثُ بِعَمَلٍ مُبَاشر، ومِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ حِينَمَا يَنْصُرُ اللهُ المؤمِنينَ وَيَشْهَدُونَ ظَفَرَهُمْ بالْغَنائم؛ يَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنين: إِنَّا كُنَّا مُؤْمِنِينَ مَعَكُمْ، لِيُشَارِكُوهُمْ فِي الْغَنَائِمِ والمجْدِ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ جِهَادٌ حَقِيقِيٌّ يُذْكَرُ.

وأَمَّا المؤمِنونَ صَادِقُو الإيمانِ فَيَعْلَمُونَ أنَّ هَـٰذَا التَّمْكِينَ جُزْءٌ مِنْ قَانُونِ اللهِ وسُنَّتِهِ فِي ابْتِلَاءِ عِبَادِه، ويَعْلَمُونَ أَنَّ ما يُصِيبُهُمْ مِنْ أذىً بأيْدِي الكَفَرَةِ المجْرِمِينَ؛ لَيْسَ مِنْ نَوْعِ عَذَاب اللهِ المباشر، ولَا يُشْبِهُهُ فِعْلاً وَلَا غَايَةً، بَلْ هُمْ يَتَرَقَّبُونَ ثَوابَ اللهِ الْعَظِيم، ويَحْتَسِبُونَ أَعْمَالَهُمْ وصَبْرَهُمْ عَلَىٰ مَا يُصِيبُهُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِ الله.

وإذَا كانَ الْمُكْرِهُ عَلَىٰ الكُفْرِ الْوَالِدَانِ أَوْ أَحدهُمَا؛ فاللهُ يأمُرُ المؤمِنَ بِعَدَمِ طَاعَتِهِمَا، مع مُعَامَلَتِهِمَا بما وَصَّىٰ بِهِ مِنْ حُسْنٍ فِي أُمُورِ الدُّنْيا.

وأمَّا الْكَافِرُونَ الصُّرَحَاءُ حَمَلَةُ رِسَالَةِ التَّكْفِيرِ والتَّضْلِيلِ؛ فَهُمْ يَدْعُونَ المؤْمِنينَ إلى اتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ بِمُخْتَلِفِ الوَسَائِلِ الدِّعَائِيةِ، الْعَمَلِيَّةِ والْقَوْلِيَّةِ، حَتَّىٰ وَسِيلَةِ ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ أَن يَتَحَمَّلُوا عُقُوبَاتِ خَطَايَاهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، عَلَىٰ فَرْضِ كَوْنِ الْيَوْمِ الآخِرِ حَقِيقَةً سَوْفَ تكُونُ فِي الواقع.

وَتَضَمَّنَ هٰذا الموضعُ بَيَانَاتٍ وَوَصَايَا رَبَّانِيَّة مُلَائمات.

وَضَرَبَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في السورة أمْثِلَةً تُبيِّنَ وَاقِعَ حَالِ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَاهَدُوا في تَاريخِ الْبَشَرِيَّةِ السَّالِفِ، ودَعَوْا إلى سَبِيلِ رَبّهم، مُشِيراً إلى مَا تَحَمَّلُوا مِنْ أذىً مِنْ قِبَلِ الكَفَرَةِ المجْرِمِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، وكيف نَصَرَهُمُ اللهُ عليهم في آخِرِ الأمر.

فَمِنَ الأمْثِلَة: نُوحٌ عَلَيْهِ السلام والمؤمنون معه، وإبراهِيمُ عَلَيْهِ السلام، ولُوطٌ عَلَيْهِ السّلام، وشُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَام، وهُود عليه السلام، من قِبَلِ كُفَّارِ قَوْمِهِ عاد، وصالح عليه السلام مِنْ قِبَلِ كُفَّارِ قَوْمِهِ ثمود، وجاء فيها مِثَالُ قَوْمِ مُوسَى عليه السلام في مِصْرَ، وأَئِمَّتِهِمْ قارُونَ، وفِرْعَوْنَ، وهَامَان.

وجاء في السُّورَةِ بَيَانٌ عَنِ الشِّرْكِ وبُطْلَانِهِ، وَخِطَابٌ من اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ للرَّسول ﷺ يَتَضَمَّنُ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا كانَ لَهَا ظُهُورٌ في المرحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيها السُّورَة.

وجاء فيها قضايا تُمَهِّدُ لِمُعَالَجَةِ أَهْلِ الكِتَاب، الَّذِين سَيَكُونُ لَهُمْ تَمَاسٌّ بِالرَّسُول ﷺ وبِالْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ الْقَرِيبَةِ إلَىٰ المدينَة.

وجاء فيها مُطالَبَةُ المشْرِكين الرَّسُولَ صلّىٰ اللهُ عليه وعلى آله وسلّم بأنْ يأتِيَهُمْ بآيَات مَادِّيَات كَعَصَا مُوسَىٰ عليه السلام، مع المعالجة. واسْتِعْجَالُهُمْ مَا كَانَ تَوَعَّدَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابٍ، مَعَ المعالَجَة.

وجاء فيها توجِيهُ المؤمِنِينَ لِأَنْ يُهَاجِرُوا في سَبِيلِ اللهِ، فأَرْضُ اللهِ واسعة، مَعَ الوعْد الحسَنِ بِجَنَّاتِ النعيم، ومَعَ الطَّمْأنَةِ على الرِّزْق.

وجاء فيها عَوْدٌ إلى المشركين بالْعِلَاج الملَائِم لِأَحْوَالهم.

وخُتِمَتِ السُّورَة بِوَعْدِ اللهِ للمؤمِنين المجاهِدِينَ في اللهِ بأنْ يَهْدِيَهُمْ

سُبُلَ نَجَاتِهِمْ والنَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِم الكافِرِينَ المجرِمينَ، وأنَّ اللهَ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي جِهَادِهِمْ ضِمْنَ دَائِرَةِ المحسنين.

وبالتَّأَمُّلِ الدَّقِيق نُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ الْقَضَايَا الَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا في السُّورَةِ؛ مَشْمُولَةٌ بِوَحْدَةِ مَوْضُوعِها الْعَامّ، ولَوْ بأَفْنانٍ دَقِيقَةٍ مِنْ شَجَرَتها.

(٤)
دُروس سورة (العَنكَبُوت/٨٥ نزول)

ظَهَر لي أَنْ أُقَسِّمَ هَـٰذِهِ السورة إلى تِسْعَةِ دروس، وهي:

الدرس الأوّل: الآيات من (١ ـ ١٣).

وفي آيَاتِ هَـٰذا الدّرْس كُلِّيَّاتُ مَوْضُوعِ السُّورة، الذي سَبَقَ بيانه في الفِقْرَةِ السابقة.

الدرس الثاني: الآيات من (١٤ ـ ٢٧).

وفي آيات هـٰذا الدَّرس ضَرْبُ مَثَلَيْنِ مِنَ الَّذينَ صَبَروا على مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبيل اللهِ مِنْ أذىً، واحْتَسَبُوهُ عِنْدَ اللهِ رَبِّهِمْ، ثُمَّ نَصرَهُمُ اللهُ، وقَدَّرَ وقَضَىٰ لهم ثَواباً جَزِيلاً، عَاجلاً ومُؤَجَّلاً إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين، والمثلان هما: نوحٌ عليه السَّلَامُ والمؤمِنُونَ مِنْ قومه، وإبراهيم عليه السَّلامُ ومَنْ آمَنَ بِهِ من قومه. مَعَ تَوجيهاتٍ وَبيَانَاتٍ لِقَضَايا دِينيَّة مُشْتَقَّاتٍ مِنْهُمَا لدىٰ عَرْضِهما، هِي بِمَثَابَةِ أَفْنَانٍ لِهذَا الْفَرْعِ مِنْ فُرُوعِ شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَة.

الدرس الثالث: الآيات من (٢٨ ـ ٣٥).

وفي آيات هـٰذا الدّرس ضَرْبُ مَثَلٍ مِنْ الَّذِينَ صَبَرُوا على ما أَصَابَهُمْ فِي سَبيلِ اللهِ من أذىً، واحْتَسَبُوهُ عِنْدَ اللهِ رَبّهم، ثُمَّ نَصرَهُمُ اللهُ، وَقَدَّرَ الله وقَضَىٰ لهم ثَوَاباً جَزِيلاً، عاجلاً في الدُّنيا ومُؤَجّلاً إلى يَوْمِ الدِّين، والمَثَلُ هُوَ لُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قِبَلِ قَوْمِهِ أَهْلِ سَدُوم.

الدرس الرابع: الآيتان: (٣٦ و٣٧).

وفي آيتَيْ هـٰذَا الدَّرْسِ ضَرْبُ مَثَلٍ آخر، والمثَلُ هُنَا هُوَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السّلام، مع قَوْمِهِ أَهْلِ مَدْيَن.

الدرس الخامس: الآية: (٣٨).

وفي آيَةِ هذا الدَّرْس ضَرْبُ مَثَلَيْنِ آخرينِ، والمثلانِ هُنَا هما مَثَلُ هُودٍ عَلَيْهِ السلام، وكَفَرَةِ قَومِهِ مِنْ «عاد»، وصالح عليه السَّلَام وكَفَرَةِ قَوْمِهِ «ثمود».

الدرس السادس: الآيتان: (٣٩ و٤٠).

وفي آيَتَي هذا الدَّرْس ضَرْبُ مَثَلٍ آخرَ، وهُوَ هُنَا مَثَلُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع طُغَاةِ قَوْمِهِ فِي مِصْرَ: «قارون وهو إسرائيلي، وفِرْعَوْنَ وهَامَانَ وهُمَا مِصْرِيَّان».

الدرس السابع: الآيات من (٤١ ـ ٤٤):

وفي آيات هذا الدَّرْسِ بَيَانُ بُطْلَانِ الشِّرْكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُعَالَجُونَ فِي مَكَّةَ، إِبَّانَ نُزُولِ السُّورة.

الدَّرْسُ الثامن: الآيات من (٤٥ ـ ٥٥).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ وَصَايَا وَتوجيهات للرَّسُول محمَّد ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِه، وفيها تَمْهِيدٌ لُمَعَالَجَةِ أَهْلِ الكِتَّابِ المرتَقَبة بَعْدَ الْهِجْرَة إِذِ اقْتَرَبَ فِي عِلْم اللهِ مَوْعِدُها، مَعَ بيانَاتٍ بِشَأْنِ المشْرِكِينَ الْمُصِرِّينَ علَىٰ مَوَاقِفِهِم الكُفْرِيَّة، والرَّدِّ عَلَىٰ بَعْض مَطالِبِهِمُ التَّعَنُّتِيَّة وَالْعِنَادِيَّةِ.

الدَّرْس التاسع: الآيات من (٥٦ ـ ٦٩) آخر السورة.

وفي آيات هذا الدَّرْس تَوجيهُ خِطَابٍ مِنَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ للمؤمنينَ

الَّذِينَ كانوا يُضْطَّهَدُون في مَكَّةَ مِنْ قِبل أَئِمَة الشِّرْك يَعِظُهُمْ فِيهِ بأَنْ يُهَاجِرُوا فِي سبيل اللهِ، فَأَرْضُ الله واسِعة، مَعَ بَيانَاتٍ بشَأْنِ الموْتِ والرِّزْق، ومَعَ وَعْدٍ مِنَ اللهِ لَهُمْ بالأَجْرِ الْعَظِيمِ عِنْدَهُ في جَنَّاتِ النَّعِيم.

وفيها عَوْدٌ لِمُعَالَجَةِ المشْرِكينَ بِشَأْنِ شِرْكِيَّاتِهِمْ، مع إقناعِهِمْ بأنَّ الحياةَ الدُّنيا لَهْوٌ ولَعِبٌ، وأنَّ الدَّارَ الآخِرَة لَهِيَ دَارُ الحياة الخالِدَة العظيمَةِ للمؤمنين.

وفيها وَعْدٌ للمؤمنين المجاهِدِينَ في سبيل اللهِ بأَنْ يَهْدِيَهُمُ الله سُبُلَ نَجاتِهِمْ، وانْتِصارِهِمْ عَلَىٰ الكَفَرَةِ أَعْدَائِهِم، ووَصْفٌ لِهؤُلَاءِ المجاهِدِينَ بأَنَّهُمْ مِنَ المحسنين.

❁ ❁ ❁

(٥)
التدبّر التحليلي للدرس الأول من دُورس سورة (العنكبوت) الآيات من (١ ـ ١٣)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ

ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾:

القراءات:

(١ ـ ٢) • سَكَتَ أبو جعفر على ألف، ولامْ، وميم من (الٓمٓ). ونقل ورش حركة همزة ﴿أَحَسِبَ﴾ إلى السَّاكِنِ قَبْلَهَا، مَع الْقَصْر والمدِّ في الميم، ووقف حمزة بالنقل كورش، وله التحقيق مع السكت وعدمه.

(٥) • قرأ قَالُون، وأبُو عمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكَانِ الهاء.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: ﴿وَهُوَ﴾ بِضَمِّ الهاء.

وهُمَا لُغتَان عَرَبيَّتان. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

تمهيد:

في آياتِ هَـٰذا الدَّرْس بيَانُ كلّيّاتِ مَوْضوعِ السّورة، الّذي سبَق بيَانُهُ في فِقَرَةِ مَوضوعِ (سُورة العنكبوتِ/ ٨٥ نزول)، وهي الفقرة: (٣).

التدبر التحليليّ:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾:

• ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ هـٰذِهِ مِنَ الْحُروفِ المقطّعةِ الّتي جاءَتْ في أوائِلِ بعض سُوَرِ الْقُرْآنِ المجِيدِ، وقد سبَقَ بَيَانُ مَا يَكْفِي بِشَأْنِهَا في أوائل تدبُّرِ سورة (القلم/ ٤ نزول).

• ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾:

فعل «حَسِبَ، يَحْسَبُ، ويَحْسِبُ» هو في اللُّغَةِ بمَعْنَىٰ «ظَنَّ». ومِنِ استقرائي لِهٰذا الفعل في القرآن المجيد مع سَبْرِ المعاني؛ تبيَّنَ لِي أَنَّهُ قَد اسْتُعْمِلَ فِيهِ لِلدَّلَالَةِ علىٰ الظَّنِّ الضعيفِ الْمُسَاوِي للتوهُّم، والّذِي يَجِبُ طَرْحُهُ واسْتِبْعَادُه.

والْفِتْنَةُ: هِي هُنَا بمَعْنَىٰ الاخْتِبَارِ والابْتِلَاء بِالْمَكَارِهِ أَوْ بِغَيْرِها.

• ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: أي: وهُمْ يُقَدِّرُونَ في تَصَوُّرِهم أَنَّهُمْ قَدْ حَمَوْا أنْفُسَهُمْ بإعْلَانِ الْإِيمانِ مِنَ التَّعَرُّضِ للامْتِحَانِ بما يَكْرَهُونَ من أذىً فِي الحياة الدُّنيا.

إنَّ الإنْسَانَ في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ في حَيَاتِهِ الأُولَىٰ؛ عُرْضَةٌ دواماً لِلامْتِحَانِ بِمَا يَكْرَهُ مِنْ دُنْياهُ، أَوْ بِمَا يَسُرُّهُ مِنْهَا، فَلَا يَتَوَهَمَنَّ أَنَّهُ إذَا أَعْلَنَ إيمانَهُ بِرَبِّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ، وبمَا أَنْزَلَ ـ جَلَّ جلالُهُ ـ من كِتَابٍ وَبَيَانَاتٍ دِينِيَّة؛ فقَدْ حَمَىٰ بإعْلَانِهِ إيمانَهُ نَفْسَهُ مِنَ أَنْ يُفْتَنَ مُمْتَحَناً بِمَا يَكْرَهُ ممَّا يُسَمِّيهِ شَرّاً.

إِنَّ إعْلَانَهُ إيمانَهُ بمقَالِهِ قَدْ يَكُونُ فِيهِ صَادِقاً، وقَدْ يَكُونُ فِيهِ كاذِباً، والكاشِفُ لِصِدْقِهِ في إيمَانِهِ يَكُونُ باخْتِبَارِهِ عَمَلِيّاً بِمَا يَكْرَهُ، فإذَا هُوَ صَبَرَ مُحْتَسِباً أَجْرَهُ الْعَظِيمَ عِنْدَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كَانَ صَبْرُهُ عَلى مِقْدارِهِ دَلِيلاً علَىٰ مِقْدَارِ صِدْقِهِ فِي إعْلَانِهِ إِيمَانَهُ، وإذا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ بَلْ تَضَجَّرَ وتَذَمَّرَ وتَوَهَّمَ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ لَا يَتَلَاءَمُ مَعَ إعْلَانِهِ إيمانَهُ، وَبَدَأَ يميلُ إِلَىٰ سُبُلِ الكُفْرِ والْكَافِرِينَ، أَوْ يَتَزَلْزَلُ عَنْ مَوْقِعِهِ الَّذِي كَانَ يُوهِمُ أَنَّهُ يَحْتَلُّهُ مَعَ المؤمنينَ بإعْلَانِهِ الإيمان؛ كَانَ كُلُّ هَـٰذا مِنْهُ دَلِيلاً عَلَىٰ مقْدَارِ الكَذِبِ في ادّعَائِهِ اللِّسَانِيّ.

فأبانَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ فِي هذه الآيَةِ؛ أَنَّ إعْلَانَ الإيمانِ باللِّسَانِ لَا

يَكْفِي فِي الامْتِحَانِ، بل لَا بُدَّ مِنَ الرِّضَا عَنِ اللهِ، والصَّبْرِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، واحْتِسَابِ الأجْرِ الْعَظِيمِ عِنْدَ اللهِ، مَعَ التَّسْلِيم التَّامّ لتَقْدِيرِهِ وقَضَائِهِ، وَحِكْمَتِهِ السَّامِيَةِ فِيمَا يَجْرِي بِهِ قَدَرُهُ وَقضَاؤُهُ وخَلْقُهُ أَوْ إِذْنُهُ.

• ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: ونؤَكِّدُ ـ بالْقَسَم المطْوِيّ الّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ اللّام في: [لقد] ـ أنَّنَا امْتَحنَّا وابْتَلَيْنَا الَّذِينَ قَالُوا مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمَم: آمَنَّا، فَفتَنَّاهم بِمَا يكْرَهُونَ، ولَمْ يَحْمِهِمْ إعْلَانُهُمْ إيمَانَهُمْ مِنْ أَنْ يَتعَرَّضُوا لِلْفِتْنَةِ بِمُؤْلِمَاتٍ يكْرَهُونها، ومنهم نوحٌ عليه السلام والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وهُودٌ وَصَالِحٌ وإبراهيمُ ولُوطٌ وشُعَيبٌ ومُوسَىٰ عليهم السَّلام وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ المؤمنين، أخْذاً من الأمْثِلَةِ الَّتِي سَتَأْتي في السورة.

• ﴿... فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾: يُبَيِّنُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ فِي هَـٰذِهِ الآيَةِ أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ مُؤَكِّداً بأنْ يَعْلَم الَّذِينَ صَدَقُوا في إعْلَانِهِمْ قَائِلِينَ بأَلْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا، وبأنْ يَعْلَمَ الكَاذِبين المدَّعِينَ أنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا صَادِقِين، لِيَجْزِيَ كُلَّ مَوْضُوعٍ في الحياة الدُّنْيا موضِعَ الامْتِحانِ بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِهِ.

وَلَيْسَ المرادُ بالْعِلْمِ هُنَا عِلْمَ مُطَابَقَةِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ لِمَا أَعْلَنُوا بأَلْسِنَتِهِمْ، لِأَنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِهِ عِنْدَ قَوْلِهِمْ، وَعلِيمٌ بِوَاقِعِ حَالِهِمْ قَبْلَهُ وبَعْدَهُ.

فالتَّدَبُّر المتأَنِّي يَقْضِي بأنْ نَحمِلَ الْعِلْمَ هُنَا عَلَىٰ اخْتِبَارِهِمْ عَمَلِيّاً، بِمَا يَكْشِفُ صِدْقَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ، وبِمَا يَكْشِفُ كَذِبَ الكَاذِبِينَ مِنْهُمْ، وهذا يَكُونُ بِتَعَرُّضِهِمْ لِمَا يُؤْلِمُهُمْ مِنْ مَكارِهَ تَكْرَهُهَا نُفُوسُهُمْ، وعِنْدَئِذٍ تَقُومُ الحُجَّةُ الْعَمَلِيَّةُ عَلَىٰ الْكَاذِبِينَ مِنْهُمْ. أمَّا الصادقون مِنْهُمْ فَيَظْهَرُ التَّطَابُقُ بَيْنَ مَا أعْلَنُوا بأَلْسِنَتِهِمْ وبَيْنَ مَا هُوَ فِي قُلُوبِهِمْ ثَابِتٌ رَاسِخ، والتمييزُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ إِنَّمَا يَكُونُ بامْتِحَانِ كُلٍّ مِنْهُمَا عَمَلِيّاً بِمَا يَكُونُ حُجَّةً لَهُ أَوْ حُجَّةً عَلَيْهِ.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ:

● ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾:

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: جَمْعٌ مُفْرَدُهُ «السَّيِّئَة»، وهِيَ في اللُّغَةِ: الْفَعْلَةُ الْقَبِيحَةُ وَالمكْرُوهَةُ، والْخَصْلَةُ المكْرُوهَة، من أدنَىٰ القبائِحِ حَتَّىٰ أشَدِّها.

● ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾: جاء في القرآن «السَّبْقُ» بِمَعْنَىٰ الْقُوَّةِ المتَفَوِّقَةِ الْغَالِبَةِ، والمعْجِزَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْمُتَابعَ يعْجِزُ عَنْ إدْرَاكِ مَنْ يُلاحِقُهُ مُتَابعاً لَهُ لِيُدْرِكَهُ، وهذا المعْنَىٰ هو الملائم لِمَا جَاءَ في هٰذِهِ الآية.

● ﴿سَآءَ﴾: فِعْلٌ يُقَالُ فِي إنْشَاءِ الذَّمِّ علَىٰ سَبِيلِ الْمُبالَغَة، مِثْلُ فِعْلِ «بِئْسَ».

المعنى: بَلْ: أَحَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَمِنْهَا النِّفَاقُ بإعْلانِ الإيمَانِ باللِّسَانِ وإبْطَانِ عَدَمِ الإيمان؛ أَنْ يُعْجِزُونَا بِكَتْمِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ إظْهَارِهِ باخْتِبارِنَا لَهُمْ بِمُخْتَلِفِ الوسَائِلِ، ومِنْهَا اخْتِبَارُهُمْ بالْمَكَارِهِ الَّتِي تَضِيقُ صُدُورُهُمْ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهَا، فَيَكْشِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي قَوْلِهِمْ: آمَنَّا.

هٰذا مِنْهُمْ حُكْمٌ مَذْمُومٌ أَشَدَّ الذَّمّ، إِذْ هُمْ مَا قَدَرُوا رَبَّهُمْ حَقَّ قَدْرِه، فاللهُ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ كَشْفُ مَا يَكْتُمُ عِبادُهُ فِي قُلُوبِهِمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ جَلِيّاً لِلْمَلَائِكَةِ وللنَّاسِ، ويَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ:

● ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾﴾:

• ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: ظَهَرَ لِي مِنَ الاسْتِعْمَالَاتِ القرآنِيَّةِ؛ أَنَّ أَصْلَ معْنَىٰ الرَّجَاءِ مُطْلَقُ التَّوَقُّعِ لِلْمَرْغُوبِ فِيه، أَو المخُوفِ مِنْهُ.

أي: مَنْ كَانَ يَتَوَقَّعُ لِقَاءَ اللهِ يَوْمَ الدِّين، وبَعْدَ المْوتِ.

• ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ﴾: **الأجَلُ**: يأْتِي بِمَعْنَىٰ غاية الْوَقْتِ المحدّدِ لشَيْءٍ ما، أو المأذُونِ بِهِ. ويأتِي بمعنىٰ الوقت المحدَّدِ أو المناسب لحصولِ الشَّيْءِ وابْتِدَاءِ زَمَانِهِ. وَيَأتي بِمَعْنَىٰ المدَّةِ المحدَّدَةِ للشَّيْءِ المحصُورَةِ بَيْنَ أَوَّلٍ وَآخر.

المعنى: مَنْ كَانَ يتَوَقَّعُ لِقَاءَ اللهِ لِلْحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ؛ فَلْيَعْلَمْ عِلْماً مُؤَكَّداً أَنَّ أَجَلَ اللهِ المقَرَّرَ بِتَقْدِيرِهِ وقَضَائِهِ لِهذَا اللِّقَاء؛ لَآتٍ فِي الزَّمَانِ المحدَّدِ لَهُ لَا مَحَالَة، وسَوْف يُحَاسِبُ اللهُ فِيهِ الموضُوعِينَ فِي الحياةِ الدُّنيا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، ويَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بعَدْلِهِ أَوْ بِفَضْلِهِ، على ما قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ إرَادِيٍّ فِي الْخَيْرِ أَوْ فِي الشَّرّ عَبْرَ رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِمْ بِالْإِحْصَاءِ الشَّامِل، ومَعْلُومٌ للهِ رَبِّهِمْ عِلْماً مُحِيطاً بِكُلِّ صَغِيرَة وكَبِيرةٍ، ظَاهِرَة أو خَفِيَّةٍ.

• ﴿. . وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾: أي: وهُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ صَوْتٍ مَهْمَا كَانَ مُنْخَفِضاً أَوْ مُرْتَفِعاً، وهُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا يُعْلَم.

السَّمِيعُ: صِيغَةُ مُبَالغَةٍ للسَّامع، فالسَّمْعُ بالنِّسْبَةِ إلى اللهِ بالِغُ الغَاية.

الْعَلِيم: صِيغَة مُبالغَةٍ للعالِم، والْعِلْمُ بالنسبة إلى اللهِ بالِغُ الغاية.

وتَعْرِيفُ طَرَفَي الإسْنَادِ في عبارَة: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يَدُلُّ على الْقَصْرِ والحصْر، أي: لا يوجَدُ سَمِيعٌ يَسْمَعُ كُلَّ صَوت، ولَا يُوجَدُ عَلِيمٌ يُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، إلَّا اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وإِذْ كانَتْ رِحْلَةُ الحياةِ الدُّنْيا رِحْلَة امْتِحَانٍ واخْتِبَارٍ وفِتْنَةٍ، وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ فِيهَا قِسْمَيْنِ:

القِسْمَ الْخَاسِرَ: الَّذي لَا يَتوَقَّعُ لِقَاءَ اللهِ، فَيَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُ وشَهَواتِهِ، ورَغَباتِهِ مِنَ الحياةِ الدُّنْيا، وَوَسَاوِسَ شَياطِينِ الإنْسِ والْجِنِّ.

الْقِسْمَ الرابحَ: الَّذي يَتوَقَّعُ لِقَاءَ اللهِ، فَيُجَاهِدُ لالْتِزَام صِراطِ اللهِ المسْتَقِيمِ فِي مَسِيرَتِهِ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

كانَ مِنَ الحكْمَةِ فِي الْبَيَانِ؛ أَنْ يَأْتِي حَدِيثٌ عَنِ المؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي حَيَواتِهِم ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، فقال اللهُ تَعَالَىٰ:

• ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾:

أي: ومَنْ بَذَلَ غَايَةَ مَا لَدَيْهِ مِنْ طَاقَةٍ فِي طَاعَةِ للهِ وعَمَلٍ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ صالحات؛ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وفَائِدَتِهَا وسَعَادتِها، ولَا يُقَدِّمُ بِعِبَادَاتِهِ ومُجَاهَدَاتِهِ نَفْعاً للهِ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطانُهُ، لأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ وبِصِفَاتِهِ عَنْ جَمِيعِ الْعَالَمِين.

الْغَنِيُّ: المكْتَفِي الَّذِي لَا يَحْتَاجُ غَيْرَهُ.

الْعَالَمُونَ: جَمْعٌ مُفْرَدُهُ «الْعَالَم». وكَلِمَةُ: «عالَم» تُطْلَقُ عَلَىٰ كُلِّ مَوْجُودٍ سِوَى الله، **والْعَالَمُونَ**: تُطْلَقُ فِي القرآن وَيُرَادُ بِهَا كُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ، وقَدْ تُطْلَقُ ويرادُ بِهَا كُلُّ النَّاسِ، أو الإِنْسُ والجنُّ.

• ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾: أيْ: إِنَّ اللهَ لَا يَحْتَاجُ لذاتِهِ أو لِصِفَاتِهِ أَوْ لِنَفْسِهِ شيئاً مِنْ سِوَاه، إِنَّهُ الخالِقُ الْمُمِدُّ لِكُلِّ الْخَلَائِقِ بِمَا هُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، مِنْ صَغَائِرِ الْحَاجَاتِ وكَبَائِرِها.

جاءت هذه العبارة مؤكَّدَة بـ:«إنَّ ـ والجملة الاسميّة ـ واللام المزحْلَقة».

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ متحدِّثاً بِضَمِيرِ المتكلِّم العظيم:

• ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٧﴾:

أي: والَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمان به فِي دِينِ اللهِ صادِقِينَ فِي إيمانِهم، وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الَّتِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوهَا، سواءٌ بَلَغُوا دَرَجَةَ المجاهِدِينَ بالنَّوافِلِ والْقُرُباتِ، وتَرْكِ المكْرُوهاتِ؛ أوْ لم يَبْلُغُوها؛ فَقَدْ أَعْدَدْنا لَهُمْ مِنْحَتَيْنِ عَظِيمَتَيْن:

المِنْحَةُ الْأُولَىٰ: تَكْفِيرُ سَيِّئَاتِهِمْ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ الْعِبادِ، أخذاً من دَلَالَاتِ نُصُوصٍ أُخْرَىٰ.

تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ: أي: سَتْرُهَا وَعَدَمُ المؤاخَذَةِ عَلَيْهَا.

وجاء توكيد العبارة باللّام وَنُونِ التَّوْكيد الثقيلة في عبارة: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

المنحة الثانية: مُجازَاتُهُمْ ضِمْنَ قَانُونِ الْمُكَافَآتِ «الحسنةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا إلى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إلَىٰ أضْعَاف كَثِيرة»، وَهـٰذِهِ الْمُجَازَاةُ تَكُونُ بِحِسَابِ أحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وهِيَ كُلُّ الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ عَمِلُوهَا في رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الحياة الدُّنيا، لِأَنَّهَا هِيَ الْأَحْسَنُ مِنْ سَائِرِ أعْمَالِهِمُ الْمُبَاحَةِ والسَّيِّئَة.

دَلَّ على هذه المنْحَةِ؛ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ في الآية: ﴿... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ وهـٰذه العبارَةُ مؤكَّدَةٌ كَسابِقَتِهَا.

الجزاءُ: مُقَابَلَةُ الْعَمَلِ بِمَا يُلَائِمُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرّ.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتَحَدِّثاً بِضَمِيرِ المتكلِّم العظيم:

• ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝٩﴾:

يتساءَلُ الْمُتَدَبِّرُ: إذَا كَانَتِ الفِتْنَةُ فِي الدِّينِ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ الكَفَرَةِ الْبُعَدَاءِ؛ فالمطْلُوبُ مِنَ المؤمِنِ المفْتُونِ أنْ يُجَاهِدَ بالصَّبْرِ وبالْمُقَاوَمَةِ والدِّفَاعِ على مقدار اسْتطاعَتِهِ، فَما الْمَطْلُوبُ مِنْهُ إذَا كانَتِ الْفِتْنَةُ فِي الدِّينِ مِنْ قِبَلِ الْوَالِدَيْنِ أَوْ أَحدِهِمَا وقَدْ أَمَرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِبِرِّهما؟.

فَجَاءَ الجوابُ لِهٰذا السؤالِ المطْوِيِّ بقولِهِ تَعالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾: أي: وأَمَرْنَا الإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ بأنْ يُعامِلَ وَالِدَيْهِ الْكَافِرَيْنَ بالْحُسْنِ، أي: بما هُو جَمِيلٌ مَعْرُوفٌ بِحُسْنِهِ.

وسَبَقَ أَنْ جاء في سورة (الأحقاف/٦٦ نزول) قول اللهِ تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ... ﴿١٥﴾﴾: وأرَىٰ أَنْ نَحمِلَ الإحْسَانَ هُنَا عَلَىٰ وُجُوبِ مُعَامَلَةِ الْوَالِدَيْنِ بأن يَفْعَلَ الْوَلَدُ مَا هُوَ حَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا مَعَ قَصْدٍ وعِنَايَة، وهٰذَا يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إلىٰ الوالِدَيْنِ المؤمِنَيْن.

فالإحْسَان: فِعْلُ مَا هُوَ حَسَنٌ مَقْصُودٌ بِعِنَايَة.

والْحُسْنُ: هو الْجَمِيلُ ولَوْ لَمْ يَكُنْ بِفِعْلٍ مَقْصُودٍ مَعَ عِنَايَة.

فَالْإِحْسَانُ أَقوَىٰ وأَبْلَغُ مِنَ الحسْنِ، وهٰذا يُنَاسِبُ معامَلَةَ الوالِدَيْنِ المؤمِنَيْن، واللهُ أَعْلَمُ.

وأَتْبَعَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ قَوْلَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ بِقَوْلِهِ خِطَاباً للإنْسَانِ المؤمِنِ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾:

أي: وَإنْ جَاهَدَكَ وَالِدَاكَ الْكَافِرَانِ أَيُّها الإنْسَانُ المؤمِنُ يَفْتِنَانِك عَنْ دِينك، لِأَجْلِ أنْ تُشْرِكَ بِي وأَنَا اللهُ رَبُّكَ، شَرِيكاً لَيْسَ لَكَ بِكَوْنِهِ شَرِيكاً لِي عِلْمٌ قَائِمٌ علَىٰ حُجَّةٍ مَقْبولَةٍ فِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ؛ فَلَا تُطِعْهُمَا، لِأَنَّكَ إذَا أَطَعْتَهُمَا فِي ذَلِكَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، ونِلْتَ يَوْمَ الدِّينِ جزاءَ كُفْرِكَ خُلُوداً فِي نَارِ جَهَنَّمَ كَسَائِرِ المشْرِكين.

وَلْيَكُنْ فِي ذَاكِرَتِكَ دَواماً؛ أَنَّ إِلَيَّ وَحْدِي مَرْجِعَكُمْ يَوْمَ الدِّينِ، لِلْحِسَابِ، وفَصْلِ القضاء، وتَنْفِيذِ الجزاء.

اقتصر البيانُ هُنَا عَلَىٰ عبارة: ﴿... فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧﴾، وهَـٰذَا الْإِنْبَاءُ فِقَرَةٌ مِنْ فِقَرَاتِ الحسَابِ يَوْمَ الدِّينِ، اسْتُغْنِيَ بِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الكِنَايَةِ، لِيَدُلَّ عَلَىٰ سَائِرِ ما يَجْري في مَحْكَمَةِ اللهِ يومَئِذٍ، ومَا يَلْزَمُ عَنْ فَصْلِ القضاء مِنَ الجزاء.

وهذا الإِنْبَاءُ خَاصٌّ بِمَنْ يَسْتَجِيبُ لِمُجَاهَدَةِ والِدَيْهِ المشْرِكينَ لَهُ حَتَّىٰ يُشْرِكَ.

أَمَّا مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمَا وَتَمَسَّكَ بالْإِيمانِ الصّحِيحِ الصَّادِقِ، وعَبَّرَ عَنْ صِدْقِ إيمَانِهِ بالْعَمَلِ الصالح؛ فَهُوَ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بِشَأْنِهِمْ في الآيَةِ التَّالِيَة:

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ⑨﴾:

أي: والَّذينَ ثَبَتُوا عَلَىٰ إيمَانِهِمُ الصَّادِقِ الصّحيح، فَلَمْ تُزَحْزِحْهُمُ الْفِتْنَةُ عَنْ مَوْقِعِهِم الْإيمانِيّ الراسِخ، وعَبَّرُوا عَنْ صِدْقِهِمْ في إيمانِهِمْ بأعْمَالٍ صَالِحَاتٍ عَمِلُوها؛ فَلَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي زُمَرِ الصَّالِحِينَ يَوْمَ الدِّينَ، الَّذِينَ يُسَاقُونَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَراً بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ ودَرَجَاتِهِمْ.

وقد جاء في سَبَبِ نُزُولِ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ عدّة رواياتٍ، مِنْها: أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاص قالَ: قَالَتْ أُمِّي: لَا آكُلُ طَعَاماً، وَلَا أَشْرَبُ شَرَاباً حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّد، فامْتَنَعَتْ مِنَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ، حتَّىٰ جَعَلُوا يُكْرِهُونَها بالْعَصَا.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ المنافِقِينَ وَضُعَفَاءِ الإيمانِ تُجاهَ الْفِتْنَة فِي الّدين:

• ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾:

أي: ومِنَ النَّاسِ فَرِيقٌ مُنَافِقُونَ أَوْ ضُعَفَاءُ الْإِيمَانِ يقُولُونَ بألْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا بالله، حِمَايَةً لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ جَمَاعَةِ المؤمِنينَ، أو طَمَعاً بِمَغَانِمَ يَنَالُونَهَا مَعَ المؤمِنينَ إِذَا نَصَرَهُمُ اللهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ. فَإِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ أَذىً وَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَصَابَ هـٰذا الْفَرِيقَ مَعَ المؤمِنينَ أذىً؛ فَأَمَّا المؤمِنُونَ الصَّادِقُونَ فَيَصْبِرُونَ وَيَحْتَسِبُونَ أَجْرَهُمُ الْعَظِيمَ عِنْدَ اللهِ ويَرَوْنَ أَنَّ حِكْمَةَ اللهِ في ابْتِلَاءِ عِبَادِهِ؛ قَضَتْ بِأَنْ لَا يَتَدَخَّلَ فِي مَنْعِ بَعْضِ الأَسْبَابِ الكَوْنِيَّةِ، الَّتِي يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ ضِدَّ المؤمِنينَ، حِمَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ؛ وأَمَّا المنَافِقُونَ وَضُعَفَاءُ الْإِيمانِ فَيَشُكُّونَ فِي حِكْمَةِ اللهِ، وَيَرَوْنَ أَنَّ عَدَمَ تَدَخُّلِ اللهِ فِي حِمَايَةِ المؤمِنينَ مِنْ أَسْبَابِ الْكَافِرِينَ الإِيْذائِيَّةِ التَّعْذِيبِيَّةِ؛ يُشْبِهُ عَذَابَ اللهِ المباشِرَ لِلْمُؤْمِنينَ، وَكَأَنَّ اللهَ يُعَذِّبُهُمْ بِتَمْكِينِ الْكَافِرِينَ مِن اتِّخَاذِ وَسَائِلَ لِتَعْذِيبِهِمْ.

إنَّ هـٰذا الْفَهْمَ مِنَ المنَافِقِينَ جَهْلٌ وَحَمَاقَةٌ، وَعشىً فِي بَصَائِرِهِمْ يَحْجُبُ عَنْهُمْ إِدْرَاكَ الحقِيقَةِ، وَفَهْمَ حِكْمَةِ اللهِ في امْتِحَانِ عِبَادِهِ فِي ظُرُوفِ الحياةِ الدُّنيا.

الفتنة: فِي هـٰذا النَّصّ هِي بِمَعْنَىٰ الْعَذَابِ، أي: جَعَلَ عَذَابَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله.

لَكِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ وضُعَفَاءِ الإيمانِ موقفاً آخَرَ إِذَا نَصَرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ وتَحَقَّقَتْ لَهُمْ بِهذا النَّصْرِ غَنَائِمُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلْمُؤْمنينَ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مُشَارَكَةٌ صَادِقَةٌ فِي قِتَالٍ، ولَا مُسَاهَمَةٌ فِي دَفْعِ بَأْسِ الْكَافِرِينَ الأَعْدَاءِ، وَغَرَضُهُمْ تَأْكِيدُ صِحَّةِ إِيمانِهِمْ، مَعَ مُشَارَكَةِ الْمُؤْمِنِين فِي الْغَنَائِم أَوِ الأَنْفَال أو المجْد.

• ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: دَلَّتْ هَـٰذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَىٰ أَنَّ تَحقِيقَ النَّصْرِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ.

• ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾: اللَّامُ فِي: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ واقِعَةٌ في جَوَابِ الْقَسَمِ المنْوِيِّ قَبْلَ: «لَئِنْ»، والْفِعْلُ مؤكَّدٌ بِنُونِ التوكيدِ الثَّقِيلَةِ.

• ﴿... أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾: فـي هـٰذِهِ الْعِبَارَةِ تَلْوِيحٌ بِإِنْذَارِ الْكَاذِبِينَ في قَوْلِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، فاللهُ أعْلَمُ مِنْ كُلِّ ذِي عِلْمٍ بِمَا فِي قُلُوبِ وصُدُورِ الْعَالَمِينَ مِنْ مُطَابَقَةٍ لِمَا يَدَّعُونَ بأَلْسِنَتِهِمْ، أو مُخَالَفَةٍ إِلَىٰ حَدِّ التَّضَادِّ والتَّنَاقُض، مَعَ الإشَارَةِ الضِّمْنِيَّة إلى أَنَّ حِسَابَ اللهِ وَفَصْلَ قَضَائِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؛ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَصُدُورِهِمْ، لَا عَلَىٰ مَا يَظْهَرُ مِنْ أقوالِهِمُ الْكَاذِبَةِ، أَوْ أَعْمَالِهِمُ النِّفَاقِيَّة.

• ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾:

فِي هَـٰذِهِ الآيَةِ بَيَانٌ مُؤَكَّدٌ مِنَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ بأَنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ عِبَادَهُ الْمَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا دُونَ أَنْ يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الَّذِينَ آمَنُوا بِصِدْقٍ، وَدُونَ أَنْ يَعْلَمَ حَقِيقَة المنافِقِينَ، الَّذِينَ يُبْطِنُونَ خِلَافَ مَا يُظْهِرُونَ.

مِنَ الْمُلَاحَظِ أَنَّ هـٰذَا الْبَيَانَ جَاءَ عَنِ المنافِقِينَ في أَوَاخِرِ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، وَقَبْلَ ظُهُورِ النِّفَاقِ فِي هـٰذا الْعَهْدِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، تَوْطِئَةً لِمَا سَيَظْهَرُ فِي الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ بَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، مِنْ نِفَاقٍ، وضَعْفٍ فِي الإيمان، إِذْ سَيَكُونُ لِلإِسْلَام والْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ دَوْلَةٌ مَرْهُوبَةُ الْجَانِبِ، مَطْمُوعٌ بِمَا يأْتِيهَا مِنْ غَنَائِمَ وأَنْفَال، وهـٰذَا الواقِعُ يُسَاعِدُ عَلَىٰ ظُهُورِ المنَافِقِينَ وَضُعَفَاءِ الْإيمانِ، فاللهُ ـ جلَّ جَلَالُهُ ـ يُعِدُّ المؤمنينَ الصَّادِقِينَ فِي المجْتَمَعِ الْمَدَنِيِّ لِلْحذَرِ مِنَ المنافِقِينَ، وتَرَقُّبِ وُجُودِ ذَوِي إيمانٍ ضَعِيفٍ بِدَافِعِ الرَّهْبَةِ مِمَّا يَكْرَهُونَ مِنَ الدُّنيا، والطَّمَعِ بِمَا يُحِبُّونَ مِنَ الدُّنيا.

■ قولُ اللهِ تعالَىٰ:

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾:

يُبيِّنُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ فِي هَـٰذا النَّصِّ مَقالَةً تَضْلِيلِيَّةً، قَالَها بَعْضُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَعْضِ الَّذِينَ آمَنُوا، تَحْرِيضاً لَهُمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ فِي الشِّرْكِ ولَوَازِمِهِ فِي السُّلُوكِ، وقَالُوا لهم: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، واسْتَمْتِعُوا بلَذَّاتِ الحياةِ وطَيِّبَاتِهَا كَمَا نَسْتَمْتِعُ، وإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ سَبِيلَنَا يُحَمِّلُكُمْ خَطَايَا تُجاهَ رَبِّكُمْ؛ فَنَحْنُ نَتَعَهَّدُ لَكُمْ مُلْزِمِينَ أنْفُسَنَا بأَنْ نَحْمِلَ عَنْكُمْ هَـٰذِهِ الْخَطَايا، ونَكُونَ نَحْنُ المسؤولِينَ عَنْها، والْمُحَاسَبِينَ عَلَيْهَا، والْمُجَازَيْنَ الجزاءَ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ اللهُ عِقَاباً عَلَيْهَا.

فَأَبَانَ اللهُ ـ جَلَّ جَلاَلُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ مُؤَكِّداً أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَاذِبُونَ فِي تَعَهُّدِهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا خَطَايَا مَنْ يَتَّبِعُ سَبِيلَهُمْ مِنَ المؤمِنِينَ، فقالَ تَبارَكَ وتَعَالَىٰ:

• ﴿... وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾:

أي: إِنَّهُمْ فِي تَعَهُّدِهِمْ وإِلْزَامِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِأَنْ يَتَحَمَّلُوا خَطَايَاهُمْ لَكَاذِبونَ، إِذْ هُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ يَتَنَصَّلُونَ مِنْ تَعَهُّدِهِمْ لَوْ طُلِبَ مِنْهُمْ أَنْ يَفُوا بِهِ، عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ لَا يَقْبَلُ يَوْمَ الدِّينِ أَنْ تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرَىٰ، فالمسْؤُولِيَّةُ عِنْدَهُ مَسْؤُولِيَّةٌ شَخْصِيَّةٌ فَرْدِيَّة.

الباء في: ﴿بِحَٰمِلِينَ﴾ ومِنْ في ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ حَرْفَانِ مَزِيدانِ لِلتَّوْكِيد. وجُمْلَةُ: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ مؤكَّدَةٌ بـ: «إِنَّ ـ والجملة الاسمية ـ واللّام المزحْلَقَة».

خَطَايَا: جَمْعُ «خَطِيئَة»، وهِي «الذَّنْبُ».

وأبانَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَنَّ هؤلَاءِ الْمُضِلِّينَ مِنَ الَّذين كَفَرُوا؛ يَحْمِلُونَ بِإِضْلَالِهِمْ أَوْزَارَهُمُ الَّتِي كَانُوا بِهَا ضَالِّينَ، وأَوْزَارَ اتِّخَاذِهِمْ وَسَائِلَ لإِضْلَالِ غَيْرِهِمْ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيّ، فَهَذَا الإِضْلَالُ هُوَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يُحَاسَبُونَ ويُجَازَوْنَ عَلَيْهَا، مَهْمَا كَانَتْ آثَارُ إِضْلَالِهِمْ فِي النَّاس، فقالَ تَبَارَكَ وَتَعالى بِشَأْنِهِمْ:

• ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾:

أَثْقَال: جَمْعُ: «ثِقْل»، وهُو الْحِمْلُ الثقيل، والمرادُ بالأثْقَالِ: الذُّنُوبُ والخطايا.

• ﴿... وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾: أي: ولَيُحَاسَبُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ على مَا كَانُوا يَكْذِبُونَ في الدِّين.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّر الدَّرْس الأول من دُروس سورة (العنكبوتِ/ ٨٥ نزول).

والحمْدُ للهِ عَلَى معونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٦)
التَدبّر التحليلي للدّرس الثاني مِن دُروس سورة (العنكبوت) الآيات من (١٤ ـ ٢٧)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾:

القراءات:

(١٤) • قرأ يعقوب: [فِيهُمْ] بضَمِّ الهاء، وهو لغة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فِيهِمْ]، بكسر الهاء.

(١٧) • قرأ يعقوب: [تَرْجِعُونَ].

وقرأها باقي القرّاء العشرة: ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

وبين القراءتَيْنِ تكامُلٌ فِي الأداء البياني، أي: تُرْجَعُونَ بالْجَبْرِ، فتَرْجِعُونَ مُطَاوِعِين.

(١٩) • قرأ شُعْبَة بخلف عنه، وحَمزَةُ، والكِسَائي، وخلف: [أَوَلَمْ تَرَوْا] بتاء الخطاب.

وقرأها باقي القرَّاءِ العشرة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بياء الغائبِينَ.

وبَيْنَ القراءتَيْنِ تكامل في الأدَاءِ البيانيّ.

(٢٠) • قرأ ابن كثير، وأبو عمْرو: [**النَّشَاءَةَ**].

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿النَّشْأَةَ﴾.

ووقف حمزة بِنَقْلِ الهمزة إلى السَّاكِنِ قَبْلَهَا مع حَذْفِ الهمزة: [**النَّشَةَ**]، وبإبْدَالِ الهمزة ألفاً مراعاةً لِلرَّسم: [**النَّشَاة**].

(٢٥) • قرأ ابْنُ كثير، وأبو عمْرو، والكِسَائي، ورُويس: [**مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ**].

وقرأها حفص، وحمزة، ورَوْح: [**مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ**].

وقرأها باقِي القرّاء العشرة: [**مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ**].

والمؤدّى في هَـٰذِهِ القراءات واحد.

(٢٥) • قرأ ورش من طريق الأصبهاني، وأبو عمرو بخلفه، وأبو جعفر: [**وَمَاوَاكُمْ**]، وَكذلِكَ حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [**وَمَأْوَاكُمْ**].

(٢٦) • قرأ نافع، وأبو عَمْرو، وأبو جعفر: [**رَبِّيَ إِنَّهُ**] بفتح ياء المتكلّم.

وقرأها باقي القراء العشرة بإسْكانِ يَاءِ المتكلِّم.

(٢٧) • قرأ نافع: [**النُّبُوءَةَ**] مع المدّ المتصل.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿النُّبُوَّةَ﴾.

تمهيد:

في آيات هذا الدَّرْس ضَرْبُ مَثَلَيْنِ من الذينَ صَبَرُوا علَىٰ مَا أَصَابَهُمْ

في سبيل الله مِنْ أذًى، واحْتَسَبُوهُ عِنْدَ الله رَبِّهِمْ، ثُمَّ نَصَرَهُمُ اللهُ، وقدَّرَ وقَضَىٰ لَهُمْ ثَوَاباً جَزِيلاً، عاجلاً في الدُّنيا، ومؤجَّلاً إلَىٰ يَوْمِ الدِّين.
والمثلان هما: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمِنُونَ مِنْ قومه، وإبراهيمُ عليه السَّلَامُ ومَنْ آمَنَ بِهِ من قَوْمِهِ، مَعَ تَوْجِيهَاتٍ وبيانَاتٍ لِقَضَايا دِينِيَّة، مُشْتَقَّاتٍ مِنْهُما لَدَىٰ عَرْضِها، هِيَ بِمَثَابَةِ أَفْنَانٍ لِهَـٰذا الْفَرْعِ مِنْ فُرُوعِ شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَة.

مقدمة للتدبّر:

سبَقَ أَنْ كَتَبْتُ بِمَعُونَةِ اللهِ وَتَوفِيقِهِ كِتَاباً مُسْتقِلّاً بِشَأْن نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام، عنوانه: «نُوحٌ عَلَيْهِ السّلام وقومُهُ في القرآن المجيد»، تَدَبَّرْتُ فِيهِ (٢٧) نصّاً مِنَ القرآنِ الكَرِيم تَدَبُّراً تكامُلِيّاً، هي النُّصُوصُ الواردةُ فِيهِ بِشَأْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَام، وظَهَرَ لِي أَنَّهَا مُتَكَامِلَةٌ فِيمَا بَيْنَها، غَيْرُ مُتَطابِقَةٍ تَطابُقاً تَكْرَارِيّاً، فَلَا حَاجَةَ بِي هُنَا فِي دِرَاسَةِ الآياتِ المتعَلِّقَةِ بِهِ إلى التَّعَرُّضِ لِلتَّدَبُّرِ التَّكَامُلِيِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ النُّصُوصِ الَّتِي جاء فِيها ذِكْرُهُ في القرآنِ الكريم، وإنّي أُحِيلُ الْقَارِئ عَلَى الدِّراسَةِ الشَّامِلَة الَّتِي جَاءَتْ فِي هَـٰذا الكِتَابِ المسْتَقِلِّ، الملْحَقِ بِهَا جَداولُ تَكْشِفُ التَّكَامُلَ بَيْنَهَا.

التَّدَبُّرُ التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ متحدّثاً بِضَمِير المتكلِّمِ الْعَظِيم:

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾:

• ﴿وَلَقَدْ﴾: اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوابِ قَسَمٍ مَنْوِيّ. و«قَدْ» حَرْفُ تَحْقِيقٍ.

• ﴿فَلَبِثَ﴾: يقال لغة: «لَبِثَ بالمكانِ يَلْبَثُ، لَبْثاً، ولُبْثاً» أي: أقام فِيهِ.

المعنى: وَنُؤَكِّدُ لَكُمْ بالْقَسَمِ وبِحَرْفِ التَّحْقِيق؛ أَنَّنَا أَرْسَلْنَا نُوحاً رَسُولاً إِلَىٰ قَوْمِهِ، لِيُبَلِّغَهُمْ دِينَنَا الَّذِي اصْطَفَيْنَاهُ لِعِبَادِنَا الَّذِينَ وَضَعْنَاهُمْ فِي الحياةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، فَبَلَّغَهُمْ وَنَصَحَهُمْ وَصَبَرَ فِي دَعْوَتِهِمْ صَبْراً كَثِيراً، طَوَالَ أَلْفِ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً، يَدْعُو أَجْيَالَهُمْ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، بِمُخْتَلِفِ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ الْجَهْرِيَّةِ والسِّرِّيَّة، وَكَانَ يَلْقَىٰ مِنْهُمُ التَّكْذِيبَ الْعِنَادِيَّ، والإِصْرَارَ عَلَىٰ الشِّرْك والكُفْرِ، ومَا آمَنَ بِهِ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْ قَوْمِهِ.

فَقَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ أَنْ يُعَاقِبَ كُفَّارَ قَوْمِهِ وَيُهْلِكَ ذُرِّيَّاتِهِم إِغْرَاقاً بالطُّوفان العَامّ، إِذْ صَارَتْ بِيئَتُهُمْ مِنَ الْفَسَادِ أَنْ لَا يَنْشَأَ نَاشِئٌ فِيهِمْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً.

• ﴿... فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾: أي: فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ الَّذِي قَدَّرْنَا وَقَضَيْنَا أَنْ يَأْخُذَهُمْ أَخْذَ إِهْلَاكٍ مُسْتَأْصِلٍ، إِذْ أَجْرَيْنَا أَعْمَالاً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ بِهَا عُيُوناً، وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَنْصَبُّ عَلَىٰ الأَرْضِ بِشِدَّة، حَتَّىٰ غَمَرَ الْمَاءُ رُؤُوسَ الْجِبَال، ولَمْ يَبْقَ عَلَىٰ أَرْضِ الْقَوْم مَكَانٌ يَأْوِي إِلَيْهِ مُحْتَمٍ بِهِ مِنْهُمْ، وَكَانَ إِهْلَاكُهُمْ إِغْرَاقاً فِي حَالِ أَنَّهُمْ ظالِمُونَ كَفَرَةٌ مُجْرِمُونَ.

• ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾: أي: فَأَنْجَيْنَا نُوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ بالسَّفِينَةِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ أَمَرْنَاهُ بأَنْ يَصْنَعَهَا اسْتِعْدَاداً لِلرُّكُوبِ فِيهَا عِنْدَ الطُّوفان، هو والَّذِين آمَنُوا مَعَهُ، وأَنْجَيْنَا مَعَهُ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ، وَهُمُ المؤمِنُونَ الَّذِين آمَنُوا بِهِ واتَّبَعُوهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الرُّكُوبِ مَعَهُ فِيهَا للظَّفَرِ بالنَّجَاةِ مِنَ الإِغْرَاقِ بِالطُّوفَانِ الشَّامل.

وَبَعْدَ أَنْ تَمَّ إِهْلَاكُ كَفَرَةِ قَوْمِ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ وَذَرَارِيهِمْ، وَبَعْدَ أَنِ انْخَفَضَ مُسْتَوىٰ الماءِ بِما بَلَعَتْ مِنْهُ الأرْض، وانْكَشَفَ مِنَ الأَعَالِي مُنْكَشِفٌ صَالِحٌ لِإقَامَةِ رُكَّابِ سَفِينَةِ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ فِيهِ، هم وَمَا مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ مِنْ حَيَوانَاتٍ وأشْيَاء؛ أَرْسَىٰ اللهُ السَّفِينَةَ فِي مَكَانٍ صالحٍ لِرُسُوِّهَا، وَأَبْقَى اللهُ سَفينَة نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ فِي مَكَانِ رُسُوِّهَا، لِتَكُونَ آيَةً «عَلَامَةً» لِلْعَالَمِين فِي أَزْمَانٍ لَاحِقَةٍ بَعْدَ الطُّوفان، تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الله ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ قَدْ أَهْلَكَ كُفَّارَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالطُّوفَانِ العظِيمِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَّعِظُوا فَلَا يَكْفُرُوا ولَا يُعَانِدُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السلام وَما نَالَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أذىً:

● ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾:

سبَقَ في الْمُلْحَقِ الثَّانِي لِتَدَبُّرِ سُورةِ (إبراهيم/ ٧٢ نزول) دِراسةٌ تَكامُلِيَّةٌ للنُّصُوصِ القرآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ بِشَأْنِ إبراهِيمَ عَلَيْهِ السلام، فَلَا دَاعِيَ فِي هذا النَّصِّ الوارِدِ هُنَا في سورة (الْعَنْكَبُوت/ ٨٥ نزول) لإِعَادَةِ النَّظَرَاتِ التَّدَبُّرِيَّةِ التَّكَامُلِيَّةِ بِشَأْنِ إبْراهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النُّصُوصِ القرآنِيَّةِ الوارِدَةِ فِي مُخْتَلِفِ السُّوَر، وأقْتَصِرُ هُنَا عَلى التدبُّرِ التحليليِّ لِهذَا النَّصّ.

أي: وأرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ إلى قومِهِ، فاذْكُرْ أيُّها المتلقّي إذْ قَالَ لَهُمْ: اعْبُدُوا اللهَ وحْدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، إنَّه هُوَ رَبُّكُمُ الَّذِي لَا رَبَّ لَكُمْ غَيْرُهُ، واتَّقُوا بالْإِيمَانِ بِهِ رَبّاً وَاحِداً لَا رَبَّ سِوَاه، وبِعِبَادَتِهِ إِلَهاً واحِداً لَا

إِلَهَ إِلَّا هُو؛ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ، إِذْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ ذَلِكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

واعْلَمُوا ذَلِكُمْ عِلْماً رَاسِخاً مَعَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ الْبَالِغِ دَرَجَةَ الطُّمَأْنِينَةِ، إِنْ كُنْتُم تُرِيدُونَ أَنْ تَعْلَمُوا الْحَقَّ وَتَعْمَلُوا بِهِ.

وقَال إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلَّا أَوثَاناً أَنْتُمْ تَنْحِتُونَهَا مِنَ الْحِجَارَةِ، أَوْ تَصْنَعُونَهَا مِنَ الْخَشَب أو الطِّينِ، وَهِيَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَلَا تَدْفعُ شَرّاً ولَا تَجْلُبُ خيراً.

● ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾: أي: وَتَفْتَرُونَ لِأَوْثَانِكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَها كَذِباً، إِذْ تَدَّعُونَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيراتٍ غَيْبِيَّةً، فِي دَفْعِ الضَّرِّ عَنْ عَابِدِيها وَجَلْبِ النَّفْعِ لَهُمْ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ.

الْخَلْقُ ـ والاخْتِلَاق: يَأْتِيَانِ بِمَعْنَى افْتِرَاءِ الكَذِبِ عَنْ عَمْدٍ.

الْإِفْكُ: الْكَذِبُ في الْقَوْلِ أَوْ فِي الْعَمَل، وأَصْلُ الإفْكِ صَرْفُ الشيْءِ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام يَعْتَقِدُونَ اعْتِقَاداً فَاسِداً بَاطِلاً؛ أَنَّ آلِهَتَهُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ تُسَاعِدُهُمْ مُسَاعَدَاتٍ غَيْبِيَّةً فِي تَيْسِيرِ سُبُلِ أَرْزَاقِهِمْ، فقال إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام لِقَوْمِه:

● ﴿... إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾:

● ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾: أي: فَاطْلُبُوا عِنْدَ اللهِ رِزْقَكُمْ. يُقَالُ لغة: «ابْتَغَى الشَّيْءَ، وبَغَاهُ» أي: أَرَادَهُ وَطَلَبَهُ.

أي: إِنَّ الأوثانَ الَّتِي تَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ الله، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّها تَنْفَعُكُمْ فِي أَنَّهَا تُيَسِّرُ لَكُم سُبُلَ أَرْزَاقِكُمْ، إِذْ تَتَصَوَّرُونَ أَنَّ مَنْ تُمَثِّلُهُمْ هَـٰذِهِ الأَوْثَانُ

هُمْ كَائِنَاتٌ أَحْيَاء عَالِمَة، ذَوات قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ فِي نَفْع أو ضُرّ؛ إِنَّهُمْ ـ في حقيقة أمرهم ـ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً مَا أيَّ رِزْقٍ، لِأَنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ صَنَعْتُمْ بأَوْهَامِكُمُ الصُّوَرَ الَّتِي رَأَيْتُمْ أَنَّهَا نَافِعَةٌ لَكُمْ في قَضَايَا أَرْزَاقِكُمْ.

إِنَّ الرِّزْقَ إِنَّما يَمْلِكُهُ اللهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وهو الخالِقُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، فَاطْلُبُوا أرْزَاقَكُم عِنْدَهُ وحْدَهُ، وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، واشْكُرُوا لَهُ نِعَمَهُ الكثيرَةَ، ومِنْهَا أرْزاقُكُمُ الَّتِي يُيَسِّرُ لَكُمْ وَسَائِلَها، بإنْزَالِ غَيْثِ السَّمَاءِ، وإنْبَاتِ الزُّرُوعِ وإخْرَاجِ الثَّمَرَاتِ.

الشُّكْرُ: مُقَابَلَةُ الْمُنْعِمِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَل.

• ﴿... إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ وفي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَىٰ: [**إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ**]: أي: سَتُبْعَثُونَ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِكُم إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمِ الجزَاءِ الْأَكْبَر، وتَكُونُ هٰذِهِ الرَّجْعَةُ إِلَىٰ الْحَيَاةِ لِتُلَاقُوا حِسَابَ رَبِّكُمْ، وفَصْلَ قَضَائِهِ فِيكُمْ، وِلتَنَالُوا جَزَاءَكُم بِدَارِ النَّعِيمِ الْجَنَّة، أَوْ بِدَارِ الْعَذابِ النَّار.

وقال إبراهيم عليه السلام لِقَوْمه:

• ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾:

أي: وإِنْ تُكَذِّبُونِي في بَلَاغَاتِي الَّتِي بَلَّغْتُكُمْ إِيَّاهَا عَنْ اللهِ رَبِّكُمْ، إِذْ بَعَثَنِي رَسُولاً إِلَيْكُمْ؛ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ واسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ بأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ العذاب، وسَيُلَاقُونَ مَصِيرَهُمُ الأليم في عذاب جَهَنَّمَ يَوْمَ الدين.

وبما أَنّي رسُولٌ لَا أَمْلِكُ إِلَّا التَّبلِيغَ. فاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا على الرَّسُولِ إِلَّا البلاغ المبينُ الواضح.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي بَيَانٍ يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فاللهُ يَتَحَدَّثُ بِهِ عَن قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ، ويَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ اعْتِرَاضاً يَتَحَدَّثُ اللهُ بِهِ عَنْ كُفَّارِ مَكَّةَ إِبَّانَ

التَّنْزِيلِ، ويَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ لِلأَمْرَينِ مَعاً، وهَـٰذا مِنَ الإيجازِ الْبَدِيعِ فِي بَلاغَةِ القرآنِ المجيد:

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾:

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾: **يُبْدِئُ**: يُقَالُ لُغَةً: «أَبْدأ، يُبْدِئُ»: أي: جَاءَ بالْبَدِيءِ الْعَجِيبِ. ويأتي بِمَعْنَىٰ: «بَدَأَهُ».

أي: أَنْطَمَسَتْ أَبْصَارُهُمْ وبَصَائِرُهم، وَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ، فَيُنْبتُ النَّبَاتَ والزُّرُوع مِنْ بُزُورِها وجُذُورِها، ويُنْشِئُ الأَحْيَاءَ مِنْ نُطَفِ الذُّكُور وَبُيَيْضَاتِ الإِنَاثِ، الَّتِي هُوَ يَخْلُقُهَا من الدِّمَاءِ والأغْذِيَة، وكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّكْوِينِ الْعَجِيب، ولَمْ يَرَوْا بِعُقُولِهِمْ أَنّ أَوَّلَ كُلِّ كائِنٍ حَيٍّ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَنَوْعٍ قَدْ أَبْدأ اللهُ خَلْقَهُ دُونَ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئاً مَذْكُوراً، وأَنَّ الأَكْوَانَ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَق؟!.

• ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾: أي: ثُمَّ هُوَ يُعِيدُهُ بَعْدَ إِفْنَائِهِ كَمَا أَبْدأَه.

• ﴿... إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ أي: إِنَّ كُلَّ ذَلِكَ الإِبْدَاءَ والإعادَةَ خَلْقٌ يَسِيرٌ سَهْلٌ عَلَىٰ اللهِ، لِأَنَّهُ ـ جلَّ جَلالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ إِذَا أَرَادَ تَكْوِينَ شَيْءٍ وَخَلْقَهُ فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَهُوَ يَكُونُ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ، ولَيْسَ فِي أَمْرِ التَّكْوِينِ كُلْفَةٌ عَلَىٰ البَاري تَبَارَكَ وتَعَالَى.

• ﴿قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾:

أي: قلَ أيُّها الداعي إلىٰ اللهِ أيّاً كُنْتَ، إبْرَاهِيمَ أَوْ محمّداً ـ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ـ أوْ داعِياً مَا مِنَ المؤمِنِينَ، لِلْكَافِرِينَ، الَّذِين لَا يُؤْمِنُونَ بالْبَعْثِ والْحَيَاةِ الأُخْرَىٰ:

سِيرُوا فِي الأَرْضِ مُنَقِّبِينَ وَبَاحِثِينَ بِوَسَائِلِكُم الْعِلْمِيَّةِ لِتَنْظُرُوا بِعُقُولِكُمْ كَيْفَ بَدأ اللهُ الْخَلْقَ، إنَّكُمْ لَنْ تَصِلُوا إلَىٰ مَعْرِفَةِ أَسْبَابٍ تُمَكِّنُكُمْ مِنْ مُضاهَاةِ خَلْقِ اللهِ إذَا اتَّخَذْتُمُوها، بَلْ تَصِلُونَ إلَىٰ يَقِينٍ بِأَنَّ الله ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ قَدْ بَدَأَ الْخَلْقَ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يكُونَ إلَّا مِنْهُ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَلَا تَطْمَعُوا بِأَنْ تَعْرِفُوا أَسْبَاباً يَكُونُ بهَا بَدْءُ الْخَلْقِ، إلَّا أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْخَالِقِ الْبَارِئِ المصَوِّر، فإذَا أَرَادَ خَلْقَ شَيْءٍ قَالَ لَهُ: كُنْ، فَهُوَ يَكُونُ. فالْعُقَلَاءُ الأَسْوِيَاءُ المنْصِفُونَ الْحَرِيصُونَ عَلَىٰ نَجَاتِهِمْ وسَعَادَتِهِمْ يُؤْمِنُونَ باللهِ الرَّبِّ الْخَالِقِ، وأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ وبأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعِيدُهُ حِينَ يَأْتِي أَجَلُ إعَادَةِ الْخَلْقِ الَّذِي أفْنَاهُ، فَهُوَ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الأُخْرىٰ.

• ﴿... يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ...﴾: **يُنْشِئُ**: أي: يَجْعلُ وَيَخْلُقُ ويُوجِدُ بأسْلُوبِ الإنْشَاءِ التَّكَامُلِي. **النَّشْأَة**: الإيجادُ بأسْلُوبِ التَّرْبِيَةِ المتَدَرِّجَةِ التَّكَامُلِيَّة.

أي: ثُمَّ بَعْدَ الإفْنَاءِ لِلْمَخْلُوقَاتِ فِي الحياةِ الأُولَىٰ، يَخْلُقُ بأسْلُوبِ الإنْشَاءِ التكامُلِيِّ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ لِلْخَلَائِقِ الَّتِي أفْنَاها، لِتَلْقَىٰ ظُرُوفَ وَأَحْدَاثَ الْحَيَاةِ الأخرَىٰ، حَيَاةِ يَوْمِ الدِّين، يَوْمِ الجزاءِ الأَكْبَرِ.

• ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠﴾: يُؤَكِّدُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَنَّهُ قَدِيرٌ عَلَىٰ إيجادِ وَصُنْعِ وفِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ يَشَاؤُهُ، جَلَّ جَلَالَهُ وَعَظُمَ سُلْطَانه.

ويَتَسَاءَلُ المتَدَبِّرُ: لِمَاذَا يُنْشِئُ اللهُ النَّشْأَة الآخِرَةَ بالْبَعْثِ إلَىٰ الْحَياةِ الأُخْرَىٰ؟.

وَيُجِيبُ نَفْسَهُ بِمَا سَبَقَ أَنْ عَرَفَ مِنْ نُجُومِ التَّنْزِيلِ: إِنَّ الحيَاةَ الْأُخْرَىٰ قَدْ أَعَدَّهَا اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ فِي خِطَّةِ التَّكْوِينِ لِلْحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الجزَاءِ، لِمَا حَصَلَ مِنَ ابْتِلَاءٍ فِي ظُروف الحياةِ الدُّنيا.

وَلَمَّا كَانَ الجزَاءُ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَعْذِيبٍ لِمُسْتَحِقِّيهِ مِنَ الَّذِين كانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الامْتِحَانِ والاخْتِبَارِ، وهذا التَّعْذِيبُ يَكُونُ بِعَدْلِ اللهِ ضِمْنَ مَشِيئَتِهِ الحَكِيمَةِ الَّتِي لا مُجْبِرَ لَهَا.

ولَمَّا كَانَ الجزَاءُ يَشْتَمِلُ أيضاً عَلَىٰ ثَوابٍ جَزيلٍ بِفَضْلِ اللهِ لِمَنْ وَعَدَهُمْ بأَنْ يُثِيبَهُمْ: عَلَىٰ الإيمان، والطَّاعَةِ، والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَرَاضِيهِ، وهٰذا الثَّوَابُ يَكُونُ بِفَضْلِ اللهِ ضِمْنَ مَشِيئَتِهِ الْحَكِيمَةِ الَّتِي لَا مُجْبِرَ لها، وهُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ جلَّ جَلَالُه.

لَمَّا كَانَ ذَلِكَ قَال اللهُ تَعَالَىٰ فِي الآيَةِ التَّالِيَةِ:

- ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝٢١﴾:

- ﴿... وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: أي: وإِلَىٰ حِسَابِهِ، وفَصْلِ قَضَائِهِ، وتَنْفِيذِ جَزَائِهِ؛ تُرْجَعُونَ لِمُلَاقَاةِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ.

المعنى: يُعَذِّبُ اللهُ بِعَدْلِهِ مَنْ يَشَاءُ تَعْذِيبهُ مِنَ الكَفَرَةِ والْعُصَاة، ويُثِيبُ مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ الَّذِي هُوَ أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ رحْمَتِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً صَحِيحاً صَادِقاً، وعَبَّرُوا عَنْ صِدْقِ إيمانِهِمْ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ عَمِلُوهَا فِي حَيَاةِ الابْتِلَاءِ.

وإِلَيْهِ وَحْدَهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ تُرْجَعُونَ بَعْدَ الموْتِ والْفَنَاءِ، فتَكُونُونَ أَحْيَاءً تَسْتَقْبِلُونَ أَحْدَاثَ يَوْم الدِّين فَيُجْرِي اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ حِسَابَكُمْ لَا تُظْلَمُونَ فِيهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ولا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، ويَقْضِي بِعَدْلِهِ أَوْ بِفَضْلِهِ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ يُنَفِّذُ مِنْ جَزَاءِ مَا قَضَىٰ بِه لَكُمْ أَوْ عَلَيْكُمْ.

أمَّا فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا فإذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أنْ يُعَجِّلَ بَعْضَ عِقَابِ الْمُجْرِمِينَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْ يُهْلِكَهُمْ وَيَسْتَأْصِل وُجُودَهُمْ؛ فَمَا هُمْ بِقَادِرِينَ عَلَىٰ الإفْلاتِ مِنْ عِقَابِهِ، ولَوْ تَصَوَّرُوا أنَّهُمْ مَالِكُون قُوَىٰ الْأَرْضِ المتفَوِّقَة، وقُوًى فِي السَّمَاءِ غَلَّابَةً، كالطَّائِرَاتِ، والصَّوَارِيخ عَابِرَاتِ الْقَارَّاتِ، وكالطَّاقَاتِ الْأُخْرىٰ المدَمِّرَاتِ، فَقَال اللهُ تَعَالَىٰ خِطَاباً لِلْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ في الآية التالية:

• ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾:

أي: وَمَا أَنْتُمْ أَيُّها الكَفَرَةُ الْمُجْرِمُونَ بِقَادِرِينَ عَلَىٰ الإفْلَاتِ مِنْ قَبْضَةِ أَخْذِنَا لَكُمْ، هَرَباً مِنْ عِقَابِنَا لَكُمْ، مَهْمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ وسَائِلَ في الأرضِ أو في السَّماء.

الْمعْجِزُ: هُوَ الْهَارِبُ السَّابِقُ الَّذِي لَا يَتَمَكَّنُ مُلَاحِقُهُ مِنْ إدْرَاكِهِ والْقَبْضِ عَلَيْهِ، وإنْزَالِ الْعَذَابِ به.

• ﴿... وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾: أي: وَإِذَا الْتَمَسْتُمُ الْحِمَايَةَ مِنْ إنْزَالِ عَذَابِ اللهِ بِكُمْ، أَوْ إهْلَاكِكُمْ إهْلَاكَ اسْتِئْصَالٍ؛ فَلَنْ تَجِدُوا وَلِيّاً يَحْمِيكُمْ، وَلَا نَصِيراً يَنْصُرُكُمْ، إذْ لَا وُجُود لِآلِهَتِكُمُ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي تَعْبُدُونَها من دُونِ الله، ولَا يَسْتَطِيعُ نَصِيرٌ مُحِبٌّ لَكُمْ أَنْ يَمْنَعَ عَنْكُمْ مِنْ عِقَاب اللهِ مِثْقَالَ ذَرَةٍ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِك وَلَا أَكْبَر.

وأبَانَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَنَّ الْكَافِرِينَ سَيَكُونُونَ يَائِسِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَلَا يَنَالُونَ مِنْ آثَارِهَا عَفْواً وَلَا مَغْفِرَةً وَلَا تَخْفِيفاً مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَال اللهُ تَعَالى:

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾:

أي: والَّذِين كَفرُوا بآيَاتِ اللهِ المنزَّلَةِ، وآيَاتِهِ الكَوْنِيَّة، وآيَاتِهِ الإعجازِيَّة، وآياتِهِ العقابِيَّةِ، وكَفرُوا بالْبَعْثِ والحياةِ الأُخْرىٰ ولِقَاءِ اللهِ يَوْمَ الدِّين، أولئِكَ الْبُعَدَاءُ إِلَىٰ أَسْفَلِ سَافِلِينَ الأَخَسُّونَ الأَرْذَلُونَ يَئِسُوا مِنْ رحْمَةِ اللهِ فَلَا عَفْوَ لَهُمْ وَلَا غُفْرَانَ وَلَا تَخْفِيفَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ الَّذِي قَضَىٰ بِهِ عَلَيْهِمْ، وأُولئِكَ الْبُعَدَاءُ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ، فِي دَارِ العذَابِ الْمُعَدَّةِ لِلْمُجْرِمِينَ وَالْعُصَاةِ، وهَـٰذَا العذابُ الأَلِيمُ يَذُوقُونَهُ يَوْم الدِّينِ خَالِدِينَ فِيِّهِ أَبداً لَا يُفتَّرُ عَنْهُمْ.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ يُتَابعُ بَيَانَ لقطاتٍ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾:

أي: فَمَا كَانَ جَوَابَ عِلْيَةِ قَوْم إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَوِي السُّلْطَانِ فِيهِمْ، رَدّاً عَلَىٰ دَعْوَتِهِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ الْحَقِّ، فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمُدَاولَاتِهِمُ الرَّأْيَ؛ إِلَّا أنْ قَالُوا: اقْتُلُوهُ وتَخلَّصُوا مِنْهُ ومِنْ حُجَجِهِ الْبُرْهَانِيَّة، أَوْ حَرِّقُوهُ بالنَّارِ الَّتِي تُوقِدُونَهَا لَهُ، بِحُضُورِ جَمَاهِيرِ الْقَوْمِ، لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، ولِئلَّا يَتَأَثَّرَ بَعْضُ النَّاسِ بِدَعْوَتِهِ، ويُفْسِدَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الآبَاءُ والأَجْدَادُ مِنْ عَقَائِدَ بالأَصْنَامِ والأَوْثَان.

وبَنَوْا البُنْيَانَ الْعَظِيمَ وأَوْقَدُوا فِيهِ النَّارَ لِإِلْقَائِهِ فِيهَا ضِمْنَ مَشْهَدٍ عَامٍّ مِنْ جُمْهُورِ قَوْمِهِ، وأَلْقَوْهُ فِي النَّار، فَقَالَ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ لِلنَّارِ: كُونِي بَرْداً وسَلَاماً علَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْها، وخَرَجَ مِنْهَا سَالماً لَمْ يَنَلْ جِسْمَهُ مِنْهَا أذىً.

• ﴿. . . إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾: أي: إنّ فِـي ذلِـكَ الْعَمَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَنْجَىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بِهِ رَسُولَهُ إبراهيم عَليهِ السَّلام لَعَلَامَاتٍ ذَوَاتِ دَلَالَاتٍ كَبِيراتٍ يَنْتَفِعُ بِهَا قَوْمٌ عُقَلَاءُ أَسْوِيَاءُ أَهْلُ رُشْدٍ،

لَدَيْهِمُ الاسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ لِأَنْ يُؤْمِنُوا بالْحَقِّ، ويَتَّبِعُوا مَا جاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ.

لَقَدْ حَوَّلَ اللهُ النَّارَ بأمْرِ التَّكْوِينِ إِلَىٰ بَرْدٍ وسَلَامٍ، فَبَرَدَتْ حَرَارَتُها، وَفَقَدَتْ صِفَةَ إِحْرَاقِها، وكَانَتْ سَلَاماً مِنْ كُلِّ أذىً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السلام.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَابعَ دَعْوَتَهُ فِي قَوْمِهِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ الْحَقِّ، بَعْدَ نَجاتِهِ مِنَ النَّارِ الَّتِي قَذَفُوهُ فِيها:

• ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾:

دَلَّتْ هَـٰذِهِ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَانَ لِقَوْمِهِ سَبَبَ تَعَلُّقِهِمْ جَمِيعاً بِأَوْثَانِهِمْ، وَأَنَّ هَـٰذَا التَّعَلُّقَ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِعْلاً لَدَيْهَا جَلْبَ نَفعٍ لَهُمْ أَوْ دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهُمْ إذَا عَبَدُوهَا، بَلْ هِيَ فِي مَوَارِيثِهِمُ التَّقْلِيدِيَّةِ رَمْزُ الرَّابِطِ الاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ أَفْرَادِهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.

وهَـٰذَا نَظِيرُ الرَّابِطِ الْقَوْمِيِّ، الَّذِي يَجْعَلُ أفْرَادَ الْقَبِيلَةِ الْوَاحِدَةِ يَتَوادُّون فِيمَا بَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ جَدٍّ واحِدٍ.

ونَظِيرُ الرابِطِ الْوَطَنِيّ، الَّذِي يَجْعَلُ أَفْرَاد الوطَنِ الواحِدِ المتَمَيِّزِ عَنْ غَيْرِه مِنْ أوطَانِ النَّاس يَتَوَقُونِ فيما بَيْنَهُمْ وَيَتَنَاصَرُونَ.

ونَظِيرُ شِعَارِ «الطَّوطَم» الَّذِي كَانَتِ المجتَمَعَاتُ الْقَدِيمَةُ تَتَّخذُهُ رَمْزَ مَوَدَّةٍ بَيْنَ أَفْرَادِها، فَكُلُّ حَامِلِي هذا الشِّعَارِ فِي أَجْسَادِهِمْ يَتَنَاصَرُون على أساس أَنَّهُ رِبَاطُ مَوَدَّةٍ بَيْنَهُمْ.

فَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السلام قَالَ لِقَوْمِهِ: مَا اتَّخَذْتُمُ الأَوْثَانَ الَّتِي تَعْبُدُونَها

مِنْ دُونِ اللهِ؛ إلَّا لِتَكُونَ رَمْزَ رِباطِ مَوَدَّةٍ بَيْنَ أَفْرادِكُم، لِيَنْصُرَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً عَلَىٰ أَسَاسِ هَـٰذَا الرِّبَاطِ الرَّمْزِيّ، ثُمَّ جَعَلْتُمُوهُ رِباطاً دِينِيّاً، وَجَعَلْتُمْ أَوْثَانَكُمْ آلِهَةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وهِيَ لَا تَجْلُبُ لَكُمْ نَفْعاً وَلَا تَدْفَعُ عَنْكُمْ ضُرّاً، ولَا تَشْعُرُ بِعِبَادَتِكُمْ لَهَا.

ويَظْهَرُ أَنَّ أَعْرَاقَ قَوْمِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخْتَلِفَةٌ، فَاصْطَلَحَ أَجْدَادُهُمْ أَنْ تَكُونَ أَوْثَانُهُمْ رُمُوزَ الرِّبَاطِ الاجْتِمَاعِيّ الْقَائِمِ عَلَىٰ التَّوَادِّ والتناصُرِ بَيْنَ أَفْرَادِهِمْ، ثُمَّ تَحَوَّلَ هَـٰذَا الرَّمْزُ إِلَىٰ عَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ بَعْدَ حِينٍ.

وقال إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ مُحذِّراً، بَعْدَ أَنْ أَبَانَ لَهُمُ الْعَقِيدَةَ الصحِّيحة بِشَأْنِ يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمِ الجزاءِ الْأَكْبَرِ:

● ﴿... ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾:

أي: ثُمَّ إذَا جَاءَتْ سَاعَةُ الْبَعْثِ، وقُمْتُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ أَحْيَاءً، لِمُلَاقَاةِ رَبِّكُمْ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، وصِرْتُمْ تَشْهَدُونَ الحقائِقَ الَّتِي تُكَذِّبُونَ بِهَا الْيَوْمَ وأَنْتُمْ فِي الْحيَاةِ الدُّنْيَا؛ حِينئِذٍ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، إِذْ يُنْكِرُ بَعْضُكُمْ أَيَّةَ صِلَةٍ لَهُ بِبَعْضٍ آخرَ، خَشْيَةَ أَنْ تُؤَثِّرَ هَـٰذِهِ الصِّلَةُ فِي زِيَادَةِ عَذَابِهِ مُقْتَرِناً مَعَهُ فِي الْعَذَابِ، وحِينَئِذٍ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَيَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ قَادَتَهُمُ الَّذِين كَانُوا يُلْزِمُونَهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيُزَيِّنُونَ لَهُمْ عِبَادَتَهَا، ويَوْمَئِذٍ تَكُونُونَ أَعْدَاءً لَيْسَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةٌ مَا، ويَوْمَئِذٍ يَكُونُ مَأْوَاكُمُ الَّذِي تَأْوُونَ إِلَيْهِ بالْقَهْرِ، وتُقِيمُونَ بِهِ: دَارَ الْعَذَابِ النَّارَ الَّتِي تَصْلَوْنَها، وَيَمَسُّكُمْ فِيهَا لَهَبُهَا مُحْرِقاً بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

وقال لَهُمْ إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام: وَمَا لَكُمْ يَوْمَ القِيامَة مِن ناصِرِينَ يَحْمُونَكُمْ وَيَنْصُرُونَكُم فَيَكْشِفُونَ عَنْكُمْ عَذَابَ رَبِّكُمْ الَّذِي لا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هو.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ مُتابعاً بَيانَ لَقَطاتٍ مِنْ قِصَّةِ حياةِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السلام:

• ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾:

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانُ سِتِّ قَضَايَا تَتَعَلَّقُ بِإبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَىٰ: أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ لُوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ قَدْ آمَنَ بِهِ، وأَسْلَمَ قِيَادَهُ لَهُ، فَصَارَ تَابِعاً مِنْ أَتْبَاعِهِ، دَلَّ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾: أي: فَآمَنَ بِهِ وأَسْلَمَ لَهُ، ضُمِّنَ فِعْلُ: «آمَنَ» مَعْنَىٰ فِعْلِ: «أَسْلَمَ»، فَعُدِّيَ تَعْدِيَتَهُ باللَّام، وهذا من نَفَائِسِ الْإِيجَازِ الْقُرْآني.

الْقَضِيَّةُ الثانية: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام بَعْدَ أَنْ يَئِسَ مِنِ اسْتِجَابَةِ قَوْمِهِ لِدَعْوَتِهِ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ بالْهِجْرَةِ، أَوْ أَوْحَىٰ لَهُ بأَنْ يُهَاجِرَ إِلَى حَيْثُ يَهْدِيهِ؛ أَعْلَنَ أَنَّهُ مُهَاجِرٌ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَىٰ حَيْثُ يَأْمُرُهُ اللهُ أَوْ إِلَىٰ حَيْثُ يَهْدِيهِ، وأَعْلَنَ اعْتِمَادَهُ وتَوَكُّلَهُ عَلَىٰ رَبِّهِ، مُثْنِياً عَلَيْهِ بِأَنَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيم. دَلَّ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةَ قَوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿... وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾: أي: وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ بَلَدٍ يَهْدِينِي إِلَىٰ الْهِجْرَةِ إِلَيْهِ رَبِّي، إِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي يَحْمِينِي بِعِزَّتِهِ، وهُوَ الْحَكِيمُ فِيمَا يَخْتَارُهُ لي.

الْعَزِيزُ: أي: ذُو الْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ الَّتِي لَا تَسْتَعْصِي عَلَيْهَا قُوَّةٌ مَا.

الحَكِيم: أي: الَّذِي يَخْتَارُ أَفْضَلَ الاحْتِمَالَاتِ فِي كُلِّ مَا يَشَاءُ.

الْقَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَصْلَحَ لَهُ زَوْجَتَهُ «سَارَة» الَّتِي كَانَتْ عَجُوزاً عَقِيماً، فَوَهَبَ لَهُ مِنْهَا إِسْحَاقَ، وَوَهَبَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، دَلَّ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾. وَلَا يُعَارِضُ هٰذا أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ كَانَ قَدْ وهَبَ لَهُ قَبْلَ إسحَاقَ وَلَدَهُ إسْمَاعِيلَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلَام ـ مِنْ زَوْجَتِهِ «هَاجَر» المصْرِيَّة، الَّتِي وَهَبَتْهَا لَهُ «سَارَة» ـ عَلَيْهِمَا السَّلَام ـ لِأَنَّ الْبَيَانَ فِي هٰذا النَّصِّ يَتَعَلَّقُ بِحَالِهِ وَحَالِ مَنْ هَاجَرَ مَعَهُ، وكَانَتْ «سَارَةُ» مِمَّنْ هَاجَرَ مَعَهُ، أَمَّا «هَاجَرُ» فَقَدْ كَانَ وُجُودُها فِي حَيَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

الْقَضِيَّة الرابِعَة: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةِ والكِتَاب، دَلَّ عَلَىٰ هٰذِه القضيَّةِ قول اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾: فالنُّبُوَّةُ والرِّسَالَةُ وإنْزَالُ الكُتُبِ قَدِ اخْتَارَ اللهُ لَهَا بَشَراً مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ، ولُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَإِنَّما كَانَ ابْنَ أَخِيهِ لِأَنَّهُ كَانَ مُعَاصِراً لَهُ ولم يَكُنْ مِنْ بَعْدِه، لَكِنَّ سَائِرَ الأنبياء والرُّسُلِ الَّذِين كانُوا مِنْ بَعْدِهِ فَكُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، بِدْءاً بِإِسْمَاعِيلَ عليه السلام وإِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ والمرسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ أَجْمَعِينَ.

الْقَضِيَّة الْخَامِسَة: أَنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ قد آتَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْرَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا، دَلَّ على هٰذِه الْقَضِيَّةِ قَولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾. فَقَدْ كَانَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ الأَرْضِ المقَدَّسَةِ فِي بِلَادِ الشَّام ذَا مَكَانَةٍ رَفِيعةٍ بَيْنَ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا ومُلُوكِها، وكَانَ ذا مَالٍ واسِعٍ مِن قُطْعَانِ الأنْعَام، وَكَانَ ذَا حَفَاوَةٍ بَالِغَةٍ بِمَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الضُّيُوف، فَيُسْرِعُ فِي قِرَاهُمْ بأَفْضَلِ اللَّحْمِ المشْوِي، وأَعْطَاهُ هذا ذِكْراً حَسَناً، وشُهْرَةً واسِعَةً.

الْقَضِيَّةُ السَّادِسة: أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجَلَّ ـ جَعَلَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الصالِحِين، دَلَّ عَلَىٰ هٰذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالى: ﴿... وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾: **الصَّلَاحُ**: ضِدُّ **الفساد**، فالْخَالِي مِنْ كُلِّ فَسَادٍ هُوَ عَبْدٌ صالح.

وقَدْ جاءَ فِي القرآن لفظ: «الصالِحِينَ» وصْفاً لِلأَنْبِيَاءِ والمرْسَلِينَ ـ عَلَيْهِمْ السَّلَام ـ، ووصفاً لِلْمُؤْمنين الصَّادِقِين الّذِينَ يَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوفِ وينْهَوْنَ عَن المنْكر، وَيُسَارِعُونَ فِي الخيرات.

وأدْخَلَ اللهُ ـ عزّ وجَلَّ ـ في «الصَّالِحِين» الْأَوَّابِينَ، الَّذِين إذَا فَعَلُوا بَعْضَ المعاصِي والمخالَفَاتِ رَجَعُوا إلَىٰ رَبِّهِمْ بالتَّوْبَةِ والاستِغْفَارِ عَلَىٰ وَجْهِ السُّرْعَةِ، ولَوْ تكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

وذِكْرُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنَّ إبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام هو في الآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْزِلَتَهُ في جَنَّاتِ الْخُلْدِ فِي رَفِيعَاتِ دَرَجَاتِ الْفِرْدَوْس الأعْلَىٰ.

وبهذا أنْتَهِي مِنْ تَدَبُّر الدَّرْس الثاني من دُروس سورة (العنكبوتِ).

والْحَمْدُ للهِ عَلَى معونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(٧)
التدبّر التحليلي للدّرسِ الثالث من دُروس سورة (العنكبوت) الآيات من (٢٨ ـ ٣٥)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ

لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾:

القراءات:

(٢٨ ـ ٢٩) ● قرأ نَافع، وابْنُ كثيرٍ، وابْنُ عَامِرٍ، وحفص، وأبو جعفر، ويَعْقُوب: [**إِنَّكُم لَتَأْتونَ ـ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**].

وقرأها باقي الْقُرّاءِ العشرة: [**أَإِنَّكُمْ لَتَأْتون ـ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**] على الاسْتِفْهَام فِي العبارتين.

(٣١) ● قرأ أَبو عمْرو: [**رُسْلَنَا**] بإسْكَانِ السِّين.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: ﴿رُسُلُنَآ﴾.

وكذلِكَ مَا جاء في الآية (٣٣) وهُما لغتان.

(٣١) ● قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان: [**إِبْرَاهَامَ**].

وقرأها باقي القراء العشرة، وهو الثاني لابن ذكوان: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وهُمَا نُطْقَانِ عِنْدَ العرب.

(٣٢) ● قرأ حمزة، والكِسَائِي، ويَعْقُوبُ، وخَلَف: [**لَنُنْجِيَنَّهُ**]، مِنْ فعل: «أَنْجَىٰ».

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾، من فعل: «نَجَّىٰ».

والقراءتانِ مُتكافِئَتَان، لِأَنَّ المهموز أَخُو المضعَّف.

(٣٣) ● قرأ نافع، وأبو عمْرو، وابْنُ عامِرٍ، وحفص، وأبو جعفر: ﴿مُنَجُّوكَ﴾، مِنْ فِعْلِ: «نَجَّىٰ» المضعَّف.

وقَرأَهَا باقي القراء العشرة: [مُنْجُوكَ]، من فعل: «أَنْجَىٰ» المهموز.

(٣٤) • قرأ ابْنُ عامر: [مُنَزِّلُونَ]، من فعل: «نَزَّلَ» المضعّف.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿مُنزِلُونَ﴾، مِنْ فِعْلِ: «أَنْزَلَ» المهموز.

تمهيد:

في آياتِ هـٰذا الدَّرْسِ ضَرْبُ مَثَلٍ بِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَام، من أَمْثِلَةِ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أذىً، واحْتَسَبُوهُ عِنْدَ اللهِ رَبِّهِمْ، ثُمَّ نَصَرَهُمُ اللهُ، وقَدَّرَ وقضَىٰ لَهُمْ ثواباً جَزِيلاً، عاجِلاً فِي الدُّنْيا، ومُؤَجَّلاً إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

مُقَدِّمَة بِشَأْنِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلام:

سبق في المُلْحَقِ الخامس من ملاحِق تَدبُّر سورة (الأعراف/ ٣٩ نزول) دِراسَةٌ تكامُلِيَّةٌ للنُّصُوصِ القرآنِيَّة بِشَأْنِ لُوطٍ عَلَيْهِ السلام، وقَوْمِهِ. فَلا حَاجَةَ هُنَا إِلَىٰ النظراتِ التكامُلِيَّاتِ.

وأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَىٰ تَدَبُّرِ مَا جَاءَ في هذا النَّصّ من مُفْرَدَاتٍ وجُمَلٍ وعِبَارَات.

التدبّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ «لُوطٍ» عَلَيْهِ السَّلام:

• ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾:

أي: ولَقَدْ أَرسَلْنَا لُوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ، عَطْفاً عَلَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ في الآية (١٤).

«لُوطٌ» عَلَيْهِ السَّلام ابْنُ أخِي «إبراهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلام، آمَنَ بِه وأَسْلَمَ لَهُ، وهَاجَرَ مَعَهُ مِنَ الْعِرَاقِ إلى الأَرْضِ المقَدَّسَةِ فِي بَلَادِ الشَّامِ.

فَضَعْ فِي ذَاكِرَتِكَ أيُّها المتَلَقِّي؛ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، وهُمُ السَّدُومِيُّونَ الَّذِينَ قَلَبَ اللهُ بِلَادَهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ، فَهُمْ وهِيَ رُكامٌ تَحْتَ قَاعِ الْبَحْرِ الميّتِ الْمَعْرُوفِ: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، وفي القراءة الأخرىٰ: [**أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ**] بِأُسْلُوبِ الاسْتِفْهَام الإنْكَارِيّ. وبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ المعْنَىٰ المراد، فَقَدْ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بأمْرِهِمْ، ثُم أنْكَرَ عَلَيْهِمْ. وغُلُوُّهُمْ فِي الْفَاحِشَةِ قَدْ كَانَ بِإسْرَافِهِم الشَّنِيع فِي إتْيَانِ الذُّكُورِ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ صَارَتْ عَادَتُهُمْ إِتْيَانَ الرِّجَالِ كِبَارِ السِّنّ مِنَ النَّاس.

وَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿... مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾: أي: مَا سَبَقَكُم بِكَثْرَةِ مُمَارَسَةِ هٰذِه الْفَاحِشَةِ الكَبِيرَةِ الشَّنيعَةِ مَعَ المجَاهَرَةِ بِوَقَاحَةٍ وجُرْأَةٍ، وَعُدْوانٍ على الأَطْهَارِ؛ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

أَفْهَمُ مِنَ السَّبْقِ هُنَا السَّبْقَ في الممارسَةِ والوقاحَةِ والشَّنَاعَةِ والْمُجَاهَرَةِ، لَا السَّبْقَ الزَّمَنِيَّ، فالبشَرُ هُمُ البشَرُ يُوجَدُ فِيهِمُ الشُّذُوذُ عَنِ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، في مُمَارَسَةِ شَهَواتِ الْفُرُوج.

والسَّبْقُ بمَعْنَىٰ التَّفَوُّقِ هُوَ الشَّائِعُ في الاسْتِعْمَالَاتِ القرآنِيَّة.

«من» في: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيد عموم النَّفْي.

وقال لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْمِهِ في مَوْقِفٍ آخَرَ مِنْ مَوَاقِفِ دَعْوَتِهِ لهم:

- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ...﴾: الاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامٌ إنْكَارِيٌّ تَشْنِيعِيٌّ، فَبَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُمْ فِي الموقِفِ السَّابِقِ: ﴿... إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ وَقَالَ هٰذا لَهُمْ مَرَّةً أُخْرى بأسْلُوب الاسْتِفْهَامِ

الإنْكَارِي، أخذاً مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَىٰ، قَالَ لَهُمْ مُؤَنِّباً مُسْتَنْكِراً مُشَنِّعاً عَلَيْهِم، مُبَيِّناً ثَلَاثَ قَبِيحَاتٍ شَنِيعَاتٍ مِنْ سُلُوكِهِمْ:

الْأُولى: أَنَّهُمْ يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِم.

الثَّانِية: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْطَعُونَ السَّبِيل، إِذْ يَجْعَلُونَهَا مَقْطُوعَةً مِنْ مُرُورِ النَّاسِ بها خَوْفاً من جَرَائِمِهِمْ، فَقَدْ كَانَتْ طُرُقُهُمُ الَّتِي لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَيْهَا غَيْر آمِنَة، فَيَتَحَاشَىٰ النَّاسُ أَنْ يَمُرُّوا بِهَا لِئَلَّا يَتَعَرَّضُوا للمصَائِب مِنْ قِبَلِهِمْ.

ومِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ: الْعُدْوانُ عَلَىٰ المارَّةِ، وسَلْبُهُمْ أَمْوَالَهُمُ الَّتِي تكُونُ بَحَوْزَتِهِمْ مِنْ أَشْيَاء أو أَحْيَاء.

ومِنْ قَطْعِهِمُ الطَّرِيقَ إِكْرَاهُهُمُ المارَّةَ عَلَىٰ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِمُ الْفَاحِشَة.

الثالثة: أَنَّهُمْ يَأْتُونَ فِي نَادِيهِمُ المنْكر، وَهَـٰذا يَشْمَلُ تَوَاطُؤَهُمْ فِي نَوَادِيهِمْ عَلَىٰ فِعْلِ المنْكَرَاتِ، الْمَعْرُوفَةِ فِي أَزْمَانِهِمْ بأَنَّهَا مِنَ المنْكَرَاتِ القَبِيحَاتِ الشَّنِيعَاتِ، عَنْدَ مُخْتَلِفِ الأقْوَامِ والمجتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَة، فَكَانَتْ بِيئَتُهُمْ بِمَثَابَةِ عِصَابَةِ أَشْقِيَاءِ أَشْرَارٍ، لَا يَرْدَعَهُمْ رَادِعٌ عَنْ فِعْلِ مَا تَهْوىٰ نُفُوسهُمْ، ويَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِوَقَاحَةٍ ومُجُونٍ واسْتِخْفافٍ بِكُلِّ الْفَضَائِلِ وأَعْرَافِ النَّاس.

فَلَا حَرَجَ لَدَيْهِمْ أَنْ تَكُونَ نَوَادِيهِمْ بُؤَرَ خُمُورٍ وقِمَارٍ، وفِسْقٍ وفُجُورٍ، وَسِبَابٍ وَشَتَائِمَ، وَعُدْوانٍ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ مِنَ الكِبَارِ والصِّغَارِ، الَّذِين لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وأَنْ تَكُونَ نَوادِيهِمْ بُؤَرَ أَلْعَابٍ عَبَثِيَّةٍ مَاجِنَةٍ تُدَرِّبُ المشَارِكِينَ فِيهَا على اسْتِحْسَانِ الظُّلْم والْعُدْوانِ والسَّلْبِ والنَّهْبِ، وتُدَرِّبُ عَلَىٰ فُنُونِ الْحِيلَةِ لِأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقّ.

وأَنْذَرَ «لُوطٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ لَهُمْ، وإهْلَاكِهِمْ إهْلَاكَ اسْتِئْصَالٍ، إِذَا لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ قَبَائِحِهِمْ وشَنَاعَاتِهِمُ الَّتِي يَفْعَلُونَها وَهُمْ يَسْتَحْسِنُونَها، ولَا يُنْكِرُونَ شَيْئاً مِنْهَا، ولَا يُقِيمُونَ وَزْناً لِدِينٍ وَلَا خُلُقٍ، ولَا لِفَضِيلَةٍ يَرَىٰ النَّاسُ أَنَّهَا مِن الفضائِلِ الواجِبَة.

• ﴿... فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

أي: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِ «لُوطٍ» عَلَيْهِ السَّلام على إِنْذَارَاتِهِ لَهُمْ بِعَذَابِ اللهِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا جَمِيعاً دُونَ مُعَارِضٍ قَائِلِينَ لَهُ: ﴿... ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾، فَتَحَدَّوْه بِهٰذا.

عِنْدئذٍ قال «لُوطٌ» عَلَيْهِ السلام دَاعِياً:

• ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾:

سَأَل «لُوطٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَىٰ الْقَوْمِ المفْسِدِين، وعَمَّم عِبَارَتَهُ مَعَ أَنَّ مُرَادَهُ قَوْمُهُ، وقَدْ وصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ مِنْ صِنْفِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، لَيْسَ فِيهَا صَلَاحٌ يُحْمَدُونَ عَلَيْهِ.

واسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، فَقَضَىٰ أَنْ يُرْسِلَ مَلَائِكَةً لِإِهْلَاكِهِمْ، وَيقْلِبَ بِلَادَهُمْ وَكُلَّ أَرْضِهِمْ، ويَجْعَلَ عَالِيهَا سَافِلَهَا.

وَجَعَلَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ لِهَؤلَاءِ الرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَظِيفَتَيْنِ:

الْأُولى: أَنْ يُبَشِّرُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام بوَلَدٍ ذَكَرٍ مِنْ صُلْبِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارة»، مع إِخْبَارِهِ بِأَنَّهُمْ مُنْصَرِفُونَ مِنْ عِنْده لإِهْلَاكِ قَوْم «لُوطٍ» عَلَيْهِ السَّلامُ فِي «سَدُوم»، باعْتِبَار أَنَّ رِسَالَةَ لُوطِ امْتِدادٌ لِرِسالَةِ إبراهيم عَلَيْهِ السلام، إِذْ هو أحد المؤمنين بِهِ والمسْلِمين له.

الثَّانِية: أَنْ يَذْهَبُوا إِلَىٰ أَرْضِ «سَدُوم» الَّتِي فيها قَوْمُ «لُوط» عَلَيْهِ السَّلَام، لِإِخْرَاجِ «لُوطٍ» ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ وأَهْلِهِ مِنْهَا، باسْتِثْنَاء زَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ هَوَى قَوْمِهِ الْكافِرِينَ المفْسِدِينَ، إِذْ هِيَ مِنْهُمْ، وأَنْ يَقْلِبُوا بِلَادَهُمْ وَيَجْعَلُوا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، ويُهْلِكُوا كُلَّ أَهْلِهَا.

فقال اللهُ تَعالَىٰ:

• ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ . . .﴾: أي: ولـمَّـا جـاءَتْ رُسُلُنا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ لِتُبَشِّرَهُ بولَدٍ هو «إسْحَاق» عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَة».

الْبُشْرَىٰ: اسْمٌ للتَّبْشِيرِ.

• ﴿. . . قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾:

كَانَ لِسَدُوم خَمْسُ قُرَىٰ، وَلَكِنْ تَجْمَعُهُمْ وَحْدَةٌ إدَارِيَّةٌ، فَأَطْلَقَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ قَرْيَةٍ واحِدَةٍ، باعْتِبَارِهَا تَخْضَعُ جَمِيعُهَا لِوَحْدَةٍ إدَارِيَّةٍ.

أي: قَالُوا لإبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ قُرَىٰ سَدُوم قَوْمِ «لُوط» ـ عَلَيْهِ السَّلاَم ـ، والسَّبَبُ فِي إهْلاَكِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا وَمَا زَالُوا ظَالِمِينَ مِنْ دَرَكَةٍ يَسْتَحِقُّونَ مَعَها أَنْ يُهْلَكُوا، لتَخْلِيصِ الأَرْضِ مِنْ وَبَائِهِمْ، بِمُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ والْعَدْل.

• ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾:

أي: قَالَ إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ للرُّسُلِ مِن الملائكَة ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ: إنَّ فِي هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ المأمُورِينَ بإهْلاَكِ أهلها «لُوطاً» ابْنَ أَخِي وهو نبيٌّ ورسُول، فقالَ الرُّسُلُ مِنَ الملائِكَةِ ـ عَلَيْهِ السَّلاَم ـ لإبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السلام: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا مِنْكَ ومِنْ غَيْرِكَ مَنَ النَّاسِ، لَنُنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي نُنْزِلُهَا بِأَهْلِهَا، إلَّا امْرَأَتَهُ الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تُهْلَكَ مَعَ قَوْمِهَا وقَدْ قَدَّرَ اللهُ وقَضَىٰ أَنْ يُهْلِكَهَا مع قَوْمِهَا، لِأَنَّ هَوَاهَا مَعَهُم وهِي مِنْهُمْ.

• ﴿. . . كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾: **الْغَابِرُ**: يَأْتِي بِمَعْنَىٰ الماكِثِ الَّذِي لَا يَتَحَوَّل، ويأتي بِمَعْنَىٰ الذَّاهِبِ الماضِي الَّذِي لَمْ يَبْقَ لَهُ وُجود.

فالمعنى: إلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ بِتَقْدِيرِ اللهِ وقَضَائِهِ وأَوَامِره الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا

تَنْفِيذُها؛ مِنَ الْمَاكِثِينَ في أَرْضِ قَوْمِها مَعَ الَّذِينَ سَتَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمُهْلِكَاتُ، ومِنَ الذَّاهِبِينَ الْمَاضِينَ الَّذِينَ لَا يَبْقَىٰ لَهُمْ وُجُودٌ فِي الْحَيَاة، فَهِيَ هَالِكَةٌ مَعَ الْهَالِكِينَ مِنْ قَوْمِهَا.

وانْصَرَفَ الرُّسُلُ مِنَ الملائِكَةِ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ بَعْدَ أَنِ انْتَهَوْا مِنْ تَأْدِيَةِ وَظِيفَتِهِمْ عِنْدَ إبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، مُتَّجِهِينَ إِلَىٰ «لُوطٍ» عَلَيْهِ السَّلام فِي أَرْضِ قَوْمه أَهْلِ سَدُوم، وهُنَا يأتي قَوْلُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ في هذا الدَّرْس:

• ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾:

• ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: أي: سَاءَهُ مجيئُهُمْ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ جَاؤُوهُ عَلَىٰ صُوَرِ شُبَّانٍ مُرْدٍ حِسَان. يقالُ لغة: «سَاءَهُ الْأَمْرُ يَسُوؤُه» أي: أَنْزَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ، وَأَحْدَثَ لَدَيْهِ مَسَاءَةً.

• ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: أي: اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْر، وثَقُلَ بِسَبَبِ مَقْدَمِهِمْ إِلَيْهِ، وهُو كِنَايَةٌ أَصْلُهَا أَنَّ الْبَعِيرَ إِذَا ثَقُلَ عَلَيْهِ الحِمْلُ ضَاقَ ذَرْعُهُ في خَطْوِهِ. فهو ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ زَائِرِيهِ الشُّبَّانَ رُسُلٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ، وكَانَ قَوْمُهُ قَدْ نَهَوْهُ عَنْ أَنْ يَلْتَقِي أحداً من العالمين.

• ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: أي: وَكَشَفَ زَائِرُوهُ لَهُ أَنَّهُمْ رَسُلُ اللهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُكَلَّفُونَ أَنْ يُهْلِكُوا قَوْمَهُ أَهْلَ سَدُوم.

وقالَوا لَهُ: لَا تَخَفْ عَلَىٰ نَفْسِكَ مِنْ أَنْ يَنَالَكَ أذىً، وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ أَمْوَالِكَ فِي سَدُوم مِنْ أَشْيَاءَ وَأَحْيَاءٍ، فإِنَّ اللهَ سَيُعَوِّضُكَ عَنْهَا خَارِجَ هَـٰذِهِ الْأَرْض.

وقالوا له مؤكِّدِينَ:

• ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾:

سَبَقَ تَدَبُّرُ نَظِيرِها آنِفاً.

وَقَالُوا لَهُ أيضاً:

- ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾:
- ﴿مُنزِلُونَ﴾: اسْمُ الْفَاعِلِ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي الاسْتِقْبَالِ، أي: سَنُنْزِلُ.
- ﴿رِجْزًا﴾: الرِّجْزُ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ عَذَاب، وفي الغالِبِ يَنْتَهِي التَّعْذِيبُ بالإِهْلَاكِ.

أي: إنَّا بِأَمْرِ الله ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطانُهُ ـ سَنُنْزِلُ طاعَةً لَهُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ؛ عَلَىٰ أَهْلِ هـٰذِهِ الْقَرْيَةِ قَوْم «لُوطٍ» ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ أَسْبَابَ تَعْذِيبٍ مُهْلِكَةً لَهُمْ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَفْسُقُون، مُكَرِّرِين دَواماً أعْمالَهُمُ الْفِسْقِيَّة، ومُصِرّين عليها.

الفِسْق: العصيان، والخروجُ عَنِ الحقِّ والواجِبِ وأوامِرِ اللهِ ونواهيه. وهو مُصْطَلَحٌ إسْلَامِيٌّ مَأخُوذٌ مِنْ قَوْلِ العرب: «فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ» أي: خَرَجَتْ مِنْ قِشْرَتها، ومَعْلُومٌ أَنَّ الرُّطَبَةَ مَتَىٰ خَرَجَتْ مِنْ قِشْرَتِها تَعَرَّضَتْ لِلْفَسَادِ السَّرِيع، وقَدْ أُطْلِقَ عَلَىٰ المؤذِيَاتِ المفْسِدَاتِ مِن الحيوانَاتِ: «فَوَاسِق»، كالْفَأْر.

وأُسْدِلَ عَلَىٰ هـٰذا الْمَقْطَعِ الْمُخْتَارِ مِنْ قِصَّةِ «لُوطٍ» عَلَيْهِ السَّلَام لِهـٰذِهِ السُّورَة، قَوْلُ اللهِ تَعالَىٰ:

- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾: يُؤَكِّدُ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ بِعِبَارَةِ [لَقَدْ] أَنَّهُ تَرَكَ مِنْ قُرَىٰ قَوْمِ «لُوطٍ» ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ المدَمَّرةِ عَلَامَةً بَيِّنَة ظَاهِرَةً يَنْتَفِعُ بِهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَقْلاً عِلْمِيّاً ذَا دَلَالَةٍ عَلى حِكْمَةِ اللهِ وعَدْلِهِ فِي عِبَادِهِ، ويَعْقِلُونَ عَقْلاً إرَادِيّاً يَمْنَعُهُمْ عَنِ الكُفْرِ باللهِ وبِرُسُلِهِ ـ عَلَيْهِم السَّلَام ـ، وعَنِ ارْتِكَابِ الجرائِمِ والمعَاصِي الَّتِي تُسْخِطُهُ.

وهٰذِهِ الْعَلَامَةُ هِي الْبَحْرُ الْمَيِّتُ الْمَعْرُوف.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّر الدَّرْسِ الثالث من دُروس سورة (الْعَنْكَبُوت).

والحمْدُ للهِ عَلَى معونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٨)
التدبُّر التحليليّ للدَّرس الرابع من دُروس سورة (العنكبوت) الآيتان (٣٦ و٣٧)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾:

تَمْهيد:

فِي آيَتَي هذا الدَّرْس ضَرْبُ مَثَلٍ مِنَ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ من أذىً، واحْتَسَبُوهُ عِنْدَ اللهِ رَبِّهِمْ، ثُمَّ نَصَرَهُمُ اللهُ، وَقَدَّرَ وَقَضَىٰ لَهُمْ ثَوَاباً جَزيلاً عَاجِلاً في الدُّنْيا، ومؤجّلاً إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين. والمثَلُ في هَـٰذا الدَّرْس هُوَ شَعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام الَّذِي كَانَ نَبِيّاً وَرَسُولاً إلى أَهْلِ مَدْيَنَ.

مُقَدِّمَة بِشَأْنِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السّلام:

سبَقَ في المَلْحَق السَّادِسِ مِنْ مَلَاحِقِ تَدَبُّرِ سُورَة (الأعراف/ ٣٩ نزول) دِرَاسَةٌ تَدَبُّرِيَّةٌ تَكَامُلِيَّةٌ؛ للنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّة بِشَأْنِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ تَعْرِيفٍ بِقَوْمِهِ وَقَبَائِحِهِمْ وَجَرَائمهم.

فَلا حَاجَةَ هُنَا إِلى إِعَادَةِ النَّظَرَاتِ التَّكَامُلِيَّاتِ، وأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَىٰ مَا جَاءَ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ (الْعَنْكَبُوت) مِنْ مَفْرَداتٍ وَجُمَلٍ وَعِبَارَات.

التدبُّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

● ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾:

أي: ولَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أَهْلِ مَدْينَ أَخَاهُمْ لُغَةً، ونَسَباً، وإِقَامَةً، النبيَّ الرَّسُولَ «شُعَيْباً» عَلَيْه السلام، وهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَدْيَنَ بْنِ إبراهيم عليه السلام. فقال لِقَوْمِه أَهْلِ مَدْيَنَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهِ وحْدَهُ، ولَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.

● ﴿... وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ...﴾: **الرَّجاء**: ظَهَرَ لِي من الاسْتِعْمَالَاتِ القرآنيَّةِ أنّ أَصْلَ مَعْنَىٰ الرَّجاء مُطْلَقُ التَّوَقُّعِ لِلْمَرْغُوب فِيه، أو لِلْمَخُوفِ مِنْهُ.

ومَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ يَتَوَقَّعُ الْيَومَ الآخِرَ وَمَا يَجْرِي فِيهِ من أَحْدَاثِ حِسَابٍ، وفَصْلِ قَضَاءٍ، وجَزَاءٍ؛ يَطْمَعُ بَأَنْ يَنَالَ الثوابَ الْجَزِيلَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم، وَيَخَافُ مِنْ أَنْ يَذُوقَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ في دَار الْعَذَابِ النَّار.

● ﴿... وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾:

الْعُثُوُّ: أشَدُّ الْفَسَاد. يُقَالُ لُغَةً: «عَثِيَ، يَعْثَىٰ، عُثُوّاً، وعَثِيّاً، وَعَثَيَاناً» أي: أَفْسَدَ أَشَدَّ الْفَسَاد.

وقَدْ كَانَ أَهْلُ مَدْيَنَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إفْسَاداً وظُلْماً وعُدْواناً.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ «شُعَيْبٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ: ولَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ إفْسَاداً شَدِيداً مُنْكَراً، فَنَهَاهُمْ عَمَّا كَانُوا يُمَارِسُونَهُ دواماً مِنْ إِفْسَادٍ شَدِيدٍ.

﴿مُفْسِدِينَ﴾: حَالٌ مُؤَكِّدة لِشدَّةِ إِفْسَادِهِمْ في الْأَرْضِ الَّتِي لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَيْهَا.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

● ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾:

● ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: فَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَهْلُ مَدْيَنَ فِي أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ ورسُولُهُ إِلَيْهِمْ، وكَذَّبُوهُ فِي بَلَاغَاتِهِ الدِّينِيَّةِ، وفي إِنْذَارَاتِهِ بِعَذَاب اللهِ لَهُمْ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا ولم يُسْلِمُوا ولَمْ يُطِيعُوا اللهَ في أَوامِره ونَوَاهِيهِ، وإذا لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ إِفْسَادِهِمُ الشَّدِيدِ في الْأَرْض.

● ﴿... فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ...﴾: أي: فَقَبَضَتْ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ جوانِبِ أَفْرَادِهِمْ وجَمَاعَاتِهِمُ الزَّلْزَلَةُ، إِذْ زَلْزَلَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِمْ قُبَيْلَ الْفَجْرِ، فَتَرَاكَمَتْ عَلَيْهِمْ أَنْقَاضٌ وحجارَةٌ وأَتْرِبَة.

● ﴿... فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾:

جَاثِمِين: أي: لَاصِقِين بالْأَرْضِ عَلَىٰ رُكَبِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ، مُلَازِمِينَ أَمْكِنَتَهُمْ هَلْكَىٰ.

أي: فَحِينَ دَخَلُوا في الصَّبَاحِ؛ كَانُوا هَلْكَىٰ فِي مَسَاكِنِهِمْ وجَمِيعِ أَرْضِهِمُ الَّتِي هِي دَارُهم، لَاصِقِينَ بالأرْضِ عَلَىٰ رُكَبِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ، مُلَازِمِينَ أمْكِنَتِهُمْ مَيِّتِين.

وبهذا أَنْتَهِي من تَدَبُّر الدَّرْسِ الرابع من دُروس سورة (العنكبوتِ).

والحمْدُ للهِ عَلَى معونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❊ ❊ ❊

(٩)

التدبّر التحليلي للدّرس الخامس من دُروس سورة (العنكبوت) الآية (٣٨)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾:

القراءات:

(٣٨) • قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: **[وَثَمُودَ]**، ووقَفُوا بالَّدالِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: **[وَثَمُوداً]** بالتنوين، ووقَفُوا بالألِفِ المبْدَلَةِ مِنَ التَّنْوين.

تمهيد:

في آية هذا الدَّرْسِ ضَرْبُ مَثَلَيْنِ من أمْثِلَةِ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ فِي سبيل الله مِنْ أذىً، واْحتَسَبُوهُ عِنْدَ اللهِ رَبِّهِمْ، ثُمَّ نَصَرَهُمُ اللهُ، وَقَدَّرَ اللهُ وقَضَىٰ لَهُمْ ثَواباً جَزِيلاً عاجلاً في الدُّنْيا، ومُؤَجّلاً إلَىٰ يَوْمِ الدين.

والمثلانِ هُنَا هُمَا:

(١) مَثَل هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَعَهُ مَنْ آمَن بِهِ، ومَا لَقُوا مِنْ أذى كُفَّارِ قَوْمِه.

(٢) مَثَلُ صَالحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَعَهُ مَنْ آمَنَ بِه، وما لَقُوا من أَذىٰ كُفَّارِ قَوْمِه.

مُقدِّمَة بشأن هود عليه السلام وقومه «عاد»:

سبَقَ في الْملحَق الثّاني مِنْ مُلْحَقَي تَدَبُّر سورة (هود/ ٥٢ نزول) دِراسَةٌ تَدَبُّرِيَّة تكامُلِيَّة للنُّصُوص القرآنية بشأْنِ «هود» عَلَيْهِ السلام وقَوْمِهِ «عاد»، فَلَا حَاجَة هُنَا إلى إعَادَةِ النظراتِ التَّكَامُلِيَّاتِ.

مقدمة بشأن صَالحٍ عَلَيْهِ السَّلَام وقومه «ثمود»:

سبق في المِلْحَقِ الثالث من مَلَاحِقِ تَدَبُّر سُورَةِ (النّمل/٤٨ نزول) دراسَةٌ تَدَبُّرِيَّةٌ تكامُلِيَّةٌ للنُّصُوصِ القرْآنِيَّة بِشَأْنِ «صالح» عَلَيْهِ السَّلَام وَقَوْمِهِ «ثمود»، فَلَا حَاجَةَ هُنَا إلى إعَادَةِ النظراتِ التكامُلِيَّاتِ.

التدّبّر التحليلي:

أي: وضَعُوا في ذَاكِرَاتِكُمْ أَيُّهَا المكذِّبُونَ رَسُولَ ربِّكُمْ محمداً ﷺ، «عَاداً» الَّذِينَ كَذَّبُوا رسُولَ رَبِّهِم «هوداً» ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، ونَصَرَ رَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا بِهِ واتَّبَعُوهُ. وَ«ثَمُودَ» الَّذِينَ كذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ «صَالحاً» ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ ونَصرَ رَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا بِهِ واتَّبعُوه.

وقَدْ تبَيَّنَ لَكُمْ بِوُضُوحٍ في أَرْضِ عَادٍ وثَمُودَ، مِنْ مَسَاكِنِهِمْ؛ آثَارٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ دَمَّرَهَا عَلَيْهِمْ، وأَهْلَكَهُمْ إهْلَاكاً مُقْتَرِناً بِتَعْذِيبٍ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وأَصَرُّوا عَلى كُفْرِهِمْ بَعْدَ مُعَالجَةٍ طَوِيلَةٍ لهم، مُتَأَثِّرِينَ بِمَا زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، إذْ زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمُ الإجْرَامِيَّةَ والشِّرْكِيَّةَ المتنَوِّعَةَ، الَّتِي يَقُودُهُمْ إِلَيْهَا مِنْ أَعِنَّةِ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَمَطَالِبِ نُفُوسِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَجَعَلَهُمْ يُعْرِضُونَ ويَنْصَرِفُونَ عَنِ السَّبِيلِ الْحَقِّ، وهُوَ صِرَاطُ اللهِ المسْتَقِيم، وكَانُوا بِهَـٰذَا مُسْتَبْصِرِينَ، يَعْرِفُونَ سَبِيلَ الْحَقِّ ويَجْحَدُونَهُ، ويَعْرِفُونَ سُبُلَ الْبَاطِلِ والشَّرِّ، ويَتَّبِعُونَهَا فِي مَسِيراتِ حَيَواتِهِمْ.

• ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: أي: ذوي بَصِيرةٍ عَالِمَةٍ بِمَا هُوَ خَيْرٌ وَمَا هُوَ شَرٌّ، وَمَا هُوَ حَقٌّ ومَا هو بَاطِل، ولَمْ يَكُونوا جَاهِلِينَ بِمَا دَعَاهُم إِلَيْهِ رُسُلُ رَبِّهِمْ ـ عَلَيْهِم السَّلَام ـ.

وبهذا أَنْتَهِي مِنْ تدبُّر الدَّرْس الْخَامِسِ من دُرُوسِ سُورة (العنْكبوت).

والحمْدُ للهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❋ ❋ ❋

(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (العنكبوت)
الآيتان (٣٩ و٤٠)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾:

تمهيد:

في آيَتَي هذا الدَّرْسِ ضَرْبُ مَثَلٍ من الَّذِينَ صَبَرُوا في التَّارِيخ علَىٰ مَا نَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أذىً، واحْتَسَبُوهُ عِنْدَ اللهِ رَبِّهِمْ ثُمَّ نَصَرَهُمُ اللهُ:

والمثَلُ في هذا الدَّرْسِ هو مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام، ومَا أَصَابَهُ مِنْ أذىً عَلَىٰ أَيْدِي طُغَاة جَبَابِرَةٍ، هُمْ:

(١) قارون، وهو إسْرَائيليٌّ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السلام، جَعَلَ نَفْسَهُ خادِماً لْلقصْرِ الْفِرْعَوْنِيّ في اضْطِهادِ بَنِي إسْرَائِيل والْبَغْي عَلَيْهِمْ.

(٢) فرعون، حَاكِمُ مِصْرَ الأولُ الجبَّارُ المكابِرُ الْعَنِيد.

(٣) هامَان، الوزيرُ الأوَّل لِفِرْعَوْن في عَهْدِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام.

وقد سبَق فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ عِدَّةُ بيانات عَنْ هؤلاء الثَّلاثَةِ، فَلَا حَاجَةَ إلى الإعادَة هنا.

التدبّر التَّحْلِيلِيّ:

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأن مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام ومُعَانَاتِهِ في مسيرتِهِ الدَّعَوِيَّة لِتَأْدِيَةِ رِسَالَةِ رَبِّهِ فِي مصر:

• ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾:

أي: وضَعُوا في ذَاكِرَاتِكُمْ أَيُّها المشْرِكونَ المكَذِّبُونَ رسُولَ رَبِّكُمْ مُحمَّداً ﷺ هـؤُلاءِ الْبُغاةَ الْجَبابِرَةَ الثَّلاثَةَ:

أوَّلاً: «قَارُونُ» الَّذِي كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ خَادِماً مُعِيناً لِلْقَصْرِ الْفِرْعَوْني عَلَىٰ مُوسَىٰ وهَارُون ـ عَلَيْهِما السَّلَام ـ وبني إسْرَائِيل، مُقَابِلَ تَمْكِينِهِ مِنْ تَحْصِيل ثَرْوةٍ عَظِيمَةٍ، حَتَّىٰ صَارَتْ مَفَاتِيحُ كُنُوزِهِ يَثْقُلُ حَمْلُهَا عَلَىٰ الْعُصْبَةِ مِنْ رِجَالٍ أُولِي قُوَّة، فَبَغَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْتِزَازاً بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ أَمْوَالٍ وَمَكَانَةٍ عِنْدَ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ ومَلَئِهِ.

ثانياً: «فِرْعَونُ» الَّذِي كَانَ طَاغِيَةً جَبَّاراً عَنِيداً، مُسْتَعْبِداً بَنِي إِسْرَائِيل.

ثالثاً: «هَامَان» الَّذِي كانَ الْوَزِيرَ الأوَّلَ فِي الْقَصْرِ الْفِرْعَوْنِي فِي عَهْدِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ، وَكَانَ المنفِّذَ لِرَغَبَاتِ فِرْعَوْنَ مَهْمَا كَان فيها ظُلْمٌ، وعُدْوانٌ، وإِفْسَادٌ فِي الأَرْضِ، واسْتِعْبادٌ للضّعفاء.

• ﴿... وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ...﴾: أي: ونُقْسِمُ أَنَّ مُوسَىٰ قَدْ جَاءَهُمْ بالآياتِ الْبَيِّنَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، والإعْجَازِيَّةِ مِنْ خَوارِقِ العادات، وهي الآيَاتُ التِّسْع، ومِنْهَا آيَتَا الْعَصَا والْيَد.

• ﴿... فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾: أي: فَبالَغُوا في كِبْرِهِمْ عَنِ اتِّباعِ الحقّ، والاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ مُوسَىٰ الْبُرْهَانِيَّة، وتَمَادَوْا فِي اضْطِهادِهِمْ مُعْتَزِّين بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ قُوىً قِتَالِيَّةٍ مُتفَوِّقَةٍ، وجُنُودٍ مُدَجَّجِينَ بالأَسْلِحَةِ، فِي عُمُومِ أَرْضِ مِصْرَ التي لهم سُلْطانٌ عَلَيْهَا.

• ﴿... وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾: أي: وَمَا كَانَتْ قُوَاهُمْ مُتَفَوِّقة فِي الْوَاقِع، حِينَ قَضَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلِكَهُمْ.

مِنْ مَعانِي السَّبْقِ في الْقُرْآنِ، أَنْ يَأْتِي بِمَعْنَىٰ الْقُوَّةِ المتفَوِّقَةِ، ويُحْمَلُ لفظ: ﴿سَٰبِقِينَ﴾ هُنا عَلَىٰ هذا.

■ قولُ اللهِ تَعالَىٰ:

● ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾:

أي: فَكُلُّ فَرِيقٍ مِنَ المهْلَكِينَ السَّابِقِينَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ قَبْضَ إِهْلَاكٍ، بِسَبَبِ ذَنْبِهِ الشَّنِيعِ الَّذِي اقْتَرَفَهُ كُفْراً بالْحَقّ، وَجرائِمَ كُبْرَىٰ.

● ﴿... فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ...﴾: أي: فَمِنْهُمْ مَنْ عَذَّبْنَاهُ وأَهْلَكْنَاهُ بالحاصِب، كَقَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السلام في أَرْضِ سَدُوم.

الحاصِب: الرِّيحُ الَّتِي تَحْمِلُ الترابَ والحصْبَاءَ فَتَضْرِبُ الأَشْيَاءَ والأَحْيَاءَ بها.

● ﴿... وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ..﴾: أي: ومِنْهُمْ مَنْ عَذَّبْنَاهُ وأَهْلَكْنَاهُ بالصَّيْحَة، إِذْ قَبَضَتْ عَلَيْهِ قَبْضَ تَعْذِيب وإِهْلَاك.

الصَّيْحَةُ: صَوْتٌ عَظِيمٌ مُهْلِكٌ. وقَدْ أَهْلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ أقواماً كثيرين بالصَّيْحَة، مِنْهُمْ «ثَمودُ» قومُ النبيِّ الرسُولِ صالحٍ عليه السلام. ومِنْهُمْ كُفَّارُ أَهْلِ مَدْيَنَ قَوْمِ النَّبيِّ الرَّسُول شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السّلام. ومِنْهُمْ أَصْحَاب الْقَرْيَةِ الَّتي جاءَهَا المرسَلُون الثَّلاثَة ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ.

● ﴿... وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ...﴾: أي: ومِنْهُمْ مَنْ عَذَّبْنَاهُ وأَهْلَكْنَاهُ بالْخَسْفِ، فَغَاصَ في الأَرْضِ هُوَ ودَارُهُ ومَالُهُ، وَمِنْهُمْ قَارُون.

• ﴿... وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ...﴾: أي: ومِنْهُمْ مَنْ عَذَّبْنَاهُ وأهْلَكْنَاهُ بالإغْرَاقِ. ومِنْ هٰذا الْفَرِيق كُفَّارُ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَفِرْعَونُ ومَلَؤُهُ وَجُنُودُهم، على إِثْرِ إنْجَاءِ مُوسَىٰ وهارون عليهما السَّلاَمُ ومَعَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيل.

• ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾:

أي: وَمَا كَانَ ولَا يَكُونُ ولَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِ اللهِ وَلَا مِنْ صِفَاتِهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحداً، لِأَنَّهُ ذُو الْعَدْلِ والْفَضْلِ، فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَظْلِمَ هَؤلَاء الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ فِي تَارِيخ النَّاس، بَلْ عَذَّبَهُمْ وأَهْلَكَهُمْ بَعَدْلِهِ مَعَ عَفْوِهِ عَنْ كَثِيرٍ، وهَكَذَا يَفْعَلُ فِي أَمْثَالِهِمْ ضِمْنَ مَجَارِي سُنَنِهِ الثَّابِتَة.

ولَكِنْ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، ولَا يَظْلِمُونَ فِي اخْتِبَارَاتِهِمْ عَبْرَ رِحْلَةِ امْتِحانِهِمْ غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ، فاللهُ ـ جَلَّ جَلاَلُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ لَا يَضُرُّهُ كُفْرُ الكافِرِينَ، وَلَا ظُلْمُ الظَّالِمينَ، ولَا إجْرَامُ الْمُجْرِمِينَ شَيْئاً، كما لَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُ المؤمِنِينَ، ولَا إحْسَانُ الْمُحْسِنينَ، ولا تَعَبُّدُ العابدينَ المخْلِصِينَ، وَلَا قُنُوتُ الْقَانِتِينَ لَهُ شيئاً، إِنَّهُ الْغَنِيُّ بِذاتِهِ وَبِصفَاتِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِذْ هُوَ الأزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ، الواحدُ الأحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفواً أَحَدٌ.

وبهذا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّر الدَّرْس السَّادِس مِنْ دُرُوس سورة (العنكبوتِ).

والحمْدُ للهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❊ ❊ ❊

(١١)

التدبُّر التحليلي للدَّرسِ السّابِعِ مِن دُرُوس سورة (العَنكَبوت) الآيَات من (٤١ ـ ٤٤)

قال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

القراءات:

(٤١) • قرأ ورش، وأبُو عَمْرو، وحفْص، وأبُو جَعْفَر، ويعقوب: ﴿ٱلْبُيُوتِ﴾، بِضَمِّ الباء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [**الْبِيُوتِ**]، بِكَسْرِ الباء. وهُمَا لُغَتَانِ عَرَبِيتَان.

(٤٢) • قرأ أبو عَمْرو، وعَاصِمٌ، ويَعْقُوب: ﴿يَدْعُونَ﴾، بياء الغائبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [**تَدْعُونَ**]، بتاء المخاطبين.

وبَيْنَ القراءتَيْنِ تكَامُلٌ في الأَدَاءِ البَيَانِيّ.

(٤٢) • قرأ قالون، وأبُو عَمْرو، والكِسَائِيُّ، وَأَبُو جَعْفر: [**وَهْوَ**] بإِسْكَانِ الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: ﴿وَهُوَ﴾، بضَمّ الهاء.

وهُما لغتان عَرَبيتان. ووقَفَ يَعْقُوبُ بِهَاءِ السّكت.

تمهيد:

في آيات هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ بُطْلَانِ الشِّرْكِ الذي كَانَ عَلَيْهِ الْمُعَالَجُونَ في مَكَّة، إبَّانَ نُزُولِ هـٰذه السُّورَة.

التدبُّر التحليلي:

■ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ:

• ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾:

العنكبوت: يَرَىٰ عُلَمَاءُ الأحْيَاءِ أنَّ الْعَنَاكِبَ حَيوانَاتٌ تَختَلِفُ عَنِ الحَشَرَاتِ الّتِي مِنْهَا النَّحْلُ والنَّمْلُ والْخَنَافِسُ، فالْعَنَاكِبُ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَرْجُلٍ، أمَّا الْحَشَراتُ فَلَهَا سِتَّةُ أَرْجل. قَالُوا: وَيُوجَدُ مَا يَقْرُبُ من (٣٠) ألْفَ نَوْعٍ فِي عُمُومِ الْأَرْض، وقَدْ تَصِلُ أنواعُ العناكب إلى (١٠٠) ألفِ نَوْع. وقالوا: لَيْسَ للعناكِب عِظَام، ولَكِنْ زَوَّدَها اللهُ تَبارك وتَعَالَىٰ بِجِلْدٍ صُلْبٍ، وهُوَ بِمَثَابَةِ هَيْكَلٍ خَارِجِيٍّ وَاقٍ، ويُغَطِّي أَجْسَامَ الْعَنَاكِبِ الشَّعْرُ والْهُدْبُ والأشْوَاكُ. ويُوجَدُ فِي العناكِب سَبْعَةُ أنواعٍ مِنْ غُدَدِ الْحَرِيرِ، وفي الْعَادَةِ لَا يَحْتَوِي نَوْعٌ واحِدٌ مِنَ العناكِب كُلَّ أنْواعِ غُدَدِ الْحَرير، لَكِنْ يوجَدُ في كُلِّ نوع من العناكب ما لَا يَقِلُّ عَن ثَلَاثَةِ أنواعٍ من الْغُدَدِ الَّتِي تُفرِزُ خُيُوطَ الْحَرير، ولمُعْظَمِ الْعَنَاكِب مِنْهَا خَمْسَةُ أنواعٍ، وكُلُّ نَوْعٍ مِنْ هـٰذِهِ الْغُدَدِ يُنْتِجُ مِنْ الْحَرِيرِ نَوْعاً مُخْتَلِفاً عَمَّا تُنْتِجُهُ سَائِرُ أنواعِ الْغُدَد.

قالوا: وَلَا يَذُوبُ حَرِيرُ العنكبُوتِ بِالْمَاءِ، وخَيُوطُهُ هِيَ مِنْ أَقْوَىٰ أَلْيَافِ الطَّبِيعَةِ، أقُولُ: فَضَعْفُهَا يَأْتِي مِنْ شِدَّةِ رِقَّتِهَا، ودِقَّةِ حَجْمِ نِقَاطِ التواصُلِ بَيْنَ أَجْزَائِها.

وفِي هَـٰذِهِ الْآيَةِ ضَرَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ مَثَلاً لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، لِيَكُونُوا أَوْلِيَاءَ لَهُمْ يَحْمُونَهُمْ، ويَنْصُرُونَهُم بِقُوًى غَيْبِيَّةٍ يَتَوَهَّمُونَهَا لَهُمْ؛ بِأَنَّ قُوىٰ أَوْلِيَائِهِمْ تُشْبِهُ بَيْتَ العنْكَبُوتِ، الَّذي تُلْغِي وُجُودَهُ قَشَّةٌ ضَئِيلَةُ الْحَجْمِ ضَعِيفَةُ الْقُوَّة، فَهُمْ وَاهِمُونَ فِي اعْتِمَادِهِمْ عَلَىٰ حِمَايَةِ أَوْلِيَائِهِمْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، والْقُوَىٰ الَّتِي يَنْسُبُونَها إلى أَولِيَائِهِمْ هِيَ مِنْ صِنْفِ خُيُوطِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تُفْرِزُهَا غُدَدٌ فيها، فَتَبْنِي مِنْهَا بَيْتَهَا، وَبِهَـٰذِهِ الْخُيُوطِ الَّتِي تَكَادُ أَنْ لَا تُرَىٰ مِنْ شِدَّةِ دِقَّتِهَا، تَصْطَادُ فَرائِسَها مِنَ الْحَشَرات كالذُّبَاب والْبَعُوض.

وأبانَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَنَّ أَضْعَفَ وأَوْهَنَ الْبُيُوتِ الَّتِي تَتَّخِذُها الكائِنَات الحيَّةُ هُوَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، فالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ واهِمُونَ، ونَسِيجُهُمُ الْوَهمِيُّ يُشْبِهُ نَسِيجَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، إِنْ كانَتْ أَوْهَامُهُمْ ذَاتَ أَسَاسٍ يُمْكِنُ أَنْ تَنْخَدِعَ بِهِ الأَفْكَارُ السَّلِيمَة.

هذا ما ظَهَرَ لي في فَهْم هـٰذا المثَلِ بِصُورَةٍ كُلِّيَّةٍ مُجْمَلَة، دُون مُحَاوَلَةِ تَطْبِيقِ عَنَاصِرَ جُزْئِيَّةٍ مِن الممثَّلِ بِهِ عَلَىٰ عَنَاصِرَ جُزْئِيَّةٍ مِنَ الممثَّل لَهُ.

• ﴿... لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾: أي: لَوْ كَانُوا حَرِيصِينَ عَلَىٰ أَنْ يَعْلَمُوا الْحَقِيقَةَ؛ لَعَلِمُوا أَنَّ اعْتِمَادَهُمْ عَلى قُوَىٰ أَوْلِيائِهِمْ لِحِمَايَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ وَنَفْعِهِمْ أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُمْ؛ يُسَاوِي اعْتِمَادَهُمْ عَلَىٰ قُوَّةٍ تُسَاوِي قُوَّةَ بَيْتِ العنكبوت، الَّذي تُلْغِي وُجُودَهُ قُوَّةٌ فِي قَشَّةٍ ضَئِيلَةِ الحجْم ضَعِيفَةِ الْقُوَّة، ولَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا هَـٰذِهِ الحقيقَةَ لنَبَذُوا عَقَائِدَهُمُ الشِّرْكِيَّةَ نَبْذَ الْقُشُورِ إِلىٰ رُكَامِ الْقُمَامَاتِ.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾:

يَدْعُون: أي: يَعْبُدُونَ، ومِنْ عِبَادَتِهِمْ لِشُرَكَائِهِمْ أَنَّهُم يَدْعُونَهُمْ سَائِلين، لِيُحَقِّقُوا لَهُمْ مَطَالِبَهُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ في جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ.

أي: إِنَّ اللهَ الْمُحِيط بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً؛ يَعْلَمُ أَنَّ المشْرِكينَ مَا يَعْبُدُونَ وَلَا يَسْأَلُونَ لمطالِبِهِمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ شَيْئاً مَا، تُوَهِّلُهُ صِفَاتُهُ لِجَلْبِ نَفْعٍ لَهُمْ، أَوْ دفعِ ضُرٍّ عَنْهُمْ، إِنَّما يَدْعُونَ أَوْهَاماً اصْطَنَعُوهَا افْتِرَاءً عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وجَعَلُوهَا شُرَكَاءَ للهِ رَبِّهِمْ وَرَبِّ الْعَالَمِين.

• ﴿... وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤٢﴾: **الْعَزِيزُ**: أي: ذُو الْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ الّتِي يُعْدِمُ بِهَا كُلَّ قُوَّةٍ إِذَ شَاءَ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ «كُنْ».

الْحَكِيم: أي: ذُو الْحِكْمَة الْبَالِغَةِ الغايَة، وهو الّذِي يَضَعُ الأشْيَاءَ فِي مَوَاضِعَها عَلَىٰ أحْسَنِ وَجْهٍ وأكْمَلِهِ، وهو الَّذِي يَخْتَارُ أفْضَلَ المخْتَارَاتِ وأتْقَنَها وأَحْسَنَهَا فِي الْأُمُورِ المختَلِفَةِ، لِمَا يُعْطِي أَحْسَن النَّتَائِجِ وَيُحَقِّقُ أفْضَلَ الْعَمَل.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ بِضَمِيرِ المَتكلِّمِ العظيم:

• ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾:

أي: وَتِلْكَ الأمْثَالُ السَّامِيَةُ فِي أُسْلُوبِهَا وَدَلَالَاتِهَا وما تُقَدِّمُهُ لِلْأَذْهَانِ السَّلِيمَةِ، والْقُلُوبِ الْوَاعِيَةِ، مِنْ هِدَايَةٍ عُظْمَىٰ؛ نَتَّخِذُهَا وَسِيلَةَ بَيَانٍ لِلنَّاسِ مِنْ أَجْلِ إِقْنَاعِهِمْ وَهِدَايَتِهِمْ لِلْحَقِّ، وإِقْنَاعِ أذواقِهِمُ الْأَدَبِيَّةِ بِمَا تَحْتَوِيهِ مِنْ جَمَالٍ أَدَبِيٍّ.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾: أي: وَمَا يَفْهَمُ دَلَالَاتِهَا إِلَّا ذَوُو الْفِكْرِ الدَّرَّاكِ لِدَقَائِقِ الْمعَارِفِ، وَمَا يُمْسِكُ بِهَا ثُمَّ يَرْبِطُهَا في مَرَابِطِهَا مِنْ أَجْهِزَةِ المعْرِفَةِ الرَّاسِخَة:

• ﴿... إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾: أي: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْحَرِيصُونَ عَلَىٰ الوصُولِ إِلَىٰ حقَائِقِ الْعِلْمِ، والاحْتِفَاظِ بِهَا في مَرَاكِزِ المعْرِفَةِ الثَّابِتَةِ لَدَيْهِمْ، والانْتِفَاعِ بِهَا فِي عَقَائِدِهِمْ وأنواعِ سُلُوكِهِمْ.

■ قولُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

أي: خَلَقَ اللهُ السَّمَاواتِ والْأَرْضَ مُتَّصِفاً خَلْقُهُ لَهُمَا بالْحَقِّ، فَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُمَا مَهْمَا كَانَ صَغِيراً هُوَ حَقٌّ ثَابتٌ لَا وَهْمَ يَكْتَنِفُهُ، ولَا بَاطِلَ يَدْخُلُ فِيهِ، وفي كُلِّ شيءٍ خَلَقَ اللهُ فِي كَوْنِهِ آيَاتٌ دَالَّاتٌ عَلَىٰ ذَاتِهِ وصِفَاتِهِ، وهَـٰذا حَقٌّ، وَمَا خَلَقَ اللهُ الجِنَّ والإِنْسَ بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِيَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الامْتِحَانِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَىٰ وفْقِ أَعْمَالِهِمْ. وظاهِرٌ أنَّ الْخَلْقَ لِتَحْقِيقِ هَـٰذِهِ الْغَايَةِ الْعَظِيمَةِ خَلْقٌ مُتَصِفٌ بالْحَقِّ، وَلَوْلَا تَحْقِيقُ هَـٰذِهِ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ لَكَانَ خَلْقُ الجنِّ والإِنْسِ عملاً بَاطِلاً[1].

• ﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾: أَيْ: إِنَّ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وهُو أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْض بالْحَقّ؛ لَآيَةً عظيمَةً كُبْرَىٰ لِلَّذِين هُمْ مُسْتَعِدونَ لِأَنْ يَعْلَمُوا الحقَّ بالتَّفكُّرِ، ولِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ثُمَّ يَعْمَلُوا فِي حَيَواتِهِمْ بِمُقْتَضَىٰ إيمانِهِمْ.

وبهذا أنْتَهِي من تَدَبُّرِ الدَّرْس السّابعِ من دُروس سورة (العنكَبُوت).

والحمْدُ للهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❀ ❀ ❀

---

(١) انظر تتمة هذا البيان التحليلي لدَىٰ تدَبُّر الآية (٧٣) من سورة (الأنْعَام/ ٥٥ نزول).

(١٢)
التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (العنكبوت) الآيات من (٤٥ ـ ٥٥)

قال اللهُ عزَّ وجل:

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾:

القراءات:

(٥٠) • قرأ ابن كثير، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: **[آيَةٌ]**، بالإفراد. وكُلٌّ علىٰ أَصْلِهِ وقفاً.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: **[آيَاتٌ]** بالجمع.

(٥١) • قرأ رُوَيْس: [أَوَلَمْ يَكْفِهُمْ] بِضَمِّ الهاء.

وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ] بِكَسْرِ الهاء.

ضَمُّ الهاء وكَسْرُها لُغَتَان.

(٥١) • قرأ حمزة، ويعقوبُ: [عَلَيْهُمْ] بِضَمِّ الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بِكَسْرِ الهاء، وهما لغتان.

(٥٥) • قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَيَقُولُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [ونَقُولُ]، بِنُونِ المتكلِّم العظيم.

تمهيد:

في آيات هٰذا الدَّرْسِ وَصَايا وتوجيهاتٌ للرَّسُولِ محمَّدٍ ﷺ، ويُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِه.

وفيها تَمْهِيدٌ لِمُعَالَجَةِ أَهْلِ الكِتَابِ الْمُرْتَقَبَةِ بَعْدَ الهجرَة، إذْ قَدِ اقْتَرَبَ مَوْعِدُها فِي عِلْمِ اللهِ.

وفيها بياناتٌ بِشَأْنِ المشْرِكِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَىٰ مَواقِفِهِمُ الكُفْرِيَّة.

وفيها الرَّدُّ علىٰ بعضِ مطالبِ المشْرِكِينَ التَّعَنُّتِيَّةِ العنادية.

التدبُّر التَّحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطاباً لِرَسُوله محمَّد ﷺ:

• ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾:

أي: انْطِقْ بِلِسَانِكَ مِنْ حِفْظِكَ في ذاكِرَتِكَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ من الكتابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ يَا مُحَمَّد.

تَلَا، يَتْلُو: أي: تبع يتْبَعُ، واسْتُعْمِل بمَعْنىٰ النُّطْقِ بالْقُرْآنِ كما أنزلَه الله. أمَّا القراءةُ فهي النطقُ بالمطلوب مع متابعة النظر إليه.

• ﴿. . . وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ . . .﴾:

الْمُرَاد بإقَامَةِ الصَّلَاةِ المداوَمَةُ والْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهَا فِي أوْقَاتِها، وَأداؤُهَا علىٰ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ المطلُوبِ فيها، وبهـٰذا تَكُونُ مُسْتَقِيمَةً، وهـٰذا البيان مُوجَّهٌ لكل مُسْلِمٍ.

وأمَّا كَوْنُ الصَّلَاةِ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ والمنْكَر؛ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ فِيهَا مِنَ التِّلَاوَاتِ والأذْكَارِ، ومُرَاقَبَةِ للهِ عزَّ وجلَّ؛ مَا يَتَضَمَّنُ نَحْوَ عِبَارَة: لَا تَعْصِ رَبَّكَ يَا مَنْ تُصَلِّي لَهُ، فَلَا تَرْتَكِبِ الْفَحْشَاء، وَلَا تَفْعَلِ المنكر، وقَدْ نَهَاكَ اللهُ رَبُّكَ عَنْهُمَا.

الْفَحْشَاء: كُلُّ قبيح تجاوَزَ حَدَّ مَا يُحْتَمَلُ ويُغْضَىٰ عَنْهُ عَادَةً مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْل، وهـٰذِهِ المادَّةُ مُخَصَّصَةٌ غَالباً فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بالكَبَائِرِ المتَعَلِّقَةِ بِشَهَوَاتِ الْفُروجِ.

الْمُنْكَر: كُلُّ قَبِيحٍ يُنْكِرهُ الشَّرْعُ، ويَنْهَىٰ عَنْهُ نَهْيَ تَحْرِيم.

ولَيْسَ المعْنَىٰ أَنَّ الصَّلَاةَ تَجْعَلُ الْمُصَلِّيَ يَجْتَنِبُ فِي سُلُوكِهِ الْفَحْشَاءَ وَلَا يَفْعَلُ المنْكَرَ، فَلَيْسَ هـٰذَا مِمّا يَقْتَضِيهِ النَّهْيُ ولا مِنْ لَوَازِمِهِ. إنَّ النَّهْي عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ مَوْجُودٌ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ، وفي أحادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ، ولَكِنَّ الانْتِهَاءَ عَنِ الْفَحْشَاءِ والمنْكَرِ سُلُوكٌ اخْتِيَارِيٌّ مِنَ الإنْسَانِ المؤمِنِ الْمُسْلِمِ، فإنْ شَاءَ اسْتَجَابَ لِلْمَطْلُوبِ بِالنَّهْي، وإنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَسْتَجِبْ.

ولهـٰذا نُلَاحِظُ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْمُصَلِّينَ يَرْتَكِبُونَ الكَبَائرَ مِنَ الْفَوَاحِشِ، ويَفْعَلُونَ الكَبَائِرَ مِنَ المنْكَرَاتِ، دُونَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ صَلَوَاتُهُمْ يَجْتَنِبُونَها.

• ﴿. . . وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ . . .﴾: أي: واعْلَمْ مُتَأَكِّداً أَيُّهَا

المتلَقِّي لبيَانَاتِ رَبِّكَ؛ أَنَّ ذِكْرَ اللهِ بالْفِكْرِ والْقَلْبِ ويَحْسُنُ مَعَهُ ذِكْرُ اللهِ باللِّسَانِ؛ ذُو أَثَرٍ أَكْبَرَ في النَّهْيِ عَنِ الْفَحْشَاءِ والمنْكرِ، ولَا سِيمَا إِذَا كَانَ هٰذا الذِّكْرُ كَثِيرَ الدَّوَامِ آنَاءَ اللَّيلِ وَآنَاءَ النَّهارِ.

لَكِنَّ هٰذَا الذِّكْرَ لَا يُغْنِي عَنِ الصَّلَواتِ المطْلُوبَةِ ولَا يَقُومُ مَقَامَهَا، وإنَّما هُوَ مَطْلُوبٌ تَرْغِيباً فِي كلّ حَالَاتِ الْوَعْيِ الإنْسَانِيِّ، ولَا سِيما مَا وَرَدَ مِنْهُ فِي أَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ وفي أَفْعَالِهِ.

• ﴿... وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾:

فِي هٰذَا الخِتَامِ لِهٰذِهِ الآيَةِ؛ رَبْطٌ بِعُنْصُرٍ مِنْ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الإيمانِيَّةِ، وَهُوَ عِلْمُ اللهِ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادُهُ مِنْ صَالِحَاتٍ وغَيْرِ صَالِحَاتٍ، وبِنَاءً عَلَىٰ عِلْمِهِ بِمَا يَصْنَعُونَ يُحَاسِبُهُمْ، ويَحْكُمُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْزِيهِمْ بِحَسَبِ مَا كَسَبُوا أو اكْتَسَبُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

الصُّنْع: يُطْلَقُ عَلَىٰ كُلِّ فِعْلٍ، وَأَكْثَرُ ما يُطْلَقُ عَلَىٰ فِعْلٍ ذي أَثَرٍ مَادِّيٍّ مَشْهُودٍ، كَصُنْعِ السَّفِينَةِ، وبناءِ الْحُصُونِ وخَزَّانَاتِ المياه، ونَحْوِها.

وهٰذا الختامُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ البيانَ في الآيَةِ مُوجَّهٌ لِعُمُومِ المكلّفِين، باسْتِثْنَاء عبارة: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فَهِي خَاصَّةٌ بالرَّسُولِ ﷺ، لَكِنْ يُفْهَمُ مِنْهَا عِبَارَةٌ مُوَجَّهَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ، وهي: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَىٰ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْكِتَاب».

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُخَاطِبُ المؤمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ جميعاً:

• ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾:

المجادلة: المحاوَرَةُ، والمناظَرَةُ، والمخاصَمَةُ بالأقوال، وأصل

المجادَلَةِ المصارِعَة، يُقَالُ: «جَادَلَهُ، فَجدَلَهُ» أي: غالَبَهُ وصارَعَهُ فَصَرَعَهُ وغَلَبَهُ، ثُمّ أُطْلِقَتْ علىٰ المخاصَمَةِ الكَلَامِيَّة، وعَلَىٰ الحِوار حول فِكْرَةٍ لإِثْبَاتِها أو رَفْضِها، ويُمْكِنُ تَعْرِيف الْجِدَالِ بما يلي:

هُو حِوارٌ كَلَامِيٌّ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ يَتَفَهَّمُ فِيهِ كُلٌّ مِنْهُمَا وِجْهَةَ نَظَر مُحَاوِرِهِ، وَيَعْرِضُ فِيهِ كُلٌّ مِنْهُمَا أَدِلَّتَهُ الَّتِي رَجَّحَتْ لَدَيْهِ اسْتِمْسَاكَهُ بِوِجْهَةِ نَظَرِهِ، ثُمَّ يأْخُذُ بِتَبَصُّرِ الحقيقَةِ مِنْ خِلَالِ الْبيَانَاتِ الَّتِي يُوَجِّهُهَا مُحَاوِرُه.

وهَدَفُ المجادَلَةِ هُوَ في الأَصْلِ؛ تَعَاوُنُ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ فِي الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَجْرِي حَوْلَهَا الْحِوَار، بِتَبْصِيرِ كُلٍّ مِنْهُمَا مُحَاوِرَهُ بالأماكِنِ المظْلِمَةِ عَلَيْهِ، أَوْ تَبْصِيرِ الْوَاقِفِ عَلَىٰ الحقيقَةِ قَطْعاً مُحَاوِرَهُ بِمَا هُوَ خَافٍ عَلَيْهِ، والأَخْذِ بِيَدِهِ فِي طُرُقِ الاسْتِدْلَالِ الصَّحِيحِ لإِبْلَاغِهِ وَجْهَ الْحَقِّ المشْرِقِ، وذَلكَ باسْتِخْدَام الْحِوَارِ الْبَرِيءِ مِنَ التَّعَصُّبِ، الْخَالِي مِنَ الْعُنْفِ والانْفِعَالِ، والمتَمَشِّي وَفْقَ الأُصُولِ الْعَامَّةِ لِلْحِوَارِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الوصُولُ إلىٰ الحقيقة دُونَ تَعَصُّبٍ ولَا أَنَانِيَّة.

ولَمَّا كَانَ الْجِدَالُ فِي الواقِعِ الإنْسَانِيِّ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُسْتَخْدَمُ لِنَشْرِ الأَفْكَارِ والإِقْنَاعِ بِهَا، وكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً، وَكَانَ الْجِدَالُ سِلَاحَهُ لِلدِّفَاعِ عَنْ أَفْكَارِه؛ فَقَدْ أَمَرَ الإِسْلَامُ بِهِ لِلدِّفَاعِ عَنِ الحقِّ الإِسْلَامِيِّ، مَشْرُوطاً بِأَنْ يَكُونَ بالَّتِي هِي أَحْسَنُ.

وقد جَاءَ هَـٰذَا البيانُ فِي أَوَاخِرِ التَّنْزِيلِ الْمَكِّيِّ، تَوْطِئَةً لِمَا سَيَجْرِي فِي الْمَرْحَلَةِ الْمَدَنِيَّةِ الْقَادِمَةِ الْقَرِيبَةِ فِي عِلْمِ اللهِ مِنْ حَاجَةٍ إلىٰ الْمُجَادَلَةِ مَعَ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا سِيمَا الْيَهُودُ مِنْهُمْ، إِذْ لِبَعْضِ قَبَائِلِهِمْ وَجُودٌ وافِدٌ إِلَيْهَا مُنْذُ قُرُون.

وقَدِ اسْتَخْدَمَ الرُّسُلُ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ وَسِيلَةَ المجادَلَةِ، لإِقْنَاعِ المشْرِكِينَ وسَائِرِ الكَفَرَةِ بالحقِّ الَّذِي أُرْسِلُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ الله رَبِّ العالَمِينَ.

فَقَدْ آتَىٰ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفَساً طَوِيلاً فِي مُجادَلَةِ الكافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، لإقْناعِهِمْ بالحقّ الّذِي جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، حَتَّىٰ سَاءَتْهُمْ كَثْرَةُ مُجادَلَتِهِ لَهُمْ، دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعُوا غَلَبَتَهُ فِي المجادَلَةِ، فَقَالُوا لَهُ مَا جَاءَ بَيَانُهُ في سُورَة (هود/ ٥٢ نزول) بِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

وآتَىٰ اللهُ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُوَّةَ حُجَّةٍ، وَقُدْرَةً عَلَىٰ الجدَالِ للإلْزَام بالْحَقِّ، وهـٰذَا مَا كَشَفَتْهُ لَنا بَعْضُ جَدَلِيَّاتِهِ الَّتِي قَصَّ اللهُ في الْقُرْآنِ نَمَاذِجَ مِنْها، وأثْنَىٰ اللهُ ـ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ علَىٰ قُوَّةِ حُجَّتِهِ الَّتي آتاهُ إيَّاها، فَقَالَ عزَّ وجَلَّ في سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول):

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾.

وفي قِصَّةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الموزّعَةِ في عَدَدٍ مِنْ سُوَرِ القرآن بَيانٌ مُوجزٌ عَنْ بَعْضِ جدَلِيَّاتِهِ، مع الآياتِ الباهراتِ المعجِزَاتِ الَّتي آتاهُ اللهُ إيَّاها.

وكَانَ لِسَائِرِ رُسُلِ اللهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَدَلِيَّاتٌ مَعَ أَقوامِهِم لإقْناعِهِمْ بالحقِّ الرَّبَّانِيّ، ونَبْذِ مَا هُمْ يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ كُفْرٍ وشِرْكِيَّاتٍ، ونَبْذِ مَا يَعْمَلُونَهُ مِنْ جَرائِمَ ومُنْكَراتٍ، وقَبَائِحَ وظَلْمٍ وعُدْوانٍ وإفْسَادٍ في الأرض.

ففي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ خطاباً للرَّسُولِ ﷺ ولِلْمُؤْمِنينَ:

- ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ . . .﴾:

دَعْوَةٌ إلَىٰ مُجادَلَتِهِم لإقْناعِهِمْ بالحقِّ وإقامَةِ الحجَّةِ عليهم، مجادَلَةً مَقْصُورَةً عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، باسْتِثْناءِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، إذْ لَا مَانِعَ مِنْ مُخاشَنَتِهِمْ وَمُعامَلَتِهِمْ بِمِثْلِ طَرِيقَتِهِمْ.

فإذا سَلَكَ المخالِفُونَ الْمُجادِلُونَ مَسالِكَ غَيْرَ مُهَذَّبَةِ الْقَوْلِ فَعَلَىٰ المؤمِنِينَ أَنْ يَتَقَيَّدُوا بِكُلِّ قَوْلٍ مُهذَّبٍ. وإِذَا صَارُوا يُجَادِلُونَ بالْبَاطِلِ فَعَلَىٰ المؤمِنِينَ أَنْ يُجَادِلُوا بالْحَقِّ، فالْحَقُّ الرَّبَّانِيُّ يَجِبُ أَنْ يُنْصَرَ بالْحَقِّ لا بالباطل. وإذَا قَدَّمَ المخَالِفُونَ حُجَجاً كَاذِبَةً؛ فَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَدِّمُوا حُجَجاً صَادِقَةً. وإذَا اتَّخَذَ المخالِفُونَ أُسْلُوبَ الْمُغَالَطَة؛ فَعَلَىٰ المؤمِنِينَ أَنْ يُقَدِّمُوا نِظَامَ المناظَرَةِ السَّوِيَّةِ السَّلِيمَة. وإذا انْتَقَلَ الْمُخَالِفُونَ مِنَ الْمَوْضُوعِ الّذِي تَجْرِي المناظَرَةُ فِيهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ كانْتِقَالِهِمْ مِنَ الأُصُولِ إِلَىٰ الْفُرُوعِ؛ فَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرُدُّوهُمْ إِلَىٰ نُقْطَةِ الموضوع الَّذِي تَجْرِي المجادَلَةُ فِيه.

واحْتِمَالاتُ الْخُروجِ عَمَّا يَجِبُ الالْتِزَامُ بِهِ فِي المجادَلَةِ كثيرَةٌ جدّاً، ويَصْعُبُ اسْتِقْصَاؤُهَا، وكُلُّهَا خُرُوجٌ عمَّا يَجِبُ عَلَىٰ المؤمِنِ أَنْ يَتَقَيَّدَ بِهِ، وهُوَ الْجِدَالُ بِالَّتِي أَحْسَنُ، أي: الْجِدَالُ بالْقَضِيَّةِ والْفِكْرَةِ والطَّرِيقَةِ الَّتِي هِي أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الاحْتِمَالَات، إِنَّ المؤمِنَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أَنْ يَخْتَارَ الأَحْسَنَ دَواماً فِي حِوَارِه ومُجَادَلاتِهِ وفي أَدِلَّتِهِ لِلإقْنَاعِ بالْحَقِّ الرَّبَّانِيّ.

وَلَمَّا كَانَ الْبَيَانُ فِي الآيَةِ مُتَعَلِّقاً بِمُجَادَلَةِ أَهْلِ الكِتَاب؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُرْشِدَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ المؤمِنِين إِلَىٰ أَنْ يُعْلِنُوا لَهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ سَابِقاً إِلَيْهِمْ، مِمَّا لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ تَحْرِيفٌ وَلَا تَبْدِيل، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ـ عزَّ وَجلّ ـ عَلَىٰ رَسُولِهِ محمّد خاتم الأنبياء والمرسَلِينَ صَلَّىٰ اللهُ وسلم عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يُعْلِنُوا لَهُمْ أَنَّ الإلـٰهَ الَّذِي جَاءَ الأَمْرُ بِعِبَادَتِهِ فِيمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ هُو الإلـٰهُ نَفْسُهُ الّذِي جَاءَ في الإسلام الأَمْرُ بِعِبَادَتِهِ، إِذْ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لا يُعْبَدُ في الوجودِ سِوَاه، فقال اللهُ تَعالَىٰ في الآيَة خِطاباً لِلْمُؤْمِنِين:

• ﴿... وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾:

أي: ونَحْنُ لَهُ وَحْدَهُ مُسْلِمُونَ مُنْقَادُونَ مُطِيعُونَ، ولَسْنَا عُبَّادَ ذَوِي رِئَاسَاتٍ دِينِيَّةٍ، ولَا عُبَّادَ أنْبِيَاءٍ ومُرْسَلِينَ، فَهٰؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، مُطَالَبُونَ بِأَنْ يَعْبُدُوا اللهَ رَبَّهُمْ، ولَا يُشْرِكُوا بِهِ أحداً، ولَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً لِرَسُولِهِ محمَّدٍ ﷺ بضَمِير المتكلّم العَظِيم:

• ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾:

• ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾: أي: ومِثْلَ ذَلِكَ الإنْزَالِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ رُسُلِ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ؛ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ قِسْماً مِنَ الكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآن، وَقَدَّرْنَا وَقَضَيْنَا أَنْ نُنْزِلَ إِلَيْكَ سَائِرَهُ لِتُبَلِّغَهُ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ أَجَلُ بَقَائِكَ فِي الحياةِ الدُّنْيا.

• ﴿... فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ...﴾: أي: فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَأَتْبَاعِهِمُ الصَّادِقِين؛ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ تَصْدِيقاً لِمَا أَخْبَرْنَاهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّنَا سَنَبْعَثُكَ وسَنُنْزِلُ إِلَيْكَ كِتاباً هُوَ آخِرُ كُتُبِنَا للنَّاسِ.

• ﴿... وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ...﴾: أي: وبَعْضُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَهْلُ الكِتَابِ السَّابِقِ مَنْ سَيُؤْمِنُ بِهِ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَام، وهُم من المنتَمِينَ إِلَىٰ رُسُلِهِمْ مِنْ بَعْدِ بَعْثَتِكَ يا مُحَمَّد.

• ﴿... وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾: أي: وبَعْضُ الَّذِين يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَهْلُ الكِتَابِ السَّابِقِ مُنْتَمِينَ إِلَيْهِ سَيَجْحَدُونَ بآيَاتِنَا البيانِيَّةِ في القرآنِ، مَعَ اسْتِيقَانِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ بأَنَّها آيَاتٌ مُنَزَّلَاتٌ مِنْ لَدُنَّا، لَكِنَّهُمْ يَسْتُرُونَ أَدِلَّةَ كَوْنِهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مُعْجِزَاتٍ مُنَزَّلَاتٍ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ، فَهُمْ

كَافِرُونَ يَسْتُرُونَ الْحَقَّ بِزُيُوفِ الأَقْوَالِ الإِيْهَامِيَّة، وزُخْرُفِ الأَفْكَارِ الْخِدَاعِيَّة، اتّبَاعاً لأهوائهم، وتَعَصُّباً لِتَقَالِيدِهِمُ الْعَمْيَاءِ، ولأَنَّ لَهُمْ مَصَالِحَ دُنْيَوِيَّةٍ مِنَ التَّحْرِيفَاتِ الَّتِي أُدْخِلَتْ في الكِتَابِ الْمُنَزَّلِ إِلَيْهِمْ، وفي البَيَانَاتِ الَّتِي بَلَّغَهُمْ إِيَّاهَا رُسُلُهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

• ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾: أيْ: وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَارِئاً وَلَا كَاتِباً طَوَالَ حَيَاتِكَ قَبْلَ أَنْ نُنْزِلَ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ وبَعْدَهُ، فَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ مَا مِنَ الكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَىٰ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ، وَهٰذَا أَمْرٌ يَعْرِفُهُ كُلُّ الَّذِينَ عَاصَرُوكَ قَبْلَ بِعْثَتِكَ وبعدها، ومَا كُنْتَ تَخُطُّ كِتَاباً مَا بِيَمِينِكَ، ولَوْ كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِ إِنْزَالِ الْقُرآنِ إِلَيْكَ كِتَاباً ما، أَوْ تَكْتُبُ بِيَمِينِكَ كِتَاباً ما؛ لارْتَابَ الْمُبْطِلُون فِي كَوْن الْقُرْآن الذِي نُتَابِع إِنْزَالَه إِلَيْكَ كِتَاباً مِنْ لَدُنَّا، ولأَذَاعُوا بَيْنَ مَنْ يَتَأَثَّرُونَ بِهِمْ أَنَّكَ نَقَلْتَهُ مِنْ مَحْفُوظَاتِكَ مِنَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ، أَوْ نَقَلْتَهُ مِنْ مَخْطُوطَاتِ الكُتُبِ السَّابِقَةِ، بِكِتَابَةٍ أَنْتَ تَكْتُبُهَا بِيَمِينِكَ.

جَاءَ التعبير: [**بِيَمِينِك**] إِذْ كان مِنَ المعْلُوم لِلْجَمِيع أَنَّ الرَّسُول ﷺ قد كَانَ أَيْمَنَ ولَمْ يَكُنْ أَعْسَرَ، مَعَ تَفْضِيلِ اسْتِعْمَالِ الْيَمِينِ في الكتابة وغيرها.

الْجُحُود: إِنْكَارُ الْحَقِّ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ حَق، **فالجاحِدُ**: هو المنكِرُ ظُلْماً وعُدْوَاناً.

المبْطِلُونَ: هُمْ أَصْحَابُ الْهَوَىٰ فِي اخْتِيَارِ الباطِلِ ونَبْذِ الْحَقِّ، والراغبونَ الْحَرِيصُونَ عَلَىٰ اخْتِيَارِ الْبَاطِلِ فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَواتِهِمْ.

ومَا قَبْلَ [**إِذاً**] الْفُجَائِيَّةِ كَلَامٌ مَطْوِيٌّ يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ بِمَا يَلِي: وَلَوْ كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ، أَوْ تَخُطُّ بيمينِكَ مِنْ كِتَابٍ؛ إِذاً لَارْتَابَ المبْطِلُونَ.

«مِنْ» في [مِنْ كِتَابٍ] مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ واسْتِغْرَاقِهِ كُلَّ الكُتُبِ.

• ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾: أي: لَيْسَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ مَا يَتَوَهَّمُ المبْطِلُونَ، مِنْ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ علىٰ اصْطِنَاعِ الْحُجج المزَيَّفَةِ للإقْناعِ بأنَّهُ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ، ولَيْسَ تَنْزِيلاً ـ بِزَعْمِهِمْ ـ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَاضِحَاتٌ، فِيهَا مِنَ الحقِّ والإعْجَازِ البيانيِّ وغيرِهِ ما يَدُلُّ علَىٰ أَنَّهُ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وهَـٰذَا مَا جَعَلَ كَثِيراً مِن الَّذِين أُوتُوا حُبَّ الْعِلْم، والرَّغْبَةَ فِي تَحْصِيلِهِ؛ يَحفَظُونَهُ في صُدُورِهِمْ، أي: في أَوَّلِ مُسْتَوىً مِنَ الْعُمْقِ فِيهِمْ، فَمَا هُوَ أَعْمَقُ مِنْهُ، إلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ[1].

• ﴿... وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾: أي: وَمَا يُنْكِرُ آيَاتِنَا الْبَيِّنَاتِ الواضِحَاتِ المشْتَمِلَاتِ علىٰ كَثِيرٍ من وُجُوهِ الإعجازِ، والدَّالَّاتِ عَلَىٰ الحقِّ؛ إلَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ أَدِلَّةَ كَوْنِهَا مُنَزَّلَاتٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وهُمُ الظَّالِمُونَ بِجُحُودِهِمْ وَافْتِرَاءَاتِهِمُ التَّضْلِيلِيَّة، وَحِيَلِ أَقْوَالِهِمُ الزُّخْرُفِيَّةِ الإيهَامِيَّة.

الظُّلْم: تجاوُزُ الْحَدِّ، وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

▪ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ الْمُعَانِدِينَ المتَعَنِّتِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الشِّرْكِ والكُفرِ فِي مَكَّةَ، وَمَا يُطَالِبُونَ بِهِ مِنْ مَطَالِبَ تَعَنُّتِيَّةٍ حَوْلَ آيَاتٍ خَوارِقَ، كَعَصَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام، وإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام:

• ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ

(١) راجع بحث النفس في كتاب «الأخلاق الإسلامية وأُسسها» لكاتب هـٰذا التدبُّر.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)﴾:

• ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ ـ وفي القراءة الأخرىٰ: [آيَةٌ] بالإفراد، وهَـٰذا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ طَالَبُوا مَرَّةً بِآيَةٍ، فَلَمَّا ذُكِّرُوا بآيَةِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ قَالُوا: [آيَاتٌ]: أي: آيَاتٌ خَوارِقُ كُبْرَىٰ.

[لَوْلَا]: أي: هَلَّا، فَهِيَ أَدَاةُ تَحْضِيض.

إِنَّهُمْ كَرَّرُوا مَا سَبَقَ أَنْ طَالَبُوا بِهِ، ومِنْهُ مَا جَاءَ في سورة (طه/ ٤٥ نزول):

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ... (١٣٣)﴾.

ومِنْهُ مَا جَاءَ في سورة (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)﴾.

فَعَلَّمَ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ رَسُولَهُ محمّداً ﷺ أَنْ يَقُول لهم:

• ﴿... قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾:

أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الرَّسُولَ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يُجْرِي الآيَاتِ الخوارِق، مَا الآيَاتُ الْخَوارِقُ المعْجِزَةُ إِلَّا عِنْدَ اللهِ، وَهُوَ الَّذِي إِنْ شَاءَ بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُجْرِيَها لِرَسُولِهِ أَجْرَاهَا، إِنَّهُ هو الْعَلِيمُ بِحَاجَةِ الْقَوْمِ إِلَىٰ إِجْرَاءِ الْمُعْجِزَةِ، أَوْ عَدَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، لأَنَّهُمْ مُوقِنُونَ فِي قُلُوبِهِمْ بِصِدْقِ رَسُولِهِمْ، وصِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ.

وقُلْ لَهُمْ أَيْضاً: وَمَا أَنَا بالنِّسْبَةِ إِلَيْكُم ومَا تَتَّصِفُونَ بِهِ مِنْ جُحُودِ بالْحَقِّ، وَمُعَانَدَةٍ عَنِ الاسْتِجَابَةِ لِمَا يَهْدِيكُمْ إِلَىٰ نَجاتِكُمْ وسَعَادَتِكُمْ؛ إِلَّا

مُنْذِرٌ لَكُم بِعَذَابِ اللهِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ احْتِمَالِ تَعْذِيبكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِهْلاكِكُمْ إِهْلاكَ اسْتِئْصَالٍ أَو إِهْلاكَ انْتِقَاءِ جَبابِرَتِكُمْ، وأَئِمَّةِ الضَّلالِ فِيكُمْ.

وَقَالَ اللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ لِرَسُولِهِ ﷺ مُخَاطِباً، وَلِلْمُعَانِدِينَ المتَعَنِّتِين بأسْلُوبِ الْحَدِيثِ عَنِ الْغَائِبين، ومُتَحَدِّثاً بِضَمِيرِ المتكلِّم العظيم:

• ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾:

أي: أَنْطَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ، وعُطِّلَتْ عُقُولُهُمْ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ المنَزَّلِ مِنْ لَدُنْ رَبِّهِمْ، ولَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا بعظَمَتِنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الكِتَابَ القُرآن مُعْجِزاً، لِتَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ تَكْلِيفاً إِلْزَامِيّاً مِنْ عِنْدِنَا، فَهُوَ يُتْلَىٰ عَلَيهِمْ مِنْ قِبَلِكَ وَمِنْ قِبَلِ بَعْضِ الَّذِينَ آمَنُوا بكَ واتَّبَعُوكَ وقامُوا بِرِسَالَةِ التَّبْلِيغ، وهُوَ كِتَابٌ مُعْجِزٌ تَحَدَّيْنَاهُمْ بأَنْ يأْتُوا بِمِثْلِهِ أَو بِمِثْلِ عشر سُوَرٍ قِصَارٍ مِنْهُ، أو بمثل سورةٍ منه، فَعَجزُوا؟.

• ﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ...﴾: أي: إِنَّ فِي إِنْزَالِ القرآنِ عَلَيْكَ لِيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ:

• ﴿... لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾: أي: لَرَحْمَةً بِهِمْ، إِذْ جَاءَتْهُمُ الْهِدَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ دُونَ أَنْ يَكدُّوا فِي الوصُولِ إِلَيْهَا وَالْحُصُولِ عَلَيْها، وهِيَ بِلُغَتِهِمْ يَتَخَاطَبُونَ بِهَا، وهـٰذِهِ الْهِدَايَةُ الرَّبَّانِيَّة تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا آمَنُوا بِهَا، وعَمِلُوا بِمَا جَاءَ فِيها مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ، وتَجْعَلُهُمْ فِي عَافِيَةٍ مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا، وَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ وعَمَلِهِمْ بِمُقْتَضَاهَا، خُلُوداً فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

[وذِكْرَىٰ]: **الذِّكْرَىٰ**: اسْمٌ لِلتَّذْكِير، وتَأْتِي لِلتَّذْكِرَة، «وَهِي الوسِيلَةُ المذَكِّرَة». وَلَمَّا كَانَ المطْلُوبُ مِنَ المؤمِنِينَ أَنْ يَكْتُبُوا الْقُرْآنَ فِي المصاحِفِ؛ فإنَّ وُجُودَ هـٰذا الكِتَابِ فِي أَيْدِي النَّاسِ، مَكْتُوباً مَحْفُوظاً مِنَ

التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ؛ وَسِيلَةٌ مُذَكِّرَةٌ بِخِطَابِ اللهِ لَهُمْ، كُلَّمَا رَجَعُوا إِلَيْهِ قَارِئِينَ لآيَاتِهِ في المصاحِف.

فَهُو إِذَنْ أَثَرُ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ بِهِمْ، وهُوَ ذِكْرَىٰ.

• ﴿... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾: أي: هُوَ رَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ لَدَيْهِمُ الاسْتِعْدَادُ والرَّغْبَةُ فِي أَنْ يَعْلَمُوا الحقَّ المنَزَّلَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وفي أَنْ يُؤْمِنُوا به، والإِيْمَانُ هُوَ الْبَاعِثُ الأَعْظَمُ لِلْعَمَلِ بِمَا آمَنَ بِهِ الإِنْسَانُ الْعَاقِلُ السَّوِيُّ.

وعَلَّمَ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ رسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ أَيْضاً:

• ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ... ﴿٥٢﴾﴾:

أي: أَنْذِرْهُمْ بأَنَّ اللهَ سَيُجَازِيهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﷺ خُلُوداً فِي عَذَابِ السَّعِير، وقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ شَهِيدٌ علىٰ كُلِّ شَيْء، يَعْلَمُ كُلَّ ما في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِي، وكَفَىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً.

«الباء» الَّتِي تَأْتِي بَعْدَ «كَفَىٰ» زَائِدَةٌ لِلتَّوكِيد، وأَصْلُ العبارة: «كَفَىٰ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً».

وَخَتَمَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

في هٰذا الخِتَام بَيَانٌ عَامٌّ يَدْخُلُ فِيه المتَحَدَّثُ عَنْهُمْ سَابِقاً مِنْ أَئِمَّةِ الكُفْرِ والشِّرْكِ، وغَيْرُهُمْ من الَّذِينَ آمَنُوا بالْبَاطِلِ وكَفَرُوا باللهِ.

أي: والَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ مِنْ شِرْكٍ باللهِ، واتِّخَاذِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ، وجُحُودٍ لِرُبُوبِيَّتِهِ أو لإلٰهِيَّتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بَاطِلٍ، كاعْتِبَارِ الأَسْبَابِ الكَوْنِيَّةِ فَاعِلَةً بِمُسَبَّبَاتِهَا بِصِفَاتٍ ذَاتِيَّةٍ فيها، وكَفَرُوا بِاللهِ فِي ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ

أَوْ أَسْمَائِهِ الحسْنَىٰ؛ فأولٰئِكَ الْبَعِيدُونَ جدّاً في اتّجاهِ الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ هُمُ الْخَاسِرُونَ الضَّالُونَ، الَّذِينَ خَسِرُوا كُلَّ شَيْءٍ، إذْ قَذَفُوا بِأَنْفُسِهِمْ إلَىٰ عَذَابٍ أَبَدِيٍّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا خَالِدِين.

في عبارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ قَصْرٌ عَلَىٰ مَعْنَىٰ: هُمْ أَشَدُّ الْخَاسِرِينَ خُسْراً، وهُوَ قَصْرٌ بِتَعْرِيفِ طَرَفَي الإسْنَادِ مع ضَمِيرِ الْفَصْل.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ والشِّرْكِ الَّذِينَ يَتَحَدَّوْنَ الرَّسُولَ ﷺ بِتَعْجِيلِ عَذَابِ اللهِ لَهُمْ الَّذِي كَانَ قَدْ أَنْذَرَهُمْ به:

● ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾:

يُقَالُ لُغَةً: «اسْتَعْجَلَ فُلَاناً بالشَّيْءِ» أي: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَعْجَلَ بِهِ مُسْرِعاً.

● ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: أي: وقْتٌ مِنْ أَوْقَاتِ المستَقْبَلِ مُحَدَّدٌ مُبَيَّنٌ بِاسْمِهِ، كسَاعَةِ كَذَا، مِنْ يَوْمِ كَذَا، مِنْ شَهْرِ كَذَا، مِنْ سَنَةِ كَذَا.

● ﴿بَغْتَةً﴾: أي: مُفَاجَأَةً دُونَ إشْعَارٍ سَابق.

● ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: وهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَدْنَىٰ عِلْمٍ بِهِ، فالشُّعُورُ بالشَّيْءِ أَوَّلُ مَرَاحِلِ إِدْرَاكِهِ والإحْسَاسِ به.

● ﴿يَغْشَىٰهُمُ﴾: أي: يُحِيطُ بِهِمْ إحَاطَةَ الثَّوْبِ السَّاتِرِ لِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ أَجْسَادِهِمْ. **الْغِشَاءُ**: الْغِطَاءُ السَّاتِر.

● ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ...﴾: أي: ويَطْلُبُ الكَفَرَةُ المعانِدُونَ مِنْكَ يا مُحمَّدُ، عَلَىٰ سَبِيلِ التَّحدِّي النَّاشِئِ عَنْ إِنْكَارِهِمْ أَنَّكَ رَسُولُ رَبِّ العَالَمِين؛ أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي كُنْتَ أَنْذَرْتَهُمْ به وَحَذَّرْتَهُمْ مِنْهُ.

• ﴿... وَلَوۡلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ...﴾: أي: ولَـوْلا سَـبْـقُ تَحْدِيدِ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَوْقَاتِ المسْتَقْبَلِ، بِتَقْدِيرِ رَبِّكَ وقَضَائِهِ، لِتَعْذِيبِ مُسْتَحِقِّي الْعَذَابِ مِنْهُمْ عَلَىٰ وَفْقِ الْحِكْمَةِ والْعَدْلِ؛ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ، بِإنْزَالِ وَسَائِلِهِ وأَسْبَابِهِ عَلَيْهِمْ فَوْراً عقِبَ طَلَبِهِمْ هَـٰذا التَّعْجِيلَ.

• ﴿... وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٣﴾: أي: ونُـؤَكِّـدُ أَنَّ الْعَذَابَ المقَدَّرَ الْمقْضِيَّ بِهِ عَلَيْهِم؛ سَيأْتِيهِمْ لا مَحَالَةَ بِصُورَةٍ مُفَاجِئَةٍ لَهُمْ، وهُمْ لَا يَشْعُرُونَ شُعُوراً مَا بِبَوادِرِهِ وقَوَابِلِهِ.

وقَدْ عُذِّبَ وأُهْلِكَ مُسْتَحِقُّو الْعَذَابِ وَالإِهْلَاكِ مِنْهُمْ فِي غَزْوَة بَدْرٍ الكُبْرَىٰ، بَعْدَ زَمَنٍ غَيْرِ طَوِيلٍ لإِنْزَالِ هـٰذِهِ السُّورَة، إِذْ كَانَ إِنْزَالُهَا فِي أَوَاخِرِ الْعَهْدِ الْمَكِّيّ، ولم تَنْزِلْ بَعْدَهَا إِلَّا سُورَةُ المطَفِّفِينَ.

• ﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٥﴾ ـ وفـي القراءة الأخرىٰ: [**وَنَقُولُ**]:

جَاءَ تكْرِيرُ عبارَة: ﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ تَوْطِئَةً لِمَا رُتِّبَ مَنْ بَيَانٍ عَلَيْهَا.

جَهَنَّمُ: اسْمٌ عَلَمٌ مِنْ أَسْمَاء النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِيُعَذِّبَ بِهَا الْكَافِرِينَ والْعُصَاةَ يَوْمَ الدِّين، وهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ والتَّأْنِيث. ويُقَالُ لِلْقَعْرِ الْبَعِيدِ: «جَهَنَّم»، ويقال: «بِئْرٌ جَهَنَّمٌ» أي: بَعِيدَةُ الْقَعْرِ.

المعنىٰ: يَسْتَعْجِلُكَ يَا مُحَمَّدُ هَـٰؤُلَاءِ المعانِدُونَ الكَفَرَةُ المشْرِكُون الطُّغَاةُ، مُتَحَدِّين بإنْزَالِ أَسْبَابِ وَوَسَائِلِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيا، فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ تَعْذِيبِهِمْ ـ وَهِيَ جهَنَّمُ ـ؛ سَوْفَ تَكُونُ مُحِيطَةً بِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ أَجْسَامِهِمْ وَأَجْسَامِ كُلِّ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ تَغْشَاهُمْ مُجَلِّلَةً لَهُمْ، فِيهَا وَسَائِلُ وأَسْبَابُ تَعْذِيبِهِمْ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ.

وبَيْنَما هُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي وَسَائِلِ وأَسْبَابِ تَعْذِيبِهِمْ فِي جهَنَّمَ، ويَذُوقُونَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ؛ يَقُولُ اللهُ لَهُمْ، أَوْ تَقُولُ الْمَلائِكَةُ الْمُكَلَّفُونَ أَنْ يُعَذِّبُوهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ: ذُوقُوا جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِكُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ كُفْرٍ وجَرَائِمَ وقَبَائِحَ وَعُدْوانٍ وظُلْم.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْسِ الثامن من دُروس سورة (الْعَنْكَبُوتِ).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(١٣)
التدبر التحليلي للدّرس التاسع مِن دُرُوس سورة (العنكبوت) الآيات من (٥٦ ـ ٦٩) آخر السورة

قال اللهُ عَزَّ وجَلّ:

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ

يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾:

القراءات:

(٥٦) • قرأ نَافع، وابْنُ كثير، وابْنُ عامر، وعاصم، وأبو جعفر: **[يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ]**، بِفَتْحِ يَاءِ المتكلّم.

وقرأهَا باقي الْقُرَّاءِ العشَرَةِ: بإسْكَانِ يَاءِ المتكلّم.

(٥٦) • قرأ ابن عامر: **[إِنَّ أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ]**، بفتح ياء المتكلّم.

وقرأهَا بَاقي الْقُرَّاءِ العشرة: بإسْكَانِ ياء المتكلم.

(٥٦) • قرأ يَعْقُوبُ: **[فاعْبُدُونِي]**، بإثباتِ ياء المتكلّم في الوصل والوقف.

وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: **[فَاعْبُدُونِ]** بحَذْفِ يَاءِ المتكلم.

(٥٧) • قرأ شُعْبَة: **[يُرْجَعُونَ]**، بياء الغائبين مع البناء للمجْهُول.

وقرأها يَعْقُوب: **[تَرْجِعُونَ]**، بتاء المخاطَبِينَ المفْتُوحَة.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: **[تُرْجَعُونَ]**، بتاء المخاطَبِينَ المضْمُومَة.

(٥٨) • قرأ حَمْزَةُ، والْكِسَائي، وخَلَف: **[لَنُثْوِيَنَّهُمْ]**، مِنْ فِعْلِ «أَثْوَىٰ».

وقرأها أبو جعفر: **[لَنُبَوِّيَنَّهُم]**.

وقرأها باقي القراء العشرة: **[لَنُبَوِّئَنَّهُمْ]**، من فِعْل «بَوَّأَ».

(٦٠) • قرأ ابْنُ كَثِير، وأَبُو جَعْفر: **[وَكَائِنْ]**، إِلَّا أَنَّ أَبَا جَعْفَر يُسَهِّلُ الْهَمْزَةَ مُطْلَقاً مع المدِّ والقصر.

وقرأها باقي القراء العشرة: **[وَكَأَيِّنْ]**. ويَقِفُ عَلَيْهَا أَبُو عَمْرو،

ويَعْقُوب: بالْيَاءِ دُونَ النُّون، والباقُونَ بالنُّون، ووقَفَ حَمْزَةُ بالتَّسْهِيلِ وبالتحقيق.

(٦٠) • قرأ قالُون، وأَبُو عَمْرو، والكِسَائي، وأبُو جَعْفر: **[وَهْوَ]**، بإسْكَانِ الهاء.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: **[وَهُوَ]**، بِضَمِّ الهاء، ووقف يعقوب بهاء السكت.

(٦٤) • قرأ قالُونُ، وأَبُو عَمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: **[لَهْيَ]**، بإسْكَانِ الهاء.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: **[لَهِيَ]**، بِكَسْرِ الهاء. ووقَفَ يَعْقُوبُ بِهَاءِ السَّكْتِ.

(٦٦) • قرأ قَالُون، وابْنُ كَثِير، وحمزة، والكسَائي، وخلف: **[وَلْيَتَمَتَّعُوا]** بإسْكَانِ اللّام.

وقرأها باقي القراء العشرة: **[وَلِيَتَمَتَّعُوا]**، بِكَسْرِ اللّام.

(٦٩) • قرأ أَبو عَمْرو: **[سُبْلَنَا]**، بإسْكَانِ الباء.

وقرأها باقي القراء العشرة: **[سُبُلَنَا]**، بِضَمِّ الباء.

تَمْهيد:

في آيَاتِ هـٰذَا الدَّرْسِ تَوْجيهُ خِطَابٍ مِنْ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُضْطَهَدُونَ فِي مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ أَئِمَّةِ الشِّرْكِ والكُفْرِ فيها، يَعِظُهُمْ فِيه بأَنْ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ الله، فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ، مَعَ بَيَانَاتٍ بِشَأْنِ الموْتِ والرِّزْقِ، وَمَعَ وَعْدٍ مِنَ اللهِ لَهُمْ بالأَجْرِ الْعَظِيم عِنْدَهُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم.

وفيها عَوْدٌ لِمُعَالَجَةِ المشْرِكينَ بِشَأْنِ شِرْكِيَّاتِهِمْ، مَعَ إِقْنَاعِهِمْ بِأَنَّ الحيَاةَ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ، وأَنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ دَارُ الحيَاةِ الخالِدَةِ الْعَظِيمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وفِيهَا وَعْدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ المجاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ بأنَّ الله سَيَهْدِيهِمْ سُبُلَ نَجَاتِهِمْ، وانْتِصَارِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمُ الكَفَرَة، وَفِيها وصْفٌ لِهـٰؤُلَاءِ الْمُجَاهِدِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُحْسِنِين.

التدبّر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ خِطَاباً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِبَّانَ التّنْزِيلِ يَحُثُّهُمْ علَىٰ الْهِجْرَةِ فِي سَبِيلِ الله، وكانَتِ الْمَدِينَةُ حِينَئِذٍ مُهَاجَرَ المسْلِمينَ المضْطَّهَدين:

• ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾:

يُنَادِي اللهُ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ الَّذِينَ آمَنُوا وَقَدْ كَانُوا يُضْطَّهَدُونَ فِي مَكَّة إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، فَيُكَرِّمُهُمْ بِعُبُودِيَّتِهِمْ لَهُ، إِذْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ عُبُودِيَّةً اخْتِيَارِيَّةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، فَيَصْبِرُونَ عَلَىٰ أَذىٰ أَئِمَّةِ الشِّرْكِ والكُفْرِ لَهُمْ فِي مَكَّةَ، ويَقُولُ لَهُمْ بِأُسْلُوبِ الكِنَايَةِ مُرَغِّباً لَهُمْ في أَنْ يُهَاجِرُوا مِنْ مَكَّة إِلَىٰ أَرْضٍ أُخْرَىٰ لَا يُضطَّهَدُونَ فيها: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾، أي: فَهَاجِرُوا إِلَىٰ أَرْضٍ تَكُونُونَ آمِنِينَ فِيهَا، لَا تَتَعَرَّضُونَ فيها لاضطّهَادِ الْكَافِرِينَ والمشْرِكِين، وَإِذَا هَاجَرْتُمْ فَهَاجِرُوا ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ولَا تَقْصِدُوا بِهِجْرَتِكُمْ مَقَاصِدَ دُنْيَوِيَّةً، بَلِ اجْعَلُوا قَصْدَكُمْ عِبَادَتِي وَحْدِي، لَا تُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِي شَيْئاً، ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾:

جاء في هـٰذِهِ العبارة تَقْدِيمُ المعْمُولِ علىٰ العامِلِ لإفَادَةِ الْقَصْرِ والْحَصْرِ، أي: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّايَ في مَقَاصِدِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ، وقَدْ جَاءَ بَيَانُ هـٰذا في الحديثِ الصّحيح: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ ورَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ ورَسُولِهِ، ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُهَوِّنُ علىٰ الرّاغبين في الهجرة من المؤمنينَ احْتِمَالَ الموْتِ في أَمْكِنَةِ هِجْرَتِهِم، لِئَلَّا يُثَبِّطَهُمْ ذَلِكَ عَنِ الهجْرَة:

• ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ ـ وفي قراءة أُخْرَىٰ: [يُرْجَعُونَ] ـ وفي قراءة ثَالِثَةٍ: [تَرْجِعُونَ]، وهي وجُوهٌ من الأداء البياني.

أي: فَلَا يُثَبِّطَنَّكُمْ عَنِ الهِجْرَةِ الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ وأَنْتُمْ مَهاجِرُون، فَكُلُّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ الْمَوْتَ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَلِ بَقَائِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي بَلَدِهَا أَوْ فِي غَيْرِ بَلَدِها. ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ مُدَّةِ الْبَرْزَخِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الحياةِ الأُولَىٰ والحياةِ الأخرَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ؛ تُرْجَعُونَ قَهْراً إِلَىٰ الحياةِ لِتُلَاقُوا حِسَابَ رَبِّكُمْ، وفَصْلَ قَضَائِهِ، وتَنْفِيذَ جَزَائِهِ، فَتَرْجِعُونَ مَطَاوِعِينَ، إِذْ تَجِدُونَ أَنْفُسَكُمْ فِي خَلْقٍ آخَرَ مِثْلَمَا كُنْتُمْ فِي الْخَلْقِ الأَوَّل، بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ كُنْتُمْ فِيهِ تُرَاباً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.

دَلَّتْ عِبارَةُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ علىٰ أَنَّ أَنْفُسَ الأَحْيَاءِ هِيَ الَّتِي تَذُوقُ الْمَوْتَ بانْفِصَالِ الأَرْوَاحِ عَنْهَا، فَتَرْتَفِعُ مِنْهَا الْحَيَاةُ، وحِينَ تَرْجِعُ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ النُّفُوسِ تَرْجِعُ إِلَيْهَا الحياة، فالحياةُ هِيَ حَيَاةُ النَّفْسِ بانْدِمَاجِ الرُّوحِ فيها، والموتُ يَكُونُ بانْفِصَالِ الرُّوحِ عَنْها.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُبَيِّنُ صُورَةً مِنْ صُوَرِ جَزَاءِ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَمِنْهُمُ الْمُهَاجِرُونَ فِي سَبِيلِه:

• ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ ـ وفي القراءة الأخرىٰ: [لَنُثْوِيَنَّهُم]، أَصْلُهُ مِنْ فعل: «ثَوَىٰ».

أي: وكُلُّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَبَّرُوا عَنْ صِدْقِ إيمانِهِمْ وصِحَّتِهِ بأَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ مُرْضِيَاتٍ للهِ عَمِلُوهَا؛ لَنُنْزِلَنَّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ مِنَ الجنَّةِ دَارِ المتَّقِينَ؛ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِ شُرُفَاتِهَا وَفِي المشَاهِدِ الواقِعَةِ مِنْ دُونِ مُسْتَوىٰ النَّظَرِ الأُفُقِيِّ فِيها الأَنْهارُ الْبَدِيعَةُ، حَالَةَ كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِيها دَواماً.

[لَنُبَوِّئَنَّهُمْ]: أي: لَنُنْزِلَنَّهُمْ، يُقَالُ لُغَةً: «بَوَّأَ فُلَانٌ فُلَاناً المكان» أي: أنْزَلَهُ فيه.

[لَنُثْوِيَنَّهُمْ]: أي: لَنُنْزِلَنَّهُمْ وَلَنُسْكِنَنَّهُمْ، يُقَالُ لغة: «أَثْوَيْتَ فُلَاناً، وَثَوَّيْتُ فُلَاناً» أي: أَنْزَلْتُهُ وَأَسْكَنْتُهُ. وَأَصْلُ الثوّاء يَحْمِلُ مَعْنَىٰ طول المقام.

[غُرُفاً] جَمْعُ «غُرْفَة»، وهي فِي الْقُصُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ عِنْدَ العرب ذَاتُ مَنْزِلَةٍ فيها، تُخْتَارُ لسَيِّدِ الْقَصْرِ وَمُتْعَتِهِ الخَّاصَةِ، ويُصْعَدُ إِلَيْهَا بِدَرَج، وتَكُونُ فِي العادة عَالِيَةً مُشْرِفَة.

• ﴿... نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾: فِي هـٰذِهِ العبارَةِ يُثْنِي اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ عَلَىٰ أَجْرِ الْعَامِلِينَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ بِمَا يُرْضِي اللهَ عَنْهُمْ، ومَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مِنْ ثَوَابٍ جَزِيل.

نِعْمَ: فِعْلٌ لإِنْشَاءِ الْمَدْحِ علىٰ سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ.

• ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾: فِي هـٰذِهِ الـعـبـارَةِ بَـيَـانٌ للسَّبَب الَّذِي اسْتَحَقَّ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الأَجْرَ العظيمَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم يَوْمَ الدِّين مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وهَـٰذَا السَّبَبُ يَرْجِعُ إِلَىٰ فَضِيلَتَيْنِ تَحَلَّوْا بِهِمَا بِكَسْبِهِمُ الاخْتِيَارِي.

الْفَضِيلَةُ الأُولَىٰ: أَنَّهُمْ صَبَرُوا عَلَىٰ فِعْلِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِفِعْلِهِ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ، وصَبَرُوا عَلَىٰ تَرْكِ مَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْ فِعْلِهِ، مِمَّا تَشْتَدُّ رَغْبَةُ نُفُوسِهِمْ فِي فِعْلِهِ ويَشُقُّ عَلَىٰ نُفُوسِهِمْ تَرْكُهُ.

الصَّبْرُ: قُوَّةٌ خُلُقِيَّةٌ مِنْ قُوَىٰ الإِرَادَة، تُمَكِّنُ الإِنْسَانَ مِنْ ضَبْطِ نَفْسِهِ لِتَحَمُّلِ المتاعِبِ والْمَشَاقِّ والآلام، وضَبْطِهَا عَنِ الانْدِفَاعِ بِعَوَامِلِ الضَّجَرِ والجَزَعِ والسَّأَمِ، والمَلَلِ والْعَجَلَةِ والرُّعُونَةِ، والغَضَبِ والطيش، والخوفِ والطمّع، والأَهْوَاءِ والشَّهَوَاتِ والْغَرَائِز.

الْفَضِيلَةُ الثَّانِيَة: أَنَّهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ لَا عَلَىٰ غَيْرِهِ يَتوكَّلُونَ، وهـٰذَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ الْعَظِيمَةِ للهِ عزَّ وجلَّ، وبَاعِثُهَا صِدْق الإيمان وقُوَّتُهُ.

التوكُّلُ علىٰ اللهِ: هو الاسْتِسلَامُ إِلَيْهِ، وتَفْوِيضُ تَدْبِيرِ الأمُورِ وتَحْقِيقِ مَا يَرْجُو المتَوَكِّلُ إليه، مع القيامِ بالأَسْبَابِ المسْتَطَاعَةِ المادِّيَّةِ والمعْنَوِيَّةِ طَاعَةً لأَمْرِهِ ونَهْيِهِ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُطَمْئِنُ الرَّاغِبِينَ فِي الْهِجْرَةِ مِنَ المؤمِنِينَ مِنْ أَجْلِ رِزْقِهِمْ بِبَيَانٍ كُلِّيّ بِشَأْنِ الرِّزْق:

• ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾:

[كَأَيِّنْ]: اسْمٌ مُرَكَّبٌ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ، وَ«أَيٍّ» المنَوَّنَةِ، وجَازَ الْوَقْفُ عَلَيْهَا بالنُّون، ولِهـٰذَا رُسِمَ خَطُّهَا في المصْحَفِ «كَأَيِّنْ» بالنُّون.

ومعنىٰ: «كَأَيِّنْ» مِثْلُ مَعْنَىٰ لَفْظِ «كَمْ»، وهو في الْغَالِبِ يُفِيدُ التَّكْثِير.

• ﴿مِّن دَآبَّةٍ﴾ تَمْيِيزٌ لِلإبْهَام فِي **[وَكَأَيِّنْ]**، وعِبَارَةُ: **[لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وإِيَّاكُمْ]** جُمْلَةٌ هِيَ خَبَرُ **[وَكَأَيِّنْ مِنْ دابَّةٍ]**.

المعْنَىٰ: وانْظُرُوا يَا مَنْ تُرِيدُونَ الطُّمَأْنِينَةَ مِنْ أَجْلِ أَرْزَاقِكُمْ إِذَا هَاجَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ أَنَّ دَوَابّاً كَثِيرَةً جِدّاً مِنْ حَوْلِكُمْ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا مِنْ مَوَاطِنِ إِقَامَتِهَا إِلَىٰ مَنَازِلِ أسْفَارِهَا، فِي جِهَاتِ الأَرْض، وأَنَّ اللهَ يَرْزُقُهَا في أَسْفَارِها، وفِي الْمَنَازِلِ الَّتِي تَنْزِلُ فِيها. وهُوَ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ يَرْزُقُكُمْ فِي بَلَدِكُمْ، وَفِي الأَمَاكِنِ الَّتِي تُهَاجِرُونَ إِلَيْهَا، والطُّرُقَاتِ الَّتِي تَمُرُّونَ بها.

• ﴿... وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾: أي: واللهُ هُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ صَوْتٍ مَهْمَا كَانَ خَافِتاً في الْوُجُودِ كُلِّهِ، ومِنْهُ أَصْوَاتُ أَدْعِيَتِكُمْ تَسْأَلُونَهُ أَرْزَاقَكُمْ. الْعَلِيمُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، ومِنْهُ عِلْمُهُ بأَحْوَالِكُمْ

وبِحَاجَاتِكُمْ إلىٰ الرِّزْقِ في كُلِّ مَكَانٍ تَصِلُونَ إلَيْهِ، وفِي كُلِّ مَكَانٍ تَنْزِلُونَ فِيه.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ المشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ آلِهَتَهُمْ هِي الَّتِي تَرْزُقُهُمْ، فَيَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ رَغْبَةً فِي أَنْ تُسَاعِدَهُمْ غيبيّاً فِي تَحْقِيقِ مطالِبِهِمْ مِن الرِّزْقِ وغَيْرِهِ مِنَ الأَرْضِيَّاتِ:

• ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾:

• ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾:

في هٰذِهِ الآيَةِ تَوْطِئَةٌ لإِقَامَةِ الدَّلِيلِ علىٰ المشْرِكِينَ بأنَّ الرازِقَ فِي الأرضِ هُوَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ، وأنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً، وَلَا تَجْلُبُ لَهُمْ نَفْعاً ولَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرّاً.

المعنىٰ: وأُقْسِمُ مُؤَكداً: لَئِنْ سَأَلْتَ أَيُّهَا الدَّاعِي إلَىٰ اللهِ المشْرِكِينَ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ؟، لَيَقُولُنَّ: اللهُ هُو الْخَالِقُ وهُوَ المسَخِّرُ، إِذْ هُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ هٰذِهِ مِنْ أَعْمَالِ رُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ، إِذْ هِيَ أَعْمَالٌ سَمَاوِيَّةٌ لَيْسَ لآلِهَتِهِمْ سُلْطَانٌ عَلَيْهَا وَلَا تأْثِيرٌ فِيها.

ولَمَّا كَانَ تَسْخِيرُ الشَّمْسِ والْقَمَرِ هُوَ لِمَنَافِعِ أَهْلِ الأَرْضِ، ومِنْ هٰذِهِ الْمَنَافِعِ إِنْبَاتُ نَبَاتَاتِ الأَرْضِ الَّتِي فِيها أَرْزَاقُ الأَحْيَاءِ الأرضية، إِذْ مِنْ أَسْبَابِ إِنْبَاتِهَا الأَشِعَّةُ والحرارَةُ، الَّتِي تَبُثُّهُمَا الشَّمْسُ عَلَىٰ الأَرْض، ومِنْ مَنَافِعِ الْقَمَرِ لِسُكَّانِ الأَرْضِ النُّورُ الَّذِي يَنْشُرُهُ عَلَيْهَا فِي اللَّيَالي، ومَعْرِفَةُ عَدَدِ السِّنِينَ وحِسَابِ الشُّهُور، ومَعْرِفَةُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِيتِ؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ

فِي الْبَيَانِ أَنْ يَقُولَ اللهُ ـ عَزَّ وجل ـ: ﴿... فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾: أي: فَكَيْفَ يُصْرفُ المشْرِكُونَ عَنْ حَقِيقَةِ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ فِي الْوُجُودِ كُلِّه، وَلَا رَزَّاقَ فِيهِ سِوَاهُ، إِذِ النَّبَاتَاتُ فِي الأَرْضِ لَا تَنْبُتُ مَا لَمْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الَّتِي يُؤْمِنُونَ بأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَخِّرُ لَهَا، هَـٰذا مِنْهُمْ تَنَاقُضٌ مَعَ أَنْفُسِهِمْ.

• ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾:

بِمُنَاسَبَةِ الْحَدِيثِ عَنِ الرِّزْقِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَفْعَالِ رُبُوبِيَّةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ أَنْ يُعْلِمَ اللهُ عِبَادَهُ؛ بِأَنَّ مِنْ أَعْمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ لَهُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الحياة الدُّنيا؛ أَنْ يُوَسِّعَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَأَنْ يُضَيِّقَ وَيُقَلِّلَ الرِّزْقَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، لأَنَّ حِكْمَتَهُ فِي ابْتِلَائِهِ لَهُمْ وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي صِفَاتِهِمُ النَّفْسِيَّة؛ أَنْ يَشَاءَ بَسْطَ الرِّزْقِ لِمَنْ قَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يُوَسِّعَ الرِّزْقَ لَهُمْ فِي امْتِحَانِهِمْ، وأَنْ يَشَاءَ تَقْلِيلَ الرِّزْقِ علىٰ مَنْ قَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

ومِنَ الحقائِقِ الثَّابِتَةِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ أَنَّ مَشِيئَتَهُ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ الَّتِي يَخْتَارُ بِهَا أَفْضَلَ الأَشْيَاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ، ولَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ يَخْتَارُ بِحِكْمَتِهِ مِنَ الاحْتِمَالَاتِ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا عِلْمُهُ أَفْضَلَ الاحْتِمَالَاتِ وأَحْسَنَهَا، وأَكْثَرَهَا مُوَافَقَةً لِلنَّتَائِجِ الَّتِي تُرْجَىٰ مِنْهَا.

• ﴿... يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ...﴾: أي: يُوَسِّعُهُ وَيُكَثِّرُهُ.

• ﴿... وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ...﴾: أي: يُضَيِّقُهُ ويُقَلِّلُهُ لَهُ عَنْ كَامِلِ حاجَتِهِ وحاجَةِ عِيالِه.

• ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾:

أي: وأُقْسِمُ مؤكّداً: لَئِنْ سَأَلْتَ المشْرِكِينَ يَا أَيُّهَا الدَّاعِي إلىٰ اللهِ: مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ فَأَنْبَتَ فِيهَا النَّبَاتَاتِ علىٰ اخْتِلَافِ أنْواعِهَا؟، لَيَقُولُنَّ: اللهُ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها، فَأَنْبَتَ فِيهَا النَّبَاتَاتِ علىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِها، إذْ هم يُؤْمِنُونَ بأنَّ إنْزَال الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ أَعْمَالِ رُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ، ولَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ آلِهَتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عزّ وجلّ.

هُنَا يَقُول لَهُمُ الدَّاعِي إلَىٰ اللهِ: أَلَيْسَتِ الأَرْزَاقُ فِي الأَرْضِ مِنَ النَّبَاتَاتِ، حَتَّىٰ اللُّحُومُ الْحَيَوَانِيَّةُ فَلَوْلَا النَّبَاتَاتُ لَمْ تكُنْ؟.

عِنْدَ هٰذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْجَدَلِيَّةِ لَا بُدَّ أَنْ يُسَلِّمَ المشْرِكُ، أَوْ يَنْقَطِعَ ويُفْحَمَ، وتَنْتَهِي هُنَا مَرَاحِلُ المناظَرَة، وبانْتِهَائِهَا يَكُونُ آخِرُ مَا يَدْعُو بِهِ الدَّاعِي إلىٰ اللهِ أَنْ يَقُولُ: [**الْحَمْدُ للهِ**].

وجاء التَّعْلِيقُ الرَّبَّانِيُّ بِبَيَانِ أَنَّ أَكْثَرَ المشْرِكِين لَا يَعْقِلُونَ، فَقَالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾: أي: لَا تَطْمَعْ أَيُّهَا الدَّاعِي إلَىٰ اللهِ؛ فِي أَنْ تَجْعَلَ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ بإقَامَةِ الحجَّةِ عَلَيْهِمْ يُسَلِّمُونَ فَيَنْبِذُونَ شِرْكَهُمْ، ويُؤْمِنُونَ بأنَّهُ لَا رَبَّ فِي الوجُودِ إلَّا اللهُ فلَا إلٰه إلَّا هُو، بَلْ سَتَجِدُ أَكْثَرَهُمْ يُصِرُّونَ عَلَىٰ باطِلِهِمْ إذْ هُمْ لَا يَعْقِلُون.

إنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ عَقْلاً عِلْمِيّاً، لأَنَّ مَدَارِكَهُمْ مُغَشّىً عَلَيْهَا بِزُيُوفِ المفاهِيمِ الْبَاطِلَةِ الْمَوْرُوثَةِ عَنْ آبَائِهِمْ وأَجْدَادِهِمْ.

وإنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ عَقْلاً إرَادِيّاً، لأَنَّ أَهْوَاءَهُمْ وشَهَواتِهِمْ ومَطَالِبَهُمْ مِنْ حَيَواتِهِمْ؛ مَشْدُودَةٌ بِقُوَّةٍ إلَىٰ شِرْكِهِمْ وَلَوَازِمِهِ فِي السُّلُوك.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتَابِعاً إقْنَاعَ المشْرِكِينَ بأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الَّتِي يَحْرِصُونَ عَلَىٰ الظَّفرِ مِنْهَا بِأَكْبَرِ نَصِيبٍ، فَيُصِرُّونَ علىٰ شِرْكِهِمْ ولَوَازِمِهِ في السُّلُوكِ؛ لَيْسَتْ ذَاتَ قِيمَةٍ حَقِيقِيَّةٍ بِجَنْبِ الآخِرَةِ الْخَالِدَةِ الأَبَدِيَّة:

• ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾:

اللَّهْو: كُلُّ أَمْرٍ قَلِيلِ القِيمَةِ يَشْغَلُ عمَّا يَجبُ تَوْجِيهُ الْجَهْدِ والْعَمَلِ لَهُ، فالّذِي يَعْمَلُ لمصالح دُنْيَاهُ مُهمِلاً الْعَمَلَ لِسَعَادَتِهِ في آخِرَتِهِ الخالِدَةِ إنَّمَا يَلْهُو بالفاني عَنِ البَاقِي.

اللَّعِبُ: ضِدُّ الْجِدّ، ومِنْهُ عَبَثٌ مُطْلَقٌ، ومِنْهُ مَا فِيهِ فَائِدَةٌ تُقْصَدُ لِلْجَسَدِ أَوِ النفس كالرِّيَاضَة، ويُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ عملاً لَا يَجْنِي مِنْهُ نَفعاً: إنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ.

المعنىٰ: وَمَا بَذْلُ الْجَهْدِ والطَّاقَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ لَذَّاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِجَنْبِ الآخِرَةِ؛ إلَّا لَهْوٌ يَشْغَلُ عمَّا يَجِبُ تَوجِيهُ الْجَهْدِ والْعَمَلِ لَهُ لِتَحْصِيلِ السَّعَادَةِ الْخَالِدَةِ يَوْمَ الدِّين، أَوْ لَعِبٌ مِنْ نَوْعِ الْعَبَثِ، أَوْ مِنْ نَوْعِ مَا فَائِدَتُهُ قَلِيلَةٌ ضَئِيْلَةٌ، بِجَنْبِ ذِي فَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ خالِدَةٍ خُلُوداً أبَدِيّاً.

• ﴿... وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ...﴾: أي: وإنَّ حَيَاةَ الدَّار الآخِرَةِ في جَنَّاتِ النَّعِيم؛ لَهِيَ الحيَاةُ ذَاتُ الكَمَالِ فِي كُلِّ مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الحياة السَّعِيدَةِ وَخَصَائِصِها.

الْحَيَوانُ: أي: الحياةُ ذَاتُ الكَمَالِ فِي كُلِّ مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ وخَصَائِصِها.

• ﴿... لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾: أي: لَوْ كَانَ الْمشْرِكُونَ حَرِيصِينَ عَلَىٰ أَنْ يَعْلَمُوا مَا يَكُونُ سَبَبَ سَعَادَتِهِمُ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَها؛ لَعَلِمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ السَّعِيدَةَ الْخَالِدَةَ؛ هِيَ حَيَاةُ الدَّارِ الآخِرَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم، تَصْدِيقاً لبَيَانَاتِ رَبِّهِمْ، رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِي كتابِهِ المعْجزِ للإِنْسِ والْجِنّ.

▪ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّناً أَنَّ الإيمَانَ فِي عُمْقِ أَفْئِدَةِ المشْرِكِينَ تَكْشِفُهُ

أَحْدَاثُ المخاطِرِ الْمُهْلِكَةِ الْعُظْمَىٰ، فَيَدْعُونَ اللهَ رَبَّهُمْ، ولَا يَدْعُونَ شُرَكَاءَهُمْ، وحِينَمَا يُنَجِّيهُمُ اللهُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ ويأمَنُونَ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ شِرْكِهِمُ الّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ حُدُوثِ المخَاطِرِ:

• ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾:

أي: يَسْتَمِرُّ المشْرِكُونَ المعالَجُونَ بالْمُعَالَجَاتِ السَّابِقَاتِ فِي السُّورَةِ مُصِرِّينَ عَلَىٰ شِرْكِهِمُ الاعْتِقَادِيِّ، ولَوَازِمِهِ في السُّلُوكِ، حَتَّىٰ تَحِلَّ بِهِمُ الْمَخَاطِرُ الْعُظْمَىٰ الَّتِي لَا خَلَاصَ لَهُمْ مِنْهَا، وَيَرَوْنَ أَنَّ هَلَاكَهُمْ فِيهَا أَقْرَبُ إِلَىٰ نُفُوسِهِمْ مِنْ عَصاً يُمْسِكُونَها بأيْدِيهِمْ، عِنْدَئِذٍ يَتَيَقَّظُ فِي عُمْقِ أَفْئِدَتِهِمْ مَا هُوَ مَغْرُورٌ فِيهَا، مِنْ فِطْرَةٍ إيمَانِيَّةٍ بِأَنَّهُ لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا اللهُ، فَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُو، ولَا يُنْجِيهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ إِلَّا هُو، فَيَدْعُونَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَا يُشْرِكُونَ فِي دُعَائِهِمْ له أحداً.

ومِنْ أمْثِلَةِ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ، وهَاج بِهِمُ الْبَحْرُ ومَاجَ، وتَخَبَّطَتْ بِهِمُ الأَمْوَاجُ، وَرَأَوْا أَنَّ الْمُهْلِكَاتِ مُحِيطَةٌ بِهِمْ، ولَمْ يَجِدُوا سَبَباً يَتَّخِذُونَهُ لِنَجاتِهِمْ؛ لَمْ يَدْعُوا آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ، بَلْ يَدْعُونَ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدُّعَاءَ الَّذِي هُوَ مِنَ الدِّينِ بِمَثَابَةِ مُخِّ الْعِبَادَة، لَكِنَّهُمْ عَقِبَ أَنْ يُنَجِّيَهُمُ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ مَخَاطِر، ويُوصِلَهُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ الآمِنِ؛ يُفَاجِئُونَ بِأَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَىٰ شِرْكِهِمُ السَّابِقِ، وعِلَّتُهُمُ النَّفْسِيَّةُ تَرْجِعُ إِلَىٰ أَمْرَين:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: رَغْبَتُهُمْ فِي أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْمَدُوهُ عَلَيْها، ولَا يُرِيدُونَ أَنْ يُؤَدُّوا شَيْئاً مِنْ واجِبات شُكْرِهِمْ لَهُ عَلَيْهَا، تَعَالياً واسْتِكْبَاراً. هـٰذا ما نَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾، ومِنْ لَوَازِمِ كُفْرِهِمْ هـٰذا أَنْ

يَخُوضُوا فِي المَعَاصِي والْمُخالَفَاتِ، فَلَا يُطِيعُوا رَبَّهُمْ بِفِعْلِ مَا يأمُرُهُمْ بِفِعْلِهِ، وتَرْكِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِتَرْكِهِ أَوَ يَنْهَاهُمْ عَنْ فِعْلِهِ.

الأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَنْطَلِقُوا بِفُجُورٍ، يَسْتَمْتِعُونَ بِكُلِّ مَا يَشَاؤُونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الحياة الدُّنْيا، دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِعقَبَاتٍ وَخَزَاتِ ضَمَائِرِهِم، عَلَىٰ مَا يَرْتَكِبُونَ مِنْ قَبَائِحَ وَشَنَائِعَ ومُنْكِرَاتٍ، وبَغْيٍ وعُدْوان، وظُلْمٍ وطُغْيَان. وَهَـٰذا مَا نَفْهمُهُ مِنْ قول اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾.

• ﴿... فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾: أي: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ مُغَالِينَ فِي ظُلْمِهِمْ، عُصَاةً لِرَبِّهِمْ مِنْ دَرَكَةِ الكُفْرِ، وَأَنَّ مَصِيرَهُمُ الْخُلُودُ فِي عَذَابِ النَّار.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يَتَحَدَّثُ عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيل، ولا سِيمَا أَئِمَّةُ الكُفرِ والْعِنَادِ مِنْهُمْ:

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

أي: أَفقَدَ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ، المسْتَكْبِرُونَ الْمُعَانِدُونَ؛ قُدْرَاتِ التَّفْكِيرِ والْفَهْمِ الَّتِي فَطَرَهُمُ الْبَارِئُ عَلَيْها، وَلَمْ يَرَوْا مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَرَمٍ آمِنٍ مِنْ أَجْلِ بَيْتِهِ المشَرَّفِ، الَّذِي بَنَاهُ جَدُّهُمْ إِبْرَاهِيمُ وابْنُهُ إِسْمَاعِيل عليهما السلام بعِيداً عَنْ مَوَاطِنِ الشِّرْكِ والْكُفْرِ حينئذٍ في الأَرْضِ، لِيَكُونَ الْبَلَدُ مِنْ حَوْلِهِ بَلَدَ تَوْحِيدِ اللهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وفي إِلـٰهِيَّتِهِ، وقَدْ جَعَلَ الله فيه الأَمْنَ مِنَ الْحَوادِثِ الكَوْنِيَّة المدَمِّرَة كالزَّلَازِلِ والْبَرَاكِين، وجَعَلَ فِيهِ الأَمْنَ بالأَحْكَامِ التكليفيَّةِ الشَّرعيَّةِ الْمَوْرُوثَةِ عَنْ إِبْرَاهِيم وإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام، بَيْنَمَا يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ، فَيُؤْخَذُونَ بِسُرْعَةٍ إِلَىٰ هَلَاكِهِمْ أَوْ سَلْبِ أَمْوَالِهِمْ؟!.

يُقَالُ لغة: «تَخطَّفَهُ، يَتَخَطَّفُهُ» أي: خَطَفَهُ وجَذَبَهُ بِشِدَّةٍ وسُرْعَةٍ، واسْتَلَبَهُ، واخْتَلَسَهُ.

وكانَتِ الأرْضُ مَا عَدَا الحرَم المكِّيِّ يَوْمَئِذٍ لَا أَمْنَ فِيها غالباً.

• ﴿... أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

أي: أَهُمْ فِي غَايَةِ الانْحِطَاطِ والْخِسَّةِ، واتِّبَاعِ الأهْوَاءِ والشَّهَواتِ وَمَتاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَبِالْبَاطِلِ الَّذِي زَيَّنَهُ لَهُمُ الشَّيْطَان، فَجَعَلَهُمْ يَتَّخِذُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ زُوراً وبُهْتَاناً وافْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ، فَهَلْ بِهٰذَا يُؤْمِنُونَ، زَاعِمِينَ أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً وَهُوَ بَاطِلٌ وَاضِحُ الْبُطْلَان، وبِنِعْمَةِ اللهِ رَبِّهِمْ الْغَامِرَةِ لَهُمْ يَكْفُرُونَ؟.

الاسْتِفْهَامُ فِي هٰذا الْبَيَانِ يُرَادُ بِهِ التَّلْوِيمُ والتَّثْرِيبُ، والاسْتِخْفَافُ بِعُقُولِهِمُ المجانِبَةِ لِلْحَقِّ والصَّوَابِ فِي اخْتِيَارَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ.

▪ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّناً أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَظْلَمُ مِنْهُمْ مَعَ هٰذا الاخْتِيَارِ المسْتَنْكَرِ الَّذِي اخْتَارُوه لأنْفُسِهِمْ، وهُوَ أَشْنَعُ الاخْتِيَارَاتِ:

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾؟؟:

الاسْتِفْهَامُ فِي صَدْرِ هٰذِهِ الآيَةِ يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، أَيْ: لَا يُوجَدُ أَشَدُّ ولَا أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِباً، ومِمَّنِ افْتَرَىٰ علَىٰ اللهِ كَذِباً مَنْ زعَمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكاً أو شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكاً أَوْ شُرَكَاءَ فِي إِلٰهِيَّتِهِ. وكَذَلِكَ لَا يُوجَدُ أَشَدُّ وَلَا أَكْثَرُ ظُلْماً مِمَّنْ كَذَّب بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ حينَمَا جَاءَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللهِ عَلَيْهِمْ السَّلَام، مُؤَيَّدٍ مِنْهُ بالآيات البيِّنَات، والمعْجِزَاتِ الباهرات.

والاسْتِفْهَامُ الثَّانِي فِي هٰذِهِ الآيَةِ؛ يُرَادُ بِهِ الإعْلَامُ والإنْذَارُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فِي جهَنَّمَ، بِأُسْلُوبِ الكِنَايَة:

• ﴿... أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾: أي: لِيَكُنْ بِعِلْمِ هٰؤُلَاءِ المشْرِكِينَ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَىٰ اللهِ كَذِباً، وكَذَّبُوا بالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ لَمَّا

جاءَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رسُولِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَام، المؤيَّدِ مِنْ لَدُنْهُ بالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ والْمُعْجِزَاتِ الباهرات؛ بأَنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَىٰ خالِداً، إِذْ هُمْ كَافِرُون.

جَهَنَّم: اسْمٌ عَلَمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِيُعَذِّبَ فِيها الْكَافِرِينَ والعصاةَ يَوْمَ الدِّين، وهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّة والتَّأْنِيث.

مَثْوَىٰ: مَكَانُ إِقَامَةٍ واسْتِقْرَار.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِضَمِير المتكلِّم العظيم مُطْمِعاً المجاهِدِينَ في سَبِيلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُهَاجِرُونَ؛ بِأَنَّهُ سَيَهْدِيهِمْ سُبُلَهُ المنْجِيَةَ لَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، والمظْفِرَةَ لَهُمْ بِهِمْ، والنَّاصِرَةَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ:

• ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾:

الجهاد: كَلِمَةٌ عَامَّة تَشْمَلُ كُلَّ مَا فِيهِ بَذْلُ جَهْدٍ بِمَشَقَّة، ومِنْ تَطْبِيقَاتِهِ الْهِجْرَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الأمْرُ الَّذِي جَاءَ الإلْمَاحُ إِلَيْهِ في آيَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ من السُّورَةِ.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾: أي: لَنَجْعَلَنَّ لَهُمْ بِتَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا وإلْهَامَاتِنَا ما يُبَيِّنُ لَهُمْ ويُعْلِمُهُمْ.

﴿سُبُلَنَاۚ﴾: جَمْعُ: «سَبِيلٍ»، وقَدْ نَظَرْتُ في القرآنِ الْمَجِيدِ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصِّرَاط والسَّبِيلَ لَا يُسْتَعْمَلَانِ بِمَعْنَىٰ شَرِيعَةِ اللهِ إِلَّا مُفْرَدَيْنِ، لأَنَّ صِرَاطَ اللهِ لِعِبَادِهِ واحِدٌ، وكَذَلِكَ سَبِيلُ اللهِ لعبادِه، أَمَّا السُّبُلُ مَجْمُوعَةً فَهِي سُبُلُ الشَّرِّ، وسُبُلُ الشَّيَاطِين. وسُبُلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي السِّلْمِ والْحَرْبِ، حَتَّىٰ سُبُل رِزْقِ الأَحْيَاء وسُبُل السلام.

المعنىٰ: والَّذِينَ بَذَلُوا جَهْداً بِمَشَقَّةٍ فِي سَبِيلِنَا وابْتِغَاء مَرْضَاتِنَا، ومِنْهُ تَحَمُّلُ مَشَاقِّ الْهِجْرَةِ؛ لَنَهْدِيَنَّهُمْ بِوَسَائِلِنَا وَتَوْفِيقِنَا وإِلْهَامَاتِنَا سُبُلَ نَجَاتِهِمْ مِنْ أَذَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وظَفَرِهِمْ بِهِمْ، وانْتِصَارِهِمْ عليهم، ومِنْ هَـٰذِهِ السُّبُلِ تَيْسِير

إِعْدَادِ الْقُوىٰ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ سُبُلِ النَّصْرِ والتَّفَوُّقِ والْعِزِّ وامْتِلَاكِ السُّلْطَانِ فِي الأَرْض.

ووَصَفَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - هٰؤلَاءِ المجاهِدِينَ بأَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ، إِذَا كانُوا يَعْبُدُونَهُ فِي جِهَادِهِمْ كَأَنَّهُمْ يَرونَهُ، فَقَالَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ:

• ﴿... وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾: أي: هُو مُصاحِبٌ لَهُمْ بالْعَوْنِ والتَّسْدِيدِ والتوفِيقِ والْهِدَايَةِ إلىٰ السُّبُلِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ هُمُ الأَعِزَّاءَ المتفَوِّقِين.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْسِ التَّاسِعِ من دُروس سورة (الْعَنكبوت) وهو الدَّرْسُ الأخير مِنْ دُروسِ السورة.

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.



(١٤)
ملحق: مُستَخرَجَات بَلَاغِيّة مِنَ السُّورَة

تُوجَدُ فِي سُورَةِ العَنكَبوتِ اختياراتٌ بَلَاغِيَّةٌ عَدِيدة، ومِنْها الاختياراتُ التالِيَاتُ اللّاتي اسْتَخْرَجْتُها مِنْها:

أَوَّلاً: مِن الإيجاز بالحذف قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السّورة خِطَاباً لِرَسُولِهِ محمّد ﷺ، وإسْمَاعاً للمشْرِكين المبْطِلِين:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾:

أي: ولَوْ كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِ إِنْزَالِ القرآنِ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ من حِفْظِكَ، ولَوْ كُنْتَ تَخُطُّ كِتاباً، ولَوْ كُنْتَ كَاتِباً؛ لارْتَابَ المبْطِلُونَ ارْتِيَاباً صَادِراً عَنْ قُلوبِهِمْ، وَلأَشَاعُوا بَيْنَ جَماهِيرِهِمْ أَنَّ ارتِيَابَهُمْ حَقٌّ. أمّا والحالُ

أَنَّهُ ﷺ أُمِّي لَا يَقْرأ ولَا يَكْتُبُ فَهُمْ كَاذِبُون في ارْتِيَابِهم، إذْ هُمْ مُسْتَيقِنُونَ بأنَّ القرآن تَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِين.

❁ ❁ ❁

ثانياً: من استخدام اسم الإشارة الموضوع لُغةً لِلْبَعِيد في الْمُشَارِ إليهِ القريب، الأمْثِلَةُ التَّالِية:

المثال الأول: قول اللهِ عزَّ وجلّ في السورة يَقُصُّ بَعْضَ أَحْدَاثِ دعوة إِبْرَاهيم عَلَيْهِ السَّلام:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾:

المشار إليه بـ [ذلِكُمْ] قولُهُ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ وهو قريب، واسْمُ الإشارةِ المستَعْمَلُ مَوْضُوعٌ لِلْبَعِيد. والْغَرَضُ الدَّلاَلَةُ عَلَىٰ ارتفاعِ مَنْزِلَةِ تَوحِيدِ اللهِ في العبادة، وارتفَاعِ مَنْزِلَةِ طَاعَةِ اللهِ في أوامِرِه ونواهِيه لاتِّقَاءِ عِقَابِهِ.

المثال الثاني: قول اللهِ عزَّ وجلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وهُمْ كَافِرُونَ:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾:

أُشِيرَ إلىٰ الْكَافِرِينَ المذْكُورِينَ فِي صَدْرِ الآيَة باسْمِ الإشَارَةِ الموضُوع للبعيدين، للدَّلاَلَةِ علىٰ بُعْدِ دَرَكَتِهِمْ جِدّاً في اتِّجاهِ الدرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وفي اتِّجَاهِ أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

المثال الثالث: قول الله عزَّ وجل بِشَأْنِ تَنْجِيَةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ من الحريق بالنَّار الَّتِي أَلْقَاهُ فِيها طُغَاةُ قَوْمِهِ:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾:

المشارُ إلَيْه باسم الإشارة الموضوعِ للبعيد: [**ذَلِكَ**] إنْجاءُ اللهِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ، وهُو مَذْكُورٌ بِعِبَارَةٍ فِي غَايَةِ القرب، للدَّلَالَةِ عَلَىٰ سُمُوِّ مَنْزِلَةِ هٰذا الإنْجاء.

المثال الرابع: قول اللهِ عزَّ وجَلَّ:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾:

جَاءَ اسْمُ الإشارةِ في: [**وَتِلْكَ**] الموضوعِ للأشياء الْبَعِيدَةِ يُشَارُ بِهِ إلَيْها، مَعَ أَنَّ المشار إلَيْهِ موجود قريباً في الآية (٤١) وهو قول الله تَعالىٰ:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾:

والْغَرَضُ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ قِيمَةِ هَٰذَا المثَلِ الرَّفِيعَةِ، للتَأَمُّلِ فِيهِ بإمْعَانٍ والاسْتِفَادَةِ مِنْهُ فِي نَبْذِ اتِّخَاذِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الله.

المثال الخامس: قول اللهِ عَزَّ وجَلَّ في السورة:

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

جَاءَ اسْمُ الإشارة: [**ذَلِكَ**] الموضوع للمشار إليه البعيد، للدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ والأرض بالْحَقِّ خَلْقٌ رَفِيعُ الْقِيمَةِ جداً، يُدْرِكُ هَٰذا أَهْلُ الْفِكْرِ الباحِثُونَ بِصِدْقٍ عَنْ كُبْرَيَاتِ الحقائِق، والْحَرِيصُونَ عَلَىٰ الإيمان بها، فَيَجِدُونَ فِيهِ آيَةً عُظْمَىٰ مِنْ آياتِ اللهِ في كَوْنه.

المثال السادس: قولُ اللهِ عزَّ وجَلّ:

﴿... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

جاءَت الإشارة إلَىٰ الَّذِين آمَنُوا بالْبَاطِلِ وكَفَرُوا باللهِ باسم الإشارة الموضُوع للبعيدين: [**أُولَئِكَ**] للدَّلَالَةِ عَلَىٰ بُعْدِ دَرَكَتِهِمْ جدّاً، فِي اتِّجَاهِ الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وفي اتِّجَاهِ أَسْفَلِ سَافِلينَ.

❀ ❀ ❀

ثالثاً: مِنْ خُرُوج الاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ وهُوَ طَلَبُ الإفْهَامِ إِلىٰ دَلَالَاتٍ أُخرَىٰ، الأمْثِلَةُ التَّالِيَة:

المثالُ الأول: قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾:

يُراد بالاسْتِفْهَامِ فِي هـٰذِهِ الآيَة النَّهْيُ، أي: لا يَحْسَبُوا هَـٰذا الْحُسْبَانَ، ولَا يَتَوَهَّمُوا هـٰذا التَّوَهُّم.

المثال الثاني: قول اللهِ عزَّ وجلّ في السورة:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾:

الاسْتِفْهَامُ فِي هـٰذِهِ الآيَة نظيرُ الاسْتِفْهَامِ في الآية (٢) السابقة.

المثال الثالث: قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿... أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾:

الاسْتِفْهامُ في هـٰذِهِ الْعِبَارةِ اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرِيٌّ وإعْلَامِيٌّ.

المثال الرابع: قَوْلُ اللهِ عزَّ وجَلَّ في السورة:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩﴾:

يُرادُ بالاسْتِفْهَامِ فِي هـٰذِهِ الآيَةِ تَثْرِيبٌ وتَلْوِيمُ مَنْ رَأَوْا، وحَثُّ مَنْ لَمْ يَرَوْا عَلَىٰ أَنْ يَرَوْا هـٰذِهِ الحقيقَة، بالتَّفَكُّرِ فيها في كائناتٍ كَثِيراتٍ مِمَّا خَلَقَ اللهُ.

المثال الخامس: قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾:

يُرَادُ بالاسْتِفْهَامِ فِي هـٰذِهِ الآيَةِ التَّلْوِيمُ، والتَّثْرِيبُ عَلَىٰ مُكَذِّبي الرَّسُولِ ﷺ، طُلَّابِ آيَاتٍ مُعْجِزَاتٍ كُبْرَىٰ تَشْهَدُهَا أبْصَارُهُمْ، كآيَاتِ مُوسَىٰ وعِيسَىٰ عَلَيْهِما السَّلَام.

المثال السادس: قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

في هـٰذِهِ الآيَةِ اسْتِفْهَامَانِ:

الأَوَّل مِنهما: يُرَادُ بِهِ التَّذْكِيرُ بإحْدَىٰ نِعَمِ اللهِ علىٰ أَهْلِ مَكَّة، يَسْتَحِثُّهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَنْ يَنْبِذُوا شِرْكَهُمْ، ويُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ أَحداً ولَا شيئاً.

الثَّاني مِنْهُما: يُرَادُ بِهِ التَّلْوِيمُ والتَّثْرِيبُ، وبَيَانُ سَفَاهَةِ المشْرِكِينَ إِذْ هُمْ يُؤْمِنُونَ بالْبَاطِلِ، ويَكْفُرُونَ بالْحَقِّ، ومِنْ كُفْرِهِمْ بالْحَقِّ جُحُودُهُمْ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ.

المثال السابع: قَوْلُ اللهِ عزَّ وجَلَّ في السورة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾:

في هـٰذِهِ الآيَةِ اسْتِفْهَامَان:

الأَوَّل مِنْهُما: يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، أي: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بالْحَقِّ لَمَّا جاءَه.

الثَّانِي مِنْهما: يُرَادُ بِهِ الإعْلَامُ والإنْذَارُ بِعَذَابٍ أَبَدِيٍّ فِي جَهَنَّمَ يَذُوقُونَ فيها الحريق.

❁ ❁ ❁

رَابعاً: مِنَ الْقَصْرِ والْحَصْرِ «وهو تخصيصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِعِبَارَةٍ كَلَامِيَّةٍ تَدُلُّ عليه» الأمْثِلَةُ التَّالِيَةُ:

المثال الأول: قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السّورة:

﴿... وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾:

أي: واللهُ هُوَ وَحْدهُ المتَّصِفُ بأَنَّهُ السَّمِيعُ لكُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْمَعُ، وبأَنَّهُ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ يُعْلَمُ.

استفيد الْقَصْرُ مِنْ تَعْرِيفِ طَرَفَي الإسْناد، والقَصْرُ هُنَا حقيقيّ.

المثالُ الثاني: قولُ اللهِ عزّ وجلّ في السورة:

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾:

أي: وَمَنْ جاهَدَ فَلَا يُجاهِدُ إلَّا لِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ، ولَا يَجْلُبُ بِجِهَادِهِ نفعاً لِلْبَارِي ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لأَنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عن الْعَالَمِين.

اسْتُفِيدَ الْقَصرُ من أداة «إنَّما» وهُوَ هُنَا قَصْرٌ إضَافِي، إذْ قَدْ يَحْصُلُ بِجِهَادِهِ نَفْعٌ لِلْمُسْلِمينَ، أَوْ نَفْعٌ اجْتِمَاعِيٌّ يَظْهَرُ بِانتِشَارِ الإسْلَامِ، وبالاستجابَةِ لِدَعْوَتِهِ في النَّاس.

المثال الثالث: قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة:

﴿... إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ ... ۝٨﴾:

أي: إلَيَّ وَحْدِي، وإلىٰ حِسَابي، وفَصْلِ قَضَائِي؛ رُجُوعُكُمْ إلىٰ الحياة بالْبَعْثِ يَوْمَ القيامَة، بَعْدَ مَرْحَلَةِ الموت، الّتِي هِيَ الْبَرْزَخُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الحياة الأولىٰ والحياة الأُخْرَىٰ.

اسْتُفِيدَ القصرُ هُنَا مِنْ تَقْدِيمِ المعْمُولِ [إِلَيَّ] عَلَىٰ عامِلِهِ [مَرْجِعُكُمْ]، والظاهر أَنَّ الْقَصْرَ هُنَا قَصْرٌ حَقِيقي.

ونظيره: ﴿... إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٧﴾، وكذلك: ﴿... وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝٢١﴾.

المثال الرابع: قولُ اللهِ عز وجلّ في السورة حِكَايَة لقول إبراهيمَ عليه السَّلَام في دَعْوَتِهِ لِقَوْمه:

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ... ۝١٧﴾:

أي: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلَّا أَوْثَاناً لَيْسَ فِي الغيب مِنْ ورَائِهَا مَا لَهُ نَفْعٌ يُرجَىٰ، أَوْ ضَرَرٌ يُخْشَىٰ. وأَنْتُمْ تَفْتَرُون كَذِباً بادِّعَاءَاتِكُمْ إِذْ تَعْبُدُونَهَا رَاجِينَ أَنْ تجلُبَ لَكُمْ نفعاً أَوْ تَدْفعَ عَنْكُمْ ضرّاً.

هٰذا قَصْرٌ حقيقيٌ بأَدَاةِ «إنَّما».

المثال الخامس: قول اللهِ عزّ وجلَّ في السّورَة حكايةً لِقَوْلِ إبراهيم عليه السلام لِقَوْمِهِ في دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ إلىٰ دِينِ اللهِ الحقّ:

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٨﴾:

في عِبَارَةِ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ قَصْرٌ بالنَّفي والاسْتِثْنَاء، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِي، أي: مَا علىٰ الرَّسُول بالإضافَةِ إِلَىٰ المكذِّبين إِلَّا الْبَلَاغُ المبينُ. إِذْ لَهُ وَظَائِفُ أُخرىٰ غير البلاغ بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَنْ آمَنَ بِهِ واتَّبَعَهُ.

المثال السادس: قول اللهِ عزّ وجلّ في السورة:

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾:

أي: لَا تَعْبُدُوا فِي عِبَادَةٍ مَا غَيْرِي. جاء الْقَصر مِنْ دَلَالَة تَقْدِيم المعمول علىٰ عامِلِهِ. وهو قَصْرٌ حَقِيقيٌّ.

ونظيره: ﴿... وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾.

المثال السابع: قول اللهِ تَعالَىٰ في السُّورَة بِشَأْنِ إبراهيم عَلَيْهِ السلام وقومه:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ... ۝٢٤﴾.

ونظيره ما جاء في السورة بشأن لوطٍ عليه السَّلَامُ وقَوْمِهِ:

﴿... فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٩﴾:

القصر في الآيتين جاء بالنفي والاسْتِثْنَاء.

وَتُوجَدُ في السورة أمْثِلَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِن الْقَصْرِ، تَرَكْتُ التَّنْبِيهَ عَلَيْها، لأَنَّها مُشَابِهَةٌ لِمَا ذَكَرْتُهُ، ولَا يَصْعُبُ عَلَىٰ مُتَدبِّر السُّورَةِ اسْتِخْرَاجُهَا وشَرْحُها.

❁ ❁ ❁

خامساً: مِنَ التَّوكِيد لوُجُودِ دَواعٍ بَلاغِيَّةٍ تَدْعُو إِلَيْه، الأَمْثِلَةُ التالِيَة:

المثال الأول: قول اللهِ عزَّ وجلَّ في السورة بضمير المتكلّم العظيم:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾:

ثَلاثُ جُمَلٍ في هٰذِهِ الآيَةِ مُؤَكَّدَاتٌ لِوُجُودِ دَواعٍ فيها للتَّوكيد:

(١) التوكيدُ بالقسم المنوي، وبحرف «قد» في: [**وَلَقَدْ**].

(٢) التوكيد باللّام وبنون التوكيد الثقيلَة في: [**فَلَيَعْلَمَنَّ**]، وفي: [**وَلَيَعْلَمَنَّ**].

المثال الثاني: قولُ اللهِ عزّ وجَلَّ في السّورَة:

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾:

جاء التوكيدُ فِي: [**فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ**] بـ «إِنَّ - والجملة الاسمية - واللّامِ المزَحْلَقَةِ».

المثال الثالث: قول اللهِ عزّ وجل:

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾:

جاء التوكيد في هٰذِهِ الجملة بـ «إِنَّ ـ والجملة الاسمية ـ واللّام المزحْلَقة».

المثال الرابع: قول اللهِ عزَّ وجلّ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾:

جاءَ في: [**لَنُكَفِّرَنَّ**] وفي: [**لَنَجْزِيَنَّهُمْ**] التوكيد بـ «باللام ـ وبِنُونِ التوكيدِ الثَّقِيلَة».

ونَظِيرُهُمَا فِي: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾.

المثال الخامس: قول اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ المنَافِقِين:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ... ۝١٠﴾:

جاء فِي هٰذِهِ الآية التَّوْكِيدُ فِي: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ بالْقَسَمِ المنوِيّ، فاللامُ في «لَئِنْ» وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الْقَسَم الملاحَظِ ذهْناً. وجاء التوكيد في جُمْلَةِ: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ بـ «إِنَّ ـ والْجُمْلَةِ الاسْمِيَّة».

وفي السُّورَةِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعاً فِيها مُؤَكّدات لِدَواعٍ بَلَاغِيَّةٍ لِلتَّوْكيد، اقْتَصَرْتُ مِنْهَا عَلَىٰ كِتَابَةِ الأَمْثِلَةِ الْخَمْسَةِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُها، لِسُهُولَةِ اسْتِخْرَاجِ سَائِرِهَا عَلَىٰ ذِي اهْتِمَامٍ بالبلاغيات.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ هٰذا الملْحق المتعلّق باسْتِخْرَاج البلاغيات من السورة.

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

سورة المطفّفِين

٨٣ مصحف ٨٦ نزول

وهِيَ مكيَّة في أَرْجح الأقوال

وهِيَ آخِرُ التَّنْزِيلِ المكّي



(١)

نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا
سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ
عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾

---

١٤ ـ • سكَتَ حفصٌ بخلف عنه سَكْتَةً لَطِيفَةً من غير تَنَفُّسٍ مِقْدَارَ حَرَكَتَيْنِ علىٰ لَامِ [بَلْ] مُظْهَرَةً، مِنْ [بَلْ رَانَ]. وعِنْدَ تَرْكِ السَّكْتِ كَمَا هُوَ قِرَاءَةُ بَقِيَّةِ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ، وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي لِحَفْصٍ: يَلْزَمُ إدْغَامُ اللَّامِ في الرَّاءِ.

تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

---

٢٤ ـ • قرأ أبو جعفر، ويعقوب: [**تُعْرَفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ**]، وهو من التنويعِ في التعبير، والمؤدَّىٰ واحد.

٢٦ ـ • قرأ الكسائي: [**خَاتَمُهُ**].
وقرأها باقي القراءِ العشرة: [**خِتَامُهُ**].
الْخَاتَمُ والْخِتَام: يأتِيَانِ بمَعْنَىٰ آخِرِ الشيء. فالمؤدّىٰ بهما واحد.

٣١ ـ • قرأ أبو عَمْرو، ويعقوب: [**أَهْلِهِمِ انْقَلَبُوا**].
وقرأها حمزة، والكِسَائي، وخَلَف: [**أَهْلِهُمُ انْقَلَبُوا**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا**]، وهذَا كُلُّهُ عِنْدَ الوَصْلِ. ووقف الجميع بِكَسْرِ الهاء وسُكُونِ الميم.

٣١ ـ • قرأ حفص، وَابْنَ عَامِرٍ بِخَلَفٍ عَنْهُ، وأبو جعفر: [**فَكِهِينَ**].
وقرأها باقي القُرَّاءِ العشرة: [**فَاكِهِينَ**].
الْفَكِهُ والْفَاكِهُ: النَّاعم الْعَيْش.

٣٣ ـ • قرأ حمْزَة، ويَعْقُوبُ: [**عَلَيْهُمْ**] بضَمِّ الهاء، وهو لغة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**عَلَيْهِمْ**] بِكَسْرِ الهاء، وهو لغة.

(٢)
موضوع سورة (المطفّفين)

يَدُورُ مَوْضُوعُ هٰذِهِ السُّورَةِ حَوْلَ تَحْذِيرِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالباطل، عَنْ طَرِيقِ بَخْسِ وإنْقَاصِ حَقِّ الْمَكِيلِ لَهُ، أَو الْموزُونِ لَهُ، بالتَّطْفِيفِ، وهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْواعِ السَّرِقَةِ واللُّصُوصِيَّةِ، وصَاحِبُ الحقِّ غَافِلٌ مُسْتَسْلِمٌ، يَأْمَنُ مَنْ يَكِيلُ لَهُ أَوْ يَزِنُ لَهُ.

وفي هٰذا الموضوع بَعْضُ بَيَانٍ عَنْ يَوْمِ الدينِ وأهوالِهِ، وعَنِ المكَذِّبينَ بِيَوْمِ الدِّينِ وعذابِهِمْ.

وفِيهِ بَيَانٌ مَا عَنْ كِتَابِ الْفُجَّارِ، ومِنْهُمُ المطَفِّفُونَ، وفِيهِ لقَطَاتٌ عَنْ بَعْضِ أَحْوَالهم فِي الآخِرَة.

وفِيهِ بَيَانٌ ما عَنْ كِتَابِ الأبْرَارِ، وفيه لقطاتٌ عَنْ بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ فِي الآخِرَة.

(٣)
دُروس سورة (المطفّفين)

هٰذِهِ السُّورَةُ مُتَشَابِكَةُ الْبِناءِ فَهِيَ بِمَثَابَةِ دَرْسٍ واحِدٍ، ولكِنْ حَسُنَ عِنْدِي أَنْ أَقَسِّمَها إِلَىٰ أَرْبَعَةِ دُروس، وهيَ ما يلي:

الدّرس الأول: الآيَات من (١ ـ ٦).

وفي هَـٰذَا الدَّرْسِ تَحْذِيرُ المطفِّفِينَ مِنْ عذَابٍ شَدِيدٍ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَعَ التَّعْرِيفِ بِهِمْ.

الدَّرْسُ الثاني: الآيات من (٧ ـ ١٧).

وفي هٰذا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ كِتَابِ الْفُجَّارِ، وتَحْذِيرٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدّينِ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ أُعِدَّ لَهُمْ، مَعَ كَشْفِ هُوِيَّتِهم النَّفْسِيَّة، وبيان أَنَّهُمْ

مَحْجُوبُونَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَ القيامَة، ثُمَّ يُقْذَفُون إلىٰ الْحَرِيق بالْجَحِيم، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق: هـٰذا الَّذِي كُنْتُم به تُكَذِّبُونَ.

الدَّرْس الثالث: الآيات مِنْ (١٨ ـ ٢٨).

وفي هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ كِتَابِ الأَبْرَار، وفيه لَقَطاتٌ مُخْتَزَلَاتٌ مُوجَزَاتٌ مِنْ نَعِيمِهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّين.

الدَّرْس الرابع: الآيات من (٢٩ ـ ٣٦) آخر السورة.

وفي هـٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ مُقَارَنَةٍ بَيْنَ الْمُجْرِمِينَ فِي الدُّنْيَا، وضَحِكِهِمْ ضِحْكَ سُخْرِيَةٍ واسْتِهْزَاءٍ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، واتِّهامِهِمْ لَهُمْ بأَنَّهُمْ ضَالُّون، وبَيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الآخِرَةِ وَكَيْفَ يُجازُونَ الْمُجْرِمِينَ الكُفَّارَ بِضَحِكٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ فِي الْجَحِيم. وفِي هـٰذَا تَحْقِيقٌ لِصُورَةٍ مِنْ صُوَرِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيّ.

❀ ❀ ❀

(٤)
التدبّر التحليلي للدّرس الأول من دُروس سورة (المطفّفِين) الآيات من (١ ـ ٦)

قال اللهُ عزَّ وجلّ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾:

تَمْهيد:

في آياتِ هـٰذا الدَّرْسِ تَحْذِيرُ المطَفِّفِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْم الدِّين، مَعَ التَّعْرِيفِ بِهِمْ.

التدبُّر التَّحْلِيلي:

﴿وَيۡلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ، وفيها مَعْنَىٰ الْوَعِيدِ بِعَذَاب الله، أي: عَذَابٌ شَدِيدٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجلَّ. وتَأْتِي مُبْتَدَأً لأَنَّهَا عَلَىٰ تقديرِ وصْفٍ مَحْذُوف. والمجْرُورُ بَعْدَها باللَّامِ خَبَر.

ووَرَدَ أَنَّ كَلِمَةَ «وَيْل» اسْمُ عَلَمٌ عَلَىٰ وَادٍ فِي جهَنَّمَ.

﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾: **المطَفِّفُونَ**: هُمُ الَّذِينَ يَنْقُصُونَ مِنَ الْمِكْيَالِ والْمِيزَانِ إِذَا كَالُوا أَوْ وَزَنُوا لِغَيْرِهِمْ، وَيَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ وافِياً إِذَا كَالُوا أَوْ وَزَنُوا لأَنْفُسِهِمْ.

وكلمة: «الْمُطَفِّفِينَ» بِهٰذا الْمَعْنَىٰ اصْطِلَاحٌ إِسْلامِيٌّ، وأَصْلُهُ فِي اللُّغَة مِنْ «طَفَّفَ المِكْيَالَ وَنَحْوَهُ» أي: بَخَسَهُ ونَقَصَهُ.

ولمَّا كَانَتِ اصْطِلَاحاً إِسْلَامِيّاً؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَعْرِيفُ «المطَفِّفِينَ» بقول اللهِ تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾.

الكَيْلُ: تحديدُ مِقْدَارِ الشيْءِ بِوَسَاطَةِ آلَةٍ مُعَدَّةٍ لِذَلِكَ يُقَدَّرُ بها حَجْمُ الشيء، أو يقاسُ بها طُولُهُ وعَرْضُهُ.

- ﴿... ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾: يُقَالُ لُغَةً: «اكْتَالَ مِنْهُ واكْتَالَ عَلَيْهِ» أي: أَخَذَ مِنْهُ وتَوَلَّىٰ الكَيْلَ بِنَفْسِهِ. ويُقَال: «كَالَ الْمُعْطِي» و«واكْتَالَ الآخِذُ».
- ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾: أي: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ وَافِياً تَامّاً غَيْرَ مَنْقُوصٍ.

وإيفاء الكيل أو الوزن: جَعْلُهُ وافياً غَيْرَ مَنْقُوص.

- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾: أي: وَإِذَا كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوا لِلنَّاسِ يَنْقُصُونَهُمْ حَقَّهُمْ، فَيُعْطُونَهُمْ عَنْ طَرِيقِ التَّلَاعُبِ بالكَيْلِ أَوِ الوزْنِ أَقلَّ مِنْ حَقِّهِمْ.

أَصْلُ الكَلَام: «كَالَ لَهُ» وَ«وَزَنَ لَهُ» حُذِفَتِ اللَّامُ وجُعِلَ الضَّمِيرُ المجْرُورُ بها مَفْعُولاً به، وهِيَ طَرِيقَةٌ يُسَمِّيها المعْرِبُونَ: الحذفَ والإيصَالَ.

أَقُول: لمَّا كَانَ المَالُ عِنْدَ النَّاسِ كَجُزْءٍ مِنْ ذَوَاتِهِمْ؛ كَانَ كَيْلُ أَوْ وَزْنُ الأشياءِ لَهُمْ بِمَثَابَةِ كَيْلِ أَوْ وَزْنِ ذَوَاتِهِمْ، فَحَسُنَ أَنْ يُقَال: «كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ».

يُخْسِرُونَ: أي: يَنْقُصُون.

• ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾:

أي: أَلَا يَكْفِي أُولَـٰئِكَ الْبُعَدَاءَ إِلَىٰ جِهَةِ أَسْفَلِ سَافِلِينَ، باحْتِيَالِهِمْ لأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بالْبَاطِلِ عَنْ طَرِيقِ التَّطْفِيفِ؛ أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لِمُلَاقَاةِ أَحْدَاثِ يَوْمٍ عَظِيمٍ يَكُونُ فِيهِ حِسَابُهُمْ وفَصْلُ قَضَاءِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ، ومُجَازَاتُهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِم فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا، ومِنْهُ ظُلْمُهُمْ بأَكْلِ أَمْوالِ النَّاسِ بالْبَاطل.

إِنَّ الظَّنَّ يَكْفِي فِي هَـٰذا الأَمْرِ وأَمْثَالِهِ لِلْحَذَرِ الشَّدِيدِ مِنْ عِقَابِ اللهِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ ـ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَامَتْ عَلَىٰ الْبَعْثِ بَرَاهِينُ قَطْعِيَّةٌ تُفِيدُ الْيَقِين.

وقِيامُ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ هُوَ حُضورُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قياماً فِي مَحْكَمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِمُحَاسَبَتِهِمْ، وَفَصْلِ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِمْ، ثُمَّ تَكُونُ مُجَازَاتُهُمْ عَلَىٰ وفْقِ مَا قَضَىٰ اللهُ بِهِ مِنْ ثَوَابٍ، لِكُلِّ واحِدٍ مِنْ مُسْتَحِقِّي الثَّوابِ بِفَضْلِ اللهِ وَوَعْدِهِ الْكَرِيم.

الأَمْرُ بإِيفَاءِ الكيلِ والمكيالِ والْوَزْنِ والْمِيزَانِ في القرآن:

الكَيْلُ: الْعَمَلُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ تَقْدِيرُ الأَشْيَاءِ بأَدَاةٍ خَاصَّةٍ مُتَّفَقٍ عَلَىٰ التَّقْدِيرِ بِها، لإِيفَاءِ الْحَقِّ واسْتِيفائِهِ.

المِكْيَالُ: هُو الأَدَاةُ الَّتِي يَتِمُّ الاتِّفَاقُ عَلَىٰ تَقْدِيرِ كَمِّيَّةِ الأَشْيَاءِ بِها، لإِيفاءِ الْحَقِّ واسْتِيفَائِهِ.

الْوَزْن: الْعَمَلُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ تَقْدِيرُ كَمِيَّةِ الأشياء بها بِآلَةِ الْمِيزَانِ، لإيفاء الْحَقِّ واستِيفَائِه.

الْمِيزَان: هُو الآلَة الَّتِي تُوزَنُ بِها الأشْياء وهو مَعْرُوف. ويُطْلَقُ المِيْزانُ عَلَىٰ السِّنْجَة مِنَ الحجارة أو مِنَ الْحَدِيدِ أو مِنْ نَحْوِهِمَا.

(١) أَوَّلُ ما أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِي هـٰذا الموضُوعِ قَوْلَهُ في سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول) حِكَايَةً لِمَا قَالَهُ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ كَانُوا أَخْبَثَ النَّاسِ في التَّلَاعُبِ بالكَيْلِ والمِكْيَالِ والوزْنِ والميزَانِ:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وقد سَبَقَ تَدبُّر هـٰذِهِ الآيَةِ فِي مَوْقِعها مِنْ سُورَةِ (الأعْراف).

(٢) ثُمّ أنْزَلَ اللهُ عزَّ وَجلَّ في سُورَةِ (الشُّعَرَاء/ ٤٧ نزول) حِكايَةً لِمَا قَالَهُ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾:

القِسْطَاسُ، والقُسْطَاسُ: أَضْبطُ المَوازِينِ وَأَعْدَلُهَا.

وقد سبَق تَدَبُّر هـٰذِهِ الآيَةِ في مَوْقِعِها من سورة (الشعراء/ ٤٧ نزول).

(٣) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ قَوْلَهُ في سورة (الإِسْرَاء/ ٥٠ نزول) خِطَاباً لِلَّذِينَ آمَنُوا وأَسْلَمُوا:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾.

فَكَانَ مَا نَزَلَ بِشَأْنِ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمْهِيداً مُشْعِراً بأنَّ دِينَ اللهِ لِعِبَادِهِ واحِدٌ.

(٤) ثُمّ أنْزَلَ اللهُ عزَّ وجَلَّ قَوْلَهُ فِي سورَةِ (هود/ ٥٢ نزول)، وفيه حكايَةُ مَا قَالَهُ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام لِقَوْمِهِ:

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

القِسْطُ: العَدْل، وهُو مِنَ المصادِرِ الَّتِي يُوصَفُ بها الواحِدُ والجمْعُ.

وقد سبَقَ تدبُّر هـٰذه الآية في مَوْقِعَها من سورة (هود/ ٥٢ نزول).

(٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجَلَّ قَوْلَهُ في سورة (الأنْعَام/ ٥٥ نزول) خِطَاباً لِلّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا، وقيل: هـٰذِهِ الآية مَدَنِيَّةٌ مَضْمُومَةٌ إِلَىٰ سُورَةِ (الأنْعَامِ) المَكِّيَّة:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

وقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هـٰذِهِ الآيَةِ في مَوْقِعِهَا مِنْ سُورَةِ (الأنْعَام/ ٥٥ نزول).

(٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجَلَّ مَا جَاءَ في سورة (المطفّفين/ ٨٦ نزول) تَحْذِيراً لأهلِ المدينة، إذْ كَانُوا قبل نزولها مِنْ أَخْبَثِ النَّاس كَيْلاً، وبَعْدَ نُزُولها صاروا أهل كيلٍ حسن، كَمَا رُوِيَ عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عَنْهُ.

(٧) ثمَّ أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ قوله في سورة (الرحمن/ ٩٧ نزول) وهي مَدَنِيَّةُ التَّنْزِيل:

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾:

أي: وَوضَعَ الْمِيزَانَ لِلنَّاسِ، وكَلَّفَ النَّاسَ أَلَّا يَطْغَوْا فِي الْوَزْنِ، وأَمَرَهُمْ أَنْ يُقِيمُوا الْوَزْنَ بالْعَدْلِ المعتَمِدِ عَلَىٰ قواعِدِ الحقّ، ونَهاهُمْ عَنْ أَنْ يُخْسِرُوا الْمِيزَانَ بِالنَّقْصِ مِنْ حَقِّ ذي الْحَقِّ، عَنْ طَرِيقِ التَّلاعُبِ بِالْميزَانِ، أو التَّلاعُبِ بِالْوَزْنِ.

مِمَّا وَرَد في السُّنَّةِ بِشَأْنِ مَوْقِفِ المبْعُوثِينَ فِي المحشَرِ يَوْمَ القِيَامَة:

(١) روَىٰ البخاري ومُسْلِمٌ وغَيْرُهما عَنِ ابْنِ عُمَر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ حَتَّىٰ يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

(٢) وروىٰ الإمام أحمد بسَنَدِهِ عَنِ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ الكِنْدِيِّ قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْن، فَتَصْهَرُهُم الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ عَقِبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلىٰ رُكْبَتَيه، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إلْجَاماً».

الْحَقْوُ: مَعْقِدُ الإزار.

أَقُول: إِنَّ أَحْوالَ الآخِرَةِ لَا تُقَاسُ عَلَىٰ أحوال الدنيا، وجاء في القرآنِ أَنَّهُ يَوْمٌ علىٰ الكافِرِينَ عسير، وعلىٰ المؤمنين يسير.

وبهـٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس الأول من دُروس سورة (المطففين).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٥)
التدبّر التحليلي للدّرس الثاني من دُروس سورة (المطفّفِين) الآيات من (٧ ـ ١٧)

قال اللهُ عزَّ وجَلّ:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾:

القراءات:

(١٤) • سَكَتَ حَفْصٌ بخلف عنه سَكْتَةً لَطِيفَةً مِنْ غَيْرِ تَنَفُّسٍ مقْدَار حَرَكَتَيْنِ علىٰ لَام ﴿بَلْ﴾ مُظْهِرَةً مِن: ﴿بَلْ رَانَ﴾. وعِنْدَ تَرْكِ السَّكْتِ كَمَا هُوَ قِرَاءَةَ بَقِيَّةَ الْقُرّاءِ الْعَشْرَةَ، وَهُوَ الْوَجْهُ الثّانِي لِحفص يَلْزَمُ إدْغَامُ اللَّامِ في الراء.

تمهيد:

في هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ كِتَابِ الْفُجَّارِ، وتَحْذِيرٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بيوم الدِّينِ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ أُعِدَّ لَهُمْ، مَعَ كَشْفِ هُوِيَّتِهِمِ النَّفْسِيَّة، وبيانِ أَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَة، ثُمَّ يُقْذَفُونَ إلىٰ الْحَرِيقِ فِي الْجَحِيم، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَذُوقُوا آلَامَ عَذَابِ الْحَرِيقِ: ﴿... هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾:

التدبّر التحليلي:

• ﴿كَلَّآ﴾: هِيَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ لِلرَّدْعِ والزَّجْرِ، وقيل: تَأْتي بِمَعْنَىٰ «حَقّاً»، وقيل: قَدْ تَأْتِي بمَعْنَىٰ «أَلَا» الاسْتِفْتَاحِيَّة.

قال ابْنُ فارِس: إنَّ «كَلَّا» تَقَعُ فِي تَصْرِيف الكلام علىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: الرَّدّ، والرَّدْع، وصِلَة الْيَمِين، وافْتِتَاح الْكَلَام بِهَا مِثْل «أَلَا».

أَقُولُ: الَّذِي أَرَاهُ أَنَّ «كَلَّا» فِي هٰذِهِ السُّورَةِ هِي بِمَعْنَىٰ «أَلَا» الاستِفْتَاحِيَّة، مع رائِحَةِ الرَّدْعِ والزَّجْرِ في بَعْضِ الْمَوَاضِع.

• ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾: أي: انْتَبِهُوا أَيُّهَا المتَلَقُّونَ لِكَلَامِ رَبِّكُمْ: إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ.

الْفُجَّار: هُمُ الْغُلَاةُ الْمُسْرِفُونَ فِي ارْتِكَابِ الآثَامِ والْجَرَائِمِ وكَبَائِرِ الذُّنُوب، والْمُنْبَعِثُونَ انْبِعَاثاً قَبيحاً وَقِحاً فِي فِعْلِ الشَّرِّ والضُّرِّ والظُّلْمِ والْعُدْوان. ومُفْرَدُ «الْفُجَّار» لفظ «الْفَاجِر».

الْفُجُور: هو الانْبِعَاثُ الْقَبِيحُ الْوَقِحُ الْواسِعُ في فِعْلِ الشُّرُور وكَبَائِرِ الإثم.

• ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾:

تَكَرَّرَ في القرآن المجيد اسْتِعْمَالُ عِبارَةِ: «مَا أَدْرَاكَ»، حتَّىٰ غدا مَعْلُوماً أَنَّها عبارةٌ يُرَادُ بها التَّعْظِيمُ، والتَّهْوِيلُ، والتَّكْبِيرُ، والتَّعْجِيب. ولَدَىٰ التحليلِ التَّدَبُّرِيِّ ظَهَرَ لِي أَنَّها صِيغَةٌ مِنْ صِيَغِ التَّعْجِيبِ الْقُرْآنِيَّة المبتكَرَة، ضِمْنَ أُصُول اللِّسَانِ الْعَرَبِي، وهي أَبْلَغُ مِنْ عِبارَتَي التَّعَجُّبِ والتَّعْجِيبِ الْمُسْتَعْمَلَتَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ: «مَا أَعْظَمَهُ، وأَعْظِمْ به».

ومَعْنَىٰ عبارةِ: «مَا أَدْرَاكَ مَا كَذا»: أَعْظِمْ بِهٰذا الأَمْرِ إِعْظَاماً لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَدَىٰ إِدْرَاكِك.

سِجِّينٌ: كَلِمَةٌ مُشْتَقَةٌ مِنَ السِّجْنِ، اسْتُعْمِلَتْ فِي الْقُرْآنِ للدَّلَالَةِ بِهَا عَلَىٰ أَمْرٍ غَيْبِيٍّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، بَيَّنَهُ اللهُ ـ عزَّ وَجلَّ ـ بِأَنَّهُ كِتَابٌ خَاصٌّ بِالْفُجَّارِ، وَأَنَّهُ مَرْقُومٌ: «أي: مَكْتُوب».

أي: اعْلَمْ أيُّها المتلقي بانْتِبَاهٍ أَنَّ الكِتَابَةَ المتَعَلِّقَةَ بِالْفُجَّارِ، والْمُبَيِّنَةَ لأَشْخَاصِهِمْ، وأَعْمَالِهِمْ، وعُقُوبَاتِهِمْ؛ مَكْتُوبَةٌ فِي كِتَابٍ خَاصٍّ اسْمُهُ عِنْدَ رَبِّكَ: «سِجينٌ». وهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ جِدّاً لَا يَصِلُ إِدْرَاكُكَ مَهْمَا امْتَدَّ إِلَىٰ تَصَوُّرِ حَقِيقَتِهِ.

أقول: لَعَلَّهُ مِنْ عَظَمَتِهِ كِتَابٌ جَامِعٌ لِصُوَرِ أَشْخَاصِ الْفُجَّارِ ظَوَاهِرِهَا وَبَوَاطِنِها، ولأَعْمَالِهِمْ، تَسَلْسُلاً مَعَ تَوَارِيخِ حَيَواتِهِمْ، حَتَّىٰ انْتِهَاءِ أَعْمَارِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا يُلَاقُونَ مِنْ حِسَابٍ وفَصْلِ قضاءٍ، وَجَزَاءٍ بِعَذَابٍ أليمٍ فِي دَرْكٍ سَافِلٍ مِنْ دَرَكَاتِ الجحيم.

وبما أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ مَشْمُولُونَ بِعُنْوانِ الْفُجَّارِ؛ قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ بضَمِيرِ المتكلِّم العظيم:

• ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾:

﴿وَيْلٌ﴾ سَبَقَ في الدَّرْسِ الأول بيان كافٍ بِشَأْنِ هٰذِهِ الكَلِمَة.

أي: عَذَابٌ شَدِيدٌ أَلِيمٌ فِي الْحَيَاةِ الأُخْرَىٰ يَوْمَ الدِّينِ؛ لِلْمُكَذِّبينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رَسُولَ رَبِّهِمْ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أَنْبَاءِ يَوْمِ الدِّين.

وأَبَانَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ العِلَّةَ النَّفْسِيَّةَ لِلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّين؛ وهِيَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُعْتَدٍ وأثِيمٌ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُ الرَّبِّ الجَلِيلِ الْعَظِيم مِنْ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ جَحَدَهَا وقَالَ: أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين.

الْمُعْتَدِي: الظَّالِمُ الَّذِي يَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْحَقِّ بإرَادَتِهِ، وهو عالِمٌ بِأَنَّهُ ظَالِمٌ.

وبالتَّأَمُّلِ نُدْرِكُ أَنَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ؛ إِنَّمَا يُكَذِّبُ بِهِ لِيُحَسِّنَ لِنَفْسِهِ سُلُوكَ سُبُلِ الظُّلْم، لِيَسْتَزِيدَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَياة الدُّنْيَا بفُجُورٍ، دون

أن تَشْعُرَ نَفْسُهُ بخَوْفٍ مِنَ الْمَصِيرِ التَّعِيسِ، كاللِّصِّ الّذِي يَحْلُو لَهُ تَرْجِيحُ احْتِمَالَاتِ الظَّفَرِ بِمَا يَسْرِقُهُ، دُونَ أَن تَقْبِضَ عَلَيْهِ أَيْدِي الْعَدَالَةِ، ويُسَاق إِلَىٰ قَطْعِ يَدِه.

الأَثِيمُ: المسْرِفُ فِي ارْتِكَابِ الذُّنُوب والمَعاصِي من دَرَكَةِ الكبائِر.

ومِنْ مظاهر تَكْذِيبِهِ أَنَّهُ إذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ بتكْرَارٍ آيَاتُ اللهِ الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ؛ قَالَ: أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، فقال تَعَالَىٰ بِضَمِيرِ المتكلِّم الْعَظِيم:

• ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾:

• ﴿... أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: أَبَاطِيلُ مُقْتَبَسَةٌ ومَأْخُوذَةٌ مِنْ خُرَافَاتِ وأباطِيل الأَوَّلِينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ. «**أَسَاطِير**»: جَمْعُ «إِسْطَارٍ، وإِسْطَارَة، وأُسْطُور، وأُسْطُورَةٍ».

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتَابِعاً الحديث عَنِ الْفُجَّار:

• ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾: أي: أَلَا اعْلَمْ أَيُّهَا المتَلَقِّيَ لِكَلَامِ رَبِّكَ بانْتِبَاهٍ وَوعْيٍ؛ أَنَّ الْفُجَّارَ لَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ هَـٰذا الدَّرْكِ الْخَسِيسِ، من اعْتِبَارِ آيَاتِ كِتَابِ رَبِّهِمْ أَسَاطِيرَ الأَوَّلِينَ؛ بِعَوَامِلَ مِنْ أَصْلِ فِطْرَتِهِمْ، بَلْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ من آثَامٍ بِتَكْرَارٍ فِي حَيَواتِهِمْ؛ هُوَ الّذِي جَعَلَ قُلُوبَهُمْ مُغَشَّاةً بِنُكَتٍ سَوْدَاءَ قَذِرَةٍ، هِيَ مِنْ آثَارِ مَعَاصِيهِمُ الكَثِيرَة الّتي تَرَاكَمَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وكانُوا فِي ارْتِكَابِهَا غَيْرَ عَابِئِينَ بما رَتَّب اللهُ عَلَيْهَا مِنْ عِقَابٍ أليم.

يُقَال لُغَةً: «رَانَ الثَّوْبُ، يَرِينُ، رَيْناً» أي: جَلَّلَهُ الدَّنَسُ. ويُقَال: «رَانَتْ نَفْسُ الرَّجُلِ» أي: خَبُثَتْ بما غَشَّىٰ عَلَيْهَا مِنْ أَرْجَاسِ السُّلُوكِ الّذِي ارتكَبَ بِهِ شُرُوراً وآثاماً.

والْبَيَانُ النَّبوِيُّ يُجلّي مَعْنَىٰ الآيَةِ بِوُضُوحٍ كافٍ.

رَوَىٰ الإمَامُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَهُ، والحاكِمُ وصَحَّحَهُ، والبيهقيُّ فِي شُعَبِ الإيمان، عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيّ ﷺ، قال: «إنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فإنْ تَابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وإِنْ عَادَ زَادَتْ حَتَّىٰ تُغَلِّفَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾..».

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُتَابِعاً الحديث عَنِ الْفُجَّارِ:

• ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾:

• ﴿... لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: أي: لَمُحْتَرِقُونَ بِنَارِ الْجَحِيم، يُقَالُ لُغَةً: «صَلِيَ النَّارَ، وَصَلِي بِهَا» أي: احْتَرَقَ فِيهَا، وَلَامَسَ لَهَبُهَا جَسَدَهُ مُحْرِقاً.

الْجَحِيمُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْم الدِّين. وكُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مَهْوَاةٍ يُطْلَقُ عَلَيْهَا لُغَةً لفظَةُ «جَحِيم».

المعنىٰ: أَلَا اعْلَمْ أَيُّهَا المتَلَقِّي لِكَلام رَبِّكَ؛ أَنَّ الْفُجَّارَ سَوْفَ يَكُونُونَ حِينَ يَقُومُونَ فِي الْمَوْقِفِ لِحِسَابِ رَبِّ الْعَالَمِين، وفَصْلِ قَضَائِهِ؛ مَحْجُوبِينَ عَنْ مُشَاهَدَةِ أَنْوَارِ عَظَمَتِهِ، إمَّا بِغشَاواتٍ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ أَوْ بِسُحُبٍ فِي أَجْوَائِهِمْ تَحْجُبُ عَنْهُمُ الْمُشَاهَدَة. ثُمَّ بَعْدَ مُحَاسَبَتِهِمْ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِمْ؛ يَأْمُرُ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الملائِكَةَ المكَلَّفِين أَنْ يَسُوقُوهُمْ إِلَىٰ دَرَكَاتِ تَعْذِيبِهِمْ فِي الْجَحِيم؛ بِسَوْقِهِمْ وَوَضْعِ كُلٍّ مِنْهُمْ فِي الدَّرَكَةِ المقْضِي عَلَيْهِ أَنْ يُوضَعَ فِيهَا، عِنْدَئِذٍ يَحْتَرِقُونَ بِنَارِ الْجَحِيم، وبَعْدَ مُدَّةٍ مُتَرَاخِيَةٍ مِنَ الزَّمَنِ يَذُوقُونَ فيها عَذَابَ الْحَرِيقِ، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلَهُمُ اللهُ جُلُوداً غَيْرَهَا؛ يُقَالُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ المشْرِفِينَ عَلَىٰ شُؤُونِهِمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ: هَـٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبونَ، حِينَمَا كُنْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيا، فَلا تُصدِّقُونَ رُسُلَ رَبِّكُمُ المؤيّدِينَ مِنْهُ بالآياتِ البيِّناتِ والْمُعْجِزاتِ الْباهِراتِ، إِذْ كَانُوا يُنْذِرُونَكُمْ بِعَذَابِ يَوْمِ الدِّين، وإِذْ كَانُوا يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ كِتابِهِ الْمَجِيد.

لَقَدْ ثَبَتَ لَكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ طُغَاةً فُجّاراً ظَلَمَةً، تُؤْثِرُونَ مَتاعَاتِ الْحَياةِ الدُّنْيا، وتَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَكُمْ وشَهَوَاتِكُمْ وَوَسَاوِسَ شَيَاطِينِ الإِنْسِ والْجِنِّ، وتَرْتَكِبُونَ كُبْرَيَاتِ الْجَرائِمِ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا جَرائِمُ فِيها ظُلْمٌ وعُدْوانٌ، وبَغْيٌ وطُغْيَانٌ.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس الثاني مِنْ دُروس سورة (المطفّفِين).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❁ ❁ ❁

(٦)
التَّدبُّر التحليلي للدّرس الثالث من دُرُوسِ سورة (المطفِّفين)
الآيات من (١٨ ـ ٢٨)

قال الله عزَّ وجلّ:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

القراءات:

(٢٤) • قرأ أبو جَعْفر، ويعقوب: [**تُعْرَفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ**]، ببناءِ الفِعْلِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشَرةِ: **[تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ]**، بخِطَاب كُلِّ فَرْدٍ، بأسْلُوبِ الْخِطَابِ الإفْرَادِيِّ، يُمْكِنُ أَنْ يَرَىٰ يَوْمَ الدِّينِ وُجُوهَ الأَبْرَارِ، وهُمْ يُنَعَّمُونَ فِي جَنَاتِ النَّعِيم.

وبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ جَمَالُ التَّنْوِيعِ فِي التَّعْبِيرِ، والمؤدَّىٰ واحد.

(٢٦) • قرأ الكِسَائي: **[خَاتَمُهُ]**.

وقرأهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ: **[خِتَامُهُ]**.

الْخَاتَمُ والْخِتَامُ: يَأْتِيَانِ بِمَعْنَىٰ آخِرِ الشيءِ، فالمؤدَّىٰ بِهِمَا واحد.

تمهيد:

في آيَاتِ هـٰذا الدَّرْسِ بيانٌ عَنْ كِتَابِ الأَبْرار، في مُقَابِلِ البيانِ السَّابِقِ عَنْ كِتَابِ الْفُجَّار، وفيها لقَطَاتٌ مُوجَزَاتٌ مُخْتَزَلَاتٌ مِنْ نَعِيمِ الأَبْرَارِ في جَنَّاتِ النَّعِيم يَوْمَ الدّين.

التدبُّر التّحليلي:

الأبرار: هُمْ أَصْحَابُ الْمَرْتَبَةِ الْوُسْطَىٰ الْكَائِنَةِ فَوْقَ مَرْتَبَةِ المتَّقِينَ، ودُونَ مَرْتَبَةِ الْمُحْسِنِينَ، وهُمُ الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي فِعْلِ الصَّالِحَاتِ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ، وفِي تَرْكِ المكْرُوهَاتِ وخلافِ الأَوْلَىٰ الَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَىٰ دَرَكَةِ الْمُحَرَّمَاتِ، وهي ذَاتُ دَرَجَات مُتَفَاضِلَاتٍ بِحَسَب مقادِيرِ التوسُّعِ فِي نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وتَرْكِ الْمَكْرُوهَاتِ وَغيرِ المسْتَحبَّاتِ.

أَمَّا مَرْتَبَةُ التَّقْوىٰ فَهِيَ خَاصَّةٌ بِفِعْلِ الواجباتِ وتَرْكِ المحَرَّمَاتِ، وهِيَ ذَاتُ دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ أَدْنَاهَا مَا يُنْجِي مِنَ الْخُلُودِ في عَذَاب النَّارِ، وسَقْفُهَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَنْ أَدَّىٰ جَمِيعَ الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكَ جَمِيعَ الْمُحَرَّمَاتِ، ويُلْحَقُ بِهِ مَنْ تَابَ واسْتَغْفَرَ وَقَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ وقَبِلَ اسْتِغْفَارَهُ مِمَّا أَلَمَّ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي والْمُخَالَفَاتِ.

وَأمَّا مَرْتَبَةُ المحسِنِينَ؛ فَهِيَ مَرْتَبَةُ مَنْ يَعْبُدُونَ اللهَ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، مع أدَائِهِمْ لِحُقُوقِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَىٰ، وبَعْضِ حُقُوقِ مَرْتَبَةِ الْبِرّ.

والآيات في هـٰذا الدَّرْسِ تَتَحَدَّثُ عَنْ كِتَابِ الأَبْرَارِ، في مُقَابِلِ الحديثِ عَنْ كِتَابِ الْفُجَّارِ في الدَّرْسِ الثَّاني من دُروس السورة.

المعْنَىٰ: أي: انْتَبِهْ أيُّهَا المتَلَقِّي لِكِتَابِ رَبِّكِ، واعْلَمْ أَنَّ الكِتَابَةَ المتَعَلِّقَةَ بالأبْرَارِ، والمبيّنَةَ لأشْخَاصِهِمْ، وأَعْمَالِهِم الظَّاهِرَة والْبَاطِنَةِ، ومَثُوبَاتِهِمْ؛ مَكْتُوبَةٌ فِي كِتَابٍ خَاصّ اسْمُهُ عِنْدَ رَبِّكَ: «عِلّيُّون»، وهُو كِتَابٌ عَظِيمٌ جِدّاً لَا يَصِلُ إِدْرَاكُكَ إِلَىٰ تَصَوُّرِ حَقِيقَتِهِ مَهْمَا امْتَدَّ.

وهو كِتَابٌ «مَرْقُوم»: أي مَكْتُوبٌ. **[يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ]**: وهُمْ فيما ظَهَرَ لي أَهْلُ مَرْتَبَةِ الإحسَانِ، وَمِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْبِرّ. وشُهُودُهُم لَهُ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، والظَّاهِرُ أَنَّهُ يَكُونُ في الآخِرَة.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَأْنِ نَعِيمِ الأَبْرَارِ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلُوهَا مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ:

● ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

● ﴿... لَفِى نَعِيمٍ﴾: أي: لَمُحَاطُونَ مِنْ كُلِّ ذِي إِحْسَاسٍ فِيهِمْ بِلَذَّاتِ النَّعِيمِ، فَهُمْ كَالْغَرْقَىٰ فِي النَّعِيمِ.

● ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾:

الأرَائِكُ: جَمْعُ «الأرِيكَةِ»، وهِي الْمَقْعَدُ المنَجَّدُ الْوَثِير.

أي: هُمْ يَجْلِسُونَ مُنَعَّمِينَ عَلَىٰ الْمَقَاعِدِ الْمُنَجَّدَةِ الْوَثِيرَةِ، يَنْظُرُونَ مَا حَوْلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَرَوْنَ كُلَّ مَا يَسُرُّهُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ، من حُورٍ حِسَانٍ،

وولْدَانٍ مُخَلَّدِينَ، وأشْجَارٍ بَدِيعَةِ الأَشْكَالِ والألْوَانِ والثَّمَرَاتِ والزُّهُورِ، وطُيُورٍ عَجِيبَةِ الأَنْوَاعِ، جَمِيلَةٍ فَائِقَةِ الْجَمَالِ، ذَوَاتِ أَلْوَانٍ تُدْهِشُ النَّاظِرِينَ وَتَسُرُّهُمْ.

• ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾، وفي القراءة الأُخْرَىٰ: [**تُعْرَفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ**]، وهو تنويعٌ مؤدَّاهُ واحد:

أي: تَعْرِفُ أَيُّهَا الرَّائِي، إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرَىٰ وُجُوهَهُمْ حِينَئِذٍ؛ حُسْناً وبَرِيقاً وَنُعُومَةً وَلِيناً مِنْ أَثَرِ النَّعِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُحَاطُونَ بِلَذَّاتِهِ.

النَّضْرَةُ: هِيَ حُسْنٌ وبَرِيقٌ يَدُلَّانِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ هِيَ فِيهِ مُنَعَّمٌ غَايَةَ التَّنْعِيمِ.

• ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾:

الرَّحِيق: هِيَ الْخَمْرُ الَّتِي لَا غِشَّ فيها وَلَا شَيْءَ يُفْسِدُها، وهِيَ أَجْوَدُ الْخَمْرِ.

المخْتُوم: أي: الَّذِي لَهُ خِتَامٌ يَحْفَظُهُ مِنَ الْفَسَادِ، ولَا يمَسُّهُ مَاسٌّ حَتَّىٰ يُفَكَّ خَتْمُهُ لِلأَبْرَار.

أي: إِنَّ الأَبْرَارَ يُسْقَوْنَ مِنْ قِبَلِ المأمُورِينَ بِخِدْمَتِهِمْ، مِنْ خَمْرٍ هِيَ مِنْ صِنْفِ الرَّحِيقِ الْمَوْضُوعِ فِي أَدَوَاتٍ نَفِيسَاتٍ، وهٰذِهِ الأَدَوَاتُ مَخْتُومَاتٌ، تَجْعَلُ مَا فِيهَا بَعِيداً عَنْ أَنْ يَمَسَّهُ مَاسٌّ.

• ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

خِتَامُهُ مِسْكٌ: أي: يَجِدُ شَارِبُهُ فِي آخِرِ شُرْبِهِ لَهُ رَائِحَةَ المِسْكِ.

التَّنافس: التَّسَابُقُ والتَّبَارِي بَيْنَ الْقَوْمِ، دُونَ أَنْ يُلْحِقَ بَعْضُهُمُ الضَّرَرَ بِبَعْضٍ.

المعنىٰ: إِنَّ الرَّحِيقَ المخْتومَ الَّذِي يُقَدَّمُ فِي الْجَنَّةِ لِلأَبْرَارِ؛ هُوَ مِنْ

أجْوَدِ خُمُورِ الْجَنَّةِ الَّتِي لَا غَوْلَ فيها وَلَا سُكْرَ يُؤَثِّرُ عَلَىٰ أدْمِغَةِ شَارِبِيها، ويَجِدُ شَارِبو هـٰذا الرَّحِيقِ في آخِرِ شُرْبِهِمْ لَهُ رائِحَةَ الْمِسْكِ النَّفِيس.

ولِكَثْرَةِ اللَّذَّةِ الَّتِي يَتَنَعَّمُ بِهَا الأَبْرَارُ مِنْ شُرْبِ الرَّحِيقِ المخْتُومِ، الَّذِي يَجِدُونَ في آخِرِ كُلِّ شَرْبَةٍ يَشْرَبُونَها مِنْهُ رَائِحَةَ المسْكِ النَّفِيسِ مِنْ مِسْكِ الْجَنَّةِ؛ يَتَسَابَقُ الأَبْرَارُ فِي كَثْرَةِ الشُّرْبِ مِنْهُ.

وجَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَـٰذا التَّنافُسِ بَعِبَارَةٍ تَتَضَمَّنُ التَّرغِيب فِي هَـٰذَا التَّنافُسِ، والثَّنَاءَ عَلَيْهِ، فَقَال اللهُ تَعَالَىٰ:

• ﴿... وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾: أي: وفي ذَلِكَ الشَّرَابِ الرَّفِيعِ في نَفَاسَتِهِ؛ فَلْيَتَسَابَقِ الْمُتَسَابِقُونَ، ولْيَتَبَارَىٰ المتَبارُون، دُونَ أَنْ يُلْحِقَ أحَدٌ مِنْهُمْ بِغَيْرِهِ أذىً، لِمَا يَجِدُون مِنْ وَفْرَةٍ.

• ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

المِزَاجُ: مَا يُمْزَجُ ويُخْلَطُ بِشَيْءٍ آخَرَ لتَحْسِينِ طَعْمِهِ، كَمَاءِ الْوَرْدِ يُوضَعُ مِنْهُ مقْدَارٌ مَا فِي شَرَابٍ آخَرَ ويُمْزَجُ به.

تَسْنِيمٌ: عَيْنُ مَاءٍ فِي الجنَّةِ يَشْرَبُ مُتَنَعِّماً بها المقَرَّبُونَ، وهُمْ فِيمَا يَظْهَرُ الْمُحْسِنُونَ والأبْرَارُ، وتَسْمِيَةُ هَـٰذِهِ الْعَيْنِ «تَسْنِيماً» الْمُشْتَقَّ مِنَ السَّنَامِ؛ يُشْعِرُ بأنَّ مَوْقِعَ تَفَجُّرِهَا مَكَانٌ مَا مِنْ أعالِي الْجَنَّةِ حَيْثُ الْفِرْدَوْسُ الأَعْلَىٰ.

• ﴿عَيْنًا﴾: حَالٌ، أي: حَالَ كَوْنِ تَسْنِيم عَيْناً، أو مَنْصُوبَةٌ علىٰ الْمَدْحِ، أي: نَمْدَحُ تَسْنِيماً بكَوْنِهَا عيناً يَشْرَبُ مُتَنَعِّماً بالشُّرْبِ مِنْهَا الْمُقَرَّبُونَ أَصْحَابُ الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ.

• ﴿... يَشْرَبُ بِهَا ...﴾: ضُمِّنَ فِعْلُ «يَشْرَبُ» مَعْنَىٰ فِعْلِ «يَتَنَعَّمُ» فَعُدِّيَ تَعْدِيَتهُ بِالباء، فَأَغْنَتِ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَين هُمَا: يَشْرَبُ مِنْهَا، ويَتَنَعَّمُ بها الْمُقَرَّبُون.

• ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: جَاءَ فِي القرآن وصْفُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنَّهُ مِنَ الْمُقَرَّبين، ووَصْفُ السَّابِقينَ السَّابقينَ بأَنَّهُمْ هُمُ الْمُقَرَّبُون. وأفْهَمُ مِنْ هٰذا أَنَّ الْمُقَرَّبينَ هُمُ الْمُحْسِنُونَ، ويُلْحَقُ بِهِم السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الأَبْرَارِ، فالْمُحْسِنُونَ مُتَفَوِّقُونَ فِي السَّبْقِ إلَىٰ فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، والْقُرُبَات، ويُوجَدُ في الأَبْرَارِ مَنْ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ إلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ والْقُرُبَاتِ مِنْ مَرَاضِي الله.

وبهٰذَا أَنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْس الثَّالِثِ من دُروسِ سُورَة (المطفِّفِين).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❋ ❋ ❋

(٧)
التَّدبُّر التحليلي للدَّرسِ الرابع من دروس سورة (المطفِّفِين) الآيات من (٢٩ ـ ٣٦) آخر السورة

قال اللهُ عزّ وجل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

القراءات:

(٣١) • قَرأَ أَبُو عَمْرٍو، ويَعْقُوب: [**أَهْلِهِمِ انْقَلَبُوا**].

وقرأَهَا حمزة، والكِسَائي، وخَلَف: [**أَهْلِهُمُ انْقَلَبُوا**].

وقرأها باقِي الْقُرَّاءِ العشَرَةِ: [**أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا**].

وهي وجُوهٌ عَرَبِيَّة، وهذا كله عند الوصل.

ووقَفَ الْجَمِيعُ بِكَسْرِ الْهَاءِ وسُكُونِ الميم.

(٣١) • قرأ حَفْصٌ، وابن عامر بخلف عنه، وأبُو جَعْفَر: [**فَكِهِينَ**].

وقرأهَا بَاقي القرّاء العشَرَة: [**فَاكِهِينَ**].

الْفَكِهُ والْفَاكِهُ: النَّاعِمُ الْعَيْشِ، المسْرُور بمَا هُوَ فِيهِ من مَتَاعٍ.

(٣٣) • قَرأ حَمْزَةُ، ويَعْقُوب: [**عَلَيْهُمْ**] بِضَمِّ الهاء، وهو لُغة.

وقرأها باقي الْقُرّاء العشرة: [**عَلَيْهِمْ**] بِكَسْرِ الهاء، وهو لُغَةٌ.

تمهيد:

في آياتِ هـٰذا الدَّرْسِ عَرْضُ مُقَارَنَةٍ بَيْنَ المجْرِمِينَ في الدُّنْيَا الَّذِينَ جَاءَ وصْفُهُمْ فِي أَوَائِلِ هـٰذِهِ السُّورَةِ بأَنَّهُمُ الْفُجَّار، وضَحِكِهِمْ ضَحِكَ سُخْرِيَةٍ واسْتِهْزَاءٍ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، واتِّهَامِهِمْ لَهُمْ بأَنَّهُمْ ضَالُّونَ؛ وبَيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا في الآخرة، وكَيْفَ يُجَازُونَ الْمُجْرِمِينَ الكُفَّارَ الْفُجَّارَ بِضَحِكٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ في الجحيم، وفي هَـٰذا تَحْقِيقٌ لصورَةٍ مِنْ صُوَرِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِي.

التدبُّر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾:

الَّذِينَ أَجْرَمُوا هُمُ الَّذِينَ ذُكِرُوا في الآيَةِ (٧) من السُّورَةِ بأَنَّهُمْ فُجَّارٌ، **الْمُجْرِمُ**: هُوَ المتعَدِّي بِذَنْبٍ كَبِيرٍ.

وقَدْ جاءَ في القُرْآنِ الْمَجِيدِ لَفْظُ: «الْمُجْرِمِين» عُنْوَاناً مُقَابِلاً لِلْمُسْلِمِينَ، وَوَصْفاً لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ فِي الدُّنْيَا عُقوبَةً عَلَىٰ ارْتِكَابِهِم الجرائِمَ الكُبْرَىٰ، وَوَصْفاً لِلْمُعَذَّبِينَ فِي النَّار.

فَيَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بلفظ: «الْمُجْرِمِينَ» مُرْتَكِبُو الآثَام مِنْ دَرَكَاتِ الكُفْرِ، لِذَلِكَ فَهُمْ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي عَذَابِ النَّارِ الَّذِينَ يَحْتَرِقُونَ بِلَهَبِ نِيرانِهَا، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَهُمُ اللهُ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَاب.

وَقَدْ كَانَ هَـٰؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ الكُفَّارُ الْفُجَّارُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ يَضْحَكُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورسُولِهِ ﷺ وبما أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ، ضَحِكَ اسْتِهْزَاءٍ وسُخْرِيَةٍ، إِذْ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ المؤمِنِينَ قَدْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ بإيمانِهِمْ وإِسْلَامِهِمْ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الحياةِ الدُّنْيَا، بأَوْهَامِ خَوْفِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وطَمَعِهِمْ بِثَوَابِهِ إِذَا هُمْ أَطَاعُوهُ فِي أَوَامِرِهِ ونَوَاهِيهِ، وَهَـٰذا مِنْهُمْ ضَلَالٌ عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارُوه لأَنْفُسِهِمْ فِي الحياةِ الدُّنْيَا.

• ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾: أي: وَإِذَا مَرَّ المؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ، أَوْ مَرُّوا هُمْ بالْمُؤْمِنِينَ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ، ويَحْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الحياةِ الدُّنْيَا الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْهِم دِينُهُمْ؛ يَتَغَامَزُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَةً بالْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمين.

التَّغَامُز: يُقَالُ لُغَةً: «تَغَامَزَ الْقَوْمُ» أي: أَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ بأَعْيُنِهِمْ أَو بأَيْدِيهِمْ أَوْ بِحَوَاجِبِهِمْ وَحَرَكَاتٍ فِي وُجُوهِهِمْ، للدَّلَالَةِ بِها عَلَىٰ مَعَانٍ يَقْصِدُونها فِيهَا سُخْرِيَةٌ واسْتِهْزَاءٌ مِمَّنْ يَكُونُ التَّغَامُزُ ضِدَّهُ، فَرْداً كانَ أَوْ أَكْثَر.

• ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١﴾، وفي القراءة الأخرَىٰ: [**فَاكِهِينَ**]، والمعْنَىٰ واحِدٌ.

أي: وإِذَا رَجَعَ الْمُجْرِمُونَ الكُفَّارُ الْفُجَّارُ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فِي بُيُوتِهِمْ؛

رَجعُوا حَالَةَ كَوْنِهِمْ نَاعِمِي الْعَيْشِ مَسْرُورِينَ، إِذْ لَمْ تُسَيْطِرْ عَلَيْهِمْ بِزَعْمِهِمْ أَوْهَامُ المؤمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَحْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الحياةِ الدُّنْيَا، طَاعَةً لأَوَامر دِينِهِمْ وَنَوَاهِيه.

• ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾:

أي: وإذا رأىٰ الْمُجْرِمُونَ الكُفَّارُ الْفُجَّارُ الَّذِينَ آمَنُوا وأَسْلَمُوا يَعْبُدُونَ اللهَ رَبَّهُمْ، ويَجْتَنِبُونَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ قَالُوا: إِنَّ هٰؤُلَاءِ المؤمِنِينَ المسْلِمِينَ لَضَالُّون.

• ﴿لَضَآلُّونَ﴾: أي: لَغَيْرُ مُهْتَدِينَ إِلَىٰ سُبُلِ سَعَادَتِهِمْ فِي حَيَواتِهِمْ، ولَتَائِهُونَ عَنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ مَتَاعَاتِهِمْ مِنْ دُنْيَاهم، ولَمَغْرُورُونَ بِأَوْهَامِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والحياةِ الآخِرَةِ وَجَنَّتِهَا ونارِها.

• ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾: أي: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ الكُفَّارَ الْفُجَّارَ؛ قَدْ يَعْمَلُونَ عَلَىٰ إِلْزَامِ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا؛ بِأَنْ يَسْلُكُوا سُبُلَهُمُ الْخَارِجَةَ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ والْهُدَىٰ صِرَاطِ اللهِ المستقيم، ليَكُونُوا مَعَهُمْ فِي مُسْتَنْقَعٍ وَخِيمٍ قَذِرٍ وَاحِدٍ، فَهُمْ كأَنَّهُمْ حَمَلَةُ رِسَالَةٍ تُوجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُكْرِهُوا النَّاسَ عَلَىٰ أَنْ يَسْلُكُوا مَعَهُمْ سُبُلَ الضَّلَالِ والشَّرِّ، والْفَسَادِ والإِفْسَادِ فِي الأَرْض، والْحَالُ أَنَّهُمْ مَا أُرْسِلُوا لِيَكُونُوا ذَوِي سُلْطَانٍ عَلَيْهِمْ وَلَا حَافِظِينَ لهم بالْقَهْرِ والْجَبْرِ، حَتَّىٰ يَدْفَعَهُمْ وَاجِبُ الإِفْسَادِ لأَنْ يَسْلُكُوا مَعَهُمْ سُبُلَ الْفَسَادِ.

إِنَّ إِبْلِيسَ لَيْسَ مَبْعُوثاً بِرِسَالَةِ إِضْلَالٍ وإِفْسَادٍ فِي الأَرْض، فَمَا لِجُنُودِ إِبلِيسَ من النَّاسِ يُحَاوِلُونَ إِكْرَاهَ الَّذِينَ آمَنُوا وأَسْلَمُوا عَلَىٰ أَنْ يَسْلُكُوا سُبُلَهُمُ الشَّيْطَانِيَّةَ الضَّالَّة؟.

• ﴿حَٰفِظِينَ﴾: أي: حُرَّاساً مُرَاقِبِينَ يَحْفَظُونَ مَنْ يَحْرُسُونَهُمْ ولَوْ بالإِكْرَاهِ، لِيَسْلُكُوا سُبُلَهُمْ.

إنَّ الإكْرَاهَ فِي كُلِّ المجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، بِقَضَايَا الدِّينِ؛ لَا يَكُونُ مِنْ رُسُلِ اللهِ عَلَيْهِم السَّلَام، وَلَا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ واتَّبَعُوهُمْ عُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وإنَّمَا يَكُونُ مِنْ أئِمَّةِ الكُفْرِ والشِّرْكِ، والضَّلَالِ والإضْلَالِ، والْفَسَادِ والإفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وشَواهِدُ التَّارِيخِ الْبَشَرِي تَشْهَدُ بهٰذا.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يَتَحَدَّثُ عَنْ حَالِ الَّذِينَ آمَنُوا يَوْمَ الدِّينِ، وكَيْفَ يُجَازُونَ الْمُجْرِمِينَ الْفُجَّارَ الكُفَّارَ عَلَىٰ ضَحِكِهِمْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، بِضَحِكٍ يَتَحَقَّقُ فِيهِ الْعَدْلُ الرَّبَّانِيُّ فِي الآخِرَة:

• ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

أي: فَالْيَوْمَ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الدِّينِ والْجَزَاءِ الأَكْبَر؛ يَتَحَقَّقُ الْعَدْلُ الرَّبَّانِيُّ، وَمِنْ ظَوَاهِرِهِ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا يَكُونُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم، جَالِسِينَ عَلَىٰ الْمَقَاعِدِ المنَجَّدَةِ الْوَثِيرَة الْفَاخِرَةِ، يَنْظُرُون إِلَىٰ أَهْلِ جَهَنَّمَ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، بِوَسَائِلَ جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ، فَيَرَوْنَ فِيمَنْ يَرَوْنَ فِيها أَئِمَّةَ الكُفْرِ والْفُجُورِ الْمُجْرِمِينَ، يَحْتَرِقُونَ بِلَهَبِهَا، والظَّاهِرُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ يُمَكَّنُونَ مِنْ مُشَاهَدَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وهُمْ جُلُوسٌ عَلَىٰ أَرَائِكِهِمْ، فَيَضْحَكُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ وَاقِعِ حَالِ الْكُفَّارِ الْمُعَذَّبِين، وَرُبَّمَا يَقُولُون لَهُمْ: كُنْتُمْ فِي الدُّنْيا تَضْحَكُونَ مِنَّا، لأَنَّا كُنَّا مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، فَالْيَوْمَ نَحْنُ نَضْحَكُ مِنْ تَقَلُّبِكُمْ فِي عَذَابِ الجحيم، ونَجْزِيكُمْ عَلَىٰ ضَحِكِكُمُ السَّابِقِ مِنَّا بِضَحِكٍ مِثْلِهِ، لَقَدْ كُنْتُمْ تَضْحَكُونَ مِمَّا لَا دَاعِي للضَّحِكِ مِنْهُ، لَكِنَّنَا نَضْحَكُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرٍ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُضْحَكَ مِنْهُ.

• ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

﴿ثُوِّبَ﴾: أي: جُوزِي، يُقَالُ لُغَةً: «ثَوَّبَهُ» أي: كافَأَهُ وجَازَاه.

المَعْنَىٰ: هَلْ جُوزِيَ الكُفَّارُ بالْعَدْلِ الْمُطَابِقِ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟.

الاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرِيٌّ، وجَوَابُهُ: نَعَمْ، لَقَدْ جوزُوا بالْعَدْلِ المطابِقِ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

وبهـٰذَا أنْتَهِي مِنْ تَدَبُّرِ الدَّرْسِ الرابع آخِر دُروس سورة (المطفّفِين).

والْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَعُونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوْفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.

❀ ❀ ❀

(٨)
ملحق: مُستخرَجَات بَلَاغِيّة من سُورَة (المطفِّفِين)

تُوجَد في هـٰذِهِ السُّورَةِ اخْتِيَارَاتٌ بَلَاغِيَّةٌ مُتعَدِّدَة، مِنْهَا مَا يلي:

أوّلاً: مِنَ الإيجاز بالحذف ما يلي:

المثال الأول: قولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ في السُّورَةِ بِشَأْنِ المطَفّفِين:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾:

أي: وإذَا كَالُوا لَهُمْ، أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُون، حُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ اللّام إيجَازاً، وهُوَ مَا يُسَمَّىٰ عِنْدَ النُّحاةِ: «الْحَذْف والإيصال».

ويُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هـٰذا التَّعبِيرُ مِنْ قَبِيلِ تَنْزِيلِ الْمُمْتَلَكَاتِ مَنْزِلَةَ أشياءَ مِنْ ذَوَاتِ الْمَالِكِينَ لَهَا، لأَنَّ النَّاسَ يَعْتَبِرُونَ مَا يَمْلِكُونَهُ بِمَثَابَةِ جُزْءٍ مِنْ ذَواتِهِم.

المثال الثاني: قَوْلُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في التَّعْرِيف بالمراد من لفظ «تَسْنِيم»:

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾:

في هـٰذِهِ الآيَةِ التَّضْمِينُ، وهُو تَضْمِينُ فِعْلِ «يَشْرَبُ» مَعْنَىٰ فِعْلِ «يَتَنَعَّمُ»، فَعُدِّيَ تَعْدِيَتَهُ، فَأَغْنَتِ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْن.

والتقدير: يَشْرَبُ مُتَنَعِّماً بالشُّرْب مِنْهَا الْمُقَرَّبُون.

ثَانِياً: مِنَ الكِنَايَةِ ما يلي:

قول اللهِ عزّ وجَلَّ بِشَأْنِ الرَّحِيقِ المخْتُومِ الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ الأَبْرَارُ فِي جَنَاتِ النَّعِيم:

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

فِي عِبَارَةِ: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ نَفَاسَةِ الرَّحِيقِ الْمَختُومِ الَّذِي يَحْسُنُ أَنْ يَتَنَافَسَ بالشُّرْبِ مِنْهُ المتَنَافِسُون، ولكنْ لَا يَكُونُ فِي أَذَىً مِنْ بِعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، لِوَفْرَةِ مَا يَجِدُون مِنْ رَحِيق.

ثالِثاً: مِنْ خُرُوجِ الاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ عِدَّة أَمْثِلَة:

المثال الأوَّل: قَوْلُ اللهِ عزَّ وجَلَّ فِي تَلْوِيمِ وَتَثْرِيبِ وَتَوْبِيخ المطفّفِين:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾:

يُرادَ بالاسْتِفْهَامِ هُنَا التَّلْوِيمُ والتَّثْرِيبُ والتَّوْبِيخ، إِذْ لم يَكْتَفُوا بالظَّنِّ الرَّاجح، مَعَ أَنَّ اليقين قَد قَامَت عليه البراهين.

المثالُ الثاني: قول اللهِ تَعالَىٰ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ السُّورَة:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ - ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾:

يرادُ بالاسْتِفْهَامِ فِي العِبَارَتَيْن التَّعْجِيب مِنْ عَظَمَةِ كِتَابِ الْفُجَّارِ، ومِنْ عَظَمَةِ كِتَابِ الأبْرار.

المثالُ الثالث: قَوْلُ اللهِ عزَّ وجَلَّ:

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

يُرَادُ بالاسْتِفْهَامِ هُنَا التَّقْرِير، وانْتِزَاعُ الاعْتِرَافِ مِنَ الْمُتَلَقِّي العَالِمِ بمَا جُوزِي به الكُفَّارُ.

رابعاً: من التوكيد لِدَوَاعٍ بَلَاغِيَّة ما يلي:

(١) ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾:

(٢) ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾:

(٣) ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾:

(٤) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾:

هٰذِهِ الْجُمَلُ مُؤَكَّدَاتٌ بـ «إنّ ـ والجملة الاسمية ـ واللّام المزَحْلقَة»، لدواعٍ بلاغية.

(٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾:

هٰذه الجملة مؤكَّدَة بـ «إنَّ ـ والجملَة الاسميَّة».

(٦) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾:

جملة: «إنَّ هٰـؤلاءِ لضالُّونَ» مؤكَّدَة بـ «إنَّ ـ والجملة الاسميَّة ـ واللّام المزَحْلَقَة».

وأَكْتَفِي بهٰذه المستخرجات من الاختياراتِ البلاغيّة لهٰذا الملحق.

والحمْدُ للهِ عَلَىٰ معونَتِهِ، ومَدَدِهِ، وتَوفِيقِهِ، ومِنَّتِهِ، وفَتْحِهِ.





سورة البقرة

٢ مصحف ٨٧ نزول

وهي أوَّلُ مَا نزل في المدينة من القرآن

نَزَلَتْ في أوقاتٍ مُتَفَرِّقَة

لكنَّ الآية ٢٨١

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾

فَقَدْ رُوِيَ أنَّهَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنْ القرآن

ورُوي أنَّ آيات الرِّبَا من (٢٧٥ ـ ٢٨٠)

هي من أواخِرِ ما نَزَلَ مِنْ قُرآن



(١)

نص السورة وما فيها مِنْ فَرْشِ القراءات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

١ ـ • سكَتَ أبو جعفر سَكْتَةً لطيفةً عَلى «ألف ـ لَامْ ـ مِيم» من غَيْرِ تَنَفُّس.
وقرأها باقي القرّاء العشرَةِ بغَيْرِ سَكْتٍ.

٢ ـ • قرأ ابْنُ كَثِيرٍ بِلَفظ: [فِيهِ] بصِلَةِ هَاءِ الضَّمِير بياءٍ مَدِّيَّةٍ.
وقرأها باقي القرّاء العشرة بِدُونِ هـٰذِهِ الصِّلَةِ.

٣ ـ • قرأ وَرْشٌ [الصَّلَاةَ] بتَفْخِيم اللَّام حيْثُ وقعَتْ.
وقرأها باقي القُراء العشرة بِتَرْقِيقِ اللَّام.

٤ ـ • قرأ ورْشٌ فِي: [وَبالْآخِرَةِ] بِنَقْلِ حَرَكَةِ الهمزة إلى السَّاكِنِ قَبْلَهَا مَعَ حَذْفِ الهمزة، ولَهُ في مَدِّ البَدَلِ: القَصْرُ، والتوسُّط، والطُّول. وقرأ أيضاً بِتَرْقِيقِ الرَّاءِ لِوُجُودِ الكَسْرَةِ الأَصْلِيَّةِ قَبْلَها.
وقرأ حمزة بِخُلْفٍ عَنْ خَلَّادٍ بالسَّكْتِ عَلَىٰ لَامِ التَّعْرِيفِ وصْلاً، وأمَّا فِي الوقف فَلَهُ السَّكْتُ والنَّقْلُ، ووقف أيضاً بإمالة هاء التأنيث بخلفه. ووقف الكسائي بالإمالة، بلا خلاف فَقَطْ.

٦ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ] بضم الهاء.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

=

قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ

=٦ - • قرأ قالُون، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وهشام بأحد أوجهه الثلاثة: [ءَاأَنْذَرْتَهُمْ] بتسهيل الهمزة الثَّانِيَة بينها وبَيْنَ الألف، مع إدْخال أَلِفٍ بينهما.
وقرأها ابن كثير، والأصبهاني ورُوَيْس، بِتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ مِنْ غَيْرِ إدْخال.
وللأزرق وجْهَان: **الأول**: مثل ابْن كثير ورُوَيس والأصبهاني. **والثاني**: إبدالُها أَلِفاً خالصة مع المدّ المشبع للساكنين.
ولِهِشام ثلاثة أوجه: التحقيق مع الإدخال وعدمه، والتسهيل مع الإدْخالِ،
وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين بلا إدخال.

٩ - • قرأ نَافع، وابْنُ كثير، وأبو عَمْرو: [**وَمَا يُخَادِعُونَ**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**وَمَا يَخْدَعُونَ**].

١٠ - • قرأ نافع، وابْنُ كثيرٍ، وأَبُو عمْرو، وابْنُ عَامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [**يُكَذِّبُونَ**]، مِنْ فِعْلِ «كَذَّبَ» المضعف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**يَكْذِبُونَ**].

١١-١٣- • قرأ هشام، والكسائي، ورُوَيس: [**قِيلَ**] في الموضِعَيْن بإشْمَامِ كَسْرَةِ الْقَافِ الضَّمَّ.
وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرَةٍ خَالِصَة.

١٣ - • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ورُويس: [**السُّفَهَاءُ أَلَا**] بإبْدَال الْهَمْزَةِ الثانية واواً خالِصَةً في الوصل، وبتحقيقها عند البدء بها.
ووقف على [**السُّفَهَاءِ**] حمزة، وهشام بخلفه بإبدال الهمزة ألفاً مع المدّ، والقصر، والتوسط، ويجوز رومها بالتسهيل مع المدّ والقصر.

ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ

١٤ ـ • قرأ أبو جعفر: [مُسْتَهْزُونَ]. وكَذَلِكَ قرأها حمزة في الوقف، وله في الوقف: التسهيل بين الهمزة والواو، وله أيضاً: الإبدال ياءً خالصة فيقرأ [مُسْتَهْزِيُونَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [مُسْتَهْزِئُونَ]. وللأزرق ثلاثةُ البدل.

١٩ ـ • قرأ ابن كثير: [فِيهِ] بصِلَةِ هَاء الضمير بياءٍ مَدِّيَّة.

٢٠ ـ • قرأ ورْش: [أَظْلَمَ] بتَغْلِيظِ اللّام.

٢٠ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ] بِضَمّ الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بِكسْرِ الْهاء.
وهُمَا نُطْقَان عَرَبيَّان.

٢٠ ـ • في لفظة: [شَيْءٍ] عدَّةُ قراءاتٍ في النُّطْقِ يُعْنَى بها المقْرِئون.

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ

٢٣ ـ • قرأ وَرْشٌ، والسُّوسي، وأبو جعفر: [فَاتُوا]، وكذلك قرأهَا حمْزَةُ فِي الوقْفِ. وقرأها باقي القراء العشرة: [فَأْتُوا].

٢٧ ـ • فَخَّمَ ورْش اللّام من: [يُوصَلَ] في الوصل، وله في الوقْفِ التفخيمُ والترقيق، والتفخيمُ أَرْجحُ لأنَّ السُّكونَ عارِض، وليَدُلَّ على حُكْمِ الوصل.

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا

٢٨ ـ • قرأ ابْنُ كثير بِصِلَةِ هاءِ الضمير بياء مَدِّيَّةٍ من: [إِلَيْهِ].

٢٨ ـ • قرأ يعقُوب: [تَرْجِعُونَ].
وقرأها باقي القرَّاءِ العشرة: [تُرْجَعُونَ]. بالبناءِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

٢٩ ـ • وقف يعقوب بهاء السَّكْتِ على آخر: [فَسَوَّاهُنَّ].

٢٩ ـ • قرأ قالُون، وأبو عمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكَانِ الهاء.
وقرأ باقي القرَّاء العشرة: [وَهُوَ] بِضَمّ الهاء، وَوَقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٢٩ ـ • في لفظة: [شَيْءٍ] عِدَّةُ قراءاتٍ في النُّطق يُعْنَىٰ بها المقْرِئون.

٣٠ و٣٣ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عَمْرو، وأبو جعفر: [إِنِّيَ أَعْلَمُ] بفتح ياء المتكلم في الموضعين.
وقرأها باقي القراء العشرة بالإسْكَان.

٣١ ـ • قرأ أبو جعفر: [أَنْبُونِي]. وكذلك قرأها حمزة في الوقف، ولَهُ حالة الوقف: التسهيل، والإبْدَالُ ياءً خالصة فيقرأها: [أَنْبِيُونِي].
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْبِئُونِي]. مع ثَلَاثَةِ الْبَدَل لِلأَزْرَق.

٣١ ـ • توجَدُ في هَمْزَتَيْ [هَؤُلَاءِ إِنْ] عِدَّةُ قراءاتٍ في النُّطْقِ يُعْنَىٰ بها المقْرِئون. =

تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ

=٣٣ـ • وقف حمزة في: [أَسْمَائِهِمْ] بأربعة أوجه: تحقيق الهمزة الأولى، وبإبْدَالها يَاءً خَالِصَة، وعلى كُلٍّ مِنَ التحقيق والإبْدَال يَقْرأُ بِتَسْهِيلِ الهمزة الثانية مع المدّ والقصر.

٣٤ ـ • قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان: [لِلْمَلَائِكَةُ اسْجُدُوا] بضَمِّ التَّاءِ إتباعاً لضمّ الجيم، والوجه الثاني لابن وردان: إشمام كسرة التاء الضم.
وقرأها باقي القُراء العشَرَةِ: [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا].

٣٥ ـ • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [شِيتُما]، وكَذَلِكَ حمْزَةُ في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [شِئْتُما].

٣٦ ـ • قرأ حمزة: [فَأَزَالَهُمَا]. ووقف بالتحقيق والتسهيل.
وقرأها باقي القرَّاءِ العشرة: [فَأَزَلَّهُمَا].

٣٧ ـ • قرأ ابنُ كثير: [فَتَلَقَّىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ].

٣٦ و٣٧ ـ • قرأ ابن كثير في: [فِيهِ ـ و ـ عَلَيْهِ] بِصِلَةِ هَاء الضَّمِير بياءٍ مَدِّيَّة.

٣٨ ـ • قرأ حمزة: [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهُمْ].
وقرأها يعقوب: [فَلَا خَوْفَ عَلَيْهُمْ].
وَقَرَأَهَا باقي القراء العشرة: [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ].

أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ
فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا
تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ
﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾
۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا
عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ
رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ
شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ

٤٠ ـ • في لفظة: [إِسْرَائِيلَ] عدَّةُ قراءاتٍ في النُّطقِ، يُعْنَىٰ بِها المقْرِئُون.

٤٠ و٤١ ـ • أثبتَ يَعْقُوبُ ياءَ المتكلِّم من [فارْهَبُونِي] ومِنْ [فاتَّقُونِي]. وحَذَفَها مِنْهُما باقِي القُرَّاءِ العشرة.

٤٥ ـ • فخَّم لام [الصَّلَاةِ] ورش، ورقَّق راءَ: [لَكَبِيرَةٌ].

٤٦ ـ • لابْنِ كثير صلة هاء الضمير من: [إِلَيْهِ].

٤٨ ـ • في لفظة: [شيئاً] عِدَّةُ قراءاتٍ في النُّطق، يُعْنَىٰ بِهَا المقْرِئُون.

٤٨ ـ • قرأ ابْنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمْرو، ويعقوب: [وَلَا تُقْبَلُ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا يُقْبَلُ].

٤٩ ـ • لحمزة، وهشام بخلفه في كَلِمَةِ [سُوءَ] قراءاتٌ يُعْنَىٰ بِهَا المقْرِئون.

يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا

٥١ ـ • قرأ أبو عمْرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [وَعَدْنَا].
وقرأَها باقي القراء العشرة: [وَاعَدْنَا].

٥٤ ـ • قرأ أبو عَمْرٍو بخُلْفٍ عَنِ الدُّوري: [بَارِئْكُمْ].
وقرأها باقي القرَّاءِ العشرة: [بَارِئِكُمْ].
وللدّوري وجهان آخران: كسر الهمزة كسرة خالصة، والاختلاس، وللسوسي وجهان: الإسكان، والاختلاس. ووقف حمزة بتسهيل الهمزة فقط.
• لورْشٍ تفخيم اللَّام من: [ظَلَمْتُمْ] ومِنْ: [ظَلَّلْنَا] ومِنَ: [وَمَا ظَلَمُونَا].
• ولَهُ تَرْقِيقُ الرَّاء مِنْ [خَيْرٌ].

٥٨ ـ • قرأ السُّوسي، وأبو جَعْفر: [شِيتُمْ]. وكذلِكَ قرأها حمزة في الوقف. =

وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ

= وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [شِئْتُمْ].

٥٨ ـ • قرأ نافع، وأبو جعفر: [يُغْفَرْ لَكُمْ].
وقرأها ابن عامر: [تُغْفَرْ لَكُمْ].
وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: [نَغْفِرْ لَكُمْ].

٥٩ ـ • قرأ هشام، والكسائي، ورُوَيس لفظة: [قِيلَ] بإشْمَامِ كَسْرَة القاف الضَّمّ.
وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرَةٍ خَالِصَة.

٦١ ـ • قرأ حمزة بتَسْهيل همزة: [سَأَلْتُمْ]، في الوقف فقط.

٦١ ـ • قرأ أبو عمْرو: [عَلَيْهِمِ الذِّلَّةُ] في الوصل.
وقرأها حمزة، والكِسَائي، ويعقوب، وخلف: [عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ] في الوصل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمُ الذِّلَّة].
أمّا في الوقف فَكُلُّهُمْ يَقِفُونَ بِكَسْرِ الهاء وسُكُونِ الميم، ما عدا حمزة، ويَعْقُوب فإنَّهما يَقِفَان بِضَمّ الْهاءِ وسُكُونِ الميم على أصْلَيْهِمَا.

٦١ ـ • للأَزْرق في: [وَبَاءُوا] ثَلاثَةُ البدل. ولحمزة التسهيلُ في الوقف مع المدّ والقصر.

يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا

٦١ ـ • قرأ نَافع: [**النَّبيئِينَ**] مع المدّ المتصل. وللأزرق ثلاثةُ الْبَدَل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**النَّبِيِّينَ**].
• رقَّقَ ورش الراء من: [**غَيْرَ**] ومن [**خَيْرٌ**].
• وقرأ ابْنُ كثير في: [**مِنْهُ**] بصِلَةِ الهاء.

٦٢ ـ • قرأ نافع، وأبو جعفر: [**والصَّابِينَ**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**والصَّابِئِينَ**].
ووقف حمزة بحذف الهمزة، وبتسهيلِها بين بين.

٦٢ ـ • قرأ حمزة: [**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهُمْ**].
وقرأها يعقوب: [**وَلَا خَوْفَ عَلَيْهُمْ**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**].

٦٥ ـ • وقف حمزة بحَذْفِ همزة: [**خَاسِئِينَ**]، وبتسهيلها بَيْنَ بَيْن.

٦٧ ـ • قرأ أبو عَمْرو: [**يَأْمُرْكُم**] بخُلْفٍ عن الدُّوري.
والوجه الثاني للدُّوري الاختلاس، وهو الإتيان بِمُعْظَمِ الْحَرَكَة، وقُدِّرَ بِثُلُثَيْهَا وللدّوري وجه ثالث وهو الضمّة الكاملة كالباقين.
=

هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [يأمُرُكُمْ]. وأبْدَلَ الهمزَةَ ورشٌ، وأبو جعفر، وكذلك حمزة في الوقف.

٦٧ ـ • قرأ حفص: [هُزُواً].

وقرأها حَمْزة: [هُزْءاً] في الوصل، وكذلك خلف العاشر في الوصل والوقف، ولحمزة في الوقف وجهان:

الأول: نَقْلُ حركَةِ الهمزة إلى الزّاي، وَحذف الهمزة، فيصير النُّطْقُ بزاي مَفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا ألف [هُزاً].

الثاني: إبْدال الهمزة واوا: [هُزْواً].

وقرأها باقي القراء العشرة: [هُزُؤاً].

٦٨ ـ • وقف يَعْقُوب بهاء السَّكْتِ على آخِرِ: [مَا هِيَ] وكذلك في الآية: (٧٠).

• رقَّق ورش الراء من: [قِرَدَةً] ومِنْ: [بِكْرٌ].

• وقرأ ابْنُ كَثِيرٍ بِصِلَةِ هَاء: [فِيهِ] بياءٍ مَدِّيَّةٍ.

٧١ ـ • توجَدُ عِدَّةُ قراءات في النُّطق بـ: [قَالُوا الآنَ] يُعْنَىٰ بها المقرئون.

٧١ ـ • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر: [جِيتَ]. وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [جِئْتَ].

٧٢ ـ • قرأ السُّوسي، وورْش من طريق الأصبهاني، وأبو جَعْفر: [فَادَّارَاتُمْ]. وكذلك حمزة في الوقف. =

فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا

= وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [فَادّارَأْتُمْ].

٧٤ ـ • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [فَهْيَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فَهِيَ]. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٧٤ ـ • قرأ ابن كثير: [عَمَّا يَعْمَلُونَ] بياء الغائبين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَمَّا تَعْمَلُونَ] بِتَاءِ المخاطَبين.

٧٨ ـ • قرأ أبو جعفر: [إِلَّا أَمَانِيَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَّا أَمَانِيَّ] بِتَشْدِيدِ الياء.

٧٩ ـ • قرأ يعقوب: [بِأَيْدِيهُمْ] و[أَيْدِيهُمْ] بضم الهاء.
وقرأهُمَا باقي القرَّاءِ العشرة بِكَسْرِ الهاء.

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةًۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ

٨١ ـ • وقف حمزة في: [سَيِّئَةً] بإبدال الهمزة ياءً خالصة فيقرؤها: [سَيِّيَة].

٨١ ـ • قرأ نافع، وأبو جعفر، [خَطِيئَاتُهُ] بالجمع وللأزرق ثلاثة البدل.

وقرأها باقي القراء العشرة: [خَطِيئَتُهُ] بالإفراد.

ووقف حمزة بإبدالِ الهمزة ياء خالصةً، مع إدغام الياء قبلَها فيها.

٨٣ ـ • قرأ ابن كثير، وحمزة، والكِسائي: [لَا يَعْبُدُونَ] بياء الغائبينَ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا تَعْبُدُونَ] بتاءِ المخاطبين.

٨٣ ـ • قرأ حمزة، والكِسائي، ويعقوب، وخلف العاشر: [حَسَناً] بفتح الحاء والسين.

وقرأها باقي القراء العشرة؛ [حُسْناً] بضمّ الحاء وإسكان السين.

وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا

٨٥ ـ ● قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَظَاهَرُونَ].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [تَظَّاهَرُونَ] بتَشْدِيد الظّاء.

٨٥ ـ ● قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ] بضمّ الهاء.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء، وهما لغتان.

٨٥ ـ ● قرأ حمزة: [أَسْرَىٰ] مع الإمالة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [أُسَارَىٰ] مع ملاحظة الإمالة والتقليل لأصحاب كلّ منهما.

٨٥ ـ ● قرأ نافع، وعاصم، والكِسَائي، ويعقوب، وأبو جعفر: [تُفَادُوهُمْ].
وقرأها باقي القرّاءِ العشرة: [تَفْدُوهُمْ].

٨٥ ـ ● قرأ قالون، وأبو عمْرو، والكِسَائيّ، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة [وَهُوَ] بضم الهاء.
ووقف يعقوب علَيْها بِهاءِ السَّكْت.

٨٥ ـ ● قرأ نَافع، وابن كثير، وشعبة، ويعقوب، وخَلَفٌ في اختياره: [يَعْمَلُونَ] بياء الغائبين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [تَعْمَلُونَ] بتاء المخاطبين.
وبين القراءتَيْنِ تكامُلٌ في الأداء البياني.

٨٧ ـ ● قرأ ابن كثير: [وَأَيَّدْنَاهُ] بِصِلَةِ هاء الضَّمِيرِ بياء مَدِّيَّة.

=

نَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ

= ووقف حمزة بتحقيقِ الهمزة، وبتَسْهيلِهَا.

٨٧ ـ ● قرأ ابن كثير: [الْقُدْسِ] بإسْكان الدال.
وقرأها باقي القراء العشرة: [الْقُدُسِ] بضم الدَّال.
الْقُدُسُ، والْقُدْسُ: بمَعْنَىٰ الطَّهارَة.

٩٠ ـ ٩٣ ـ ● قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [بِيسَمَا]، وكذلك قرأها حمْزَة في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [بِئْسَمَا].

٩٠ ـ ● قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [أَنْ يُنْزِلَ]، من فعل: «أَنْزَلَ».
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْ يُنَزِّلَ]، من فعل: «نَزَّلَ» المضعف.

٩١ ـ ● قرأ هشام، والكسائي، وُرويس: [قِيلَ] بإشْمَامِ كَسْرَةِ القَافِ الضَّمّ.
وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرَةٍ خَالِصَة.

٩١ ـ ● قرأ قالون، وأبو عمْرو، والكسائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وهُوَ].
ووقف يعقوب بهاء السّكْت.

٩١ ـ ● وقف البزّي بهاء السَّكْت على: [فَلِمَ] بخُلْفٍ عَنْهُ، وكذلِكَ يعقوب بخلف عنه. =

ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ

= وقرأها باقي القراء العشرة بغير هاء السّكْت وهو الثاني للبزي، ويعقوب.

٩١ - • قرأ نافع: [أَنْبِئَاءَ اللهِ].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [أَنْبِيَاءَ اللهِ].

٩٣ - • قرأ أبو عمْرو، ويعقوب: [قُلُوبِهِمِ العِجْلَ] وصلاً.
وقرأها حمزة، والكسائي، وخلف: [قُلُوبِهُمُ الْعِجْلَ] وصْلاً.
وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ] وصْلاً.
ووقف الجميعُ بِكَسْرِ الهاء وسُكُونِ الميم.

٩٣ - • قرأ أبو عمْرو بخُلْفٍ عَنِ الدوري: [يَأْمُرْكُمْ]. والوجه الثاني للدوري الاخْتِلاس، وهو الإتيان بثُلُثَي الحركة، وللدُّوري وجه ثالث: وهو ضم الراء ضمة خالصة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [يَأْمُرُكُمْ]. ولا يخفى الإبدالُ لورش، والسُّوسِي، وأبي جعفر. وكذلك حمزةُ في الوقف.

٩٥ - • قرأ يعقوب: [أَيْدِيهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَيْدِيهِمْ].

بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى

٩٦ ـ • قرأ يعقوب: [بِمَا تَعْمَلُونَ] بتاء المخاطبين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [بِمَا يَعْمَلُونَ] بياء الغائبين.

٩٧ و٩٨ ـ • قرأ ابن كثير: [لِجَبْرِيلَ] في الموضعين.
وقرأهما شعبة بأحد وجهيه: [لِجَبْرَئِلَ].
وقرأهما حمزة، والكِسَائي، وشعبة بخلف عنه، وخلف: [لِجَبْرَئِيل] ووقف حمزة بالتسهيل.
وقرأهما باقي القراء العشرة: [لِجِبْرِيلَ].

٩٨ ـ • قرأ نَافع، وقُنبل بخلف عنه وأبو جعفر: [مِيكَائِلَ].
وقرأها أبو عمْرو، وحفص، ويعقوب: [مِيكَالَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [مِيكَائِيلَ] وهو الوجه الثاني لقنبل، ووقف حمزة بالتسهيل مع المد والقصر.
• قرأ ابنُ كثير: [يَتَمَنَّوْهُ] و[يَدَيْهِ] بِصِلَةِ هَاءِ الضَّمِير.

١٠٢ ـ • قرأ ابنُ عامر، وحمزة، والكِسَائي، وخلف: [وَلَكِنِ الشَّيَاطِينُ]، وهو وجْهٌ عَرَبيٌّ صحيح.
وقرأها باقي القُرَّاء العشرة: [وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ].

ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞

١٠٢ ـ • وقف حمزة وهشام بخلفه بوجهين: في: [الْمَرْءِ]: ١ ـ نَقلِ حركة الهمزة إلى الراءِ، مع حذف الهمزة، وإسْكَانِ الراء مفخَّمَة. ٢ ـ مثل الأول لكن مع رَوْم الرّاءِ مُرقَّقَة، فَرَوْم الحركَةِ مثْلُ الحركة.

١٠٢ ـ • قرأ ورْشٌ، والسُّوسي، وأبو جعفر: [وَلَبِيسَ]. وكذلك حمزة في الوقف. وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَبِئْسَ].

١٠٥ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [أَنْ يُنْزَلَ]، من فعل«أَنْزَلَ». وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْ يُنَزَّلَ]، من فعل «نَزَّلَ» المضعف.

١٠٥ ـ • وقف حمزة، وهشام بخلف عنه على [يَشَاءُ] بعِدَّةِ وجُوه:

١ ـ إبدال الهمزة ألفاً مع المدّ والقصر والتوسط لَهُمَا.

٢ ـ تَسْهِيل الهمزة بالرَّوْم مع المدّ والقصر لحمزة.

٣ ـ تَسْهِيل الهمزة بالرَّوْم مع التوسُّط والقصر لهشام.

مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن

١٠٦ ـ • قرأ ابن عامر بخلف عن هشام: [نُنْسِخْ]، من فعل: «أنْسَخَ» ولا بُدّ أن يكُونَ لغة، وبمعنى: «نسخ».

وقرأها باقي القراء العشرة، وهو الوجه الثاني لهشام: [نَنْسَخْ]، من فعل: «نَسَخَ» بمعنى أزال، وهذا هو المشهور لُغةً.

١٠٦ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [نَنْسأْهَا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [نُنْسِهَا].

١٠٨ ـ • وقف حمزة بنَقْلِ حَرَكةِ الهمزة من [أَنْ تَسْأَلُوا] إلى السِّينِ قَبْلَها، وحَذْفِ الهمزة، فقراءتُهُ: [تَسَلُوا].

١٠٨ ـ • وقف حمزة على كَلِمَةِ [سُئِلَ] بِنُطْقِهَا: [سُوِلَ]، فَسَهَّلَ الهمزة، وأَبْدَلَها واواً خَالِصَةً مَكْسُورَة.

١١١ ـ • قرأ أبو جعفر: [أَمَانِيهِمْ] بإسْكَانِ الياء مَمْدُودَةً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَمَانِيُّهُمْ]، بضَمّ الياء مُشَدَّدَة وهي حركة الرفع.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ

١١٢ ـ • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكِسَائي، وأبو جَعْفَر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بِضَمِّ الهاء، ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

١١٢ ـ • قرأ حمزة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهُمْ].
وقرأها يَعْقُوب: [وَلَا خَوْفَ عَلَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ].
وهي وجوهٌ عربيَّةٌ جَائِزَة.

١١٥ ـ • وقف رُوَيس بخلف عنه على [فَثَمَّ] بهاء السَّكْت.

١١٥ و١١٦ ـ • قرأ ابن عامر: [عَلِيمٌ * قَالُوا].
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلِيمٌ * وقَالُوا].

١١٧ ـ • قرأ ابْن عامر: [كُنْ فَيَكُونَ] بنصب: «فَيَكُونَ».

=

تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [كُنْ فَيكُونُ] برفع: «فَيكُونُ» أي: فهو يكون.

١١٩ ـ • قرأ نافع، ويعقوب: [وَلَا تَسْأَلْ].

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَلَا تُسْأَلُ].

١٢٢ ـ • قرأ أبو جعفر بتَسْهِيلِ الهمزة الثانية من: [إِسْرَائيل] مع المدّ والقصر.

وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة بالتحقيق.

١٢٤ ـ • قرأ ابن عامر بخُلْفٍ عن ابْنِ ذكوان: [إِبْرَاهَامَ]، حيْثُ ورَدَ في هـٰذِهِ السُّورَة.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [إِبْرَاهِيمَ] وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

١٢٤ ـ • وقف حمزة بتحقيق همزة: [فَأَتَمَّهُنَّ] وبِتَسْهِيلِهَا.

ووقف يعقوبُ بخلف عنه بِهاء السَّكْتِ.

عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

---

١٢٤ ـ • قرأ حفص، وحمزة: [**عَهْدِي الظالمينَ**] بإسْكَانِ ياء المتكلّم.
وقرأها باقي القراء العشرة بفتح ياء المتكلّم ووقف يعقوب بهاء السكت بخلف عنه.

١٢٥ ـ • قرأ نافع وابن عامر: [**وَاتَّخَذُوا**] بفتح الخاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**واتَّخِذُوا**] بكسر الخاء.

١٢٥ ـ • فخَّمَ ورش اللّام من: [**مُصَلًّى**] وَصلاً، فإن وقف فَلَهُ التَّفْخِيمُ مع الْفَتْحِ، والترقيقُ مع التَّقْلِيل.

١٢٥ ـ • قرأ نَافع، وهشام، وحفص، وأبو جعفر: [**بَيْتِيَ للطَّائِفِينَ**] بفتح ياء المتكلّم.
وقرأها باقي الْقُرَّاء العشرة بإسْكَانِ ياء المتكلّم.

١٢٦ ـ • قرأ ابن عامر: [**فَأُمْتِعُهُ**]، من فعل: «أَمْتَعَ» المهموز.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [**فَأُمَتِّعُهُ**]، من فعل: «مَتَّعَ» المضعَّف ووقف حمزة بالتحقيق وبالتسهيل.

١٢٦ ـ • قرأ ورْش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [**وبِيسَ**]، وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [**وَبِئْسَ**].

١٢٧ ـ • قرأ ابن عامر بخُلْف عن ابن ذكوانَ: [**إِبْرَاهَامُ**]، حَيْثُ ورَدَ في هَـٰذِهِ السُّورَة.
وقرأها باقي الْقُراء العشرة: [**إبْرَاهِيمُ**] وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

١٢٨ ـ • قرأ ابْنُ كثير، والسُّوسِي، ويعقوب: [**وَأَرْنَا**].
وقرأ بالاخْتِلَاسِ دُوري أبي عمْرو، وهو الإتيان بثُلُثَي الْحَرَكَة.
وقرأها باقي الْقُرَّاءَ العشرة: [**وَأَرِنَا**].

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا

١٢٩ ـ • قرأ يعقوب: [فِيهُمْ] بضم الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فِيهِمْ] بكسر الهاء.
١٢٩ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة؛ [عَلَيْهِمْ].
١٢٩ ـ • قرأ يعقوب: [وَيُزَكِّيهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيُزَكِّيهِمْ].
١٣٢ ـ • قرأ نَافع، وابْنُ عامر، وأبو جعفر: [وَأَوْصَىٰ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَوَصَّىٰ].
المهموز أَخُو المضعَّف فهُما مُتَكَافِئَان.
١٣٣ ـ • قرأ نَافع، وابْن كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ورُوَيْس: [شُهَدَاءَ إِذْ] بِتَسْهِيلِ الهمزة الثَّانية بَيْنَ بَيْنَ.
وقرأها باقي القراء العشرة بتحقيق الهمزة الثانية.
واتَّفَقُوا على تحقيق الهمزة الأولى.

أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ

١٣٥ ـ • قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان: [إِبْرَاهَامَ]، حيث وردت في هذه السورة. وقرأها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمَ]، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

١٣٦ ـ • قرأ نافع: [النَّبِيئُونَ].

وللأزرق ثلاثةُ البدل.

وقرأها باقي القراء العشرة: [النَّبِيُّونَ].

١٣٧ و١٣٩ ـ • قرأ قالُون، وأبُو عمرْو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكَانِ الهاء في الموضعين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضمّ الهاء.

ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

١٤٠ ـ • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمْرو، وشعبة، وأبو جعفر، ورَوْح: [أَمْ يَقُولُونَ] بِيَاءِ الغَائبين.

وقرأها باقي القراء العشرة [أَمْ تَقُولُون] بتاء المخاطَبين.

هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ
شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا
تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ
ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ
وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ
ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا
لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ

---

١٤٠ ـ • قرأ ورش بِنَقْلِ حركة الْهَمْزَة من: [وَمَنْ أَظْلَمُ] إلى النون قَبْلَها، وفَخَّمَ اللَّام.

١٤٢ ـ • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [قِبْلَتِهِمِ الَّتِي] في الوصل.

وقرأها حمزة، والكسائي، وخلف: [قِبْلَتِهُمُ الَّتِي] في الوصل.

وقرأها باقي القراء العشرة: [قِبْلَتِهِمُ الَّتِي] في الوصل.

أما في حالة الوقف فَكُلُّهُمْ يَكْسِرُونَ الهاء ويُسَكِّنُونَ الميم.

١٤٢ ـ • قرأ نافع، وابن كَثِير، وأبو عَمْرو، وأبو جعفر، ورُويس: [يَشَاءُ إِلَىٰ] بتَسْهِيلِ الهمزة الثَّانية، وإبْدَالِها واواً خَالِصَةً.

وقرأها باقي القراء العشرة بالتحقيق.

وكُلُّهُمْ متَّفِقُونَ على تحقيقِ الثانية إذا بَدَؤوا بها.

١٤٢ ـ • قرأ قُنبل بخلف عنه، ورُويس: [سِرَاطٍ] بالسِّين.

وقرأها خَلَفٌ عن حَمْزَة بالصَّاد مَشَمَّةً صوتَ الزَّاي.

وقرأها باقي القراء العشرة: [صِرَاطٍ] بالصاد الخالصة وهو الوجه الثاني لقنبل.

١٤٣ ـ • قرأ أبو عمْرو، وشعبة، وحمزة، والكِسَائي، ويعقوب، وخلف: [لَرَؤُفٌ]، ووقَفَ حَمْزة بالتَّسْهِيلِ. =

فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [لَرَؤُوفٌ]. ولِلأزرق ثلاثةُ البَدَل.

١٤٤ ـ • قرأ ابن عامر، وحمزة، والكِسَائي، وأبو جعفر، ورَوْح: [تَعْمَلُونَ] بتاء المخاطبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَعْمَلُونَ] بياءِ الغائبين.

• قرا ابْنُ كثير: [عَقِبَيْهِ] بصِلَةِ هاء الضَّمِير.

• وقرأ ورش: [لَكَبِيرَةً] بتَرْقيق الراء.

١٤٦ ـ • وقف حمزة على [أَبْنَاءَهُمْ] بالتسهيل مع المدّ والقصر.

١٤٨ ـ • قرأ ابْنُ عامر: [هُوَ مُوَلَّاهَا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [هُوَ مُوَلِّيهَا].

١٤٩ ـ • قرأ أبو عمْرو: [يَعْمَلُونَ] بياء الغائبين. =

وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [تَعْمَلُونَ] بتاء المخاطبين.

١٥٠ ـ ● قرأ ورش من طريق الأزرق: [لِيَلَّا]:

وكذلك قرأها حمزة في الوقف، ولَهُ التحقيق أيضاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِئَلَّا].

١٥٢ ـ ● قرأ ابن كثير: [فَاذْكُرُونِيَ أَذْكُرْكُمْ] بفتح ياء المتكلّم.

وقرأها باقي القرّاء العشرة بإسْكَانِ ياء المتكلّم.

١٥٢ ـ ● قرأ يعقوب: [وَلَا تَكْفُرُونِي] بإثْبَاتِ ياء المتكلّم وصلاً ووقْفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا تَكْفُرُونِ] بحَذْفِ ياء المُتَكَلّم.

﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ

١٥٧ و١٦٠ و١٦١ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ] بضم الهاء في المواضع الثلاثة، وصلاً ووقفاً.

وقرأها باقي القراءة العشرة: [عَلَيْهِمْ] بكَسْرِ الهاء وصلاً ووقفاً.

١٥٨ ـ • قرأ حمزة، والكِسائي، ويعقوب، وخلف: [وَمَنْ يَطَّوَّعْ].

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَمَنْ تَطَوَّعَ].

١٦٣ ـ • وقف يعقوب علىٰ [هُوَ] بهاء السَّكْت.

١٦٤ ـ • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [الرِّيحِ] بالإفراد.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الرِّيَاحِ] بالجمع.

ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

١٦٥ ـ • قرأ نافع، وابنُ عامر، وابن وِرْدان بخلفه، ويعقوب، [وَلَوْ تَرَى] بتاء المخاطب.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَوْ يَرَى].

١٦٥ ـ • قرأ ابن عامر: [إِذْ يُرَوْنَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [إِذْ يَرَوْنَ]

١٦٥ ـ • قرأ أبو جعفر، ويعقُوب: [إِنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وإِنَّ اللهَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ].

١٦٦ ـ • قرأ أبو عمْرو، ويعقوب: [بِهِمِ الأَسْبَابُ] في الوَصْل.
وقرأها حمزة، والكسائي، وخَلَف: [بِهُمُ الأَسْبَابُ] في الوصل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [بِهِمُ الأَسْبَابُ] في الوصل.
وأمَّا عِنْدَ الوقف فكُلُّهم يكْسِرُونَ الهاء ويُسَكِّنُونَ الميم.

١٦٧ ـ • قرأ أبو عمْرو: [يُرِيهِمِ اللهُ] وصْلاً.
وقرأها حمزة، والكِسَائي، وخلف: [يُرِيهُمُ اللهُ] وصْلاً. وكذلك يعقوب وصلاً ووقفاً.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يُرِيهِمُ اللهُ] وصلاً. وأمَّا عند الوقف فَكُلُّهُمْ يكْسِرُونَ الهاء ويسَكِّنُونَ الميم، إلَّا يعقوبَ فإنَّهُ يضُمُّ الهاء.

١٦٧ ـ • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهُمْ] وصْلاً ووقفاً.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [عَلَيْهِمْ] وصْلاً ووقفاً.

كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ

١٦٨ ـ • قرأ نافع، والبَزّي بخلف عنه، وأبو عمْرو، وشعبة، وحمزة، وخلف: [**خُطْواتِ**].
وقرأها باقي القراء العشرة: [**خُطُوَاتِ**] بضم الطّاء وهو الوجه الثاني للبزّي.

١٦٩ ـ • قرأ أبو عمْرو بخُلْفٍ عن الدُّوري [**يَأْمُرْكُمْ**] بإسْكَانِ الراء، والوجه الثاني للدوري الاختلاس وللدّوري وجه ثالث وهو ضم الراء ضمة خالصة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**يَأْمُرُكُمْ**].

١٧٠ ـ • قرأ هشام، والكسائي، ورويس: [**قِيلَ**] بإشْمَام كَسْرَة الْقَافِ ضمّاً.
وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرةٍ خالصة.

١٧٠ ـ • وقف حمزة علىٰ [آباءَنَا] بالتسهيلِ مع المدِّ والقصر.

١٧٣ ـ • قرأ أبو جعفر: [**الميِّتَة**] بتشْدِيد الياء المكْسُورة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [**الْمَيْتَةَ**] بإسْكانِ الياء.

١٧٣ ـ • قرأ أبو جعفر: [**فَمَنُ اضْطِرَّ**].
وقرأها أبو عمْرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [**فَمَنِ اضْطُرَّ**].
وقرأها باقي الْقُرَّاء العشرة: [**فَمَنُ اضْطُرَّ**].
وعند الابتداء بـ [**اضطرَّ**] فكُلُّ القراء يَضُمُّونَ الهمزة.

عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

١٧٤ ـ • قرأ يعقوبُ: [يُزَكِّيهُمْ] بضمّ هاء الضمير.
وقرأها باقي القراء العشرة: [يُزَكِّيهِمْ] بكسر هاء الضمير.
• وقف حمزة على [وَنِدَاءً] بالتسهيلِ مع المدّ والقصر في الآية (١٧١).

١٧٧ ـ • قرأ حفص، وحمزة: [لَيْسَ الْبِرَّ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَيْسَ الْبِرُّ] بالرَّفع.

١٧٧ ـ • قرأ نافع، وابن عامر: [ولكِنِ الْبِرُّ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَكِنَّ الْبِرَّ].

١٧٧ ـ • قرأ نافع: [والنَّبِيئِينَ] مَعَ المدّ المتَّصل مع ملاحظة ثلاثة البدل للأزرق.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَالنَّبِيِّينَ].

١٧٧ ـ • قرأ السُّوسي، وأبو جعفر: [الْبَاسَاءِ ـ الْبَاسِ] وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [الْبَأْسَاءِ ـ الْبَأْسِ].

صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا

١٧٨ ـ • في كلمة: [شَيْءٌ] عدَّة قراءات يُعْنَىٰ بها المقرئون.

١٨٢ ـ • قرأ شعبة، وحمزة، والكِسَائي، ويعقوب، وخَلَف [مُوَصٍّ]، من فعل: «وصَّىٰ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [مُوصٍ]، من فعل: «أوْصَىٰ».

١٨٤ ـ • قرأ نافع، وابنُ ذَكْوان، وأبُو جعفر: [فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ].

وقرأها هِشام: [فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ].

١٨٤ ـ • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [فَمَنْ يَطَّوَّعْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَمَنْ تَطَوَّعَ].

فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ

١٨٤ ـ • قرأ قالون، وأبو عمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [فَهْوَ] بإسْكانِ الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فَهُوَ] بضمِّ الهاء. ووقف يعقوب بهاء السَّكْتِ.

١٨٥ ـ • قرأ ابْنُ كثير: [الْقُرَانُ]. وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [القُرْآن].

١٨٥ ـ • قرأ أبو جعفر: [الْيُسُرَ ـ الْعُسُرَ].
وقرأهما باقي القراء العشرة: [الْيُسْرَ ـ الْعُسْرَ] بإسْكان السِّين.

١٨٥ ـ • قرأ شعبة، ويعقوب: [وَلِتُكَمِّلُوا] من فعل: «كَمَّلَ» المضعف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلِتُكْمِلُوا] من فعل: «أَكْمَلَ» المهموز.

١٨٦ ـ • قرأ يعقوب: [الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي] في الوصل والوقف. وكذلك وَرْشٌ، وأبو عمرو، وأبو جعفر: في الوصل. وكذلك قالون بخُلْفٍ وصلاً.
وقرأهُمَا باقي القرّاء العشرة: [الدَّاعِ إِذا دَعَانِ] في الحالين، وهو الوجه الثاني لقالون في الحالين.

١٨٦ ـ • قرأ ورش: [وَلْيُومِنُوا بِيَ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلْيُؤْمِنُوا بِيْ].

١٨٧ ـ • وقف يعقوب على: [هُنَّ] بهاءِ السّكْت. وكذا على ما ماثلها مِنَ المشدّد المبني في ضمير جمع المؤنث، مثل: [بَاشِرُوهُنَّ]، فقد وقف عليها بهاء السَّكْت بخلف عنه.

لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ

---

١٨٧ ـ • قرأ ورش، وابْنُ وردان بخلف عنه [فَالَانَ] بالنقل. وللأزرق ثلاثة البَدَل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فالْآنَ] بالتحقيق، وعدَم النقل.
ووقف حمزة بالسَّكت والنَّقل، وله في الوصل السَّكْتُ بخُلْف عن خلَّاد.

١٨٩ ـ • قرأ ورش، وأبو عمْرو، وحفص، وأبُو جعفر، ويعقوب: [الْبُيوتَ] بضَمّ الباء في الموضعين.
وقرأهما باقي القُرَّاء العشرة: [الْبِيُوتَ] بِكَسْرِ الباء.

١٨٩ ـ • قرأ نافع، وابْنُ عامر: [وَلَكِنِ الْبِرُّ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَكِنَّ الْبِرَّ].

ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ

---

١٩١ ـ • قرأ حمزة، والكِسَائي، وخلف: [وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ].

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ].

١٩٦ ـ • للأزرق ثلاثةُ البَدَلِ في: [رُؤُوسَكُمْ].

ووقف حمزة بالتَّسْهِيلِ، وبالحذف: [رُوْسَكُمْ].

١٩٦ ـ • قرأ السُّوسي، وأبو جعفر: [رَاسِهِ]. وكذلك حَمْزَةُ في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [رَأْسِهِ].

مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا

١٩٧ ـ • قرأ يعقوبُ: [فِيهُنَّ]. ووقف بهاء السَّكْت بخلف عنه.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فِيهِنَّ].

١٩٧ ـ • قرأ أبو جعفر: [فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ ولَا جِدَالٌ].
وقرأها ابن كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [فَلَا رَفَثٌ ولَا فُسُوقٌ ولَا جِدَالَ].
وقرأهَا باقي القراء العشرة: [فَلَا رَفَثَ ولَا فُسُوقَ ولَا جِدَالَ].

١٩٧ ـ • قرأ أبو عمْرو، وأبو جعفر: [واتَّقُونِي] بإثبات ياء المتكلّم في الوصل.
وكذلِكَ قرأها يعقوب في الوصل والوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَاتَّقُونِ]، بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً، وكذا قرأها في الوقف: أبو عمرو، وأبو جعفر.

٢٠٠ـ • قرأ ورْش: [ذِكْراً] بالتفخيم والترقيقِ انْفراداً، فإذا نظر مَعَ ما قبله كان له خمسة أوجه:
١ ـ قَصْرُ البَدَلِ، مع التفخيم والترقيق، فهما وجهان.
٢ ـ المدّ، مع التفخيم والترقيق أيضاً، فهما وجهان.
٣ ـ التوسُّط مع التفخيم فقط، فهو وجه واحد.

فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا

٢٠٤ ـ • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضمّ الهاء. ووقف يعقوب بهَاء السَّكْت.

٢٠٦ ـ • قرأ هشام، والكِسَائي، ورُوَيْس: [قِيلَ] بإشْمَامِ الكَسْرَة الضَّمَّ.
وقرأها باقي القراء العشرة بالكَسْرَةِ الْخَالِصَة.

٢٠٦ ـ • قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [وَلَبِيسَ]. وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَلَبِئْسَ].

٢٠٧ ـ • وقف الكِسَائي بالهاء على: [مَرْضَاتِ] مع الإمالة في الحالين.
وقرأها باقي القرّاء العشرة بالتاء.

٢٠٧ ـ • قرأ أبو عمْرو، وشُعْبة، وحمزة، والكِسَائي، ويعقوب، وخلف: [رَؤُفٌ]
ووقف حمزة بالتسهيل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [رَؤُوفٌ]. وللأزرق ثلاثَةُ الْبَدَل.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ

٢٠٨ ـ • قرأ نافع، وابنُ كثير، والكِسَائي، وأبو جعفر: [فِي السَّلْمِ] بفتح السين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فِي السِّلْمِ] بِكَسْرِ السِّين.

٢٠٨ ـ • قرأ نافع، ، والْبَزّي بخلف عنه، وأبو عَمْرو، وشعبة، وحمزة، وخَلَف: [خُطْوَاتِ] بإسكان الطاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [خُطُوَاتِ] بضَمِّ الطاء، وهو الوجه الثاني للبزي.

٢١٠ ـ • قرأ أبو جعفر: [وَالْمَلَائِكَةِ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [والْمَلَائِكَةُ] بالرفع.
ووقف حمزة بالتسهيل مع المدّ والقصر.

٢١٠ ـ • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عَمْرو، وعاصم، وأبو جعفر: [تُرْجَعُ الْأُمُورُ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [تَرْجِعُ الْأُمورُ] .
ووقف حمزة بالنَّقْلِ والسَّكْت.

٢١١ ـ • قرأ أبو جعفر: [إِسْرَائِيلَ] بتسهيل الهمزة الثانيةِ مع المدّ والقصر، وصلاً ووقفاً.
وكذلك حمزة في الوقف. مع فارق المدّ بينهما.
وقرأها باقي القراء العشرة بالتحقيق.

ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ

---

٢١٣ ـ • قرأ نافع [النَّبِيئِينَ] مع المدّ المتصل.
وللأزرق ثلاثةُ الْبَدَل.
وقرأها باقي القراء العشرة: [النَّبِيِّينَ].

٢١٣ ـ • قرأ أبو جعفر: [لِيُحْكَمَ].
وقرأها باقي القرّاء الْعَشرة: [لِيَحْكُمَ].

٢١٣ ـ • وقف حمزة في: [بِإِذْنِهِ] بالتَّحْقِيق، وبالتسهيل.

٢١٣ ـ • قرأ قنبل بخلف عنه، ورُويس: [سِرَاطٍ] بالسّين.
وقرأها خلف عن حمزة بالصاد مُشَمَّةً صَوْتَ الزّاي.
وقرأها باقي القراء العشرة: [صِرَاطٍ]، وهو الوجه الثاني لقنبل.

٢١٤ ـ • قرأ السُّوسي، وأبو جعفر: [الْبَاسَاءُ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [الْبَأْسَاءُ].
ولحمزة وجوه في الهمزة.

٢١٤ ـ • قرأ نافع: [حَتَّىٰ يَقُولُ] بالرفع.
وقرأها باقي القراء العَشَرة: [حَتَّىٰ يَقُولَ] بالنَّصب.

فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ

٢١٦ ـ • قرأ قالون، وأبو عَمْرو، والكِسَائِي، وأبو جَعْفر: [وهْوَ] بإسْكَانِ الْهاء في كلّ مواضعها من الآية.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَهُوَ]. ووقف يعقوبُ بهاء السَّكْت.

٢١٨ ـ • وقف ابن كثير، وأبو عمْرو، والكسائي، ويعقوب على: [رحْمَتَ] بالهاء.
ووقف باقي القراء العشرة عليها بالتاء.

٢١٩ ـ • قرأ يعقوب: [فيهُمَا] بضَمِّ الهاء.
وقرأها باقي الْقُرَّاء العشرَة: [فِيهِمَا] بكسر الهاء.

٢١٩ ـ • قرأ حمزة، والكِسَائي: [إِثْمٌ كَثِيرٌ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [إِثْمٌ كبيرٌ].

مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ

٢١٩ ـ • قرأ أبُو عمْرو: [قُلِ الْعَفْوُ] بالرفع.
وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلِ الْعَفْوَ] بالنَّصب.

٢٢٠ ـ • لورش في: [والْآخِرَةِ] نَقْلُ حركة الهمزة وحذفها. وله ثلاثة الْبَدل. وترقيق الراء.
وقرأ خلَفٌ عَنْ حمزة، وخَلَّادٌ بخلافٍ عنه: بالسَّكْتِ على لَامِ التعريف وصلاً، أما في الوقف فلكُلٍّ مِنْهُمَا وجهان: السكت والنَّقْل.

٢٢٠ ـ • وقف حمزة على: [فَإِخْوَانُكُمْ] بِالتحقيق، وبالتَّسْهِيلِ.

٢٢٠ ـ • قرأ الْبَزِّي بخُلْفٍ عَنْه بتَسْهيلِ همزة: [لَأَعْنَتَكُمْ] وصلاً ووقفاً.
وقرأها باقي القراء العشرة بالتحقيق.
وهو الوجه الثاني للبَزِّي.
ولحمزة في الوقف التسهيل والتحقيق.

٢٢٢ ـ • قرأ شعبة، وحمزة، والكِسَائي، وخلف: [يَطَّهَّرْنَ] أي: يَتَطَهَّرْنَ.
وقرأها باقِي القراء العشرة: [يَطْهُرْنَ] .

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ

٢٢٢ ـ • وقَفَ يعقُوب بخلف عنه على: [فَأْتُوهُنَّ] بِهَاءِ السَّكْت.
وأَبْدَلَ ورْشٌ، والسُّوسي، وأبو جعفر: الهمزة، وكذلِكَ حمزة في الوقف.

٢٢٥ ـ • قَرأَ ورْش، وأبو جعفر: [يُوَاخِذُكُمْ] في الموضعين بإبدال الهمزة واوا.
وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يُؤَاخِذُكم].

٢٢٦ ـ • قرأ ورش، والسُّوسي، وأبو جعفر: [يُوْلُونَ]. وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يُؤْلُونَ] .

٢٢٦ ـ • لورش في [فَاؤُوا] ثلاثَة البدل. ولحمزة التسهيلُ في الوقف مع المدّ والقصر.

٢٢٨ ـ • وقف حمزة على: [بِأَنْفُسِهِنَّ] بالتحقيق، والإبدال ياءً خالِصَة.
ووقف يعقوب بهاء السكت، وكذا وقف على ما كان مِثْلَهُ ممّا آخِرُه ضَمِيرٌ مُشَدَّدٌ مَبْنِي.

٢٢٨ ـ • لحمزةَ، وهشام بخلفه في الوقف على [قُرُوءٍ]: إبْدَال الهمزة واواً وإدْغَامُ ما قبلها فيها، مع السُّكُون والرَّوْم.

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟

٢٢٨ ـ • قرأ يعقوب: [عَلَيْهُنَّ] في الموضعين بضمّ الهاء، ووقف عليها بهاء السكت.
وقرأهما باقي القُرّاء العشرة: [عَلَيْهِنَّ] بِكَسْرِ الهاء.

٢٢٩ ـ • قرأ حمزة، وأبو جعفر، ويعقوب: [يُخَافَا].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يَخَافَا].

٢٢٩ و٢٣٠ ـ • قرأ يعقوب: [عَلَيْهُمَا] بضَمّ الهاء في الموضعين.
وقرأهما باقي القرّاء العشرة: [عَلَيْهِما] بكَسْرِ الهاء في الموضعين.
• **فَخَّمَ ورْش اللاّم في: [الطَّلاق ـ والمُطَلَّقات ـ طَلَّقَها ـ إصْلاحاً].**

٢٣١ ـ • وقف يعقوب على: [أَجَلَهُنَّ] بهاء السّكْت، وكذلك وقف على أمْثالِها.

٢٣١ ـ • قرأ حفص: [هُزُواً] وصلاً ووقفاً.
وقرأها خلَف العَاشر: [هُزْءاً] وصلاً ووقفاً. وكذلك حمزة وصلاً، وله في الوقف وجهان:
١ ـ نقلُ حركَةِ الهمزة إلى السَّاكِن قَبْلَها، مع حذف الهمزة: [هُزَا]. =

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ

=

٢ ـ إبدال الهمزة واواً: [هُزْواً].

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [هُزُؤاً].

٢٣٢ ـ • وقف ابن كثير، وأبو عمْرو، والكِسَائي، ويعقوب على: [نِعْمَتْ] بالهاء.

ووقف عليها باقي القرّاء العشرة بالتّاء.

٢٣٣ ـ • قرأ أبو جعفر بخلف عنه: [لَا تُضَارْ].

وقرأها ابن كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [لَا تُضَارُّ].

وقرأ باقي القراء العشرة: [لَا تُضَارَّ]، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر.

واتفقوا على مَدِّهِ مَدّاً لازماً.

٢٣٣ ـ • لورش في: [فِصَالًا] تفخيم اللام وترقيقها، فإذا ضُمَّت إلى البدل بَعْدها وهو: [آتَيْتُمْ] فله خمسة أوجه.

٢٣٣ ـ • قرأ يعقوب: [عَلَيْهُمَا] بضمّ الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمَا] بِكَسْرِ الهاء.

٢٣٣ ـ • قرأ ابن كثير: [ما أَتَيْتُمْ].

=

بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [مَا آتَيْتُم].

٢٣٥ ـ ● قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس: [ٱلنِّسَاءِ أَوْ] بإبدال الهمزة الثانية ياءً خَالِصَة.

وقرأها باقي القرّاء العشرة بتَحْقِيقِها.

واتفق القراء على تحقيق الهمزة الأولى، وعلى تحقيق الهمزة الثانية عِنْدَ البدْءِ بها.

٢٣٦ و٢٣٧ ـ ● قرأ حمزة، والكِسَائي، وخلف: [تُمَاسُّوهُنَّ] في الموضعَيْنِ، مع المدّ اللازم.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [تَمَسُّوهُنَّ]. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٢٣٦ ـ ● قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، وشعبة، ويعقوب: [قَدْرُهُ]، بإسْكَان الدال.

وقرأها باقي القرّاء العشرة: [قَدَرُهُ]، والمعنى فيهما واحد.

مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا
فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ
وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ
ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ
فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا
وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا
عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن
دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ
أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

---

٢٣٧ ـ • قرأ رُويس في: [بِيَدِهِ] بقَصْرِ الهاء وصَلاً، أي: باخْتِلاس حَرَكتِهَا.
وقرأها باقي القراء العشرة بإشباع الهاء.

٢٤٠ ـ • قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحفص، وحمزة: [وَصِيَّةً] بالنصب.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَصِيَّةٌ] بالرَّفع.

فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا

٢٤٥ ـ • قرأ عاصم: [فَيُضَاعِفَهُ].

وقرأها ابنُ كثير، وأبو جعفر: [فَيُضَعِّفُهُ].

وقرأها ابن عامر، ويعقوب: [فَيُضَعِّفَهُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَيُضَاعِفُهُ].

ومؤدَّىٰ هـٰذِه القراءات واحد، وهِيَ من التَّفَنُّن.

٢٤٥ ـ • قرأ نافع، والْبَزِّي، وشعبة، والكِسَائي، ورَوْح، وأبو جعفر: [وَيَبْصُطُ] بالصاد.

وقرأها: دوري أبي عمرو، وهشام، وخلف عن حمزة، ورويس، وخلف: [وَيَبْسُطُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: بالسين والصاد.

٢٤٥ ـ • قرأ يَعْقُوب: [تَرْجِعُونَ] بالمبني للمعلوم.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تُرْجَعُونَ] بالمبني لما لَمْ يُسَمَّ فاعله.

وبين القراءتين تكامُلٌ في الأداء البياني، أي: يُرْجِعُكُمْ الله بالْجَبْرِ، فترجعون مُطاوِعين.

• قرأ ورْش بتفخيم اللَّام، وترقيق الرَّاء من: [الصَّلَوٰاتِ ـ والصَّلَاةِ ـ ولِلْمطَلَّقَاتِ ـ غَيْرَ إخْرَاجٍ ـ كَثِيرَةً].

٢٤٦ ـ • لحمزة في الوقف علىٰ [الْمَلإِ] وجهان:

١ ـ إبدال الهمزة ألفاً: [الْمَلَا].

٢ ـ التسهيل مع الرَّوم.

٢٤٦ ـ • قرأ أبو جعفر: [إِسْرَائِيلَ] بتسهيل الهمزة الثانية، مع المدّ والقصر وصْلاً ووقفاً.

وكذلك قرأها حمزة وَقْفاً مع فارق المدِّ بَيْنَهُما.

وقرأها باقي القرّاء العشرة بالتحقيق.

٢٤٦ ـ • قرأ نافع: [لِنَبِيءٍ] مع المدّ المتصل.

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِنَبِيٍّ].

٢٤٦ ـ • قرأ نَافع: [عَسِيتُمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَسَيْتُمْ].

نُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ

٢٤٦ ـ • وقف حمزة على: [وَأَبْنَائِنَا] بتَحْقِيقِ الهمزة الأولى وتَسْهِيلها، وعلى كُلٍّ وقف في الثانية بالتسهيل مع المدّ والقصر.

٢٤٦ ـ • قرأ أبو عمْرو: [عَلَيْهِم الْقِتَالُ].

وقرأها حمزة، والكِسَائِيّ، ويعقوب، وخلف: [عَلَيْهُمُ الْقِتَالُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ].

وهذا عند الوصل، وأما عند الوقف فكلهم يكسرون الهمزة ويسكنون الميم، ما عدا حمزة ويعقوب، فإنهما يقفان بضم الهاء وإسكان الميم.

٢٤٧ و٢٤٨ ـ • قرأ نافع: [نَبِيئُهُمْ] في الموضِعَيْنِ مع المدّ المتّصل.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [نَبِيُّهُمْ].

٢٤٧ ـ • قرأ قنبل بخلف عنه: [بَصْطَةً].

وقرأها باقي القراء العشرة، وهو الوجه الثاني لقنبل: [بَسْطَةً].

٢٤٧ ـ • لحمزة، وهشام في الوقف على: [يشَاءُ] خمسة أوجه:

إبدال الهمزة ألفاً مع المدّ، والقصر، والتوسط، وله التسهيل بالرَّوم مع المدّ، والقصر، مع مراعاة فارق المدّ بينهما حالَة التَّسْهِيل.

مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ

٢٤٩ ـ • قرأ نافع، وأبو عمْرو، وأبو جعفر: [مِنِّيَ إِلَّا] بفتح ياء المتكلّم.
وقرأها باقي القرَّاء العشرة: [مِنِّي إِلَّا] بإسْكان ياء المتكلّم.

٢٤٩ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عَمْرو، وأبو جعْفَر: [غَرْفَةً] بفَتْح الْغَيْن.
وقرأها باقي القراء العشَرَة: [غُرْفَةً] بضَمّ الغين.

٢٤٩ ـ • قرأ رُويس بقصر الهاء وصلاً من: [بِيَدِهِ] أي: باخْتِلاس حَرَكَتِهَا.
وقَرأها باقي القرّاء العشرة بالإشباع.

٢٤٩ ـ • قرأ أبو جعفر: [فِيَةٍ] ـ [فِيَةً].
وكذلك قرأها حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فِئَةٍ] ـ [فِئَةً].

٢٥١ ـ • قرأ نَافع، وأبو جعفر، ويعقوب: [وَلولا دِفَاعُ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَوْلَا دَفْعُ].

• قرأ ابن كثير بصلَة هاء الضمير بواو مَدِّيَّةٍ في: [مِنْهُ] و[يَطْعَمْهُ].

• وقرأ ورش بترقيق الراء من: [كَثِيرَةً]، وبتفخيم اللّام من: [فَضْلَ].

ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞
تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ
بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم
مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا
نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ
عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ

٢٥٣ ـ • قرأ ابْنُ كثير: [الْقُدْسِ] بإسْكَانِ الدال.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [الْقُدُسِ] بضم الدال.

٢٥٤ ـ • قرأ ابْنُ كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ].
وقرأها باقي الْقُرَّاءِ العشرة: [لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ].
والقراءتان على وجْهَيْنِ عربيَّيْنِ جائِزَيْن.

٢٥٥ ـ • قرأ يعقُوبُ: [أَيْدِيهُمْ] بضم الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَيْدِيهِمْ] بِكَسْرِ الهاء.

٢٥٥ ـ • لحمزة، وهشام وَقْفاً: إبدال همزة [شَاءَ] مع الْقَصْرِ، والتوسُّطِ والمدِّ.

٢٥٥ ـ • قرأ الأزرق بتثليث مد البدل في: [يَؤُودُهُ]. ولحمزة في الوقف: تَسْهِيلُ الهَمْزَةِ بينها وبين الواو، وحَذْفُها.

٢٥٥ ـ • قرأ قالُون، وأبو عمْرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْوَ] بإسْكَان الهاء. =

قَدْ تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضم الهاء. ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٢٥٨ ـ • قرأ ابْنُ ذَكْوان بخلْف عنه: [إِبْرَاهَام] في المواضِع الثلاثة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيم]. وهو الوجْهُ الثاني لابن ذَكْوَان.

٢٥٨ ـ • قرأ حمزة: [رَبِّي الَّذِي] بإسكان ياء المتكلّم.
وقرأها باقي القراء العشرة بفتح ياء المتكلّم.

٢٥٨ ـ • قرأ نافع، وأبو جعفر: [أَنَا أُحْيِي] بإثبات ألف «أنا» في الوصل والوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة بحذف ألف «أنا» في الوصل إثباتها وقفاً.

٢٥٩ ـ • قرأ قَالُون، وأبو عمرو، والكِسَائي، وأبو جعفر: [وَهْيَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهِيَ] بِكَسْرِ الهاء.
ووقف يعقوب بهاء السَّكْت.

٢٥٩ ـ • قرأ أبو جعفر: [مِيَةَ] في الموضِعَيْن. وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القُرَّاءِ العشرة: [مِئَةَ].

عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ

٢٥٩ ـ • قرأ حمزة، والكِسَائي، ويعقوب، وخلف: [يَتَسنَّ] في الوصل، و[يَتَسَنَّهْ] في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَتَسَنَّهْ] في الوصل والوقف.

٢٥٩ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عَمْرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [نُنْشِرُهَا]. ورقَّقَ ورْش رَاءَها.

وقرأها باقي القراء العشرة: [نُنْشِزُهَا].

٢٥٩ ـ • قرأ حمزة، والكِسَائي: [قَالَ اعْلَمْ] بإسْكَانِ الميم، وبهمزة وصل. وإذا ابتدأ بـ[اعْلَم] كسر همزة الوصل على الأصل.

وقرأها باقي القراء العشرة: [قَالَ أَعْلَمُ] برَفْعِ الميم.

٢٦٠ ـ • قرأ ابْنُ ذَكْوانَ بخُلْفٍ عنه: [إِبْرَاهَامُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمُ]، وهو الوجه الثاني لابن ذَكْوان.

٢٦٠ ـ • قرأ ابن كثير، والسُّوسي، ويعقوب: [أَرْنِي] بإسْكَانِ الراء.

وقرأها دوري أبي عمْرو: باختلاسِ الراء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَرِنِي] بِكَسْرِ الراء.

٢٦٠ ـ • قرأ حمزة، وأبو جعفر، ورُويس، وخلف: [فَصِرْهُنَّ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَصُرْهُنَّ] بضم الصاد. ووقف يعقوب بهاء السكت.

٢٦٠ ـ • قرأ شعبة: [جُزُءاً].

وقرأها أبو جعفر: [جُزًّا].

=

ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ
ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ
سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ
رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوۡلٞ
مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ
وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ
صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [جُزْءًا]. ووقف حمزة: [جُزَا].

٢٦١ ـ • قرأ أبو جعفر: [مِيَةُ] وصلاً ووقفاً وكذا حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [مِئَةُ].

٢٦١ ـ • قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [يُضَعِّفُ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [يُضَاعِفُ].

٢٦٢ ـ • قرأ حمزة: [وَلَا خَوْفُ عَلَيْهُمْ].
وقرأها يعقوب: [وَلَا خَوْفَ عَلَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ].

٢٦٤ ـ • قرأ أبو جعْفَر: [رِيَاءَ]. وكذا حمزة في الوقف، ولحمزة مع هشام بخلفه في الهمزة الثَّانِيَةِ: إبدالُ الهمزة ألفاً مع ثلاثَةِ المدّ.
وقرأها باقي القراء العشرة: [رِئَاءَ].

مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا

٢٦٥ ـ • وقف الكسائي على: [مَرْضَاتِ] بالهاء مع الإمالة.
وقرأها باقي القراء العشرة بالتاء.

٢٦٥ ـ • قرأ ابْن عامر، وعاصم: [بِرَبْوَةٍ] بفتح الراء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [بِرُبْوَةٍ] بضم الراء.

٢٦٥ ـ • قرأ نافع، وابْنُ كثير، وأبو عمْرو: [أُكْلَهَا].
وقرأها باقي القراء العشرة: [أُكُلَهَا].

٢٦٧ ـ • قرأ البزّي بخلف عنه: [وَلَا تَّيَمَّمُوا] مع المدّ المشْبَعِ، وصلاً.
وإذا بدأ بـ [تيَمَّمُوا] خفّفَ التاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا تَيَمَّمُوا] وهو الوجه الثاني للبزّي.

٢٦٨ ـ • قرأ أبو عمْرو بخلف عن الدُّوري [وَيَأْمُرْكُمْ]. والوجه الثاني للدوري هو الاخْتِلاس، وله وجه ثالث: وهو ضمّ الراء ضمة خالصة.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيَأْمُرُكُمْ].
ولِوَرْش، والسُّوسِي، وأبي جعفر الإبدال. وكذا لحمزة في الوقف.

وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا

٢٦٩ ـ • قرأ يعقوب: [وَمَنْ يُؤْتِ] في الوصل. وقرأها: [وَمَنْ يُؤْتِي] في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَنْ يُؤْتَ] وصلاً ووقفاً.
ولورْش، والسُّوسِي، وأَبِي جعفر الإبْدَال. وكذلك لحمزة في الوقف.

٢٧١ ـ • قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: [فَنَعِمَّا] بفتح النون.
وقرأها ورش، وابْنُ كثير، وحفص، ويعقوب: [فَنِعِمَّا] بكَسْرِ النون.
وقرأها قالون، وأبو عَمْرو، وشعبة: [فَنِعْمَّا] بِكَسْرِ النون وإسكان العين، بخُلْفٍ عنهم.
والوجه الثاني لهم باختلاس كَسْرَةِ الْعَيْن. وقرأها أبو جعفر بلا خلاف: [فَنِعْمَّا].

٢٧١ ـ • وقف يعقوب على [هِيَ] بهاء السَّكْت.

٢٧١ ـ • قرأ قالون، وأبو عَمْرو، والكسائي، وأبو جعفر: [فَهْوَ] بإسكان الهاء.
وقرأها باقي القراء العشرة: [فَهُوَ] بضمّ الهاء. ووقف يعقوب بهاء السَّكْتِ.

٢٧١ ـ • قرأ نافع، وحمزة، والكِسَائي، وأبو جعفر، وخلف: [وَنُكَفِّرْ].
وقرأها ابْنُ كثير، وأبو عَمْرو، وشعْبة، ويعقوب: [ونُكَفِّرُ].
وقرأها باقي القراء العَشرة: [وَيُكَفِّرُ].

٢٧١ ـ • للأزرق ثلاثة البدل في [سَيِّئَاتِكُمْ]. ووقف حمزة بإبدالِ الهمزة ياءً خَالِصَةً فقرأها: [سَيِّيَاتِكُمْ].

٢٧٢ ـ • وقف حمزة على: [فَلأَنْفُسِكُمْ] بالتحقيق، وبإبْدَالِ الهمزة ياءً خالِصَةً: [فَلِيَنْفُسِكُمْ].

تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

٢٧٣ ـ • قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: [يَحْسَبُهُمُ] بفتح السين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [يَحْسِبُهُمُ] بِكَسْرِ السِّين.

٢٧٤ ـ • قرأ يعقوب: [وَلَا خَوْفَ عَلَيْهُمْ].
وقرأها حمزة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ].

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ
فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن
كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ
لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ
إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن

---

٢٧٧ ـ • قرأ حمزة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهُمْ].
وقرأها يعقوب: [وَلَا خَوْفَ عَلَيْهُمْ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ].
٢٧٩ ـ • قرأ شعبة، وحمزة: [فَآذِنُوا]. ولحمزة في الوقف التحقيق والتسهيل.
وقرأها باقي القرَّاء العشرة: [فَأْذَنُوا]، وأبْدَلَ ورش، وأبو عمرو بخلف عنه،
وأبو جعفر: الهمزة في الحالين.
٢٧٩ ـ • للأزرق ثلاثة البَدَل في: [رُؤُوسُ]. ووقف حمزة بالتسهيل، وبالحذف: [رُوسُ].
٢٨٠ ـ • قرأ أبو جعفر: [عُسُرَةٍ] بضم السين.
وقرأها باقي القراء العشرة: [عُسْرَةٍ] بإسْكان السين.
٢٨٠ ـ قرأ نافع: [مَيْسُرَةٍ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [مَيْسَرَةٍ].
٢٨٠ ـ • قرأ عاصم: [وَأَنْ تَصَدَقُوا].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [وَأَنْ تَصَّدَّقُوا].
٢٨١ ـ • قرأ أبو عَمرو، ويعقوب: [يَوْماً تَرْجِعُونَ].
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [يَوْماً تُرْجَعُونَ].
• لورش ترقيقُ الراء وتفخيمُ اللّام من: «فَنَظِرَة ـ خير ـ الصَّلَاة».
• ولابن كثير صِلَة الهاء من: «فيه».

يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ
وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ
ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ
وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا
رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا
دُعُوا۟ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ
ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ

٢٨٢ ـ • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عَمْرو، وأبو جعفر، ورُوَيس: [مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ] بإبْدَال الهمزة الثانية ياءٍ خالصة مفتوحة.

وقرأها باقي القراء العشرة بتحقيق هذه الهمزة.

واتفقوا على تحقيق الهمزة الأولى، وعلى تحقيق الهمزة الثَّانِيَةِ إذا بَدَؤُوا بها.

٢٨٢ ـ • قرأ حمزة: [إِنْ تَضِلَّ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْ تَضِلَّ].

٢٨٢ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو عمْرو، ويعقوب: [فَتُذْكِرَ]، من فعْلِ «أذكر».

وقرأها حمزة: [فَتُذَكِّرُ].

وقرأها باقي العشرة: [فَتُذَكِّرَ].

٢٨٢ ـ • أبدل ورْش، والسُّوسي، وأبُو جعفر: الْهَمْزَة من [يَأْبَ] . وكذلك حمزة في الوقف.

٢٨٢ ـ • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمْرو، وأبو جعفر، ورُويس في: [الشُّهَدَاءُ إِذَا]: بتسهيل الهمزة الثانية، وبإبْدالها واواً خالصة.

وقرأها باقي القراء العشرة بتَحْقِيقها.

واتفق الجميع على تحقيق الهمزة الأولى، وعلى تحقيق الهمزة الثانية عِنْدَ الْبَدْءِ بها.

٢٨٢ ـ • وقف حمزة على: [وَلَا تَسْأَمُوا] بنقل حركة الهمزة إلى السّين مع حذف الهمزة، فيقرأها: [وَلَا تَسَمُوا] .

أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ

٢٨٢ ـ • قرأ عَاصِم: [تِجَارَةً حَاضِرَةً] بالنصب.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ] بالرَّفع.

٢٨٢ ـ • قرأ أبو جعفر بخلف عنه: [وَلَا يُضَارْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا يُضَارَّ] وهو الوجه الثاني لأبي جعفر.

وكُلُّهُمْ يُشْبِعُونَ المدَّ لِأجل السّاكِنَين.

٢٨٣ ـ • قرأ ابن كثير، وأبو عَمْرو: [فَرُهُنٌ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَرِهَانٌ].

٢٨٣ ـ • قرأ ورْش، وأبو جعفر: [فَلْيُوَدِّ]. وكذلِكَ حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلْيُؤَدِّ].

٢٨٣ ـ • قرأ ورْش، والسُّوسي، وأبو جعفر في: [الَّذِي اوْتُمِنَ] في الوصل بإبدال الهمزة ياء خالصة.

وكذلِكَ حمزة في الوقف، فَتَصِيرُ: [الَّذِيتُمِنَ].

وكُلُّهُمْ يبْتَدِئونَ «اُؤْتُمِنَ»: بهمزةٍ مضمومةٍ وبَعْدَهَا واو ساكِنَة.

وقرأ الباقون وصلاً: بهمزة ساكنة.

٢٨٤ ـ • قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: [فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ويُعَذِّبُ] بالرفع.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ ويُعَذِّبْ]. =

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

=٢٨٤ ـ • وقف حمزة، وهشام في: [يَشَاءُ] بإبدال الهمزة ألفاً، مع المدّ، والقصر، والتوسط. ولهما التسهيل بالرَّوْم مع المدّ والقصر. ويُراعَىٰ فارِقُ المد بَيْنَهما.

٢٨٥ ـ • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَكِتَابِهِ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَكُتُبِهِ].

٢٨٥ ـ • قرأ يعقوب: [لَا يُفَرِّقُ].
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا نُفَرِّقُ].

٢٨٦ ـ • قرأ ورش، وأبو جعفر: [لَا تُوَاخِذْنَا]. وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القرّاء العشرة: [لَا تُؤَاخِذْنَا].

٢٨٦ ـ • قرأ السّوسي، وورش من طريق الأصبهاني، وأبو جعفر: [أَخْطَانا]. وكذلك حمزة في الوقف.
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَخْطَأْنا].

(٢)
ممّا وَرَدَ في السنة بشأن سورة (البقرة)

(١) روىٰ مسلم، وأحمد، والترمذي، والبخاري في تاريخه عن النَّواس بْن سمْعَان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«يُؤْتَىٰ بِالْقُرآن وأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدنيا، تَقْدَمُهُمْ سُورَةَ الْبَقَرَة، وآلُ عِمْران».

قال: وضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثَةَ أَمْثَال ما نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قال:

«كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَان، أَوْ كأنَّهُمَا غَيَايَتَان[1]، أو كَأَنَّهما ظُلَّتَان سَوْدَاوانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا».

(٢) ورَوَىٰ أحمد، والحاكم وصَحَّحه وغيرهما، عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ الله عنه قَال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«تَعلّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فإنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَة»[2].

ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمّ قَالَ:

«تَعلَّمُوا سُورَةَ الْبَقرة، وآلَ عِمْرانَ، فَإنَّهُمَا الزَّهْرَاوان تُظِلَّانِ صاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَة، كأنَّهما غَمَامَتَان، أَوْ غَيَايَتَانِ، أَو فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ». قال ابن كثير: إسناده حسن علىٰ شرط مُسْلِم.

(٣) وروىٰ مسلم، والترمذي، والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الّذِي تُقْرأ فِيهِ سورة البقرة».

أي: لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم كَالْمَقَابِرِ للنَّوْمِ، دُونَ أَنْ يكُونَ فِيها ذِكْرٌ للهِ عزَّ وجل، كتِلَاوَةِ سُورَةٍ أَوْ سُوَرٍ من القرآن المجيد.

(٤) وروىٰ الإمام أحمد، والطَّبَرانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ الله عنه، أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال:

---

(١) **الغَيَايَة**: كلُّ ما أظلَّ الإنسان فوقَ رأْسِهِ، كالسحابة، والْغَبَرَة، والظّلّ، ونحو ذلك.

(٢) **الْبَطَلَةُ**: السَّحَرَة، أي: لا تَسْتَطِيعُ السَّحَرَةُ الصُّمودَ تُجَاهَ مَا جَعَلَ الله فيها من تأْثِيرٍ في إبطالِ سِحْرِ السَّحَرَةِ مَهْمَا بَلَغَ سِحْرُهُمْ.

«الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرآنِ وَذِرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمانُونَ مَلَكاً، واسْتُخْرِجَتْ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ...﴾ من تَحْتِ الْعَرْشِ فَوُصِلَتْ بِهَا».

(٥) وروىٰ الإمامُ أحْمَدُ، والبخَارِيُّ في صَحِيحِه تَعْلِيقاً، ومُسْلِمٌ، والنَّسائِي، عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْر رضي الله عنه، قال: [بَيْنَما هُوَ يَقْرأ في اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْده؛ إذْ جَالَتِ[1] الْفَرَسُ، فَسَكَتَ، فَسَكَنَتْ، ثُمَّ قَرأَ فَجالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ، فَسَكَنَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجالَتِ الْفَرَسُ، فسَكَتَ، فَسَكَنَتْ. فَانْصَرَفَ إلىٰ ابْنِهِ يَحْيَىٰ، وكَانَ قَرِيباً مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا أَخذَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فإذَا هُوَ بِمِثْلِ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المصَابِيحِ عَرَجَتْ إلَىٰ السَّمَاءِ حَتَّىٰ مَا يَرَاها.

فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَال رسُول اللهِ ﷺ:

«أَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟».

قال: لَا يا رَسُولَ الله، قَالَ:

«تِلْكَ المَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، ولَوْ قَرأْتَ لأَصْبَحَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاسُ لَا تَتَوَارَىٰ مِنْهُمْ»...].

(٦) ورَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ، والنَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ، والْحَاكِمُ وصحَّحه، عَنْ أبي هُرَيرة رضي الله عنه، قَال: [بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثاً، فاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ - يَعْنِي مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرآنِ - فَأَتَىٰ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنّاً، فَقال:

«مَا مَعَكَ يَا فُلَانُ؟».

قال: مَعِي كَذَا وَكَذَا، وسُورَةُ الْبَقَرَةِ، قال:

(١) إذْ جَالَتِ الْفَرَسُ: أي: تحركَتْ مُضْطَرِبَةً مَذْعُورة.

«أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟».

قال: نَعَمْ. قال:

«اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ»...].

وفي السُّنَّةِ أَحَادِيثُ مُتَعَدِّدَةٌ أُخَرُ بِشَأْن هٰذِه السورة العظيمة.

(٣)
موضوع سُورَةِ (البقرة)

فروع شجرة سورة (البقرة/ ٨٧ نزول) فروعٌ كُبْرَىٰ مُمْتَدَّةٌ حَتَّىٰ آخِرِها، وهٰذه الفروع ذَوَاتُ أَفْنَانٍ كَبِيرَة، وهٰذه الأَفْنَانُ ذَوَاتُ أَفْنَانٍ أَصْغَر مِنْهَا، وهِيَ مُتَشَابِكَةٌ تَشَابُكاً عَجِيباً، ومُتَداخِلَةٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وكثيرٌ مِنَ الْخُطُوطِ الواصِلَةِ بَيْنَهَا خُطُوطٌ غَيْرُ مَنْظُورَةٍ، كالْخُطُوطِ غَيْرِ المنظورة بَيْنَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وقَدْ يُدْرَكُ بَعْضُهَا بالتَّأَمُّلِ الْفِكْرِيِّ الْعَمِيقِ في الْمَعانِي، وروابِطِهَا الفِكْرية، وما يلْزَمُ عَنْهَا مِنْ دَلَالَات، يَسْتَخْرِجُها الذِّهْنُ الثاقب.

وقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهَا خَمْسَةُ فُرُوعٍ عُظْمَىٰ:

الفرع الأول مِنْ فروعها العظمىٰ:

القرآن المجيد المعْجِزُ وهدايته، والمشَكِّكُون فيه، والمعْتَرِضُونَ عَلَىٰ بعْضِ ما جاء فيه.

الفرع الثاني مِنْ فُروعِهَا العظمىٰ:

ضَرْبُ أَمْثِلَةٍ مِنْ تَارِيخ الموضُوعِينَ في الحَياةِ الدُّنْيا مَوْضِعَ الامْتِحَان، وبيانُ مواقِفِهِمْ تُجاهَ قَضَايا الدِّينِ وأوامِرِ اللهِ لَهُمْ وَنَواهِيهِ لهم، بَدْأً بإبْلِيسَ، فآدَمَ عَلَيْهِ السَّلام وزَوْجِهِ، ثُمَّ جَاءَ فيها عَرْضُ لَقَطاتٍ كَثِيراتٍ

مِنْ قِصَّةِ بَنِي إسْرَائيل، تُجاهَ دِينِ اللهِ لَهُمْ، تَحْذِيراً لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ من أَنْ لَا يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَقَدِ اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ الْخَاتِمَةِ للنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

ومِنْ هٰذِهِ الأمْثِلَةِ تَسَاؤل إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام: كيْفَ يُحْيِي اللهُ الموتَىٰ، لِيَصِلَ إيمانُهُ إلَىٰ عَيْنِ اليقين، وليكُونَ قَلْبُهُ كَامِلَ الطَمَأْنِينَةِ. وَكَذَلِكَ تَسَاؤُل العزير عَنْ كَيْفِيَّةِ إحْيَاءِ اللهِ مَوْتَىٰ مَقْبَرةٍ، فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عامٍ وَمَعَهُ حِمَارُهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ وأَرَاهُ كَيْفَ يُنْشِئُ حِمَارَهُ حَتَّىٰ صَارَ حَيّاً كما كَانَ.

الفرع الثالث من فُرُوعِهَا العظمىٰ:

المؤمِنُونَ المتَّقُون، ومَطْلُوب اللهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ مِنْهم، وفي مُقَدِّمَةِ صِفَاتِ المتَّقِينَ الأُسُسُ الْكُلِيَّةُ الكُبْرَىٰ، المبَيَّنَةُ في الآيات من (١ ـ ٥).

وجاء في أثْنَاءِ السُّورَةِ بَيَانَاتٌ كَثِيرَاتٌ عَنْ مَطْلُوب اللهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ مِنَ المتَّقِينَ، في أَحْكَامٍ بِقَضَايَا كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تتعَلَّقُ بِسُلُوك الإنْسَانِ الاخْتِيَارِيّ فِي حَيَاتِهِ.

الفرع الرابعُ مِنْ فُرُوعِهَا العظْمىٰ:

الكافِرُونَ وغَيْرُ المسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَة الْحَق، بدْأً بالَّذِينَ وصَلُوا إلَىٰ دَرَكَةِ مَيْؤُوسٍ مَعَهَا أَنْ يُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيق إرادَاتِهِم الحرَّة.

وفيه علاج الّذين لم يستجيبوا بَعْدُ لِدَعْوَةِ الحقّ، ولم يَبْلُغُوا دركَةَ الميؤوس مِنْ إصْلَاحِهِمْ عن طَرِيق إراداتِهِم الحرَّة.

الفرع الخامس من فروعها العظمىٰ:

المنافقون وصفاتهم، ثم عِلَاج مَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِدَعْوَةِ الحقّ مِنْهُمْ ويَتَخَلَّصَ مِنْ نِفَاقِهِ.

(٤)
دُروسُ سورة (البقرة)

كثِيرَة دُروس هـٰذه السُّورة العظيمة، وَفِيهَا بَعْضُ دُرُوسٍ طويلة يُمْكِنُ تَقْسِيمُها إلىٰ عِدَّةُ فُصُولٍ:

الدّرس الأول: الآيات من (١ ـ ٥).

وفي آيات هَـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ الأُسُسِ الْعُظْمَىٰ لِصِفَاتِ المتقين.

الدرس الثاني: الآيتان (٦ و٧).

وفي آيتَيْ هَـٰذا الدَّرس بيان واقِع حَالِ الكافِرِينَ المصِرّين عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِعِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ، والميْؤُوسِ من اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَة الحقِّ الرَّبَّانِيَّة، عن طَرِيقِ إراداتِهِم الحرَّة.

الدرس الثَّالث: الآيات من (٨ ـ ٢٠).

وفي آيَاتِ هَـٰذا الدَّرْس بَيَانُ بِشَأْنِ المنافقين الَّذِين بَدأ ظُهُورُهُمْ فِي المدينَة، عِنْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَيْهَا، وكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الحقِّ الرَّبَّانِيَّة فيها، وظُهُور بوادِرِ تَأْسِيس دَوْلَةٍ إسْلَامِيَّة.

الدرس الرابع: الآيات من (٢١ ـ ٢٩).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْس خطابٌ من اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ مُوجَّهٌ للنَّاسِ جَمِيعاً، بأنْ يَعْبُدُوا اللهَ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، مع بيان أَدِلَّة وُجُوبِ هـٰذِهِ العبادة، من الظَّوَاهِرِ الكَوْنِيَّة، ومن القرآن المجيد المعجز.

وفيها ترغيب وتَرْهيب. وفيها بيان سُقُوط مَقَالَةِ المعترِضِينَ علىٰ أمْثالٍ قرآنِيَّة، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّها لَا تَلِيقُ بِعَظَمَةِ التنزيل الرَّبَّانِي، مَعَ معالَجَتِهم الحكيمة ببيان بعض صفاتِهم، والتعجيب من أمْرِهِمْ كيف يكْفُرُونَ باللهِ، وقد كَانُوا أَمْوَاتاً فأحْيَاهُمْ ثُمَّ يُمِيتُهُمْ ثُمَّ يُحْيِيهم لِمَلَاقَاة أحداثِ يوم الدِّين،

وهو الذي خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الأرض جَمِيعاً، ثُمَّ اسْتَوىٰ إلىٰ السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سبع سَمَاوَات وهو بكل شيءٍ عليم.

الدَّرس الخامس: الآيات من (٣٠ ـ ٣٩).

وفي آيَاتِ هـٰذا الدرس عَرْضُ لَقْطَةٍ مِنْ قِصَّةِ خَلْقِ آدم عَلَيْهِ السَّلَام، وسؤال الملائكة عَلَيْهِم السَّلَام عن الحكْمَةِ مِنْ خَلْقِهِ، وبَيَانِ اللهِ لَهُمْ عَمَلِيّاً، وإسْكَانِ اللهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام وزَوْجَهُ الجنَّةَ إِسْكَانَ اخْتِبَارٍ، وإخْرَاجِهِمَا من الجنَّة بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِمَا بأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا اللهُ عَنْ أَنْ يَقْرَبَاها، مُتَأَثِّرِيْن بِتَضْلِيلَاتِ عَدُوِّهما إبْلِيسَ الشَّيْطَانِ الرجيم.

الدّرْس السادس: الآيات من (٤٠ ـ ١٠٣).

وفي آيات هـٰذا الدَّرس؛ بَيَانٌ عَنْ عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنْ مَوَاقِفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُجَاهَ دِينِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رُسُلِهِمْ عَلَيْهِم السَّلَام، مَعَ بيان بَعْضِ صِفَاتِهِمُ المتكَرِّرَةِ فِي أَجْيَالِهِمْ، ومَا وَاجَهُوا به الرِّسَالَةَ الخاتِمَة الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ ـ عزّ وجلَّ ـ علىٰ محمَّدِ بن عَبْدِ الله ﷺ.

ولِطُولِ هـٰذا الدَّرْسِ قَسَّمْتَهُ إلىٰ تِسْعَةِ فُصُول:

الفصل الأول: الآيات من (٤٠ ـ ٤٦).

وفي آيات هـٰذا الْفَصْل نداءٌ مُوَجَّهُ لبَنِي إسْرائيل، بأَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ الّتِي أَنْعَمَ بها عَلَيْهِم، وَبِأَنْ يُوفُوا بِعَهْدِهِ لِيُوفِي بِعَهْدِهِمْ، وبأَنْ لَا يَرْهَبُوا غَيْرَه، مع أَوَامِرَ وتَوْجِيهَاتٍ ومَطَالِبَ أُخْرَىٰ، ووَصَايَا وتَرْغِيبٍ وتَرْهِيب.

الفصل الثاني: الآيات من (٤٧ ـ ٥٠).

وفي آيَاتِ هـٰذا الفصل تَذْكِيرٌ لِبَنِي إسْرَائيلَ ببَعْضِ نِعَمِ اللهِ ـ عزّ وجلَّ ـ السابقة عليهم، وتَحْذِيرٌ لَهُمْ مِنْ جَزَاءِ يَوْمِ الدين.

ومن نِعَمِ اللهِ عليهم:

أ ـ أَنَّهُ نَجَّاهم مِنْ آل فِرْعَوْنَ.

ب ـ وأَنَّهُ فَرَقَ بِهِمُ الْبَحْرَ وأَغْرَقَ آلَ فِرْعَونَ وهُمْ يَنْظُرُون.

الفصل الثالث: الآيات من (٥١ ـ ٥٩).

وفي آيَاتِ هٰذا الْفَصْلِ بيان اتّخاذِهِمُ الْعِجْلَ الذَّهَبِيَّ يَعْبُدُونَهُ، حِينَ ذَهَبَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ عِنْدَ جَبَلِ الطُّور.

وبيانُ أَنّ اللهَ آتَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكِتَابَ والْفُرْقَان.

وبيانُ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُمْ بأَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ تائِبين إِلَىٰ بارِئِهِمْ بسَبَبِ عِبادَتِهِم العجل.

وبيان أَنَّهُمْ بَعْدَ نجاتِهِمْ من آل فِرْعَوْنَ قَالُوا لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام: لَنْ نُؤْمِنَ مُسْلِمِين لَكَ حتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً، فَأَخَذَتْهُمُ الصاعِقَةُ وهُمْ يَنْظُرُون، ثُمَّ بَعَثَهُمُ اللهُ مِنْ مَوْتِهِمْ رَغْبَةً فِي أَنْ يَشْكُرُوا رَبَّهُمْ.

وبيان أَنَّ اللهَ جَعَلَ الْغَمَامَ يُظِلُّهُمْ فِي سِينَاءَ من حَرِّ الشَّمْس، وأَنَّهُ امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِالْمَنِّ والسَّلْوىٰ، ولكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالمعاصِي والمخالفات. وبيان أن الله أَمَرَهُمْ بأَنْ يَدْخُلُوا قَرْيَةَ أَريحا، وأَنْ يَدْخُلُوا بَابَهَا سُجّداً، فَبَدَّلُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لهم، فَعَذَّبَ اللهُ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ بِرِجْزٍ من السَّمَاء.

الفصل الرابع: الآيات من (٦٠ ـ ٦٢).

وفي آيَاتِ هٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَسْقَىٰ لِقَوْمِهِ فِي سِينَاء، فأَمَرَهُ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ بأَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ حَجَراً عَيَّنَهُ لَهُ، فَضَرَبَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَة عيناً، بِعَدَدِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرائيلَ، فَخَصَّصَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْناً مِنْهَا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْباطِهِم، وهٰذا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي سِينَاء.

وفيها بَيَانُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام: لَنْ نَصْبِرَ علىٰ طَعَامٍ واحد، وطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ رَبَّهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ، وبيانٌ مَا أَجَابَهُمْ بِهِ.

مع تَعْلِيقٍ تَرْغِيبيٍّ في الإيمان والعمل الصالح.

الفصل الخامس: الآيات من (٦٣ ـ ٦٦).

وَفِي آيَاتِ هَـٰذا الدَّرْس بَيَانُ أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجَلَّ ـ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَأْخُذُوا مَا آتَاهُمْ في التَّوْرَاةِ مِنْ أَحْكَامٍ بِقُوَّةٍ، فَتَرَدَّدُوا فِي إِعْطَائِهِمْ مِيثَاقَهُمْ، فَرَفَعَ فَوْقَهُمْ جَبَلَ الطُّور تَخْوِيفاً لهم فَأَعْطَوْا مِيثَاقَهُمْ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِمَا أَعْطَوْا مِيثَاقَهُمْ عَلَيْه.

وفِيهَا بَيَانُ اعْتِدَاءِ فَرِيقٍ بِالْعَمَلِ الدُّنْيَوِيِّ يَوْم السَّبْتِ، وكَيْفَ أَنَّ اللهَ عَاقَبَهُمْ بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ.

الفَصْلُ السادس: الآيات من (٦٧ ـ ٧٤).

وفي آيَات هـٰذا الدَّرْسِ بيانُ قِصَّةِ القَتِيلِ الَّذِي قُتِلَ مِنْ بَنِي إسْرَائيل، ومَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ لِمَعْرِفَةِ قَاتِلِهِ.

وفيها بَيَانُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلك، فَصَارَتْ أَشَدَّ مِنَ الحجارة قَسْوَةً، مع تَرْهِيبِهِمْ مِنْ عِقَاب اللهِ لهم.

الْفَصْلُ السَّابع: الآيات من (٧٥ ـ ٨٢).

وفي آيَاتِ هَـٰذا الدَّرْس بيانٌ للمؤْمِنِينَ المسْلِمِينَ بِأَنْ لَا يَطْمَعُوا في أَنْ يُؤْمِنَ الْيَهُودُ مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِمْ، وقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ أَحْبَارِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ، ويُوجَدُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُنَافِقُونَ نِفَاقَ مَكْرٍ وكَيْدٍ، وآخَرُونَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ جَهَلَةٌ، لَا يَعْلَمُونَ كِتَابَ التَّوْرَاةِ إِلَّا عِلْمَ قِرَاءَةٍ بِلَا فَهْمٍ لِدَلَالَاتِ كَلِمَاتِهِ وَجُمَلِه.

وآخَرُونَ مِنْهُمْ مُفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ: هَـٰذا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فِي ادِّعَاءِ أَنَّ اللهَ لَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ إِلَّا بِأَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ أَيَّاماً مَعْدُودَة. وفيها بَيانُ كَذِبِهِمْ فِي ادّعَاءَاتِهِمْ بِأُسْلُوبِ بَيَانِ خُلودِ الْكَافِرِينَ فِي النَّار، وخُلُودِ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الجنَّةِ يَوْمَ الدِّين.

الفصل الثامن: الآيات من (٨٣ ـ ٨٦).

وفي آيات هـٰذا الدّرس بَيَانُ أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَخَذَ مِيثَاقَ بَنِي إسرائيلَ بأَنْ لَا يَعْبُدوا إِلَّا الله، وَبِأَنْ يُعَامِلُوا الْوَالِدَيْنِ فِي حَيَواتِهِمْ بالإحْسَان، وبأَنْ يُحْسِنُوا لِذِي الْقُرْبَىٰ واليتامَىٰ والمساكين، وبِأَنْ يَقُولُوا لِلنَّاس حُسْناً، وبِأَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاة ويُؤْتُوا الزَّكَاة، لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ عَصَوْا مَا أَعْطَوْا عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وابْتَعَدُوا عَنْهُ مُعْرِضِين.

وفيها بيانُ أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَىٰ أَنْ لَا يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وعَلَىٰ أَنْ لَا يُخْرِجُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ دِيَارِهم، ثُمَّ عَصَوْا وخَالَفُوا مَا أَعْطَوْا عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، مَعَ تَلْوِيمِهِمْ وَتَثْرِيبِهِمْ عَلَىٰ مَعَاصِيهِمْ، وإيمانِهِمْ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَكُفْرِهِمْ بِبَعْضٍ، وَإِنْذَارِهِمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْم الدين.

الفصل التاسع: الآيات من (٨٧ ـ ١٠٣).

وفي آيات هـٰذا الدَّرس تَوْجِيهُ إِقْنَاعٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، مَقْرُونٍ بالتَّثْرِيبِ والتَّلْوِيم، علىٰ كَبَائِرِهِمْ، وبيانِ أَنَّهُمْ يُعَادونَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام، ويُعَادُونَ اللهَ وبَعْضَ مَلَائِكَتِهِ ورُسُلِهِ عَلَيْهِم السَّلَام.

وفيها بيَانُ أَنَّهُمْ لَا وَفَاءَ لأَكْثَرهِم في عُهُودِهِمْ، ومُوَاجَهَتُهُم بِعُنْفٍ بِتَلْوِيمِهِمْ عَلَىٰ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِرَسُولِ اللهِ محمّد ﷺ وَبِالكِتَابِ القرآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ. وعَلَىٰ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمان عَلَيْهِ السَّلَام، مَعَ بَيَانَاتٍ وَتَوْجِيهاتٍ مُلَائماتٍ.

الدرس السَّابع: الآيَات من (١٠٤ ـ ١١٠).

وفي آيات هٰذا الدَّرْسِ نِداءٌ من اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ لِلّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِ بِتَوصِياتٍ، مَعَ بَيَانِ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا من أَهْلِ الكِتَابِ الْيَهُودِ والنَّصَارَىٰ، ومن المشْرِكِينَ الْوَثَنِيِّينَ؛ يَكْرَهُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَىٰ المؤمنين المسْلِمينَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّهِمْ يُمَيِّزُهُمْ به.

وَفيها بَيَانٌ عَنِ النَّسْخِ مَقْرُونٌ بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ وأَنَّ لَهُ مُلْكَ السَّمَاوات والأَرْض.

وَفِيهَا تَحْذِيرٌ لهم من أَنْ يَتَّبِعُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي قَبَاحَاتِهِمْ وتَشْكِيكاتِهِمْ فِي دِينِ اللهِ، مع بَيَانِ أَنَّ كَثِيرِينَ من أَهْلِ الكِتَابِ يَوَدُّون لَوْ يَرُدُّونَهُمْ إلىٰ الكُفْرِ مِنْ بَعْدِ إيمانِهِمْ حَسَداً من عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.

وفيها أَمْرٌ مِن اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ بِأَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، مَعَ الْوَعْدِ بالثواب الجزيل.

الدَّرْسُ الثامن: الآيات مِنْ (١١١ ـ ١١٨).

وفي آيات هٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ مَقَالَة قَالَهَا الْيَهُودُ وقَالَ مِثْلَهَا النَّصَارَىٰ، وهِيَ افْتِرَاؤُهُمْ عَلَىٰ اللهِ بأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّة يَوْمَ الدِّينِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْيَهُودِ، وهٰذِهِ مقالَةُ الْيَهُودِ، ولَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ النَّصَارَىٰ، وهٰذِهِ مَقَالَةُ النَّصَارَىٰ، مَعَ تَكْذِيبِ اللهِ لَهُمْ فِي هٰذَا الافْتِرَاء، وبَيَانِ الْحَقِّ.

وفيها بَيَانُ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شيءٍ مِنَ الْحَقِّ والصِّدْقِ، وأَنَّ النَّصَارَىٰ قالُوا: لَيْسَتِ الْيَهُودُ علىٰ شيءٍ من الحقِّ والصِّدْقِ، وكَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَيْسَ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ من الكتاب، بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ.

وفِيهَا بَيَانُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَمْنَعُ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فيها اسْمُهُ، ويَسْعَىٰ في خَرَابِهَا، مَعَ بياناتٍ وَوَصَايا مُلَائِمَات.

وفيها بَيَانُ مَقَالَةٍ قَالَهَا النَّصَارَىٰ، وَهِيَ أَنَّ اللهَ اتَّخَذَ وَلَداً، مع بَيَانِ تَنَزُّهِ اللهِ عن اتِّخَاذِ الْوَلَدِ.

وفِيها بَيَانُ أَنَّ المشْرِكِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ مِنْ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ قَالُوا مُطَالِبِينَ بِإِلْحَاحٍ: هَلَّا يُكَلِّمُنَا اللهُ، أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ مُعْجِزَةٌ كُبْرَىٰ، كَمَا آتَىٰ اللهُ مُوسَىٰ وعِيسَىٰ عَلَيْهِما السَّلَام، مَعَ مُعَالَجَتِهِمْ بِبَيَانِ حَالَتِهِمْ فِي هَٰذِهِ المرْحَلَةِ مِنْ مَرَاحِلِ تَنْزِيلِ الْقُرآنِ.

الدَّرْس التاسع: الآيات من (١١٩ ـ ١٢١).

وفي آياتِ هَٰذا الدَّرْسِ خِطَابٌ مِنَ اللهِ ـ عزّ وجلّ ـ لِرَسُولِهِ محمد ﷺ يُبَيِّنُ لَهُ وظِيفَتَهُ فِي هَٰذِهِ المرْحَلَةِ مِنْ مَسيرتهِ الدَّعَوِيَّة لِغَيْرِ الْمُسْلِمين، مَعَ بَيَانِ أَنَّ الْيَهُودَ والنَّصَارَىٰ لَنْ يَرْضَوْا عَنْهُ حَتَّىٰ يَتَّبعَ مِلَّتَهُمْ، وتَوْجِيهِهِ بِمَا يُنَاسِبُ، وَبَيَانِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ المسْلِمِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ القرآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وأنَّ من يَكفُرُ بالْقُرآنِ هُمُ الْخَاسِرُونَ المنْحَطُّونَ الْبَعِيدُونَ عَنْ مَوَاطِنِ تَنَزُّلِ رَحَمَاتِ اللهِ.

الدَّرْسُ العاشر: الآيتان (١٢٢ و١٢٣).

وفي آيَتَيْ هَٰذَا الدَّرْس عَوْدٌ إِلىٰ نِدَاءِ بَنِي إِسْرَائيلَ لِيَضَعُوا فِي ذَاكِرَاتِهِمْ نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بها عَلَيْهِمْ، وأَنَّهُ فَضَّلَهُمْ فِي أَيَّام مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَدَاوُودَ وسُلَيْمَانَ عَلَيْهِم السَّلَام وبَعْضِ أَزْمَانٍ أُخْرَىٰ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ لِحْملِ رِسَالَةِ اللهِ للنَّاس، وفيها تَحْذِيرُهُمْ وَإِنْذَارُهُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِذَا لَمْ يَتَّقُوا رَبَّهُمْ.

الدَّرْس الحادي عشر: الآيات من (١٢٤ ـ ١٣٤).

وفي آياتِ هَٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ لَقَطَاتٍ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، وقِصَّةِ الكَعْبَةِ المشَرَّفَةِ، وَرَفْعِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِما السَّلَام الْقَوَاعِدَ من الْبَيْتِ، وَدُعَائِهِمَا وَهُمَا يَبْنِيَانِ الكَعْبَةَ.

وفيها بَيَانُ أَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام هِيَ الْمِلَّةُ الصَّحِيحَة، وبيانُ أَنَّ الله اصطفاهُ علَىٰ العالَمِينَ، وأَنَّهُ وَصَّىٰ بِهَا بَنِيهِ وكَذَلِكَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَام.

مَعَ مُرَافِقَاتٍ ولَوَاحِقَ ذَاتِ قِيمَة.

الدرس الثاني عَشَر: الآيات من (١٣٥ ـ ١٤١).

وفي آيَاتِ هـٰذا الدَّرْس بَيَانُ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا للمؤْمِنِينَ المسْلِمينَ: كُونُوا يَهُوداً تَهْتَدُوا، وكَذَلِكَ قَالَ النَّصَارَىٰ: كُونُوا نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا، مَعَ تَعْلِيمِ اللهِ المؤمِنِينَ المسْلِمِينَ مَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَيْهِمْ، مع بيانات مُرَافِقَاتٍ قيمَات.

الدّرْس الثالث عشر: الآيات من (١٤٢ ـ ١٥٠).

وفي آيَاتِ هـٰذا الدَّرْسِ تَمْهِيدٌ يَتَعَلَّقُ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَىٰ الكَعْبَةِ المشَرَّفَة، وبيانُ مَا سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ أَعْدَاءُ الإِسْلَام من النَّاس، تَشْكِيكاً في دِينِ اللهِ الْخَاتِمِ الَّذِي يُنَزِّلُ اللهُ أَحْكَامَهُ تِبَاعاً فِيما يُنَزِّلُ مِنْ قُرْآن.

مع تَيْئِيسِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ أَنْ يَتّبِعَ الَّذِين أُوتُوا الكِتَابَ وهُمُ الْيَهُودُ والنَّصَارَىٰ قِبْلَتَهُ الَّتِي حَوَّلَهُ اللهُ إِلَيْهَا، وهِي الكَعْبَةُ المشَرَّفَة، والاتّجاهُ مِنْ بُعْدٍ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحرامِ في مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ.

ومَعَ بيانَاتٍ مُرَافِقَاتٍ قَيِّمات.

الدَّرس الرابع عشر: الآيات من (١٥١ ـ ١٥٧).

وفي آيَاتِ هَـٰذَا الدَّرْسِ خِطَابٌ لِقَوْم الرَّسُولِ ﷺ من الْعَرب، يأمُرُهُمْ فِيهِ أَنْ يَشْكُرُو الله عَلَىٰ إِرْسَال الرَّسُولِ مِنْهُمْ، بِأَنْ يَذْكُرُوه لِيَذْكُرَهُمْ، وَبِأَنْ يَشْكُرُوهُ ولَا يَكْفُرُوه.

وفيها نداءٌ من اللهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا، يُوصِيهِمْ بِتَوْصِيَاتٍ نَفْسِيَّةٍ وعَمَلِيَّةٍ.

وفيها تَمْهِيدٌ لِلأَمْرِ بالقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وبَيَانُ أَنَّ الَّذِينَ يمُوتُونَ

شُهَدَاءَ في سَبِيلِ اللهِ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، حَيَاةً تُلَائِمُ الْفَاصِلَ الْبَرْزَخِيَّ بَيْنَ انْتِهَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وبَدْءِ الْحَيَاةِ الأُخْرَىٰ بالبعث.

الدرس الخامس عشر: الآية (١٥٨).

وفي هـٰذه الآية بيانٌ يتعلَّقُ بالصَّفا والمروَة، وأنَّهُمَا مِنْ شعائِرِ اللهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَو اعْتَمَر فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَىٰ بَيْنَهُمَا، عِبَادَةً للهِ عزَّ وجَلَّ.

الدرس السادس عشر: الآيات من (١٥٩ ـ ١٦٢).

وفي آيَاتِ هَـٰذا الدَّرْس بَيَانٌ بِشَأْنِ الإثْمِ الْعَظِيمِ الْوَاصِلِ إلَىٰ دَركاتِ لَعْنِ مُرْتَكِبِهِ، وهُوَ إِثْمُ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ والْهُدَىٰ، باسْتِثْنَاءِ مَنْ تَابَ وأَصْلَحَ وبَيَّنَ.

وبيانٌ بِشَأْن الَّذِينَ كَفَرُوا ومَاتُوا وهُمْ كُفَّارٌ.

الدرس السابع عشر: الآيات من (١٦٣ ـ ١٦٧).

وفي آيات هَـٰذَا الدَّرْس تَذكِيرٌ للنَّاس بأنَّ إلـٰهَهُمْ إلـٰهٌ واحِدٌ، مع عَرْضِ بَعْضِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ رُبُوبيَّةِ اللهِ لكَوْنِهِ، الَّتِي يَلْزَمُ عَنْهَا أَنَّهُ هُو الإلـٰهُ الْمَعْبُودُ بِحَقّ.

وفيها بَيَانٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمُشْرِكِينَ، ويَتَعَلَّقُ بالأتْبَاعِ والمتبوعِينَ مِنْهُمْ يَوْمَ الدِّين.

الدرس الثامن عشر: الآيات من (١٦٨ ـ ١٧١).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ نِداءٌ من اللهِ للنَّاس بأنْ يأكُلُوا مِمَّا في الأرْضِ حَلَالاً طَيّباً، وبأَنْ لَا يَتَّبعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، فإنَّهُ لَا يأمُرُ إلَّا بالسُّوءِ والْفَحْشَاءِ، وأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

وفيها بيانٌ عَنِ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ ومَوْقِفِهِمُ الْعِنَادِي من الدَّعْوَة إلَىٰ دينِ اللهِ الحقِّ.

الدرس التاسع عشر: الآيات من (١٧٢ ـ ١٧٦).

وفي آيات هٰذا الدَّرْس نِدَاءٌ مِنَ اللهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ للَّذِينَ آمَنُوا بِقَضَايَا تتعلَّقُ بِالْمآكل، وبِكِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ مِنَ الِكِتَاب، مُقَابِلَ مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ يَحْصُلُونَ عليها، وأَمْوالٍ يُصِيبُونَها.

الدرس العشرون: الآية (١٧٧).

وفِي آيَةِ هـٰذا الدَّرْس بَيَانٌ بِشَأْنِ القِبْلَة، وأَنَّهُ ليسَ الْبِرَّ أَنْ يُوَلِّيَ النَّاسُ وُجُوهَهُمْ قِبَلَ المشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ دُونَ إيمان، ولَكِنَّ الْبِرَّ هُوَ التَّوَسُّعُ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ ونَوَافِلِ العبادات بَعْدَ الإيمانِ وبَذْلِ المالِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، والبِرَّ أيضاً بِرُّ مَنْ أقام الصَّلَاةَ أَوَّلاً وأدّىٰ الْفُرُوض الإسلامية، وزادَ علىٰ ذَلِكَ الصَّبْرَ.

الدرس الحادي والعشرون: الآيات من (١٧٨ ـ ١٨٢).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ بيانُ حُكْمِ القِصَاصِ في القَتْلَىٰ، وحُكْمِ الوصِيَّةِ لِلْوَالِدَينِ والأقْرَبِينَ بالْمعْرُوف مِنَ التَّرِكَةِ إِذَا حَضَرَ المؤمِنَ الموْتُ، وكَانَ هـٰذَا قَبْلَ إِنْزَالِ أَحْكَامِ المواريث، وهُوَ مِنْ أَمْثِلَةِ التَّدَرُّجِ فِي إِنْزَالِ الأَحْكَامِ فِي الإسْلام.

الدرس الثاني والعشرون: الآيات من (١٨٣ ـ ١٨٧).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ فَرْضِ صِيَام رَمَضَانَ، مع تَفْصِيلِ بَعْضِ أَحْكَامِهِ، مع بَيَانٍ في ضِمْنِهَا يَتَعَلَّقُ بالدُّعاء.

الدرس الثالث والعشرون: الآية (١٨٨).

وآيَةُ هَـٰذَا الدَّرْسِ تَتَضَمَّنُ النَّهْيَ والتَّحْذِيرَ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بالْبَاطِلِ، والتَّحْذِيرَ مِنِ اسْتِخْدَامِ الْحُكَّامِ للوصُولِ إِلَىٰ هـٰذِهِ الغايَةِ الآثِمَة.

الدَّرس الرابع والعشرون: الآية (١٨٩).

وفي آيَةِ هـٰذا الدّرْس جوابُ سُؤال عن الأَهِلَّةِ، مع بَيَانِ بَعْضِ قَضَايَا تَتَعَلَّقُ بالحجّ، مصحوبَةٍ بالأَمْرِ بالتَّقْوىٰ.

الدرس الخامس والعشرون: الآيات من (١٩٠ ـ ١٩٥).

وفي آياتِ هـٰذا الدَّرْس أمْرٌ مُوجَّهُ للمؤْمِنِينَ المسْلِمِينَ بأنْ يقاتِلُوا فِي سبيل اللهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ، مَعَ نَهْيِهِمْ عَنِ الاعْتِداء، ومَعَ تَوْجِيهاتٍ أُخْرَىٰ تَتعلَّقُ بالْقِتَالِ، والإنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَجْلِ الْقِتَالِ المأمُورِ بِهِ.

الدرس السَّادس والعشرون: الآيات من (١٩٦ ـ ٢٠٣).

وفي هـٰذه الآيَات بيانات تتعلَّقُ بالحجّ والْعُمْرَة، وتَفْصِيلٌ لِبَعْضِ أَحْكَامِ الحجّ، مَعَ مُرَافِقَاتٍ مُلائِمَاتٍ.

الدرس السَّابع والعشرون: الآيات من (٢٠٤ ـ ٢٠٧).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْس بَيَانٌ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ مِمَّنْ يُعْجِب قَوْلُهُ السَّامِعِينَ لَهُ في الحياةِ الدُّنيا ويُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا في قَلْبِهِ، لَكِنَّهُ إذَا تَوَلَّىٰ وَمَلَكَ الْقُوَّةَ كَانَ خبيثاً مُفْسِداً جَبَّاراً.

الدرس الثامن والعشرون: الآيات من (٢٠٨ ـ ٢١١).

وفي آياتِ هـٰذا الدَّرس نِدَاءٌ من اللهِ لِلّذِينَ آمَنُوا بأنْ يَدْخُلُوا مع إخوانِهِم المسْلِمِينَ في السِّلْم جَمِيعاً، وبأَنْ لَا يَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشيطان، مَعَ تَحْذِيرِهِمْ من الزَّلَلِ عَنْ هـٰذِهِ الْقَاعِدَةِ، وَوَعِيدٍ مُلَائِم.

الدرس التاسع والعشرون: الآيات من (٢١٢ ـ ٢١٤).

وفي آياتِ هـٰذا الدَّرْس بَيَانُ أَنّ دَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْجِع إلىٰ أَنَّهُمْ قَدْ زُيِّنَتْ لَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا زينَةً سَيْطَرَتْ عَلَىٰ كُلِّ مَشَاعِرِهم النَّفْسِيَّةِ، فَحَجَبَتْ عنْهُمُ الحقَّ حتَّىٰ صَارُوا يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، مع بَيَانِ أَنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ سَوْفَ يَكُونُونَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة.

وفيها بَيَانُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً واحِدَةً علىٰ دِينِ اللهِ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا، وكَثُرَ فيهِمُ الكُفْرُ، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِم السَّلَام مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ، وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ المبَيِّنَ لِدِينِهِ الحقِّ، لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فيه، ثُمَّ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بَغْياً بَيْنَهُمْ.

وفيها بَيَانُ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ في ابْتِلَاءِ عِبَادِه المؤمِنِينَ، ومِنْهَا ابْتِلَاؤُهُمْ بالْبَأْسَاءِ والضَّرَّاء، حتَّىٰ يَقُولُوا: مَتَىٰ يَكُونُ نَصْرُ الله؟.

الدَّرْس الثلاثون: الآية (٢١٥).

وفي آيَةِ هٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ جواب سؤالٍ سَأَلَهُ المؤمِنُونَ عمَّاذا يُنْفِقُونَ، مَعَ تَرْغِيبِهِمْ فِي الإنْفَاقِ إِذْ هُو مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ الْذِي يُثيب الله عَلَيْهِ.

الدرس الحادي والثلاثون: الآيات من (٢١٦ ـ ٢١٨).

وفي آياتِ هَـٰذَا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ كَتَبَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ القِتَالَ وهُو كُرْهٌ لَهُمْ.

وفيهَا إجَابَةُ سُؤَالٍ عَنِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الحرامِ.

وفيها وعْدٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الله بالمغْفِرَةِ والثّوابِ الْجَزِيلِ.

الدرس الثاني والثلاثون: الآيتانِ (٢١٩ ـ ٢٢٠).

وفيهما بَيَانُ جَوَابِ سُؤَال المسْلِمِينَ عَنِ الْخَمْرِ، في هٰذه المرحَلَةِ من مَسِيرة دَعْوَةِ الرَّسُول ﷺ، وسؤالِهِمْ عَمَّاذا يَنْفِقُون، وسُؤَالِهِمْ عَنِ الْيَتَامَىٰ.

الدرس الثالث والثلاثون: الآية (٢٢١).

وفي آيَةِ هٰذا الدَّرْسِ نَهْيٌ عَنْ نِكَاحِ المشْرِكاتِ، وعَنْ إِنْكاح المشْرِكين.

الدّرس الرابع والثلاثون: الآيتان (٢٢٢ و٢٢٣).

وفي آيَتَيْ هـٰذا الدَّرْسِ جوابُ سؤالٍ عَنْ مُعَاشَرَةِ الزَّوْجاتِ حِينَ يَكُنَّ حَائِضَات.

وفِيهِمَا بَيَانُ الإذْنِ بمُعَاشَرَتِهِنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ، أَيْ: في مَوْضِعِ إنجاب الأوْلَادِ مِنْهُنَّ، مَعَ مُرَافِقَاتٍ تَتَعَلَّقُ بالمعاشرة.

الدرس الخامس والثلاثون: الآيات من (٢٢٤ ـ ٢٣٧).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ أَحْكَامٍ تَتَعَلَّقُ بالأيْمَان، وبِالإِيلَاءِ، والطَّلَاقِ، وبإرْضَاعِ الأَوْلَادِ.

وفيها بَيَانُ أَحْكَامٍ تَتَعَلَّقُ بِوَفَاةِ الأَزْواجِ، وخِطْبَةِ النِّساء، وحُقُوقِ الزَّوْجَةِ الْمُطَلَّقَةِ.

الدَّرس السَّادس والثلاثون: الآيتان (٢٣٨ و٢٣٩).

وفي آيَتَيْ هـٰذا الدَّرْسِ أَمْرٌ بالمحافَظَةِ علىٰ الصَّلَواتِ، مع بَيَانِ بَعْضِ أَحْكَامِ الصَّلَاةِ فِي حَالَةِ الْخَوْفِ.

الدَّرْس السابع والثلاثون: الآيات من (٢٤٠ ـ ٢٤٢).

وفي آيات هـٰذَا الدَّرْسِ بَيانُ أَحْكَامٍ تَتَعَلَّقُ بالزَّوْجَاتِ اللَّاتِي يُتَوَفَّىٰ أَزْوَاجُهُنَّ، وَبالْمُطَلَّقَاتِ.

الدرس الثامن والثلاثون: الآيات من (٢٤٣ ـ ٢٤٥).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ تَوْطِئَةٌ بِبَيَانِ الأُلُوف الّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِم حَذَرَ الموت، فأماتَهُمُ اللهُ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ. وأَمْرٌ بِالْقِتَالِ في سَبِيلِ الله، وتَرْغِيبٌ فِي الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ من أَجْلِ القتال.

الدرس التاسع والثلاثون: الآيات من (٢٤٦ ـ ٢٥٢).

وفي آيات هـٰذا الدَّرْسِ بَيَانُ قِصَّةِ قِتَالٍ جَرَىٰ بَيْنَ قِسْمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِقِيَادَةِ طَالُوت؛ وبَيْنَ الكَفَرَةِ المشْرِكِينَ بقيادة جالُوت، وانْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِقَتْلِ جالُوتَ الْجَبَّارِ بِيَدِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، وهَزِيمَةِ جَيْشِهِ الْمُدَجَّجِ بالسِّلَاح.

الدرس الأربعون: الآية (٢٥٣)[1].

وفي آية هـٰذا الدرس بيان موضوع تفاضل الرسل عليهم السلام عند الله عز وجل، مع بيان حال الناس بعد مجيء البينات الربانية إليهم.

الدرس الحادي والأربعون: الآية (٢٥٤).

وفي آية هـٰذا الدرس أمر الله تعالىٰ الذين آمنوا بالمبادرة إلىٰ الإنفاق مما رزقهم تبارك اسمه.

الدرس الثاني والأربعون: الآية (٢٥٥).

وآية هـٰذا الدرس هي الآية المعروفة بآية الكرسي، والمُتَضَمِّنَة لِذِكْرِ العَدِيد من الصفات الرَّبَّانية، ولإثبات توحيد الله ـ تبارك اسمه ـ في إلـٰهيّتِهِ وربوبِيَّتِهِ.

الدرس الثالث والأربعون: الآيات من (٢٥٦ ـ ٢٦٠).

وفي آيات هـٰذا الدرس:

أولاً: بيان أنه ليست الغاية من القتال المشروع إكراه الناس علىٰ أن يكونوا مؤمنين مسلمين.

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي ما بيّضه الوالد الشيخ رحمه الله بيده، وكان قبل هـٰذا قد كتب دروس سورة البقرة كاملة في مسودة، فليس لي في ذكر ما تبقّىٰ من الدروس إلا التبييض، مع تصرّف يسير يقتضيه حال نقل الكلام من مسودة، وحال ما سمعته من الوالد رحمه الله تعالىٰ.

ثم بيان أنّ مَنِ اتّجهَ إلىٰ اللهِ فآمَنَ بِهِ حقّاً أخْرَجَهُ مِنَ الظلمات إلىٰ النور.

وَمَنْ لَمْ يَتَّجِه إِلَيْهِ تبارك اسمه كان الطّاغوتُ وليّه، يُخْرِجه من النور إلىٰ الظلمات.

ثم ضَرْبُ مثالٍ يُؤَكّدُ ما سبق، مِنْ خِلالِ نصرة الله لوليّ له ورسولٍ من أولي العزم من رسله عليهم السلام، وهو إبراهيم عليه السلام، عند مُحَاجَّتِهِ ومناظرته لِعَدُوٍّ مِنْ أعداءِ الله سبحانه، وهو الملكُ: النمرود. إذ يتبيّن في هـٰذا المثال كيف أَيَّدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِالْحُجَّةِ التي قطعت مجادلة النمرود له في رَبِّه سبحانه.

ثم ضرب الله سبحانه مِثَالَيْنِ آخرين يُبَيِّنان كذلك وجهين آخَرَيْنِ مِنْ وُجُوه بَيَانِ الحَقِّ واضحاً جَلِيّاً بالمثال التطبيقيّ لِوَلِيَّيْنِ مِنْ أَوْلِيَاء الله تعالىٰ.

فالمثال الأوّل: كان مع (العزير) الذي تَسَاءَل عَنْ كَيْفِيَّةِ إِحْيَاء الله لموتىٰ القريةِ التي مَرَّ بِهَا، فَضَرَبَ الله تعالىٰ له المثال مِنْ خلال إماتته له ولحماره، ثم بَعْثِهِ له ولحماره مِنْ بَعْدِهِ.

والمثال الثاني: كان مع (إبراهيم) عليه السلام عندما سَأَلَ رَبَّهُ عز وجلَّ أَنْ يُرِيَهُ كيف يحيي الموتىٰ، فَأَجابَه تعالىٰ إلىٰ سؤاله.

الدرس الرابع والأربعون: الآيات من (٢٦١ ـ ٢٧٤).

وفي آيات هـٰذا الدرس: ترغيب المؤمنين في الإنفاق في سبيل الله، وبيان الأجر العظيم عليه، والتحذير مِنْ إِبْطَالِ الصَّدَقَاتِ بِالمَنِّ والأَذىٰ.

وَفِيها بَسْطُ قَضَايَا تَتَعَلَّقُ بِالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ الله عز وجلّ.

الدرس الخامس والأربعون: الآيات من (٢٧٥ ـ ٢٨١).

وفي آيات هٰذا الدرس بَيَانٌ بشأن تحريم الرّبا، وكَيْفِيّةِ التَّعَامُلِ مَعَ المَدِين المُعْسِر، والتخويف مِنْ لقاء الله تعالىٰ يوم الدّين.

الدرس السادس والأربعون: الآيتان (٢٨٢ و٢٨٣).

وفي آيتي هٰذا الدرس: بيان قضايا تتعلق بالمداينات، وكيفية توثيقها، ووجوب أدائها، وغير ذلك مما يتعلق بالمداينات.

الدرس السابع والأربعون: الآيات من (٢٨٤ ـ ٢٨٦)، ختام السورة.

وفي آيات هٰذا الدرس: ختام السورة ببيان قضايا عقدية.

وفيها أيضاً تعليم إعلان إيماني، وبيان أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وتعليم المؤمنين دعاءً يدعون به، بشأن مطلوب الله تعالىٰ منهم في سلوكهم في حياتهم الدنيوية[1].



(١) إلىٰ هنا انتهىٰ ما كتبه الوالد رحمه الله في المسودة التي أكمل فيها دروس هٰذه السورة. وأرجو الله تعالىٰ أن أكون قد وفقت في تبييضها. والحمد لله علىٰ كل حال.

خاتمة المجلد الخامس عشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

لقد كتب الله جلّت قدرته للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني أن يتوقف عند هـٰذا الحدّ بالنسبة إلىٰ ما كتبه في تدبره هـٰذا، وذلك بعد أن أنهىٰ ـ رحمه الله ـ العهد المكي من التنزيل، واستخرج دروس أولىٰ سور العهد المدني (سورة البقرة).

وله تعالىٰ الحمد والمنّة أن أعان الشيخ ـ رحمه الله ـ علىٰ إتمام العهد المكي، المشتمل علىٰ تأصيل الأسس العقدية والخلقية والسلوكية والتربوية، وإقامة الدعامات الأساسية لأمهات العبادات العملية.

ونسأل الله عز وجل أن يعين علىٰ إتمام هـٰذا التدبر الكبير لكتابه العزيز، علىٰ المنوال الذي خَطّه الشيخ رحمه الله تعالىٰ، لنستفيد من حكمة دروس تتابع التنزيل الرباني في إعادة بناء هـٰذه الأمّة من جديد شيئاً فشيئاً، حتىٰ تَسْتَحِقّ وَعْدَ اللهِ تعالىٰ لها بالنصر والتمكين.

مع ملاحظة أن للشيخ رحمه الله الكثير من التدبر لآيات عديدات وردت في السور المدنية، بل إن له تدبراً قديماً لسورة مدنية وهي سورة (الرعد)، وهو مما يمكن الاستفادة منه في إتمام هـٰذا التدبر.

وقد كان الشيخ رحمه الله رغم تقدّم المرض فيه؛ يجاهد نفسه وضعفه ليكتب ما يمنّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ تدبّر لكتابه، واستمرّ علىٰ هـٰذا رغم

ما اعترضه مِنْ أَوْجَاع مؤلمة في المدّةِ الأخيرة مِنْ حياته رحمه الله.

وغير بعيد عن اليوم الذي اختاره تعالىٰ ليكون آخر أيام حياة الشيخ في هـٰذه الدنيا؛ تَوَقَّفَ رحمه الله عن الكتابة، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتوقَّفْ عَنِ العَطَاءِ والتَّدْرِيس والمناقشة والتعليم حتىٰ آخر يومٍ مِنْ أَيَّامِهِ رحمه الله.

وفي يوم الثلاثاء: ٢٤/جمادىٰ الآخرة/١٤٢٥هـ؛ شَعَرَ رحمه الله بعدم القدرة عَلَىٰ إبقاء الطعام والشراب في جوفه، وتسارع الأمر حتىٰ ما بعد منتصف الليل، وفي أولىٰ ساعات صباح الأربعاء: ٢٥/جمادىٰ الآخرة/ ١٤٢٥هـ، الموافق لـ: ١١/٨/ ٢٠٠٤م؛ فاضت رُوح الشيخ رحمه الله تعالىٰ إلىٰ مولاها، ونسأله تعالىٰ أن يغفر له مغفرة واسعة، وأن يلحقه بعباده الذين أنعم عليهم مِنَ النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وَحَسُنَ أولـٰئك رفيقاً، ونسأله جل جلاله أن يكتب للشيخ درجة الشهادة، إذ توفاه مبطوناً.

وكما كان يذكر الشيخ رحمه الله في خاتمة كل مجلد سابق فقد اجتهد أن يكون في تدبره في هـٰذا المجلّد مُنْضَبِطاً وفق القواعد التي وضعها في كتابه (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل).

ومما كان رحمه الله يكرّر معناه: أن ما كان في هـٰذا التدبر مِنْ توفيق فهو مِنْ فيض عطاء الله تعالىٰ ومنته، وما كان فيه مِنْ خطأ فهو راجع إلىٰ القصور البشري عن إدراك الآفاق الساميات لدلالات كلمات الله المنزلات....

وقد اشتمل هـٰذا المجلد علىٰ تدبر السور التالية:

١ ـ سورة (النبأ/ ٨٠ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٢ ـ سورة (النازعات/ ٨١ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٣ ـ سورة (الانفطار/ ٨٢ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٤ ـ سورة (الانشقاق/ ٨٣ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٥ ـ سورة (الروم/ ٨٤ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٦ ـ سورة (العنكبوت/ ٨٥ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٧ ـ سورة (المطففين/ ٨٦ نزول)، وملحق مستخرجات بلاغية منها.

٨ ـ وأخيراً بيان ما في سورة (البقرة/ ٨٧ نزول) أولى السور في العهد المدني؛ من فَرْش القراءات، واستخراج دروسها.

وبعد؛ فإنا نسأله جل جلاله أن يتقبّل هٰذا العمل مِنَ الشيخ ـ رحمه الله ـ بقبول حسن، وَأَنْ ينفع به المسلمين نفعاً كبيراً.

ونسأله جل ذكره أن يغفر للشيخ ويرحمه وأن يعفو عنه ويكرم نزله ويوسع مدخله ويغسله بالماء والثلج والبرد، وينقّيه مِنَ الخطايا كما يُنَقَّىٰ الثوب الأبيض مِنَ الدنس، ويباعد بينه وبينها كما باعد بين المشرق والمغرب، وأن يبدله داراً خيراً مِنْ داره وأهْلاً خيراً مِنْ أهله، وَأَنْ يثبّته بالقول الثابت، وأن يجعله مِنْ أَهْلِ فِرْدَوْسِهِ الأعْلَىٰ، وَأَنْ يَجْمَعْنَا وإيّاه تحت لواء سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ، وفي مستقرّ رحمته، إنه قريب سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

❁ ❁ ❁

الفهرس

الموضوع | الصفحة

سورة النبا (عَمَّ)
٧٨ مصحف ٨٠ نزول

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

سورة النَّازِعَات

٧٩ مصحف ـ ٨١ نزول

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

سورة الانفطار

٨٢ مصحف ٨٢ نزول

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

سورة الانْشقَاق

٨٤ مصحف ٨٣ نزول

الموضوع | الصفحة

سورة الرُّوم

٣٠ مصحف ٨٤ نزول

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

سورة الْعَنْكبُوت

٢٩ مصحف ـ ٨٥ نزول

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

سورة (الْبَقَرَة)

٢ مصحف ٨٧ نزول

وهي أوّل التنزيل المدني